تواريخُ آلِ عُثْمان

الوقائعُ التاريخيةُ للدولةِ العُثْمانيةِ
حتى عام 961هـ / 1553م

الطبعة الأولى:
1440 هـ / 2018 م

اسم الكتاب: تواريخ آل عثمان
المؤلف: الصدر الأعظم لطفي باشا
ترجمة: محمد عبد العاطي محمد
موضوع الكتاب: تاريخ عثماني
عدد الصفحات: 520 صفحة
عدد الملازم: 32.5 ملزمة
مقاس الكتاب: 17 x 24
عدد الطبعات: الطبعة الأولى
رقم الإيداع: 23472 / 2018
الترقيم الدولي: 0 - 622 - 278 - 977 - 978 ISBN:

التوزيع والنشر:

القاهرة - جمهورية مصر العربية
هاتف: 01012355714 - 01152806533
E-mail: elbasheer.marketing@gmail.com
elbasheernashr@gmail.com



تواريخُ آلِ عُثْمان

الوقائعُ التاريخيةُ للدولةِ العُثْمانيةِ
حتى عام 961هـ / 1553م

تأليف

الصَّدْرُ الأعظمُ لُطْفي باشا

ترجمة

محمد عبد العاطي محمد

تقديم

الأستاذ الدكتور/ سيد محمد السيد

دار البشير للثقافة والعلوم

الإهداء

إلى أبي وأمي مَنْبَعَي الحُبّ والحَنانِ.

إلى أستاذيّ الجليلَين: الأستاذِ الدكتورِ حَمْدي علي عبد اللطيف، والأستاذ الدكتور ناصر عبد الرحيم حُسين، اللّذَين تعلّمتُ مِنهما كثيرًا.

إلى زوجتِي الحبيبةِ التي منحتْني مِن وقتِها في البحثِ والترجمةِ.

إلى ثمرةِ فؤادي الشهزادة (البراء)، ورَيْحانةِ قلبي (أيسل) خانم.

إلى كلِّ طالبِ علمٍ جادٍّ يبحثُ عن حقيقةِ العُثْمانيِّين وحضارتِهم.

محمد عبد العاطي محمد

أبو البَـــــراء

تقديم

لقدْ تعرَّضَ التاريخُ الإسلاميُّ لهجماتٍ لا هَوادةَ فيها منذُ مطلَعِ العصرِ الحديثِ، قامتْ حركةُ الاستشراقِ بدورٍ رئيسيٍّ فيها؛ وقدْ كان نصيبُ تاريخِ الدولةِ العُثْمانية مِن هذه الهَجَماتِ هو الأكبرَ حَجْمًا، والأوسعَ أثرًا على الإطلاقِ، حتى تمَّ تشويهُ هذه الدولةِ- تاريخِها وحضارتِها- في أعيُنِ المسلمين، ورمْيِها بكلِّ نقيصةٍ، فانتشرتْ بينهم المفاهيمُ المغلوطةُ، والافتراءاتُ التي ليس لها أساسٌ مِن الصحَّةِ؛ وكان على مؤرِّخي الأمَّةِ المتخصِّصينِ السَّعْيُ لإعادةِ كتابةِ التاريخِ الإسلاميِّ عُمومًا والتاريخِ العُثْماني على وجْهِ الخُصوصِ بشكلٍ موضوعيٍّ، ومِن خِلالِ مصادرِه الأصيلَةِ.

ولمَّا كانت أغلبُ الوثائقِ وأمَّهاتِ مصادرِ تاريخِ الدولةِ العُثْمانية قدْ كُتبتْ باللغةِ التُّرْكيةِ العُثْمانية، وكانت المصادرُ المحلِّيةُ المحرَّرةُ باللغةِ العربيةِ تركِّزُ على الصِّراعاتِ المحلِّيةِ فقطْ، افتقدَ المؤرِّخون الذين تبنَّوا مشروعَ إعادةِ كتابةِ التاريخِ العُثْماني تلك المصادرَ المحرَّرةَ بالتُّرْكية لعدمِ معرفتِهم هذه اللُّغةِ، ومِن ثَمَّ اضطرُّوا للاستعانةِ بالتَّرجماتِ والدِّراساتِ الاستشراقيةِ مرَّةً أخرى، فجاء الكثيرُ مِن دراساتِهم مبتورًا ناقصًا، تغلِبُ عليها العاطفةُ، وتغيبُ عنها الموْضوعيةُ، فاستمرَّ انتشارُ تلك الأفكارِ الخاطئةِ عن الدولةِ العُثْمانية- تاريخِها وحضارتِها- بين الباحثين، فضلًا عن الأفرادِ العاديِّين. وعلى الرَّغمِ مِن أنَّ أقسامَ اللغةِ التُّرْكيةِ في مصرَ لَم تدَّخِرْ جُهْدًا في وضعِ البرامجِ لتدريسِ اللغةِ التُّرْكية بأقسامِ التاريخِ والحضارةِ والآثارِ بالجامعاتِ المصريةِ، فإننا لَم نشاهِدْ

حتى الآنَ تعاونًا إيجابيًا فعَّالًا بين هذه الأقسام لرأب هذا الصَّدْع، وتعليم شباب الباحثين في التاريخ العربيِّ الحديث اللغةَ التُّركية العُثْمانية للاستفادة منها في الاطِّلاع على مصادرِ تاريخ المنطقة في العصر العُثْمانيّ.

ومُساهمةً منِّي - مُساهمةَ المقصِّر - في هذا الإطار قُمتُ في أوائل التسعينيّات من القرن الماضي بإعداد مشروع لترجمة المصادر التاريخية والحضارية العُثْمانية إلى اللغة العربية، وراسلتُ مُعظمَ المراكز البحثية في العالم العربيّ. ولمَّا لم أحصُلْ على نتيجة إيجابية أعددتُ مشروعًا لترجمة مصدر واحد من مصادر التاريخ العُثْمانيّ وهو تاريخ جودت (12 مجلَّدًا) إلى العربية، ولم أجدْ دعمًا من أيِّ جهة من الجهات أيضًا. ومن ثَمَّ بدأتُ أتحرَّكُ بصفة شخصية بتوجيه طلبة الدراسات العُليا في أقسام اللغة التُّركية للتسجيل في موضوعات تتعلَّق بترجمة ودراسة مصادر التاريخ العُثْمانيّ، فبدأتُ في قسم اللغات الشرقية بكلِّية الآداب جامعة أسْيُوط بتسجيل ثلاث رسائل ماجستير في ترجمة ودراسة تاريخ سلانيكي، وتاريخ بجوي، وطبقات الممالك لجلال زاده مصطفى جَلَبي تحت إشرافي عام 1994م.

وهكذا، بدأتْ أقسامُ اللغات الشرقية في بقيَّة الجامعات المصرية تحذو حَذْوَنا، فتمَّ تسجيلُ ماجستير في ترجمة ودراسة تاريخ فَذْلَكة كاتب جَلَبي في قسم اللغة التُّركية بجامعة عَيْن شَمْس، ونتايج الوقوعات لجلال نوري في قسم اللغة التُّركية بكلِّية اللغات والترجمة بجامعة الأزهر، وترجمة ودراسة وقائع مصرَ في تاريخ جودت (12 مجلَّدًا)، وترجمة ودراسة أقسام من الدَّفتر الأول من دفاتر وثائق مهمَّة مصر الموجودة في أرشيف الدولة العُثْمانية باسْتانْبُول في قسم اللغات الشرقية بكلِّية الآداب جامعة الإسكندرية، وأخيرًا ترجمة ودراسة الدَّفتر الحادي عشر من مهمَّة مصرَ بقسم اللغات الشرقية بكلِّية الآداب جامعة سُوهاج، ولازلنا حتى الآنَ نسابقُ الزمنَ من أجل إخراج المصادر العُثْمانية

الأصيلةِ للنورِ، ونقلِها بهمّةِ أبنائنا الباحثينَ الشُّبّانِ إلى اللغةِ العربيةِ.

واليومَ، يسعدُني أنْ أقدِّمَ للقارئِ العربيِّ مصدرًا أصيلًا مِن مصادرِ التاريخِ العُثْمانيِّ المحرَّرِ باللغةِ التُّرْكيةِ العُثْمانيةِ أرجو أنْ يأخُذَ موضِعَه المميَّزَ في مشروعِ إعادةِ كتابةِ تاريخِ منطقتنا العربيةِ الإسلاميةِ خلالَ العصرِ العُثْمانيِّ، بعيدًا عن افتراءاتِ المُتحاملينَ وعواطفِ المؤيِّدين. وهذا المصدرُ هو «تواريخُ آلِ عُثْمان» للوزيرِ الأعظمِ لُطْفي باشا، إذْ قام الباحثُ النَّجيبُ محمدُ عبدِ العاطي محمد بترجمةِ هذا الأثرِ ودراستِه دراسةً أكاديميةً، فنالَ بها درجةَ الماجستيرِ عن استحقاقٍ تحتَ إشرافِ الأستاذِ الدكتورِ حَمْدي علي عبد اللطيفِ مِن قِسمِ اللغاتِ الشرقيةِ شُعْبةِ اللغةِ التُّرْكيةِ وآدابِها بكلّيةِ الآدابِ جامعةِ سُوهاج، والأستاذِ الدكتورِ ناصر عبد الرحيم حُسين مِن قِسمِ اللغاتِ الشرقيةِ وآدابِها بكلّيةِ الآدابِ جامعةِ حُلْوان عام 2016م.

وكان الباحثُ قد وقعَ اختيارُه على هذا المصدرِ الأساسيِّ للتاريخِ العُثْمانيِّ لأنَّ صاحبَ الأثرِ الصدرَ الأعظمَ لُطْفي باشا كان مِن رجالِ الدولةِ الأفذاذِ في عهدِ سُلَيمانَ القانونيِّ، أسهَمَ في التأريخِ لدولةِ آلِ عُثْمانَ بأثرِه «تواريخ آلِ عُثْمان»، مستفيدًا ممّا كُتِبَ مِن تواريخَ مجهولةِ المؤلِّفِ حملتْ نفسَ العُنوانِ في الفترةِ التي لَم يعاصِرْها، ومشاركًا في صياغةِ وقائعِ عصرِه وشاهدَ عَيانٍ للأحداثِ التي عاصَرَها. ويبدو أنَّ الأثرَ الذي نقدِّمُه اليومَ باللغةِ العربيةِ، «تواريخ آلِ عُثْمانَ» لِلُطْفي باشا، كان قد ضاعَ واختلطتْ نُسَخُه مع نُسَخِ التواريخِ العُثْمانيةِ مجهولةِ المؤلِّفِ، التي كُتِبتْ تحتَ نفسِ العُنوانِ. ولذلك لَم يُعرَفْ هذا الأثرُ، ولَم يُشِرْ إليه أيٌّ مِن المؤرِّخينَ المُتعاقبينَ أمثالَ جلال زاده مصطفى جَلَبي في أثرِه «طبقاتُ المَمالِك ودرجاتُ المسالك»، ولا مصطفى عالي في تاريخِه «كُنْه الأخبار»، ولا مصطفى سلانيكي في تاريخِه الذي حملَ اسمَه. وكان العثورُ على نسخةٍ كاملةٍ

مِن هذا الأثرِ في مكتبةِ فيينَّا، وطبعُها في المطبعةِ العامرةِ عام 1341هـ؛ يمثِّلُ اكتشافًا أثريًّا قيِّمًا جديدًا بنقلِه إلى اللغةِ العربيةِ.

ومَهْما يكُنْ مِن أمرٍ، فقدْ قسمَ الباحثُ أثرَه هذا إلى قِسْمَين: القِسْمِ الأولُ منه يتمثَّلُ في الدراسةِ التي احتوتْ على ثلاثةِ مباحثَ: المبحثُ الأولُ: يتناولُ السيرةَ الذاتيةَ للُطْفي باشا وأهمَّ آثارِه. والمبحثُ الثاني: استعرضَ فيه الباحثُ كتابَ «تواريخ آل عُثْمان» ومُحتَواه وأهمِّيتَه في دراسةِ التاريخِ العُثْمانيِّ، أمَّا المبحثُ الثالثُ: فتناولَ فيه المصادرَ التي استفادَ منها لُطْفي باشا، ومنهجُه في تأليفِ أثرِه. أمَّا القِسمُ الثاني: فقامَ فيه الباحثُ بنقلِ الأثرِ مع مقدِّمتِه وحَواشِيه للعربيةِ نقلًا أصيلًا، معتمِدًا على الطَّبعةِ التي قام بها عالي أفندي في اسْتانْبُول عام 1341هـ، وقدَّمَ لها كليسلي معلِّم رِفْعَت، فأعاد تقسيمَ النصِّ إلى فقراتٍ وفقًا للموضوعِ، ووضعَ عناوينَ لها، وعرَّفَ ببعضِ المصطلحاتِ، وبعضِ أسماءِ الأماكنِ والأعلامِ فيها، فكان عملًا متكاملًا بحقٍّ.

وإنِّي إذْ أقدِّمُ هذا الأثرَ التاريخيَّ الأصيلَ كمصدرٍ مِن مصادرِ التاريخِ العُثْمانيِّ خلالَ عصرَيِ التأسيسِ والازدهارِ؛ لأرجُو أنْ يَحْذُوَ شبابُ الباحثين حَذْوَ باحثِنا النَّجيبِ في المشارَكةِ في نقلِ أمَّهاتِ المصادرِ التاريخيةِ والحضاريةِ العُثْمانيةِ إلى اللغةِ العربيةِ مِن خِلالِ أبحاثِهم؛ لتكُونَ في مُتناوَلِ الباحثين في تاريخِ الدولةِ العُثْمانيةِ.

واللهُ وليُّ التوفيقِ.

أ.د. سيِّد محمَّد السيِّد محمود
أستاذ التاريخ والحضارة العثمانية بكلية الآداب
جامعة الإسكندرية

تقديمُ المترجم

لقد نجحَ العُثْمانيون في إقامةِ دولة عمرتْ زمنًا طويلًا، وامتدَّتْ مِن بلادِ الأناضولِ لتشملَ البَلْقان والأراضي العربيةَ، ولا شكَّ أنَّ تفسيرَ هذا النجاحِ وهذا التقدُّمِ والازدهارِ مِن خلالِ البحوثِ الموضوعيةِ الواسعةِ التي يمكنُ القيامُ بها حولَ التاريخِ الإداريِّ والاجتماعيِّ والسياسيِّ والاقتصاديِّ للعُثْمانيِّين؛ سيُسفِرُ عن نتائجَ مفيدةٍ تمكِّنُنا مِن إعادةِ النظرِ فيما يدورُ حولَ العُثْمانيين وحضارتهم.

أقام العُثْمانيون إمارتَهم الصغيرةَ على الحدودِ البيزَنْطيةِ في الوقتِ الذي كانت تمرُّ فيه دولةُ سَلاجقةِ الأناضولِ (1077-1307م) بأكثرِ مَراحِلِها ضعفًا أدَّتْ في النهايةِ إلى سُقوطِها، فأخذتْ الإمارةُ العُثْمانيةُ الناشئةُ حديثًا تكبُرُ وتَعظُمُ شيئًا فشيئًا حتى تحوَّلتْ إلى دولةٍ عالَميةٍ في القرنِ الخامسَ عشرَ الميلاديِّ. ونجحَ العُثْمانيون في جعْلِها واحدةً مِن الدولِ المعدودةِ في العالَمِ إبَّانَ القرنِ السادسَ عشرَ الميلاديِّ بنظامِها الإداريِّ وتركيبِها الاقتصاديِّ وقوانينِها التي وضعتْها للأرضِ فضلًا عن نُظُمِها العسكريةِ.

كما نجحتْ الدولةُ العُثْمانيةُ- أيضًا- في أنْ تمزِجَ بين عناصرَ بشريةٍ مختلفةٍ مِن اللغاتِ والأديانِ والأعراقِ والثقافاتِ المختلفةِ في بوْتَقةٍ واحدةٍ، وتجمعَ بينَهم في جوٍّ مِن الهدوءِ والاستقرارِ على مدى عدَّةِ قرونٍ.

ولأنَّ تاريخَ الدولةِ العليَّةِ العُثْمانيةِ كان يشكِّلُ جانبًا مُهمًّا مِن تاريخ

الأتراكِ خاصَّةً وتاريخ الدولِ الإسلاميةِ والعالَمِ عامَّةً سواءً من ناحيةِ جوانبِه المتشعِّبةِ في المجالاتِ العدليةِ والمدنيةِ والعسكريةِ والعلميةِ والإداريةِ، أو من ناحيةِ الزمانِ والمكانِ؛ فقدْ ظهرتْ حولَ هذا التاريخِ دراساتٌ عديدةٌ سواءً باللغةِ التّركيةِ العُثْمانيةِ أو العربيةِ أو الفارسيةِ.

وكان أولُ هذه التواريخِ المحليةِ عن الدولةِ العُثْمانيةِ التي ظهرتْ كتبَ المناقبِ والمغازي التي تنصبُّ بالدرجةِ الأولى على مناقبِ آلِ عُثْمانَ وفُتوحاتِهم وتراجمِ بعضِ سَلاطِينِهم ووُلاتِهم وعلمائِهم. وقد بدأ هذا الفنُّ على يدِ "يخشي فقيه" مؤلِّفِ كتابِ "مناقبِ آلِ عُثْمان" الذي أفاد منه المؤرِّخُ الشهيرُ "عاشق باشا زاده" في أثرِه المعروفِ بـ "تواريخ آل عُثْمان".

أمَّا أقدمُ النصوصِ التاريخيةِ العُثْمانيةِ التي وصلتْ إلى أيدينا باللغةِ التّركيةِ العُثْمانيةِ فهو الكتابُ المعروفُ باسْمِ "دستان تواريخ آل عُثْمان" الذي يوجَدُ في نهايةِ الأثرِ المعروفِ بـ "اسكندرنامه" للشاعرِ أحمدي المتوفَّى عام (815هـ/ 1413م).

وقدْ أدركَ السلاطينُ العُثْمانيون أهمِّيةَ الكتابةِ التاريخيةِ منذُ عصرِ السّلْطانِ محمدٍ الفاتحِ (1451-1481م)، فقدْ أمرَ الفاتحُ بأنْ تُنظَمَ له شهنامه عثمانية على غرارِ الشهنامه الفارسية للشاعرِ الفردوسيِّ، وكلَّف السّلْطانُ بايَزِيد الثاني (1481-1512م) المؤرِّخَ الشهيرَ "نشري محمد أفندي" بكتابةِ تاريخٍ عُثْمانيٍّ يسجِّلُ أمجادَ السلاطينِ العُثْمانيين وبُطولاتِهم وفتوحاتِهم كما صنع الفُرسُ والعربُ، فدوَّنَ نشري له تاريخَه المعروفَ باسْم "جهانما"، وألَّف أيضًا "إدريس البتليسي" بأمرِ السُّلْطانِ بايَزِيد الثاني كتابًا عُرِف باسْمِ "هشت

بهشت" باللغة الفارسية.

وعلى مرِّ العصورِ نجدُ أنَّ السلاطينَ العُثْمانيِّينَ كانوا يصحَبون المؤرِّخين معهم في الحملاتِ والغزواتِ، ليسجِّلوا الوقائعَ والأحداثَ والفتوحاتِ والبطولاتِ تخليدًا لذكراهم على مرِّ الأيامِ، وعلى سبيلِ المثالِ: شارك ابنُ كمال باشا في حملةِ مصرَ مع السُّلْطانِ سليم الأولِ (1512-1520م)، فكتبَ تاريخًا باسْمِ "تواريخ آلِ عُثْمان"، وشارك المؤرِّخُ الشهيرُ مطرقجي نصوح (ت 1564م) مع السُّلْطانِ سُليمانَ القانونيِّ في حملتِه على العِراقين، فكتبَ كتابًا عُرِف باسْمِ "منازل سفرِ العِراقين للسُّلْطانِ سُليمان خان"، وهو سِجلٌّ مفصَّلٌ لوقائعِ حملةِ سُليمانَ القانونيِّ على الدولةِ الصَّفَويةِ.

كانت أكثرُ الفتراتِ ثراءً بالمؤلَّفاتِ التاريخيةِ لَدى العُثْمانيِّين الفترةَ الممتدَّةَ مِن القرنِ الثامنِ الهجْريِّ/ الرابعَ عشرَ الميلاديِّ حتى القرنِ الثالثَ عشرَ الهجريِّ/ التاسعَ عشرَ الميلاديِّ. وقد بدأ العُثْمانيّون يهتمُّون بعدَ فتحِ القُسْطَنْطينيةِ عام 857هـ/ 1453م بشكلٍ أكبرَ بالتأريخِ لدولتِهم وتسجيلِ أخبارِها، حيث اهتمَّ السلاطينُ برعايةِ أهلِ العلمِ، وراحوا يشجِّعونهم على تسجيلِ أحداثِ الدولةِ وإنجازاتِها، فكان غالبيةُ الذين سجَّلوا أحداثَ الدولةِ وكتبوا عن انتصاراتِها هُم مِن رجالاتِ السُّلْطانِ وقادةِ الجيشِ والصدورِ العِظامِ الذين شاركوا في الحروبِ والمعاركِ، أو مِن شيوخِ الإسلامِ والعلماءِ المقرَّبين؛ فتعدَّدتْ الآثارُ التي كتبوها وتنوَّعتْ المؤلَّفاتُ التي تركوها خلالَ هذه الفترةِ، ويمكنُ تقسيمُها إلى ثلاثةِ أقسامٍ رئيسيةٍ:

- القِسمُ الأولُ: تواريخُ عامَّةٌ للدولةِ الإسلاميةِ، يتناولُ فيها المؤلِّفُ

التاريخَ بشكلٍ عامٍّ منذُ سيِّدنا آدمَ- عليه السلام-، وينتهي بسردِ وقائعِ الدولةِ العُثْمانيةِ حتى عصرِه، ومِن هذه الآثارِ التّاريخيةِ "كنه الأخبار" لعالي بك (ت 1008هـ/ 1599م)، وكتاب "فذلكة أقوالِ الأخيارِ في علمِ التاريخِ والأخبارِ" لـ "كاتب جَلَبي" (ت 1067هـ/ 1657م).

- القِسمُ الثاني: تواريخُ خاصَّةٌ بالدولةِ العُثْمانيةِ أو بسُلْطانٍ مِن السلاطينِ، ويتناولُ المؤلِّفُ فيها الأحداثَ والوقائعَ مِن بدايةِ ظهورِ الأتراكِ على ساحةِ التاريخِ وتأسيسِ دولتِهم، ويستمرُّ في سردِ الوقائعِ حتى عصرِه مِثل: "تواريخ آلِ عُثْمان" لـ "عاش باشا زاده" و "تواريخ آلِ عُثْمان" لـ "أوروج بك". أو يتناولُ سيرةَ سُلْطانٍ مِن السلاطينِ مِثلَ الآثارِ المعروفةِ بـ "سليم نامه" و"سليمان نامه".

- القِسمُ الثالثُ: تواريخُ خاصَّةٌ بواقعةٍ أو حادثةٍ معيَّنةٍ أو فتحِ بلدٍ مِن البُلْدانِ، مِثلَ "فتح نامه قره بغدان" لـ "مطرقجى نصوح"، و"فتح نامه رودس" لـ "صالح بن جلال".

أمّا مؤلِّفُ هذا التاريخِ الذي ترجمْتُه فهو الصدرُ الأعظمُ لُطْفي باشا صاحبُ رسالةِ "آصفنامه" كما سمّاه "صولاق زاده" في تاريخِه، كان مِن أكثرِ الوجوهِ البارزةِ بين المفكّرين العُثْمانيّين في القرنِ السادسَ عشرَ الميلاديِّ، بدأ يلمعُ نجمُه في عصرِ السُّلْطانِ سليم الأولِ، وبعدَ أنْ تولّى العديدَ مِن المناصبِ، كإمارةِ السنجقِ، وإمارةِ أمراءِ بعضِ الولاياتِ، عُيِّن في وظيفةِ الصدارةِ العُظْمى عام 1539م، وشغلَ المنصبَ بجَدارةٍ، وحقَّقَ نجاحاتٍ عديدةً لمدَّةِ عامَين كاملَين، ثم عُزِل منه، واشتغل بالتّأليفِ والكتابةِ.

شارك لُطْفي باشا في كثيرٍ مِن حملاتِ الدولةِ التي وقعتْ في تلك الفترةِ مِثلَ: حملةِ آولونية (أفلونيا) التي كان فيها قُبطانًا على السفنِ العُثْمانيةِ، وحملةِ قورفو وبوليه، وشاهَدَ بنفْسِه كثيرًا مِن الأحداثِ والوقائعِ عن قُربٍ في الفترةِ مِن 1508-1541م (تاريخُ عزْلِه مِن الصدارةِ العُظْمى وانشغالِه بالتأليفِ)، وتُعَدُّ المعلوماتُ التي ذكرَها لُطْفي باشا عن تلك الفترةِ مهمّةً جدًّا وفريدةً، ولا توجدُ في كتبِ المؤرِّخينَ المعاصرين له، مِثل: ابنِ كمال باشا، وعالي بك، وجلال زاده، أو الذين جاؤوا بعدَه مِثلَ منجم باشي، أو بجوي، أو صولاق زاده.

ويمكِنُ القولُ بأنَّ لُطْفي باشا هو أولُ رجلِ دولةٍ استشعرَ علاماتِ التفكُّكِ والخَللِ في النظامِ العُثْمانيِّ التي بدأتْ في الظهورِ إبّانَ القرنِ السادسَ عشرَ، ولَم يلاحِظْها كثيرٌ مِن المؤرِّخينَ الآخَرين، وكتبَ رسالةً في النُّصْحِ والإرشادِ لِمَن يتولّى منصبَ الصّدرِ الأعظمِ باسْمِ "آصفنامه" كتبَ فيه خُلاصةَ تجاربِه وفِكرِه وسُبلِ الإصلاحِ ومُعالجةِ الخَلَلِ.

أمّا الكتابُ المترجَمُ المشهورُ بين كتبِ التواريخِ العُثْمانيةِ باسْمِ "تواريخ آلِ عثمانَ للُطْفي باشا" فإنّه يقعُ في أكثرَ مِن أربعمائةٍ وخمسين صفحةً مِن القَطعِ المتوسِّطِ، يتناولُ الأحداثَ والوقائعَ التاريخيةَ للدولةِ العُثْمانيةِ منذُ النشأةِ حتى عام 1553م، واعتمدتُ في الترجمةِ على النسخةِ المطبوعةِ في استانْبُول عامَ 1341هـ/ 1925م، التي قام بتصحيحِها وكتابةِ حواشيها عالي بك؛ حافظُ الكتبِ بمكتبةِ متحفِ الآثارِ العتيقةِ، وقدّم لها كليسلي معلم رفعت.

ينقسمُ الكتابُ إلى ثلاثةِ أقسامٍ رئيسيةٍ، هي:

القسمُ الأولُ: تحدَّثَ فيه المؤلِّفُ عن حياتِه وآثارِه وسببِ تأليفِ الكتابِ.

القسمُ الثاني: تناولَ فيه المؤلِّفُ الحديثَ عن نشأةِ الدولةِ العُثْمانيةِ حتى عصرِ السّلْطانِ بايَزِيد الثاني، وقدْ اعتمدَ المؤلِّفُ في هذا القسم على ستةِ مصادرَ رئيسيةٍ هي: تاريخُ كزيده، وتواريخُ الفِرْدوسي، وتواريخُ مِسْكَوَيه، وتاريخُ الطَبَري، وتواريخُ آل سلجوق، وطبقاتُ الفقهاء لـ "أبو إسحاق الشِيْرازي".

القسمُ الثالثُ: يبدأ مِن نهايةِ عصرِ بايَزِيد، أيْ مِن عام 1508م إلى عام 1541م، اعتمدَ فيه المؤلِّفُ على كلِّ ما رآه وسمعه وشاركَ فيه. والمعلوماتُ التي ذكرَها في هذا الجزءِ تُعَدُّ معلوماتٍ قيِّمةً جِدًّا ومهمَّةً، ولا توجدُ في كتبِ المؤرِّخين الآخرين.

وترجعُ أهمّيةُ الكتابِ كذلك في أنه شاملٌ لتسجيلِ حملاتِ الدولةِ ابتداءً مِن عصرِ عثمان غازي حتى حملةِ نخجوان عامَ 961هـ/ 1553م، ومتتبِّعًا للظروفِ الاجتماعيةِ والإداريةِ والاقتصاديةِ في الفترةِ التي تناولَها، ومَرجعًا تاريخيًّا للصّراعِ العُثْمانيِّ الصَفَويِّ في عصرَيْ سليمِ الأولِ وسُليمانَ القانونيْ.

وعند ترجمتي هذا الكتابَ قسمتُه إلى قِسمَين أساسيَّيْن، هما: الدراسةُ والترجمةُ، تناولتُ في الدّراسةِ السيرةَ الذاتيةَ للمؤلِّفِ وآثارَه، والكتابَ، ومُحتواه وأهمّيتَه، ومصادرَه، ومنهجَ المؤلِّفِ. أمّا الترجمةُ فقدْ حرصتُ فيها على ترجمةِ النصِّ الأصليِّ للكتابِ مع الحاشيةِ، وإضافةِ بعضِ التعليقاتِ، والتعريفِ بالعباراتِ والمصطلحاتِ العُثْمانيةِ التي لَم يذكُرْها عالي بك،

والتعريفِ ببعضِ الأماكنِ وأسماءِ الأعلامِ، ومقابلةِ التاريخِ الهجريِّ بالميلاديِّ، ووضعِ عناوينَ عند بدايةِ كلِّ موضوعٍ جديدٍ؛ ليسهلَ على القارئِ معرفةُ الأحداثِ ومتابعةُ سيرِ الوقائعِ.

وأخيرًا أرجو مِن اللهِ- عزَّ وجلَّ- أنْ يباركَ في عُمُري كَي أتمكَّنَ مِن نقلِ أكبرِ قدْرٍ ممكنٍ مِن أمَّهاتِ المصادرِ التاريخيةِ العُثْمانيةِ إلى اللغةِ العربيةِ؛ لتكونَ بينَ يدَي القرَّاءِ الكرامِ خدمةً للعلمِ وأهلِه، ولتسهمَ في إعادةِ كتابةِ التاريخِ العُثْمانيِّ مِن جديدٍ مِن خِلالِ مَنابعِه الأصليةِ، دون الاعتمادِ على المصادرِ الغربيةِ.

والله أسألُ التوفيقَ والسدادَ

محمدُ عبدِ العاطي محمَّد

«أبو البَـــــراء»

في 21 صَفَر سنة 1440هـ

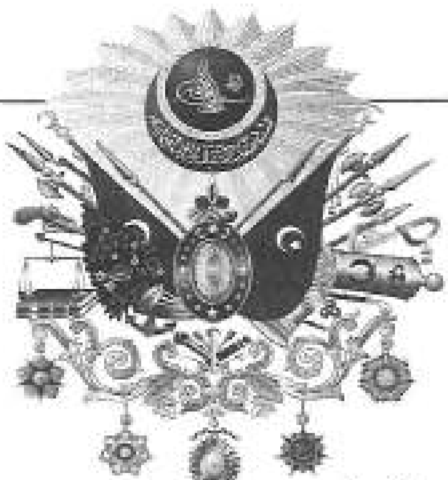
الموافق 30 أكتوبَر سنة 2018م

سُوهاج - مِصر

الجزء الأول

الدّراسة

المبحثُ الأوّل



لُطْفي باشا

حياتُه وآثارُه

السيرةُ الذاتيةُ للمؤلِّف

اسمُه ولقبُه

هو «لُطْفي بن عبد المُعين»، المشهور بـ «لُطْفي باشا»[1].

مولدُه:

لا يُعرفُ بالدّليلِ القطعيِّ أين وُلد «لُطْفي باشا بن عبدِ المُعين»، ولا المكانُ

---

(1) لم نصادف في كتب التذاكر أو قواميس الأعلام أو المصادر الأخرى المعاصرة له أيّ اختلاف حول اسمه، وكذلك ذكر بنفسه في أثره آصفنامه أنّ اسمه «لطفي باشا بن عبد المعين». ولمزيد من التفاصيل حول اسمه يُنظر:

- عثمان زاده تائب: حديقة الوزراء، إستانبول 1854م، ص 27.
- محمد ثريا: سجل عثماني، المطبعة العامرة، إستانبول، جلد4، ص 91.
- سهي بك: سهي تذكره سي، المطبعة العامرة، 1325هـ ص 25.
- ش. سامي: قاموس الأعلام، مهران مطبعة سي، إستانبول 1314هـ جلد5، ص 3993.
- بروسه لي محمد طاهر: عثمانلي مؤلفلري، المطبعة العامرة، إستانبول 1342هـ ص 132.
- ايوانسراى حسين أفندي: حديقة الجوامع، إستانبول 1281هـ / 1865م، جلد1، ص 189.
- خير الدين الزركلي: قاموس الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت جلد 5.
- بجوى إبراهيم أفندي: تاريخ بجوي، 1866م، جلد 1، ص 21.
- كوبريلي زاده محمد فؤاد: توركيات مجموعه سي، جلد1، مطبعه عامرة، إستانبول، 1925م، ص 150-122.

Franz Babinger: çeviren: Çoşkun Üçok . Osmanlı Tarih Yazarları ve eserleri . Kültür Bakanlığı . s.89

M.Tayyib Gökbilgin: Lütfi Paşa Mad.İstanbul .s.99-101

İslam Ansiklopedisi: Milli Egitim Basımevi . Lütfi Paşa maddesi . İstanbul .cilt 27 . s.235.

Lütfi Paşa: Asafname . Hazırlayan: Prof.DR. Ahmet Ugur. Ankara 1982 s.1

الذي وُلد فيه. ولكنْ طبقًا لما وردَ في المصادرِ فإنَّ أصلَه من الأرناؤوط[1]، وأُخِذ إلى القصرِ الهمايوني[2] في عصرِ السّلطان بايَزيد الثاني(1481-1512م)، وتعلَّمَ منذُ صِغرِه في الحرم السُّلْطاني[3].

ومِن خلالِ ما ذُكر حولَ تعيينِه في وظيفةٍ داخلَ القصرِ السُّلْطانيِّ عام 913هـ/ 1508م، يمكِنُ ترجيحُ أنَّ تاريخَ ولادتِه كان عام 1488م، وذلك باعتبارِ أنَّ عُمرَه حين أتمَّ تعليمَه داخلَ القصرِ السُّلْطانيِّ وعمِلَ في تلك الوظيفةِ كان عِشرين عامًا تقريبًا. وقد تبنَّى هذا الرأيَ البروفسور M.Tayyib Gökbilgin في الموسوعةِ الإسلاميةِ في مادَّة: لُطْفي باشا[4].

(1) أجمعت المصادر التي ذكرتها في الهامش السابق على أنّ أصله من الأرناؤوط ما عدا طاهر بك؛ ذكر أنه من اشقودره، وهامر ذكر أنه من آولونيه، وبسبب عدم وجود أيّ معلومات حول ولادته في آثاره، اعتمدت الدراسة على ما ذكره عالي في تاريخه أنه آرناؤوطي الأصل بسبب معاصرته له. انظر: فؤاد كوبريلي: توركيات مجموعه سي، ص 120.

(2) الحرم الهمايوني: هو الاسم الذي أُطلق على القسم الخاص بالحريم في قصر طوب قابي سراي، وفيما بعد أطلق هذا الاسم على قسم الأندرون. انظر:
Mehmet Zeki Pakalın: Osmanlı Tarih Deyimleri ve Terimleri Sözlüğü , Milli Eğitim Basımevi , İstanbul 1983 , cilt 1 s. 747.

(3) ذكر لطفي باشا عن ذلك في آصفنامه قائلًا: «حرم خاص سلطانيده بو حقير مرحوم جنت مكان سلطان بايزيد خان زمانتده برو برورده نعمت سلطاني اولوب بو استانه عثمانيه يه خير خواه اولوب وحرم خاصده ايكن بنجه كون تحصيل معارف ايدوب». الترجمة: عندما كان لطفي باشا بن عبد المعين في الحرم السّلطاني يرفل في حلل النعمة السلطانية منذ زمن المرحوم ساكن الجنان السلطان بايزيد خان، كنت محبًّا لخير هذه السّدة العثمانية، وسعيت لتحصيل المعارف عندما كنت في الحرم الخاص. لطفي باشا، آصفنامه، ص 3، لطفي باشا، تواريخ آل عثمان، ص 3.

(4) M.Tayyib Gökbilgin:»Lütfi Paşa«.Milli Eğitim Basımevi,Eskişehir, 1997, s. 96-101.

نشأتُه وتعليمُه

تربَّى لُطْفي باشا داخلَ الحرمِ السُّلْطانيِّ بعدَ أنْ جاء ضِمْنَ أفرادِ الدوشيرمه[1] مِن بلادِ الأرناؤوط فِي زمنِ السّلطان «بايَزيد الثاني»، وتلقَّى تعليمًا جيِّدًا في الأندرون[2]. وقد ذكرَ في كتابه التاريخيِّ «آصفنامه» أنه نشأ وتربَّى في القصرِ العُثْماني، إذْ قال: «نشأ هذا العبدُ الحقيرُ [لُطْفي باشا] الذي لا يساوي مِقْدارَ الذرَّة في زمنِ هؤلاءِ السّلاطين، وتربَّى في السراي في فترةِ طفولتِه في زمنِ السّلطان «بايَزيد الثاني» - طيَّبَ الله ثراه وجعل الجنَّةَ مَثْواه -، وسعى في تحصيلِ العلوم والمعارفِ فترةً طويلة[3]. ويُفهَمُ مِن ذلك أنَّ لُطْفي باشا لَمْ يكُنْ مِن رجالِ الدولةِ العُثْمانية، بل جاءَ إلى الدولةِ العُثْمانية في سنٍّ مبكِّرة، وعند وصولِه إلى إسْتانْبُول بدأ في تحصيلِ العلم، وانتسبَ إلى السّراي الهمايونيِّ في عصرِ السّلطان بايَزيد الثاني، وبعدَ أنْ حصَّلَ العلمَ والمعارفَ داخلَ القصرِ خرجَ مِنَ القصرِ السُّلْطانيِّ بوظيفةِ «جوقه دارلق».

(1) الدوشيرمه: مصطلح أطلق على أبناء النصارى الذين تمّ جلبهم للخدمة في أعمال السراي، وهذه الأعمال كانت تحدث في البداية على الأسرى، وبعد أن يتمّ تربيتهم على الإسلام والعادات الإسلامية وتعلم اللغة التركية يتمّ توزيعهم للعمل داخل الأناضول. وبعد هزيمة بايزيد الأول على يد تيمورلنك عام 1402م، ظهر ما يعرف بقانون الدوشيرمه، وهو أخذ الأطفال التي تتراوح أعمارهم بين 8-15 سنة، ويطلق على الأسرى اسم «عجمي اوغلان». انظر:
Mehmet Zeki Pakalın: Osmanlı Tarih Deyimleri ve Terimleri Sözlüğü Milli Eğitim Basımevi . İstanbul 1983 . cilt 1

(2) اندرون: تعبير استخدم مقابل لفظ «مابين» في السراي العثماني، ويطلق أيضا على موظّفي إدارة الدولة وأيضًا يطلق لفظ اندرون همايون، وهو يطلق على القسم الذي يبدأ من الباب الثالث من أبواب قصر طوب قابي سراي، وهو باب السعادة، وكان أفراد الدوشيرمه يتعلّمون في الأندرون، وبعد ذلك، يخرجون خارجه للوظائف المختلفة. انظر: المرجع السابق مجلد 1 ص 533.

(3) تواريخ آل عثمان ص1-2، آصفنامه ص 1: «بو حقير ذره بيمقدار بونلرك زمانلنده نشو ونما بولوب اولا سلطان بايزيد، طاب ثراه، وجعل الجنة مثواه، عالم طفوليتده سرايلرنده اولوب نيجه زمان آنده معارفه سعى اولنوب».

شخصيّتُه العلميةُ وآثارُه:

تلقّى «لُطْفي باشا» تعليمًا جيّدًا، حيث تربّى داخلَ القصرِ السُلْطانيِّ، وكان كسائرِ علماءِ عصرِه يُجيدُ اللغةَ العربيةَ إلى جانبِ اللغةِ التُرْكية والفارسية، وعبَّر عن ذلك في كتابِه قائلًا: «انشغلتُ في أثناءِ وُجودي في الحرم الخاصّ بتحصيلِ المعارف»(1). وعندما خرجَ مِن القصرِ السّلْطانيِّ صاحَبَ العلماءَ والشّعراءَ والظّرفاءَ، وكان كثيرَ الاختلاطِ بهم، ونظرًا لذلك التحصيلِ كان «لُطْفي باشا» على قدْرٍ كبيرٍ مِن العلم والمعرفةِ، وبلغَ مِن العلم درجةً تفوّقَ فيها على أقرانِه ومُعاصريه مِن رجالِ الدولةِ الآخرين، لذلك اعتلى مكانةً مرموقةً في الدولةِ إذْ أنه وصلَ إلى رتبةِ الصّدارةِ العُظْمى، وبعدَ فراغِه مِن الصّدارةِ، صارَ مُلازمًا لمُصاحبةِ العلماءِ والشّعراءِ والظّرفاءِ، وألزَمَ نفسَه بتحصيلِ العلوم قدْرَ استطاعتِه إذْ عبّرَ عن ذلك في كتابِه قائلًا: «عندما عُزلتُ أنا الحقيرُ كثيرُ التّقصيرِ مِن الصّدارةِ العُظْمى لازمتُ كثيرًا مِن العلماءِ والشّعراءِ والظّرفاءِ، والتزمتُ بتحصيلِ العلومِ على قدْرِ الاستطاعة»(2).

وذكرَ أيضًا في كتابِه التاريخيِّ أنه بعدَ عودتِه مِن حجِّ الحرمَين الشريفَين اعتزلَ الناسَ وانشغلَ بتحصيلِ العلومِ والمعارفِ، وعكفَ على الكتبِ المعتَمَدَة، وقضى أكثرَ أوقاتِه في المطالَعةِ والتفقّدِ، والإفادةِ والاستفادة(3).

---

(1) لطفي باشا: تواريخ آل عثمان، ص ٦: «طفوليتده سرايلرنده اولوب نيجه زمان انده معارفه سعي اولنوب، امكلر جكلدى».

(2) لطفي باشا، آصفنامه: «بو حقير كثير التقصير طشره جيقدقدن صكره نيجه علماً وشعرًا وظرفًا ايله مصاحبت ايدوب، على قدر الطاقة، تحصيل علوم ايتمكه تلطيف اخلاق ايتمشدم».

(3) لطفي باشا: تواريخ آل عثمان ص 3.

آثاره:

1 - الكتبُ التّركية:

ذكر لُطْفي باشا في مقدّمةِ كتابه «تواريخ آلِ عُثْمان» أنه تركَ عِشرين مؤلّفًا في الفِقهِ وعِلم الكلام، مِنهم ثمانيةُ كتبٍ باللّغةِ التُرْكيةِ، والباقي باللغةِ العربيةِ، وهي كالآتي:

- كتابُ تنبيه الغافلين وياكيد الغافلين(1)
- كتاب تحفة الطالبين(2)
- كتاب حيات أبدى(3)
- رسالة سؤال وجواب(4)
- رسالة نيت (رسالة النية)(5)
- أمور مهمّات(6)

---

(1) انظر: فؤاد كوبريلي: توركيات مجموعه سى ص119 150، بورسه لي طاهر بك: معجم المؤلفين ج3 ص 132». في نسخة ويانه جاء اسم الكتاب بهذا الشكل« كتاب تنبيه الغافلين وتأكيد الغافلين» وذكر فؤاد كوبريلي عن الكتاب، فقال: «رأيت بعض الصفحات من هذا الكتاب، وهو ينقسم إلى 4 فصول: الفصل الأوّل: في بيان العلم وفضيلة العلم المفروضة. الفصل الثاني: في بيان الإيمان والإسلام. الفصل الثالث: في بيان التوحيد والمتشابهات. الفصل الرابع: في بيان حكم مَن يعرف الإيمان ومَن لا يعرفه. وذكر لطفي باشا في تاريخه أنّ هذا الكتاب يتعلّق إجمالًا وتفصيلًا بالدين.

(2) هذا الكتاب متعلّق بالإيمان والعبادة.

(3) وهو متعلّق بأهل السنة والجماعة وأهل الهوى وألفاظ الكفر.

(4) هي رسالة علمية كتبت بلغة بسيطة في شكل سؤال وجواب.

(5) ذكر المؤلف أنها تحتوي على معلومات هامّة.

(6) ذكر المؤلف أنها تتعلّق بالطبّ، وذكر فؤاد كوبريلي عن هذه الرسالة فقال: «عندما قرأ «فلوغه ل» نسخة كتاب «تواريخ آل عثمان» للطفي باشا الموجودة معه لم يأخذ في اعتباره أنّ هذا أثر مختلف، وأدخل هذه الرسالة ضمن الرسالة السابقة رسالت نيت، وقال إنّها متعلّقة ببعض المسائل المهمّة، ومتعلّقة بالطبّ وأمور المهمّات، وهذا السّهو البسيط مع الأسف كرّره كلٌّ من جودي وبروسه لي طاهر بك في كتابه معجم المؤلفين.

- تواريخ آل عثمان[1]
- آصفنامه[2]

وبخلافِ هذه الكتبِ التُّركيةِ الثمانيةِ ذكر «بروسه لي طاهر بك» في «مُعجَم المؤلِّفين» أنَّ لُطْفي باشا له كتابٌ آخَرُ باسْم «قانون نامهء عثماني»، وهذا الأثرُ تمّ توضيحُه وتذييلُه مِن طرَفِ «مؤذن زادَه» الذي هو مِن أربابِ المعارفِ في عصرِ السّلطان «أحمد الأول»، وهو أثرٌ سياسيٌّ يحتوي على خاتمة. وهناك أثرٌ آخَرُ للمؤلِّفِ «عين علي أفندي» مِن علماءِ القرنِ العاشرِ الهجريِّ

(1) موضوع الدراسة: جاء في عثمانلي مؤلفلرى على هذا الشكل «تاريخ عثماني» وهو تاريخ مرتب ومنقح من مجلّد واحد من بداية ظهور آل عثمان حتى عصر المؤلف، توجد منه نسخة مخطوطة في مكتبة ويانه، وتوجد نسخة ناقصة في المكتبة، والتي تمّ استنساخها باسم تاريخ عثماني انجمنى. انظر: معجم المؤلفين،ج3 ص 132.

(2) آصفنامه: هي رسالة في شئون الحكم والسياسة، كتبها الصدر الأعظم لطفي باشا وتحتوي على خلاصة فكر وخبرة لطفي باشا وتجربته السياسية والإدارية، قدّم فيها رؤيته لما يجب أن يكون عليه الوزراء العظام في إدارة شئون الدولة والمجتمع، وقد ذكر في مقدّمة رسالته هذه الهدف من كتابتها، وهو كما قال: «عندما صدر الأمر بإسناد منصب الصدارة العظمى إلى هذا الحقير، بدا لي ما يخالف آداب الأركان وقوانين الديوان السلطاني، ورأيت أنّه غير منظّم الحال، لذا قمتُ بتأليف هذه الرّسالة لتكون تذكارًا لإخواني ممّن سيتبوؤون الوزارة العظمى، وجعلتها مضمّنة لآداب الوزارة العظمى، ومهامّ ولوازم الصدارة الكبرى، ووضعت لها اسمًا هو آصف نامه، لتكون موضع نظر إخواني ممّن سيقومون بمهام الوزارة والرعايا»، وقسمها لطفي باشا إلى أربعة أبواب: الباب الأوّل: فيما يجب أن يكون عليه سلوك وخلق مَن يتولّى الصدارة العظمى، وما يجب أن يكون في تعامله مع السّلطان ومع الرعية. الباب الثاني: في بيان تدبير أمور الحرب. الباب الثالث: في بيان تدبير أمور الخزينة. الباب الرّابع: في بيان تدبير أمور الرعية. وتعدّ آصف نامه وثيقة تاريخية عظيمة القيمة. انظر: لطفي باشا: خلاص الأمّة في معرفة الأئمة: دراسة وتحقيق د. ماجدة مخلوف، دار الآفاق العربية، 2001، ص 18.

Lütfi Paşa: Asafname ,Hazırlayan: Doç.DR. Ahmet UGUR, Başbakanlık Basımevi , ANKARA.

معجم المؤلفين ص 132 . مع العلم أنّ لطفي باشا لم يذكرها ضمن مؤلفاته في كتابه التاريخي. الباحث.

باسم «قوانين آلِ عُثْمان در مضامين دفتر ديوان»، وهو عن القوانينِ الماليةِ والإداريةِ في عامِ 1018هـ[1].

2- الكتب العربية:

- كتاب زبدة المسائل في الاعتقادات والعبادات[2].
- كتاب الكنوز في لطائف الرموز في الأحاديث الأربعين[3].
- رسالة في تصحيح النية والعمل بها.
- رسالة في تقرير الأرواح أين تصيروا إذا أخرجوا من هذه الأجساد[4].

---

(1) ذكر فؤاد كوبريلي عن ذلك، فقال: «بخلاف هذه الآثار التركية ذكر كاتب جلبي أنّ للطفي باشا أثر آخر باسم «قانوننامه» قام بجمعه وتذييله مؤذن زاده بأمر من مراد باشا في عصر السّلطان أحمد، ومجموعة القوانين التي قام لطفي باشا بتنظيمها في فترة عمله، بسبب عدم ذكْرها في كتابه وآثاره، فمن الضروري ألّا نذكرها في جدول آثاره. ولطفي باشا الذي سجل أعماله لم يكن قطّ مهملًا فهو لم يذكر شيئًا عن قانوننامه هذا، وأرى أنّ: كاتب جلبي قد وقع في شبهة لذكره هذا الكتاب، ولم يستندْ بروسه لي طاهر في ذكره لهذا الكتاب. انظر: فؤاد كوبريلي، توركيات مجموعه سي ص 141-142. وكشف الظنون، كاتب جلبي، ج2 ص 1314.

(2) ورد في كتاب لطفي باشا على هذا النحو «زبدة المسايل في الاعتقادات والعبادات. وعلّق فؤاد كوبريلي عن هذا الكتاب قائلًا: «تحدّث كاتب جلبي عنه فقال: زبدة المسايل: تركي في الفروع، جمعها لطفي باشا الوزير الأعظم، وبسبب أنّ المؤلف بنفسه ذكر أنه باللغة العربية، فمن المحقّق أنّ كاتب جلبي قد خُدع، والأثر الذي ذكره هو ترجمة تركية للمتن العربي. انظر فؤاد كوبريلي، ص 140.

(3) جاء في النسخة الموجودة في مقدمة الصفحة رقم 264 في المجلد الثاني لكاتلوج الكتب الشرقية التي نظمها وجمعها «كوستاو فلوكل» والمقيد تحت رقم 1001 في الكتب الشرقية الموجودة في إمبراطورية مكتبة ويانه في شكل «كتاب الكنوز في لطائف الرموز في الأحاديث الأربعين». فؤاد كوبريلي ص 140.

(4) في النسخة المذكورة «يصيروا» وفي معجم المؤلفين على نحو «أين تصيرون».

- رسالة في تقرير مَن أحبَّ اللقاء ومَن كرهه[1].

- رسالة في تقرير الشهداء وما يتعلق بأمور الآخرة.

- رسالة في خصايص أهل السنة والجماعة، وفي بيان أهل الأهواء والضلالة.[2]

- رسالة في تصحيح صلاة الجمعة وما يتعلق بها من الفضائل والآداب.

- رسالة في بيان دخول الحمام وما يتعلق به والاختضاب وتقليم الأظافر.

- رسالة في بيان متى ينقطع معرفة العبد بربّه من الناس عند حالة الموت، وفي التوبة وبيانها، وفي التائب مَن هو.

- رسالة في تقرير الصيد والذبايح، وفيما يحلّ وما لا يحلّ.

- رسالة خلاصة الأمة في معرفة الأئمة[3].

- رسالة في بيان التداوي والمصايب وتلقين الميت وما يُستحب من أحوال المحتضرين عند الموت.

- رسالة في بيان أفعال العباد ويعني به الاختيار الجزئي.

---

(1) في الكاتالوج المذكور ج2 ص 224: «رسالة في تقرير مَن أحب لقاء الله أو ربّه ومَن كرهه». وفي معجم المؤلفين جاءت على شكل «تقرير مَن أحبّ اللقاء ومَن كرهه».

(2) في معجم المؤلفين جاء على شكل: رسالة في بيان أهل الأهواء والضلالة، وعند فؤاد كوبريلي لفظة «خصائص».

(3) ذكر بروسه لي طاهر في كتابه معجم المؤلفين أنّ: هذه الرسالة ضمن الكتب التركية وتتحدّث عن حضرات الأئمة المجتهدين وأحوالهم واجتهاداتهم. وذكر فؤاد كوبريلي عنها قائلًا: «أضاف برسوه لي طاهر هذه الرسالة إلى قائمة هذه الآثار للطفي باشا دون ذكر المصدر. وقد قامت الدكتورة ماجدة مخلوف بعمل دراسة وتحقيق لهذه الرسالة في مصر، وطُبعت في مكتبة دار الآفاق العربية، عام 2001م.

وفاته:

بعد أنْ أقام لطفي باشا فترة في ديمتوقه[1] عاد إلى إستانبول مرة أخرى، ثمّ ذهب إلى الحجّ سنة 958هـ / 1551م[2]، وبعد أن عاد من الحج ذهب مرّة ثانية إلى ديمتوقه، وانشغل بالتأليف والدّراسة، وقد عبّر عن ذلك في تاريخه قائلًا: «حج [لطفي باشا] الحرمين الشريفين، وهو في رعاية دولته، وعندما عاد إلى بلاد الروم انعزل عن الخلق، وعكفَ على تحصيل العلوم والمعارف، وجالس الكتب المُعتبرة، وكان مشغولًا ومتفقّدًا في أكثر الأوقات بالإفادة والاستفادة، وألّف وصنّف كثيرًا من الكتب العربية والتركية في علوم الشرع والعلوم المختلفة الأخرى»[3].

وإنْ كان «كاتب جلبي» قد ذكر في كتابيه «تقويم التواريخ» و«كشف الظنون» أنّ لطفي باشا تُوفّي سنة 950هـ / 1543م، إلّا أنّ «منجم باشى» ذكر في كتابه «صحائف الأخبار» مترددًا أنه تُوفّي سنة 950هـ أو سنة 970هـ/ 1562م، وأضاف «منجم باشى» في كتابه قائلًا: «ذكر «علي أميري أفندي» في مقدّمته لكتاب «آصفنامه» أنه رأى بعض النسخ مكتوبًا على ظهرها عبارة «المدفون ببلاد الشام»»[4].

---

(1) ديمتوقه: مدينة في مركز وقضاء جنوب ادرنه، تبعد عن ادرنه 40 كم في سنجق، وولاية ادرنه على نهر قزيل دلي، أكثر أهلها من المسلمين، وكان اسمها القديم «ديديموتيخوس»، وفتحت عام 763هـ على يد السّلطان مراد خان خداوندكار. انظر: س. موستراس: المعجم، ص 273، ش. سامي: قاموس الأعلام، ج3، ص 2216.

(2) بروسه لي طاهر بك: معجم المؤلفين، ص 132، وذكر فؤاد كوبريلي أنه ذهب للحج عام 949هـ.

(3) لطفي باشا: تواريخ آل عثمان صـ 3: «سايهء دولتلرنده حجّ الحرمين الشريفين اولوب كيرو رومه كلندكده خلقدن عزلت ايدوب، اول تحصيل اولوناں علوم ومعارف ظهروه كثيرلوب كتب معتبره ايله هم جليس اولوب، وأكثر اوقاتده مشغول ومتفقّد اولوب افاده واستفاده اولندى، حتى مشروعاتده نيجه كتابلر عربيدن وتركيدن تأليف وتصنيف اولندى».

(4) كاتب جلبي: تقويم التواريخ صـ 179، كشف الظنون، طبعة بولاق ج2 ص 603. ش.

وبخلاف هذه الآراء ذكر محمد ثريا في كتابه «سجل عثماني» أنّ تاريخ وفاة لطفي باشا 13 شعبان سنة 971هـ/ 27 مارس 1564م في ديمتوقه. بينما ذكر بروسه لي طاهر بك في «معجم المؤلّفين» أنه عام 961هـ/ 1554م. بينما رجح هامر في كتابه أنّه تُوفّي في تاريخ 957هـ [1]. واستند فرانز بابنجر إلى رأي صاحب «سجل عثماني» وذكر أنّ: وفاته سنة 971هـ/ 1564م. وأضاف قائلًا إنّ: هذا هو التاريخ الصحيح والمناسب لوفاته [2]. ولكن بسبب احتواء كتاب «تواريخ آل عثمان» على الأحداث حتى 15 رمضان 961هـ / أغسطس 1553م، فليس من المُمكن أن يكون تاريخ وفاته 1553م، كما جاء في معجم المؤلفين وغيره. بالإضافة إلى ذلك كتابته «آصفنامه» بعد «تواريخ آل عثمان»، وكذلك ذهابه إلى الحجّ سنة 949هـ، وعودته من الحجّ وذهابه إلى «ديمتوقه»، ومكوثه فترةً في تأليف الآثار العربية والتركية كما ذُكر آنفًا، كلّ ذلك يجعلنا لا نقبل بأنّ تاريخ وفاته كان سنة 950هـ كما ذكر «كاتب جلبي»، و«منجم باشي» و«بروسه لي طاهر بك» في آثارهم. فلو فرضنا أنّ لطفي باشا قد أنهى كتابه عام 961هـ، وكتب بعده رسالته «آصفنامه»، فبناءً على ذلك يكون تاريخُ وفاته- كما ذكر أقرب مؤرّخ لعصره وهو «عالي بك»- في حدود سنة 970هـ 1563م. وهذا التاريخ هو الذي تركن إليه الدراسة، وهو أيضًا ما تؤيّده دائرة المعارف الإسلامية الصادرة من هيئة شئون الديانة التركية في مادة: «لطفي باشا»، إذ ذكرت أنّ تاريخ وفاته سنة 970هـ/ 1563م [3].

سامي: قاموس الأعلام، ذكر هذا التاريخ أيضًا، ولم يذكر صاحب كتاب حديقة الجوامع تاريخ وفاته. انظر أيضًا: فؤاد كوبريلي: توركيات مجموعه سى ص131.

(1) هامر: تاريخ الدولة العثمانية ج5 ص 230.

(2) فرانز بابنجر: ص 89.

(3) M.Tayyib Gökbilgin:»Lütfi Paşa«.Milli Eğitim Basımevi. Eskişehir. 1997. s.

المَبحثُ الثاني



تواريخ آل عثمان

(الوَصف- المُحتَوى- الأهمّية)

وصفُ الكتاب

النّسخُ الموجودة من الكتاب

النّسخ المطبوعة:

طُبع كتابُ «تواريخ آلِ عُثْمان» في «إسْتانبُول» عامَ 1341هـ/ 1925م. وقد قام حافظُ الكتبِ علي أفندي الموجودِ في مكتبةِ متحفِ الآثارِ القديمةِ التي هي الآنَ مكتبةُ متحفِ علم الآثارِ القديمةِ بتصحيحِ وتحقيقِ كتابِ «تواريخ آلِ عُثْمان»، وطُبع في المطبعةِ العامرةِ.

وقد ذكر «كليسلى معلم رفعت» الذي كتبَ مقدّمةَ هذه الطبعةِ بخُصوصِ نُسخِ هذا الكتابِ فقال: «لا توجدُ أيُّ نسخةٍ مِن هذا الكتابِ في أيِّ مِن مكتباتِ «إسْتانبُول»، وفي النهايةِ وجدَ طاهر أفندي نسخةً ناقصةً عند شمس الدِينَ أفندي شيخ دركاهى مصري بجانبِ «اولو جامع» الموجودِ في «بروسة»، وأخذَها كأمانةٍ وتنتهي هذه النسخةُ بكلمةِ «شروانده» في السطرِ الرابعِ مِن الصفحةِ رقم 435.

وتوجدُ النّسخةُ الثانيةُ في «مكتبةِ فيينا» التي هي الآن «المكتبة القَوْمية»، وبطلبِ مِن مُديريةِ متحفِ الآثارِ العتيقةِ «بإسْتانبُول» وبهمّةِ البُرُوفسير «فون قراليج» ومُساعدته تمّ أخذُ نسخةٍ مصوَّرةٍ مِن الصفحاتِ الموجودةِ عند حافظِ الكتبِ في المكتبةِ المذكورةِ، وأكملتُ هذه النسخةُ الأُولى الناقصةَ

بهذه الصورة[1].

(1) لطفي باشا: تواريخ آل عثمان، إستانبول، مطبعه عامره 1341 ص 5. وهناك أيضًا نسخ مخطوطة من الكتاب ذكرها فرانز بابنجر في كتابه (تاريخ الكتّاب العثمانيّين وآثارهم)، ص 90، ولكن لم يتمكّن الباحث من الحصول على نسخة منهم، فاعتمد في ترجمته على الكتاب المطبوع سالف الذكر. والنسخ المخطوطة هي:

أ/ نسخة مكتبة متحف علم الآثار القديمة بإستانبول:

نوع الخط: نسخ.

عدد الورق: 110

نهاية الكتاب: ينتهي بجملة «في تاريخ 953هـ القاص اخو سردار العجم طهماس في شيروان».

ب / نسخة مكتبة متحف علم الآثار القديمة بـ«إستانبول» والنسخة الثانية نسخة فيينا:

نوع الخط: نسخ.

عدد الورق: 9.

نهاية الكتاب: ينتهي بجملة «جاء سلطان الدولة بإقبال في 15 من شهر رمضان المبارك واستقر. تمّ الكتاب بعون الله الملك الوهّاب.

ج/ نسخة مكتبة «مجمع التاريخ التركي» رقم 28:

نوع الخط: رقعة.

عدد الورق: 121.

الأختام: يوجد به ختمٌ يعود إلى عام 1325 و1327، والكتابة التي على الختم غير مقروءة وغير واضحة.

نهاية الكتاب: «جاء القاصّ أخو الشاه طهماس حاكم العجم إلى شيروان عام 953 هـ».

د/ نسخة مكتبة فيينا القومية:

توجد بمكتبة فيينا القومية تحت رقم 1001. انظر:

FRANZ BABINGER: Osmanlı tarih yazarları ve eserleri. Çevtren.Prof.Dr.CoşkunÜÇOK. KÜLTÜR BAKANLIĞI 435/DÜNYA EDEBİYATI 6. SAYFA 90.

مُحتوى الكتاب:

يحتوي الكتابُ على مقدمةٍ؛ تناوَلَ فيها المؤلِّفُ ترجمَته، وسببَ تأليفِه للكتابِ، ثمّ بدايةَ دولةِ آلِ عُثمانَ، ثمّ عصرَ السّلاطِينِ العُثمانيِّين حتى السنواتِ الأخيرةِ مِن عصرِ السّلطان «سُليمان القانوني»، وهي على النحوِ الآتي:

- سبب تأليفِ الكتاب.
- بداية دولةِ آلِ عُثمان.
- عهد السّلطان أورخان غازي.
- عهد السّلطان مُراد خان الأول.
- عهد السّلطان بايَزِيد خان الأول.
- عهد السّلطان محمد خان الأول.
- عهد السّلطان مُراد خان الثاني.
- عهد السّلطان محمد خان الثاني.
- فتح القُسطَنطِينية.
- عهد السّلطان بايَزِيد خان الثاني.
- عهد السّلطان سَليم خان الأول.
- موقعة چالديران.
- موقعة مرج دابق.
- موقعة الريدانية.
- عهد السّلطان سُليمان خان الأول.
- حَملة المَجَر الأُولى وفَتْحُ بلغراد.

- فتح رُودس.
- حوادثُ مِصر.
- حرب مهاج [موهاج].
- حملة المَجر الثانية.
- حَمْلة المَجر الثالثة.
- حَمْلة العراقين.
- حوادث البحر الأبيض وحَمْلة الهِند.
- حَمْلة قورفو.
- حَمْلة النِمسا.
- حَمْلة البغدان.
- ظلم ناقِلي الرسائلِ [اولاق ظلمى].
- حَمْلة المَجر.
- حَمْلة إسبانية على الجزائر.
- حَمْلة المَجر.
- حَمْلة إيران.
- حوادث القرم وفتح قِلاع بجوي ولبوه وسكدين.
- حَمْلة نخجوان.

ويتكوَّنُ الكتابُ مِن 456 صفحة، وينتهي بجملةِ (سنه مذكور رمضان المبارك آينك اون بشنده دولت واقبال ايله كلوب قرار ايتديلر، تم الكتاب بعَونِ الله المِلِكِ الوهَّابِ).

أهمية الكتاب:

كما أنَّ «لُطْفي باشا» حازَ مكانةً مميَّزةً بين رجالِ الدولةِ وبين مُعاصريه مِن أربابِ القلمِ، نالَ تاريخُه أيضًا- الذي حملَ خُلاصةَ تجاربِه الطويلةِ التي قضاها في إدارةِ الدولةِ- موقعَه بين كتبِ التواريخِ العُثْمانيةِ التي جاءت مِن بعدِه، حيث صارَ مصدرًا أساسيًّا لا غِنى عنه في مصادرِ التاريخِ، وينقسمُ الكتابُ إلى ثلاثةِ أقسام رئيسية:

القِسمُ الأوّل: تحدَّثَ فيه المؤلِّفُ عن حياتِه وآثارِه، وسببِ تأليفِ الكتابِ، ويُعَدُّ هذا الجزءُ مُهمًا لأنه غيرُ موجودٍ في كتبِ التاريخِ الأخرى.

القِسمُ الثاني: تحدَّثَ فيه عن بدايةِ الدولةِ العُثْمانيةِ حتى نهايةِ عصرِ السّلطان بايَزيد الثاني، واعتمدَ المؤلِّفُ في هذا الجزءِ على مصادرَ ستةٍ ذكرَها في كتابِه، هي:

- تاريخ كزيده
- تواريخ الفردوسي
- تواريخ مِسْكويه
- تاريخ الطَّبَري
- تواريخ آل سلجوق
- طبقات الفُقهاء لـ «أبو إسحق الشيرازي»، وذكر «لُطْفي باشا أنه أوجَزَ في هذا الجزءِ قدْرَ الإمكانِ.

القِسمُ الثّالث: يبدأُ هذا القِسمُ مِن نهايةِ عصرِ السّلطان بايَزِيد الثاني أيْ حواليَ سنة 1508م حتى سنةِ 1553م، وذكر فيه أنّه اعتمدَ على ما رآه وسمِعَه بنفْسِه، وشاركَ في كثيرٍ مِن الحملاتِ والمعاركِ التي وقعتْ في هذا العصرِ. والمعلوماتُ التي ذكرَها عن هذه الفترةِ تُعَدُّ مهمَّةً جدًّا، ولا توجدُ في كتبِ المؤرِّخِينَ المعاصرِين له مِثل «ابن كمال باشا»، و«عالي»، و«جلال زاده»، وكذلك الذين جاؤوا بعدَه مِثلَ «منجم باشي»، و«بچوي»، و«صولاق زاده».

المَيزات التي تميَّز بها الكتاب:

تسجيلُ حملاتِ الدولةِ، ابتداءً مِن عصرِ عُثْمان غازي حتى حَمْلة نخجوان عام 961هـ/ 1553م:

سجَّلَ لُطْفي باشا في كتابِه الأحداثَ التاريخيَّةَ والعسكريَّةَ للدولةِ العُثْمانية، والحملاتِ التي قامَ بها السّلاطين العُثْمانيون في الشرقِ والغربِ، برِّيَّةً كانت أو بحرية، ولَم ينقلْ الحملاتِ بشكلٍ مُجمَلٍ، بل كان يصِفُ هذه الحملاتِ وَصْفًا دقيقًا مِثلَ استعداداتِ المعركةِ، وأسبابِها السياسيةِ والدينيةِ، والإجراءاتِ التي تحدُثُ بعدَ النصرِ مِن مَنْحِ الأمانِ للبلادِ المفتوحةِ وتقسيمِ الغنائمِ وتحويلِ الكنائسِ إلى مساجدَ.. إلخ.

وعلى سبيلِ المثالِ: عندما تحدَّثَ لُطْفي باشا في تاريخِه عن مشاركتِه في حَمْلة «قورفو» ذكرَ استعداداتِ الدّولةِ قبلَ المعركةِ، فقال: «وهكذا أمرَ السّلطانُ في الحالِ بإعلانِ الغزوِ، وأنْ يستعِدَّ الأُسْطُولُ، وأنْ لا يتخلَّفَ أحدٌ في أيِّ وقتٍ. وقامَ الوزراءُ بتنفيذِ أمرِ السّلطان في الحالِ، وجمعوا كثيرًا مِن جُندِ «العزب» و«الكوركجيلر» والـ «آتجيلر» و«الإنكشارية»، وأربعةَ آلافٍ مِن الإنكشاريةِ مع قائدِهم، وستمائةِ نفرٍ مِن طائفةِ الـ «طوبچيلر» مع قادتِهم وأمراءِ عشر سناجق مِن ولايةِ الروم ايلي والأناضول مع السپاهية، وجميعُ جنودِ الـ «صوباشي لر»، وجاء جميعُ الجُندِ وركبوا السُّفنَ. وجهَّزَ القُبْطانُ «خيرُ الدين باشا» طائفةَ لوندات وكوكللو الموجودةَ تحتَ إمْرتِه، وتمَّ تعيينُ

لُطْفي باشا قائدًا ورئيسًا على هؤلاء جميعًا، وأُرسل لغزوة «آق دكيز»[1].

أمّا عن أسبابِ الحروبِ الدينيةِ فيقولُ: «وقد خرجَ في ديارِ الشرقِ الشّاه «إسماعيل» بنُ الشيخِ حَيْدَر، وانتصرَ على أمراءِ الشرقِ، واعتنقَ مذهبَ الرّافضةِ. وكان جميعُ أهلِ السّنةِ والجماعةِ في ضعفٍ وذلٍّ وتشتُّتٍ؛ بشكلٍ لا يمكنُ التعبيرُ عنه. فتركَ السّلطان هذا القدْرَ مِن المالِ والجاهِ، وجمعَ جيشًا كبيرًا بالعدَّةِ والعتادِ، وخرجَ مِن «إسلامبول» واتّجهَ إلى «تبريز» وعانى مِن المشقَّةِ والتعبِ. وكان هدفُه ومقصدُه إحياءَ مراسمِ الدينِ وإجراءَ مراسم سُنّةِ سيِّدِ الأنامِ والمُرسَلين»[2]. فبيَّنَ هُنا أنَّ سببَ خروجِ السّلطان «سليم» لحربِ الشّاه «إسماعيل» هو اعتناقُه مذهبَ الرافضةِ الذي يخالفُ مذهبَ أهلِ السّنةِ والجماعةِ، وتعذيبُه لأهلِ الإسلامِ السُّنةِ، لذلك وجبَ عليه حربُه وقتالُه.

أمّا عنِ الأسبابِ السياسيةِ، فقدْ قال: «وفي سنةِ 943هـ أرسلَ «بهادر خان» حاكمَ مدينةِ «محمود آباد» في ولايةِ «هندستان»؛ رسولًا إلى السّلطان

(1) لطفي باشا: تواريخ آل عثمان ص 359. «بادشاه في الحال نية الغزا ديو امر ايلدى. بر عظيم دونمه احضار اولنه كيم بر زمانده اولمش اوليه. وزراء مباشرينه بادشاه عالمپناه امرى اوزره مبالغه عزبلر وكوركجيلر وآلاجيلر جمع اولنوب ويكيجريلر كتخداسيله دورت بيك يكيجرى وطوبجيلر طايفه سندن آلتيوز نفر كتخدالرى ايله ورروم ايللو ولايتندن وآناطوليدن اون سنجاق بكى سباهيلر ايله وصوباشيلر ايله جمله سي كلوب كمى يه داخل اولدى، ولطفي باشا بونلرك جمله سنه باش وبوغ تعيين اولنوب آق دكز غزاسنه كوندردى.

(2) لطفي باشا: تواريخ آل عثمان ص12: «ديار شرقده شيخ حيدر اوغلى شاه اسمعيل خروج ايدوب وشرقى بكلرينه غلبه ايدوب رافضيلر مذهبن اختيار ايتدى وزمره اهل سنت وجماعتى بر درجه ذليل وسركردان ايلمش ايدى كه قابل تعبير دكلدر.. آخر الأمر سلطان سليم بادشاه اوليجق بوقدر مال ومنالدن كچوب وبنجه لشكر جمع ايدوب واسلامبولدن تبريزه وارنجه بو قدر زحمتلر وبو قدر مشقتلر اختيار ايدوب مقصدى محضا احيا مراسم دين اسلام اجراء لوازم سنت سيد الانام ايدى.

ملجأ العالَمِ يقولُ فيها: «لقدْ جاء المَغُولُ وهجموا علينا مِن البرِّ، وهجمَ علينا كفارُ البُرْتُغَالِ مِن البحرِ، واستولَوا على المدينةِ، لذلك نطلُبُ مِن السّلطان أنْ يُرسلَ جنودًا وأسطولًا إلينا، فأمرَ السّلطان «سُليمان باشا» قائلًا: «اذهبْ إلى مصرَ وجهِّزْ السّفنَ، واستعدَّ بها على الوجهِ اللازمِ مِن أجْلِ مُساعَدةِ «بهادر خان» ومُعاوَنتِه»[1].

يتتبَّعُ الكتابُ الظروفَ الاجتماعيةَ والإداريةَ والاقتصاديةَ في الفترةِ التي تناوَلَها:

كان «لُطْفي باشا» في الجزءِ الذي عاصَرَه بنفْسِه مِن الكتابِ أكثرَ قُربًا مِن الأحداثِ والوقائعِ، ومطّلِعًا على أوضاعِ الدولةِ الاجتماعيةِ والاقتصاديةِ والإداريةِ، وذلك لتعْيينِه في وظائفَ مختلفةٍ في الدولةِ، فشاهَدَ بنفْسه هذه الأحداثَ، وعبَّرَ عنها في كتابِه، مِثلَ: حفلاتِ ختانِ أبناءِ السّلاطِين، وحريقِ «إسْتانْبُول»، وقضيةِ ظلم ناقِلي الرسائلِ وغيرِهم. وقد ذكرَ صُورًا حيَّةً عن سُوءِ الأوضاعِ الإداريةِ في مركزِ الدولةِ بعَرْضِه نماذجَ كثيرةً، فعندما تحدَّثَ عن ظلم ناقِلي الرّسائلِ في المُدنِ والقُرى قال: «وقال صاحبُ الكتابِ: «كنتُ أميرَ أمراءَ في ولايةِ «اليُونان» في سنةِ 941هـ وجاءت محاسبةُ بعضِ أهلِ المقاطَعاتِ والمباشَراتِ الموجودين في مِصرَ المحروسةِ، وأخذوا خيولَ الأشخاصِ الذين يجِدونهم في طريقِهم مِن أهلِ السفرِ والحضرِ، وقاموا

(1) لطفي باشا: تواريخ آل عثمان، ص 357: «وتاريخ هجرتك طقوز يوز قرق اوجنده هندستان ولايتنده محمود آباد حاكمى بهادر خان پادشاه عالمپناه الجى كوندروب، اوزرمزه قره دن مغول ودكزدن پورتقال كافرلرى مستولى اولدقلرى اجلدن پادشاهدن دونتامه ايله عسكر طلب ايدوب. سلطان سليمان باشايه امر اولنديكيم: مصره واروب بهادر خانه معاونتا يلمك اجليجون كميلرى كركى كبى معمور وحاضر ومهيا ايدوب».

بإيذاء المسلمين والكفار في الطُرقات والأماكن(1).

ومشاركةُ لُطْفي باشا في كثيرٍ من الوقائع والأحداثِ التي وقعتْ في عصرِ السّلطان «سُليمان القانوني» جعلتْه حاضرًا دائمًا بالقُربِ من السّلطان ومطّلعًا بنفسِه على سيرِ الأحداث؛ ممّا جعلتْ كتابَه ذا أهمّيةٍ في التأريخ لتلك الفترةِ المهِمَّة من تاريخ الدولة العُثْمانية.

يُعَدُّ الكتابُ مَرْجعًا تاريخيًّا مهمًّا للصراعِ العُثْمانيِّ الصَفَويِّ في عصرَيْ السّلطان سَليم الأولِ وسُليمانَ القانونيِّ:

شاركَ لُطْفي باشا في كثيرٍ من الحملاتِ العسكريةِ في عصرَيْ السّلطان سليم الأول وسُليمانَ القانونيِّ، وكان في مَعِيّةِ السّلاطين، لذلك كان حاضرًا في قلْبِ الأحداثِ ومُشاهِدًا لها، ممّا أكسبَ أثرَه قيمةً تاريخيةً مهمّةً لتلك الفترةِ خاصّةً، وقدْ عبرَ «كليسلي معلم رفعت» في مقدِّمةِ الكتابِ، فقال: «وممّا يزيدُ من قيمةِ الأثرِ وأهمّيتِه أنَّ مؤلِّفَه كان شاهدَ عِيانٍ على جميعِ الوقائعِ التي حدثتْ إبّانَ عصورِ ثلاثةِ سَلاطِينَ عِظام، مِثلَ (بايَزيد الثاني، وسليم الأول، وسُليمان الأول)، ومشاركًا في الحروبِ التي خاضتْها الدولةُ آنَذاك، ويكفي التفكيرُ في أنه تدرَّجَ في الوظائفِ حتى وصلَ إلى موقعِ الوزارةِ والصَّدارةِ العُظْمى. وقد ذكرَ «لُطْفي باشا» نفْسُه أنَّ وقائعَ عصرَيْ «سليم الأول» و«سُليمان القانوني» في لوحِ الخاطرِ عنده فقال: «وبعد ذلك، أصبحَ

(1) لطفي باشا: تواريخ آل عثمان، ص 38: «صاحب كتاب ايدر تاريخ هجرتك طقوز يوز قرق برنده ولايت يونانده بكلربكى ايدم محروسه ء مصرده اولان بعض اهل مقاطعات ومباشرلرينك محاسبه سى كلوب، اهلس فردن واهل حضردن بولدقلرى كمسنه لرك آتلرين آلوب بولده وايزده مسلمانلره وكافرلره بى نهايه ايذالر وظلملر ايده كلوب».

«سليم» سُلْطانًا، وكلُّ الأعمالِ التي قام بها في بلادِ الرومِ والعجمِ والعربِ جميعُها محفوظةٌ في الذاكرةِ، وبعدَها كان الحقيرُ في خدمةِ السّلطانِ [سُليمان القانوني] ومشاركًا في الحملاتِ معه حتى عام 948هـ[1].

وهذا يعني أنَّ الفترةَ مِن عام 1508م إلى عام 1541م كان لُطْفي باشا واقفًا على سيرِ الأحداثِ ومشاركًا في صياغتِها في كثيرٍ مِن الأحيانِ، وعند تعيينِه في منصبِ الصَدارةِ العُظْمى اطَّلَعَ بنفْسِه على أرشيفِ الدولةِ، ورأى المُراسَلاتِ والمُعاهَداتِ العُثْمانيةَ مع الدولِ الأخرى، ومِن بينِها رسائلُ الدولةِ مع الشّاه «إسماعيل الصَفَوي» في زمنِ «سليم الأول» ومِن بعدِه ابنه الشّاه «طهماسب» في زمنِ «القانوني».

وبالإضافةِ إلى ذلك يُعَدُّ كتابُ «تواريخ آلِ عُثْمان» مصدرًا رئيسيًّا لمعرفةِ كيفيةِ فتحِ منطقةِ «كماخ» و«ديار بَكْر» ومملكة «ذو القادر» مِن قِبلِ الدولةِ العُثْمانيةِ، وموقعةِ «چالديران» مع الشّاه «إسماعيل» و«السّلْطان سليم»، وموقعةِ «مرج دابق» بين «سليم» و«قانصوه الغُوري»، والمعلوماتُ التي ذُكرتْ في الكتابِ في فترةِ صدارةِ «لُطْفي باشا» في غايةِ الأهمّيةِ، ولا توجدُ في أيّةِ كتبٍ أخرى.

المَصادرُ التي تأثَّرتْ بـ «تواريخ آل عُثْمان»:

لم يُصَرِّح المؤرخون الذين جاءوا بعد لطفي باشا مثل «خوجه سعد

---

(1) لطفي باشا: ص 2-3: «ويونلردن صوكره سلطان سليم بادشاه اولوب رومده وعجمده وعربستان ده بو قدر ايشلر ايتدوكن بونك جمله سى لوح خاطرده در... والحاصل تاريخ هجرتك طقوز يوز قرق سكزينه دكين واقع اولان سفرلرى خدمت شريفلرنده بلجنه اوليدر.

الدين»[1] و«منجم باشي أحمد»[2] و«صولاق زاده»[3] و«قره جلبي زاده»[4] و«بجوي»[5] و«عالي»[6] بأنهم أفادوا من تاريخ «لطفي باشا» في مؤلفاتهم، ولكنْ ذكر «صولاق زاده» في تاريخه عن لطفي باشا فقال: صاحب آصفنامه، وكذلك «قره جلبي» في «روضة الأبرار»، قال: «مؤلف آصفنامه»، ويدلّ ذلك على أنّ المؤرخين قد رجعا إلى رسالة «آصفنامه» لـ «لطفي باشا» وأفادا منها، ولكن لا نجزم بأنهما أفادا من كتابه التاريخي. ولكن ذكر «عالي بك» في كتابه: «نصيحة السّلاطين» نماذج كثيرة عن قضية ظلم ناقلي الرّسائل التي تحدّث عنها «لطفي باشا» باستفاضة في تاريخه، وهذا يعني أنّه أفاد من الكتاب، ولكن لم يذكر اسمه في مصادره.

---

(1) خوجا سعد الدين: سعد الدين محمد بن جان بن حافظ بن جمال الدين من عائلة فارسية من أصفهان. دخل في خدمة السراي مع والده بعد حرب چالديران، ولد في إستانبول عام 1536م، تعيّن مدرسًا في صحن ثمان عام 1571م. وعيّن بعد ذلك مدرسًا للشهزادة مراد الثالث لذلك سُمّي بـ خوجة سعد الدين. أشهر مؤلفاته تاج التواريخ: يتحدّث فيه من بداية الدولة العثمانية حتى عام 1520 عصر السّلطان سليم الأول. انظر: فرانز بابنجر، المؤرخون العثمانيون وآثارهم، ص137.

(2) منجم باشي: مؤرخ عثماني، ولد في سلانيك، عام 1631، كتب تاريخ عن العالم باللغة العربية تحت اسم «صحائف الأخبار»، وبعد ذلك، عرف باسم جامع الدول. المصدر السابق.

(3) صولاق زاده: محمد همامي من مؤرخي النصّ الأول من القرن السابع عشر الميلادي، جاء مع أبيه من اسكوب إلى إستانبول، وله تاريخ يعرف باسمه من بداية الدولة العثمانية حتى عصر مصطفى الأول. المصدر السابق.

(4) قره جلبي زاده: مؤرخ عثماني، ولد في إستانبول عام 1591م، عيّن قاضي عسكر في زمن السلطان محمد الثالث، له مؤلفات كثيرة منها روضة الأبرار وسليمانامه. المصدر السابق.

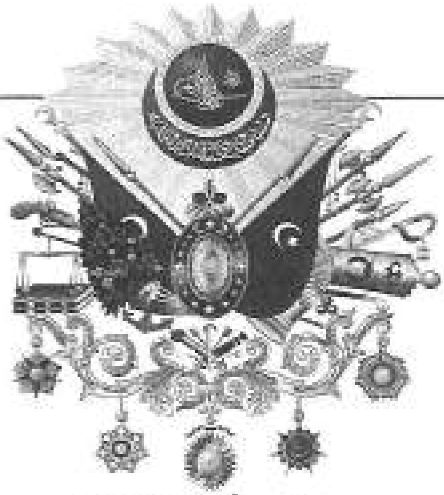
(5) بجوي: إبراهيم أفندي، ولقبه بجوي، ولد عام 1566م في مدينة بج التي نسب لها، وله تاريخ باسم تاريخ بجوي من عصر السّلطان سليمان القانوني حتى عصر السلطان مراد الرابع.

(6) عالي: مصطفى بن احمد بن عبد الله، ولد في غاليبولي عام 1541م. تعلم الفارسية ثمّ أصبح ملازمًا للسّلطان سليم الثاني منذ عام 1560م، عمل كاتب ديوان لـ مصطفى باشا لمدّة ست سنوات. أشهر آثاره: كنه الأخبار. المصدر السابق: ص142.

وأثبتتِ الدّراسةُ أنَّ المؤرِّخين العُثمانيِّين مِن عصرِ «لُطْفي باشا» حتى «مصطفى نوري باشا» (1824–1890) لَم يذكُروا صراحةً في آثارِهم أو مؤلَّفاتِهم أنهم أفادوا مِن «تواريخ آل عُثمان» لـلُطْفي باشا، أمّا «مصطفى نوري باشا» فقدْ ذكرَ في آثره: «نتايج الوقوعات» أنه أفادَ سواءً مِن رسالةِ «آصفنامه» أو «تواريخ آل عُثْمان» لـ «لُطْفي باشا»، وكذلك «هامر» في تاريخِه، وذكرَ كتابَ «تواريخ آل عُثمان» ضِمنَ المصادرِ التي رجعَ إليها في كتابِه.

ومُعظَمُ المؤرِّخين المحدثِين قد أفادوا مِن تاريخِ «لُطْفي باشا» مِثل: «إسماعيل حقّي اوزون جارشلي»، و«حامي دانشمند»، و«محمد زكي باقلين»، و«أحمد أوغور»، و«فؤاد كوبريلي» وغيرِهم.

المَبحثُ الثّالث



مصادرُ الكتابِ ومنهجُه

مصادر لُطفي باشا في تدوينِ كتابه

عندَ تدوينِ أيِّ أثرٍ تاريخيٍّ، لا بُدَّ وأنْ تتوفَّرَ للمؤرِّخِ المصادرُ التي يدوِّنُ منها أحداثَه ووقائعَه التي يريدُ أنْ يتضمَّنها أثرُه. ولقد تنوَّعتْ المصادرُ التي اعتمدَ عليها «لُطْفي باشا» في تدوينِ تاريخِه [تواريخ آل عُثْمان]، حيث انقسمتْ فيما بين ما شاهَدَه وشارك فيه، وبين ما تراكَمَ لَدَيه مِن معلوماتٍ مِن خلالِ السَّماعِ والروايةِ وثقافتِه الإسلاميةِ الواسعة، هذا إلى جانبِ اطِّلاعِه الواسعِ على تواريخِ السَّابقين، سواءٌ أكانت باللغةِ العربيةِ أمْ بالتُّركيةِ العُثْمانيةِ والفارسيةِ ممَّن سبقَه مِن مؤرِّخي الدولِ الإسلاميةِ بوجهٍ عامٍّ، ومِن مؤرِّخي الدولةِ العُثْمانيةِ بوجهٍ خاصٍّ.

وتُعَدُّ مشاركةُ «لُطْفي باشا» في الغزواتِ والحملاتِ التي قامتْ بها الدولةُ العُثْمانيةُ عُنصرًا رئيسيًّا في تتبُّعِه التاريخَ العسكريَّ للدولة، إذْ جعلتْه يشاهدُ الأحداثَ عن قُربٍ، ويسجِّلُها في تاريخِه، وفي الواقعِ اعتمدَ «لُطْفي باشا» في تدوينِ الفترةِ التي تمتدُّ مِن بدايةِ الدولةِ العُثْمانيةِ حتى عام 1508م؛ على المصادرِ التاريخيةِ السَّابقةِ له، سواءٌ العُثْمانيةِ أمْ العربيةِ أمْ الفارسيةِ أو حتى عن طريقِ السَّماع. أمَّا الفترةُ التي تمتدُّ مِن عام 1508م حتى عام 1541م [تاريخُ عَزلِه مِن الصدارةِ العُظْمى]، فقدْ دوَّنَها بالاعتمادِ على مُشاهداتِه ومشاركاتِه في الأحداثِ والوقائع، وأحيانًا بالاعتمادِ على حُضورِه بالقُربِ مِن مواقعِ الأحداثِ؛ فكان يسمعُ أحداثَها مِن المحاربين القادمين مِن الحملاتِ العسكرية.

ويمكنُ للدّراسةِ أنْ تقسّمَ مصادرَ لُطْفي باشا التي اعتمدَ عليها في تاريخِه على النحوِ الآتي:

- المُشاهَدةُ والمُشارَكةُ في الأحداثِ.
- السّماع.
- تواريخ السّابقين.

المُشاهَدةُ والمُشارَكةُ في الأحداثِ:

تأتي المُشاهَدةُ والمُشارَكةُ في الأحداثِ على رأسِ المصادرِ التي استعانَ بها لُطْفي باشا في تدوينِ تاريخِه؛ حيث تُعَدُّ مُشاهَداتُه ومُشارَكاتُه في الأحداثِ والوقائعِ- مِن قريبٍ أو بعيدٍ- مِن أهمِّ المصادرِ التاريخيةِ عنده، فالمُشاهَدةُ كما يعُدُّها «ابنُ حَجَرٍ العَسْقَلاني» في تاريخِه من المَصادرِ الرئيسيةِ التي اعتمدَ عليها، وشكَّلتْ جُزءًا مهمًّا في تاريخِه، كما تُعَدُّ مِن أهمِّ عناصرِ التّدوينِ في التاريخِ الإسلامي[1]. وقد تحقّق ذلك عند «لُطْفي باشا» في تدوينه تاريخَه في الفترةِ مِن عامِ 1508م حتى عامِ 1541م، هذا ما جعلَ كتابَه «تواريخ آل عُثْمان» مِن عيونِ تلك الفترةِ ومصادرِها الرئيسية.

وممّا زادَ أيضًا مِن أهمّيةِ تاريخِه وقيمتِه أنّ: المعلوماتِ التي ذكرَها «لُطْفي باشا» مِن خلالِ مُعاصَرتِه للفترةِ السابقةِ الذّكرِ، لا توجَدُ في شيءٍ مِن كتبِ المؤرّخين، سواءٌ المعاصِرين له أو الذين جاؤوا مِن بعدِه؛ مِثل «ابن كمال باشا» و«منجم باشي» و«عالي» و«بچوي» و«صولاق زاده».

وعلى سبيلِ المثالِ ما جاء في تاريخِه عن تحرُّكِه بنفْسِه ومُشارَكتِه في الحدثِ

(1) محمد كمال الدين عز الدين: التاريخ والمنهج التاريخي لابن حجر العسقلاني، الطبعة الأولى، دار اقرأ للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 1404هـ / 1984م، ص 341.

أحيانًا، أو وجودِه على رأسِ الحَدَثِ أحيانًا أخرى، خاصّةً في عديدٍ مِن الحملاتِ التي وقعتْ في تلك الفترةِ، مِثلَ حَمْلة «بلغراد» و«رُودس» و«أنكروس» و«بج» و«حملة القزلباش» و«آولونيه» (أفلونيا)، ووردَ ذلك في تاريخِه على هذا النحو: «وعاد هذا الحقيرُ [لُطْفي باشا] كما كان إلى خدمةِ الركاب الهمايونيّ، وقدْ وقعتْ عِدّةُ حملاتٍ في ذلك الوقتِ أوّلُها: حَمْلة «بلغراد» ثمّ «رُودس» ومِن بعدِها حَمْلة «أنكروس»، التي اشتهرتْ باسْم حَمْلة «مهاج». ومِن بعدِها حَمْلة «بج» و«آلامان»، وبعد ذلك، حَمْلةُ «القزلباش» ثمّ حَمْلة «آولونيه»، وعبرتْ السّفنُ إلى ولايةِ «بوليه» وكان هذا الحقيرُ قائدًا على هذه السّفنِ، وغنم المسلمون كثيرًا من الأموال والغنائم، ثمّ حدثت حملة قره بغدان»[1].

أمّا تفاصيلُ ما ذكرَه في الفقرةِ السابقةِ لَمْ يرِدْ بشكلٍ متّصلٍ في مكانٍ واحدٍ داخلَ تاريخِه، وإنّما جاء متفرّقًا بين دَفّتَي تاريخِه طِبقًا لسيْرِ الأحداثِ، ومِن المواضعِ التي ذكرَ فيها تكليفَ السّلطان «سُليمان القانونيّ» له بتحريكِ الحملاتِ ما ذكرَه في تاريخِه، وهو: «وفي أواخرِ شهرِ محرّمِ الحرامِ مِن سنةِ 944هـ عندما وصلَ [السّلطان] إلى «آولونيه» أرسلَ «لُطْفي باشا» وأميرَ أمراءِ الروم ايلي «محمد باشا» مع أمرائه والصوباشيةِ والسباهيةِ إلى جانبِ «بوليه»، فعندما وصلوا استولَوا على عِدّةِ ولاياتٍ مِن دِيار «بوليه»، وقاموا بهدمِها وتخريبِها[2].

(1) لطفي باشا: ص 3: «بو حقير ينه كما كان ركاب همايونلرى خدمتلرنده اولوب، نيجه سفرلرى بيله جه واقع اولمشدر. اولا سفر بلغراد آندن رودس آندن انكروس كه مهاج صواشى ديمكله مشهوردر. آندن بج آندن صكره آلامان آندن صكره قزلباش سفرى اولوب آندن آولونيه سفرى اولوب، وكميلر بوليه ولايتنه كجوب، بو حقير كميلره سردار اولوب، مال وغنايم برله مسلمانلر طويم اولديلر، آندن قره بغدان سفرى اولوب».

(2) لطفي باشا ص359: «وتاريخك طقوز يوز قرق دورنده محرم الحرام آينك اواخرنده واولونيه

وذكر في موضعٍ آخَرَ في تاريخه عن اشتراكِه في حملة «قورفو» واستيلائه على عددٍ من السّفنِ في قوله: «وفي تلك الأثناءِ تمّ الاستيلاءُ على عددِ أربعةِ سُفنٍ من نوع قادرغة من سُفنِ أسطولِ الكفارِ، وهربَ الباقون، وذهبوا إلى «كورفو»، وقامَ «لُطْفي باشا» بعدّةِ غزواتٍ في «بوليه»، ورجع بغنائمَ كثيرةٍ من هناك. وعرضَ هذه الأحوالَ على السّلطان[1].

وشاهَدَ «لُطْفي باشا» كثيرًا من الأحداثِ والوقائعِ، التي حدثتْ أمامَ عينه ووقعتْ أمامَ نظرِه في الفترةِ التي تمتدُّ من عام 1508م حتى عام 1541م، ومن ذلك حريق «اسكى سراى» [السراي القديمة] في «إسْتانْبُول»؛ إذْ أشارَ عن ذلك في تاريخه قائلًا: «وفي ليلةِ السابعِ والعشرين من شهرِ رمضانَ؛ وهي ليلةُ القدْرِ من السنة المذكورةِ احترقتْ «اسكى سراى» [السراي القديمة]، التي بناها السّلطان أبو الفتح سُلْطان محمد بالكاملِ، وأُعيدَ بناؤها من جديد[2].

وشاهَدَ أيضًا بنفسِه بعضَ وقائع ظلم ناقِلي الرسائلِ على العبادِ في أثناءِ نقْلِهم للرسائلِ في أركانِ الدولةِ وولاياتها؛ إذْ كانوا يستغِلّون مناصبَهم والأحكامَ السُّلْطانيةَ الموجودةَ تحتَ أيديهم في اسْتغلالِ الناسِ واستعبادِهم، وعبّرَ «لُطْفي باشا» عن ذلك إذْ قال: «ذكرَ صاحبُ الكتابِ أنه: في سنةِ 941هـ كنتُ أميرَ أمراء في ولايةِ «اليونان»؛ وجاءت محاسبة بعضِ أهلِ

به واريجق لطفي باشايى روم ايلى بكلربكيسى محمد باشايى بكلربله وصوباشيلرى وسباهيلرى ايله بوليه جانبنه كوندروب. انلر دخى واردقلرنده بوليه ديارلرينك خيل آلوب ياقوب ييقوب».

(1) لطفي باشا: ص360: «واول اثناده كفره دونتمه سندن دورت باره قدرغه آلنوب قلانى قاجوب كورفوزه كتديلر ولطفي باشا دخى بوليه ده بونجه غزالر وطويملقلر ايدوب بو احوالى بادشاهه عرض ايدوب».

(2) ص384: سنه مذكورة رمضان اينك يكرمى يدنجى كيجه سى كه قدر كيجه سيدر اسلامبولده اسكى سراى كه ابو الفتح سلطان محمد بنا ايتدرمشدر كليا احراق بالنار اولوب يكيدن بنا اولندى.

المُقاطَعاتِ الموجودةِ في مِصرَ المحروسةِ، وذاتَ ليلةٍ نزلوا في مدينةِ «قونية»، ثمّ غادَروا في اليومِ الثاني مِن «قونية»، وأخذوا مِنها ثمانينَ حِصانًا[1].

ولَم تقتصِرْ تلكَ القضيةُ في عرضِه التاريخيِّ في الموضعِ السابقِ فقط، بل تحدَّثَ عنها باستفاضةٍ في تاريخِه، فقدْ ذكَرَها في أكثرَ مِن موضعٍ، وقدْ سبقَ الحديثُ عنها في بحثِ: «لُطْفي باشا مؤرِّخًا».

وهكذا فإنَّ المُشاهَدةَ والمشاركةَ في الأحداثِ كانت تُمثِّلُ أوثقَ المصادرِ التي استندَ إليها «لُطْفي باشا» في تدوينِ أثرِه، وتُعَدُّ هذه الفترةُ التي شاهدَ «لُطْفي باشا» أحداثَها ووقائعَها مِن عيونِ المصادرِ التاريخيةِ للتأريخِ هذه الفترةِ.

السَّماع:

يمثِّلُ السَّماعُ لَدى المؤرِّخين بوجهٍ عامٍّ، و«لُطْفي باشا» بوجهٍ خاصٍّ، المصدرَ الثانيَ للمعْلوماتِ؛ فالسَّماعُ مِن المصادرِ المهمَّةِ والرئيسيةِ التي اعتمدَ عليها «لُطْفي باشا» في تدوينِ وقائعِه. وهذا يعني أنّه ذكرَ في كتابِه الأشياءَ التي سمعَها بنفْسِه، ورُويتْ أمامَه بطريقةٍ أو بأخرى. وممّا يدلُّ على استخدامِه السَّماعَ أو الروايةَ قولُه: «سمعتُ أنَّ»، «يُروى أنَّ»، ومِن هذه النَّماذجِ: عندما تحدَّثَ عن قضيةِ ظلمِ ناقلي الرسائلِ في عصرِ السّلطان «سُليمان القانوني» قال: «ذكر مؤلِّفُ هذا الكتابِ: سمعتُ عِدَّةَ مرَّاتٍ من السّلطان «سليم» – رحمه الله – يقولُ إنّ[2].

---

(1) لطفي باشا: صـ 381: «صاحب كتاب ايدر تاريخ هجرتك طقوز يوز قرق برنده ولايت يوناننده بكلربكي ايدم. محروسه مصرده اولان بعض اهل مقاطعات محاسبه سي كلوب وير كيجه قونيه شهرنده قونوب ايرته سي قونيه شهرندن سكسن آت آلوب».

(2) لطفي باشا: صـ 370: «بو كتابك مؤلفي ايدر: حتى نيجه كره سلطان سليمدن رحمه الله اشتمشتم».

وقد احتلَّ أسلوبُه: «يُروى أنَّ، ويُحكى أنَّ، وذُكر في التواريخ أنَّ» مساحةً واسعةً في سَرْدِه للأحداثِ والوقائع؛ خاصَّةً مِن بدايةِ كتابه حتى مشاركتِه في الأحداثِ عامَ 1508م، تلك الفترةُ التي اعتمدَ فيها على الروايةِ والمُشاهَدةِ، وممَّا يُعَدُّ دليلًا قويًّا على اعتمادِ منهجِ السماعِ والروايةِ، وما ذاعَ بين الناسِ وانتشرَ في التواريخِ كمنهجٍ أساسيٍّ بعدَ المُشاهَدةِ، ما ذكرَه «لُطْفي باشا» في تاريخِه؛ إذْ قال عندما تحدَّثَ عن إمارة «عُثْمان غازي»: «حتى إنه رُوي في بعضِ التواريخِ أنَّه: عندما جاءت الإمارةُ إلى «عُثْمان غازي» قال: «مادامَ السّلاجقةُ يحكُمون في ذلك الوقتِ فإنّي لا أكونُ أميرًا، هكذا رُوي الحدثُ»[1].

وما ذكرَه عن نسلِ آلِ عُثْمان فقال: «نقلتْ التواريخُ أنَّ: نسلَ «عُثْمان غازي» بن أرطغرل»[2].

وقد اعتمدَ «لُطْفي باشا» في بعضِ الأحيانِ على الرواياتِ غيرِ المنسوبةِ إلى أشخاصٍ بعيْنِهم، وحرصَ على تحديدِ درجةِ صِحّتِها، كما أنّه أحيانًا ما كان يبرِّئُ نَفْسَه مِن مُحتواها. وبشكلٍ عامٍّ كان يكتفي بعبارةِ «يُروى أنَّ»، ومِن ذلك القَبيلِ قولُه في أثناءِ عُبورِ السّلطان «سُليمان» مِن «بغداد»: «يُروى أنَّ: في ذلك الوقتِ عبَرَ سُلْطانُ الرومِ السّلطان «سُليمان القانوني» مِن «بغداد»»[3].

---

(1) لطفي باشا: ص 5 «حتى بعض تواريخلرده روايتدر كه عثمان غازى بكلنملو اولدقده ما دامكه سلجوقيلر حاكم الوقت ايلديلر بكلنمدى ديو روايت ايدرلر».

(2) لطفي باشا: ص 17: «تواريخلرده كتورمشلردر كه نسل عثمان غازى بن ارطغرل».

(3) لطفي باشا: ص 379: «روايت اولنور كه شول وقتكه روم پادشاهى سلطان سليمان بغداددن كوجوب».

وعندما تحدَّثَ عن رؤيا «عُثْمان غازي» قال: «رُوي أنَّ: «عُثْمان غازي» رأى ذاتَ ليلةٍ رؤيا عجيبةً، هي...»[1].

وعندما تحدَّثَ «لُطْفي باشا» عن عزلِ «خسرو باشا» من الوزارة قال: «يُحكى أنَّ: «خسرو باشا» طلبَ ذاتَ يومٍ ركوبَ حِصانٍ، فأحضر عبيدُه له حِصانًا...»[2].

وقد أرَّخَ «لُطْفي باشا» للفترةِ التي سبقتْ عصرَه بالاستفادةِ من كتبِ المؤرِّخين السابقين، وكان في كثيرٍ من الأحيانِ يكتبُ خُلاصةَ ما قرأه وأفادَ منه في كتابِه بشكلٍ مُجمَلٍ، وهو يميلُ في كتابته عن هذه الفترةِ إلى شيءٍ من الاختصارِ. ومهما يكُنْ من أمرٍ فقدْ تحرَّى «لُطْفي باشا» الدقَّةَ والحذرَ قدْرَ الإمكانِ فيما نقلَه؛ سواءً ممَّن سمِعه أو ممَّن نقلَ عنه.

تواريخُ السّابقين:

تُعَدُّ المصادرُ السّابقةُ البِنيةَ الأساسيةَ لتاريخِ «لُطْفي باشا»، والموردَ الرئيسيَّ لمادَّتِه، خاصَّةً في الفترةِ المبكِّرةِ منه الممتدَّةِ من بدايةِ تاريخِه حتى عام 1508م، وقد اعتمدَ «لُطْفي باشا» على المصادرِ المكتوبةِ اعتمادًا أساسيًّا في الفترةِ التي سبقتْ عصرَه. وقد أفادَ كثيرًا من المصادرِ العربيةِ والفارسيةِ التي تناولتْ تاريخَ الدولةِ العُثْمانيةِ والسّلاطِين العُثْمانيِّين على وجهِ الخصوصِ منذُ تأسيسِ الدولةِ حتى نهايةِ عصرِ السّلطان «بايَزيد الثاني»؛ تلك الفترةِ التي سُجِّلتْ على أيدي المؤرِّخين العربِ أو الفُرْسِ أو الأتراكِ أنفُسِهم الذين

(1) لطفي باشا: ص 20: «روايت اولنور كه عثمان غازي شويله واقع اولور كه بر كيجه عجب دوش كورر...».

(2) لطفي باشا: ص434: «حكايت ايدرلر كه بر كون خسرو باشا آته بينمك قصدين ايدوب، آدملري اوكنه آت كورديلر...».

كتبوا تواريخَهم باللغةِ العربيةِ أو الفارسيةِ، ومِن خِلالِ عرضِه التاريخيِّ للوقائعِ التي ذكَرَها يتَّضِحُ ممَّا ذكَرَه في مقدِّمةِ كتابه أنه أفادَ كثيرًا مِن المَصادرِ السابقةِ، وذكر هو نفسُه أسماءَ تلك المصادرِ التي أفادَ مِنها؛ وهي ستةُ مصادرَ على النحوِ الآتي:

- تاريخ كزيده[1].
- تاريخ الفردوسي[2].
- تواريخ مسكويه[3].
- تاريخ الطبري[4].
- طبقات الفقهاء لأبي إسحاق الشيرازي[5].

---

(1) كزيده: حمد بن أبي بكر بن حمد بن نصر المستوفي القزويني من وزراء غياث الدين محمد ودون الكتاب في تاريخ 730هـ ويتكوّن من مقدّمة وستة أبواب وخاتمة، وتوجد معلومات عن هذا الكتاب في كشف الظنون طبعة بولاق ج2، ص 171، وطبعة إستانبول 1311، ج 2، ص 309.

(2) تاريخ الفردوسي: الفردوسي الطوسي: هو أبو القاسم حسن ابن اسحاق بن شرفشاه، من الهند/ هندستان، ايران، وطبع الكتاب في أوروبا على دفعات، وحول نثرًا للعربية، وترجم إلى الإنجليزية وإلى الفرنسية، ودون أيضًا كتابه الشاهنامه، من 306 مجلد، والفردوسي من الشعراء العثمانيين. وتم انتخاب 80 مجلد منهم من طرف السلطان بايزيد.

(3) هو أبو علي أحمد بن محمد بن مسكويه المتوفّى في عام 421هـ وله كتاب تاريخي معروف، وهو «تجارب الأمم وتعاقب الهمم». وتوجد معلومات عن هذا الكتاب في كشف الظنون، طبعة بولاق ج1 ص 191. وطبعة إستانبول ج1 ص 248.

(4) ولد في مدينة آمل في طبرستان، 224هـ وتوفّي في بغداد سنة 310هـ. وهو أبو جعفر محمد بن جرير الطبري. وبدأ كتابه المسمّى بتاريخ الأمم والملوك- نظرًا لما ذكره كاتب جلبي- من بدء الخليقة وحتى عام 309هـ- نظرًا لإفادته- وهو مكوّن من 3000 ورقة، وبعد المقابلة وإضافة فهرس منتظم له، وطبع نسخ متعددة منه أطلق عليه اسم «تاريخ الرسل والملوك» وطبع في ليدن. وله مختصر مشهور ومتداول. لطفي باشا: تواريخ آل عثمان، صـ 373.

(5) أبو إسحاق الشيرازي: هو إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزي آبادي، ويوجد اسمه في

- تواريخ آل سلجوق[1].

لَمْ يذكُرْ «لُطْفي باشا» في كتابه أنّه أفادَ مِن مصادرَ غيرِ هذه المصادرِ السّتة، ولكنَّ «لُطْفي باشا» كان يستخدمُ عند ذِكرِه لبعض الواقائع والحوادثِ عبارات كثيرةً، مِثل: [باتّفاقِ جميعِ المؤرِّخين، ويُروى أنَّ، وجاء في كتبِ التواريخ أنَّ، ورُوي في بعضِ التواريخِ أنَّ]، وذلك يعني أنّه أفادَ مِن مصادرَ أخرى غيرِ هذه المصادرِ السّتةِ، ولكنْ لَم يصرِّحْ بذلك تصريحًا واضحًا؛ فالمصدرُ الوحيدُ الذي ذكر اسمَه واسمَ مؤلِّفه في كتابِه، هو: «طبقاتُ الفقهاءِ لأبي إسحقَ الشيرازي».

ونقل عنه عندما تحدَّثَ عن انقراضِ عصرِ الصحابةِ فقال: «ذكر أبو إسحقَ الشّيرازيُّ في كتابه المسمَّى بـ «طبقات الفقهاء» أنه: انقرضَ عصرُ صحابةِ رسولِ الله- عليه الصلاةُ والسلامُ- ما بين سنةِ تسعينَ ومائةِ هجرية»[2].

ولو لَم يذكُرْ «لُطْفي باشا» أنَّ مؤلِّفَ هذا الكتابِ هو أبو إسحقَ الشيرازيُّ لَظننّا أنه شخصٌ آخرُ؛ لأنَّ هناك مؤلَّفاتٍ كثيرةً تحملُ هذا الاسمَ[3].

قاموس الأعلام ج1 ص685 تحت اسم جمال الدين إبراهيم بن علي فيروز آبادي، ولد عام 393هـ وتوفّي عام 476هـ في بغداد. وأصله فارسي، سكن في بغداد عندما توفّي والده فيروز آبادي، يعمل في شيراز، وكان يعمل مدرسًا في المدرسة النظامية حتى وفاته.

(1) هو تاريخ يتضمن تواريخ عشائر الأوغوز مثل السلاجقة والايلخانيين والعثمانيين، ومؤلفه يازيجي اوغلى: وليست هناك معلومات عن حياته إلّا أنه عاش في عصر السّلطان مراد الثاني، وينقسم كتابه إلى أربعة أقسام: القسم الأول: عن عشائر الأوغوز. القسم الثاني: عن السلاجقة. القسم الثالث: عن تاريخ سلاجقة الأناضول من عصر كيخسرو. القسم الرابع: من عصر غازان خان حتى عثمان غازي. انظر: الموسوعة الإسلامية: مادة:
TÂRİH-i ÂL-i SELÇÜK - Osman Gazi Özgüdenli cilt: 40; sayfa: 73

(2) لطفي باشا: ص 8: «أبو إسحق شيرازي طبقات الفقها آدلو كتابنده ديمشكه صحابه رسول الله عليه السلام عصرى منقرض اولدى تاريخ هجرتك طقسان ايله يوزى ما بيننده».

(3) ومن هذه المؤلفات مثل: طبقات الفقهاء لـ ابن الصّلاح، وطبقات الفقهاء الشافعيين لـ ابن كثير، وطبقات الفقهاء الشافعية للعبادي.

وبخلافِ هذا المصدرِ الوحيدِ الذي ذكرَ اسمَه واسمَ مؤلِّفِه، هناك عدَّةُ مصادرَ أخرى ذكرَها «لُطْفي باشا» في كتابِه وبينَ أحداثِ ووقائعِ الكتابِ، ولكنَّه اكتفى بذِكرِ الكتابِ فقط دونَ ذِكرِ صاحبِه، وهذه المصادرُ على النحوِ الآتي:

عندما تحدَّثَ عن عصرِ السَّلاجِقةِ قال: «وجاء في تواريخ كزيده أنَّه: «في عامِ 697 مِن هجرةِ النبيِّ - عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ - كان «غِياثُ الدينِ مسعود» الذي هو مِن السلاجقةِ حاكمًا على الرومِ مِن قِبَلِ «غازان خان»، وفي هذا العامِ تُوفِّي «غياث الدين مسعود»، وقام «غازان خان» بتوليةِ ابنِ أخيه «مسعود قيقباد» في الحُكمِ»[1].

وعندما تحدَّثَ عن إمارةِ «عُثمان غازي» في فترةِ حُكمِ «السلاجقةِ» قال: «وذُكر في كتابِ «تواريخ الفردوسي» أنَّ: السّلطان «عُثمان غازي» قد حكمَ في حياةِ السّلطان «غِياث الدِين مسعود»»[2].

أمّا ما ذكرَه عن «تاريخ مِسْكَويه» فقدْ اكتفى بذِكرِ الكتابِ مع كتابِ «طبقات الفقهاء» إذْ نقلَ عن هذا الكتابِ قائلًا: «ذكر صاحبُ كتابِ «تواريخ مسكوية» و«أبو إسحق الشيرازي» في كتابِه المسمَّى «طبقات

(1) لطفي باشا: ص 6: «أمّا تواريخ كزيده ده ايدر، تاريخ هجرت نبوينك عليه الصلاه والسلام التيوز طقسان يديسى اوليجق سلجوقيلردن غياث الدين مسعود كه غزان خان طرفندن رومه حاكم ايدى اول يل وفات ايتدى وغزان خان غياث الدين مسعودك يرينى مسعودك قرنداشى اوغل كيقباده ويردى».

(2) لطفي باشا: ص 6: «تواريخ فردوسى ده ايدر: سلطان مسعود غياث الدين دخى حياتده ايديكه عثمان غازى بكلندى ديو». واكتفى لطفي باشا بذكر الكتاب فقط، ولم يذكر اسم مؤلفه، فربما يكون هذا الأثر هو «الشاهنامه» لـ الفردوسي الطوسي - أبو القاسم حسن بن إسحق بن شرفشاه - والذي ترجم أثره إلى الإنجليزية والفرنسية والعربية نثرًا، وطبع على عدّة دفعات في الهند وإيران وأوروبا، أو شخص آخر يسمّى الفردوسي من الشعراء العثمانيين، له أثر من ثلاثمائة وستة مجلدًا، وانتخب السلطان بايزيد ثمانين مجلد منه.

الفقهاء» أنَّ: «عصرَ صحابةِ رسولِ الله -عليه الصلاة والسلام- انقرضَ ما بينَ سنةِ تِسعينَ ومائةِ هجريةٍ»[1].

وعندما تحدَّثَ «لُطْفي باشا» عن قضيةِ ظُلم ناقلي الرَّسائلِ في الدولةِ العُثْمانيةِ، لَمْ يذكُرْ هذه الواقعةَ في فترةِ الدولةِ العُثْمانيةِ فقط؛ بل تحدَّثَ عن نشأةِ نِظامِ البريدِ في الدولِ الإسلاميةِ الأخرى، فتحدَّثَ عن نشأتِه في عهدِ الخلفاءِ الرَّاشدينَ؛ ثمّ في الدولةِ الأمويةِ والعبَّاسيةِ؛ ثمّ في عهدِ المَغُولِ، وذكر أنَّ: الدولة العُثْمانية أخذتْ هذا النِظامَ وهذا الظلمَ مِن المَغُولِ، ورجعَ في هذا الشأنِ إلى كتاب تاريخ «الطَبَري»، وعبَّرَ عن ذلك في كتابه قائلًا: «وجاء في تواريخِ الطَبَريِّ أنه: «عندما جلسَ «عُمر بن الخطَّاب» - رضي الله عنه- على كُرسيِّ الخِلافةِ، وكثُرت المَمالكُ؛ كان ينبغي إرسالُ الرَّسائلِ والأخبارِ إلى أطرافِ البلادِ، وكان كلُّ أحدٍ مِن الرُّسلِ إذا توجَّهَ إلى إقليم يأخُذُ معه أشياءه ومتاعَه إلى المكانِ الذي سيذهبُ إليه، ومِن أجْلِ الذَّهابِ كان يُعطيه الجِمالَ الأصيلةَ مِن بيتِ المالِ، ويكتبُ رسالةً إلى قائدِ جيشِ ذلك المكانِ وواليه»[2].

وقال عن فترةِ العبَّاسيِّينَ: «وأجرى العبَّاسيون هذه القاعدةَ، وكانت عادتُهم تربيةَ بغالِ البريدِ في كلِّ منزلٍ على الطريقِ؛ إذْ عبَّرَ عن ذلك في كتابه قائلًا: عندما يأتي الأمراءُ بالرسائلِ مِن «بغداد» إلى «خُراسان» ومن «بغداد»

(1) لطفي باشا: ص 8: «تواريخ مسكويه ايدر أبو إسحاق شيرازي طبقات الفقها آدلو كتابنده ديمشكه صحابه رسول الله عليه السلام عصري منقرض اولدى تاريخ هجرتك طقسان ايله يوزى ما بيننده».

(2) لطفي باشا: ص 271-272: «تواريخ طبريده ايدر عمر بن الخطاب رضي الله عنه خلافت تختنه جلوس ايتدكده مملكتلر جوغالوب مملكتلر اطرافنه خبر كوندرمك لازم اولوب هر اقليمه بر كمسنه كوندرملو اولدقلرنده اسبابلرين وكندولرين اول مراد اولنان محله الوب كتمك ايجون بيت المالدن برار دوه لر ويريلوردى واول واراجق يرلرك سر لشكرين هويا عامللرينه بيتلر يازوب».

إلى «الشام» و«مِصر» وما إلى ذلك مِن الأقطار؛ فإنهم يركَبون تلك البِغال، وعندما يصِلون إلى مكانٍ ما يترُكون هذه البِغالَ ويركَبون بِغالًا أخرى[1].

أمَّا عن المَغُول والعُثْمانيِّين، فقدْ قال في كتابه: «وبعدَ هؤلاء جاء المَغُولُ [جنكيزيان]، وكانوا يأخُذون خيولَ الأهالي بالضربِ والقهرِ، ويُطلِقون على هذا اسم «اولاق». واقتدى العُثْمانيّون بالمَغُولِ في ظلمِ ناقِلي الرسائلِ للأهالي، وقام العُثْمانيون أيضًا بالمشاركةِ في هذا الظلم»[2].

ومِن المصادرِ التي ذكَرَها «لُطْفي باشا» في كتابِه، ولَم يذكُرْ اسمَ مؤلِّفِها» تواريخ آل سلجوق»؛ فعندما تحدَّثَ عن مجدِّدِ القرنِ الخامسِ الهجريِّ وهو: «محمد بن ملكشاه» مِن نسلِ السلاجقةِ استعانَ بهذا المصدرِ في كتابه عن السلاجقةِ كثيرًا، فقال: «ومجدِّدُ الدينِ في القرنِ الخامسِ الهجريِّ هو «محمد بن ملكشاه» مِن نسلِ آل سلجوق؛ فقدْ انتصرَ على الملاحدةِ، عند قلعةِ «دركوه»، عند باب «أَصْفَهان». وقد حاصَرَ هذه القلعةَ سبعَ سِنين، ولَم ينعَمْ بالراحةِ ليلًا ولا نهارًا، ولَم يهدأْ له بالٌ حتى قضى على المَلاحِدةِ الكفارِ تمامًا. ومحا كلَّ آثارِ الإلحادِ والكفرِ. وكانت سياستُه قَطْعَ العَلاقةِ مع الكفارِ، وقَطْعَ رؤوسِهم في الحالِ. وقد ذُكِر ذلك مفصَّلًا في «تواريخ آل سلجوق»[3].

(1) لطفي باشا: ص 272: «وعباسيلر دخي بو قاعده اجرا ايدوب عادتلري بويله ايديكه هر اشلك يولك هر بر منزلده نيجه بريدي قطرلر بسلنوردي مثلا بغداددن خراسانه وبغداددن شامه ومصره ودخي نيجه بوتلره بكزرلره نامه ايله كلن بكلر دخي قطرلره بنوب بر منزله دخي ايريشجك اني براغوب وبرسنه دخي بنرلردي.

(2) لطفي باشا ص273: آنلردن صكره دخي جنكيزيان ظهور ايديجك ايل وكون اتلرينه ضربا وقهرا بنوب اديني اولاق قومشلردي وعثمانلو اولاق ظلمندن جنكيزيلره تقليد كبي ايتمشلردي وعثمانلو دخي اول ظلمي اجراده كلوب.

(3) لطفي باشا: ص 10: «بشنجي يوزك دينن احيا ايدوب يكلين ال سلجوق نسلندن محمد بن

وبخلافِ هذه المصادرِ السّتةِ التي اعتمدَ عليها «لُطْفي باشا» في تاريخِه، سواءً التي ذكر اسمَ مؤلِّفِها أو التي لَم يذكُرْ اسمَ مؤلِّفِها، فهناك مصادرُ أخرى أفادَ مِنها، واعتمدَ عليها في تدوينِ أحداثِ تاريخِه ووقائعِه، في أحداثٍ ووقائعَ معيَّنةٍ، ولكنْ لَم يذكُرْها ضِمْنَ المصادرِ التي أفادَ مِنها. ومِن هذه المصادرِ ما ذكَرَه «فؤاد كوبريلى» في بحثِه عن «لُطْفي باشا» في «توركيات مجموعه سى» إذْ قال: «نقلَ «لُطْفي باشا» كثيرًا مِن كتابِ «آنونيم تواريخ آل عُثْمان» مِن الجزءِ الذي يبدأُ فيه بجُملةِ:« تواريخلرده كتورمشلردر كه» حتى نهايةِ وقائعِ عصرِ السّلطان «بايَزيد الثاني»، حتى الأشعار نقلَها كما هي»[1].

وقد استفادَ «لُطْفي باشا» بالفعلِ مِن هذا الكتابِ، ومِن الأمثلةِ على ذلك:

عندما تحدَّثَ «لُطْفي باشا» في تاريخِه عن ذهابِ «عُثْمان غازي» إلى مدينةِ «يكي شهر» قال: «وبعد ذلك، جاء «عُثْمان غازي» إلى» يكي شهر»، وبنى منازلَ مع الغُزاةِ وأقاموا بها، وسمَّى المدينةَ «يكي شهر» [أيْ المدينة الجديدة]، ووُلِد لـ «عُثْمان غازي» ولدٌ سمَّاه «علي باشا»[2].

«وجاء ذلك في كتابِ «آنونيم تواريخ آلِ عُثْمان» على هذا النحوِ: «استقرَّ

ملكشاه ايدى. ودركوه ادلو قلعه انك اوزرينه ملاحده غلبه قيلمش ايدى وسلطان محمد بن ملكشاه يدى ييل اول قلعه فتحنه دوشوروب كيجه وكوندوز راحت اوليوب تمام ملاحده قطع ايتمينجه راحت اولمدى وهر كيمده كيم اول الحاددن نشانلر واثر بولنيدى ياخود او ملاحده يه في الجمله مناسبتى اوليدى في الحال باشن كسوب سياست ايدردى كه بونك تفصيل ال سلجوق تواريخنده مفصل ومكمل يازلمشدر.

(1) فؤاد كوبريلي: توركيات مجموعه سى، ص 146: «تواريخلرده كتورمشلردر كه ديه باشلايان بو قسمده لطفي باشايي مماثيل اسكى آنونيم تواريخ آل عثمان معقب ومقلدى اولارق كوريورز، بايزيد ثاني وقايعنه قدر لطفي باشانك بو اثرى همان حرفى حرفنه اقتباس واستنساخ ابتدى».

(2) لطفي باشا: ص 22-23: «عثمان غازي يكى شهره كلوب غازيلرله برر أو يابدى. آنده طوراقيلندى وآدنى يكى شهر قودى. ودخى عثمانك بر اوغل طوغدى آدنى علي باشا قودى».

«عُثْمان غازي» في مدينةِ «يكى شهر» وبنى منازلَ مع الغُزاةِ، واستقرَّ بها، وأطلقَ عليها «يكى شهر» (ينى شهر) أيْ المدينة الجديدة. ووُلد أيضًا لـ «عُثْمان» ولدٌ، سمّاه «علي باشا»[1].

وعند المقارَنةِ بين الكتابَين يتّضِحُ أنهما متشابِهان إلى حدٍّ كبيرٍ جدًّا، والاختلافُ بينهما يسيرٌ.

ومِن النّماذجِ الأخرى: عندما تحدَّثَ «لُطْفي باشا» عن إرسالِ «محمد بك» بن «فيروز بك» رسالةً إلى السّلطان «مُراد الثاني» قال: «وأخبرَ السّلطان «مُراد» بذلك في «مغنسيا»، ولكنَّ السّلطان «مراد» لَم يأتِ؛ وقال: سُلْطانُكم عندكم، فاذهَبوا، واسألوه. فقال الأمـراءُ له: لا نذهبُ بدُونِك، أنت سُلْطانُنا»[2].

وجاء ذلك في كتابِ مجهولِ المصدرِ على هذا النحوِ: «ومِن جانبِ آخَرَ أخبروا السّلطان «مُرادًا» بذلك، فلَم يأتِ السّلطان مُراد، وقال: سُلْطانُكم عندكم؛ فلْتذهبوا إليه وتخبِروه، في النهايةِ قال الأمراءُ: نحنُ لن نذهبَ مِن دُونِك، بالتأكيدِ وجودُك مهِمٌّ ضروريٌّ. وألَحُّوا في ذلك»[3].

---

(1) آنونيم تواريخ آل عثمان: نشر البروفسور كيزه ص 7: «يكى شهر ده قرار ايندى. غازيلرله اولر يابتردى. آنده طوراقلندى. آدنى يكى شهر قودى. ودخى عثمانك بر اوغل داخى طوغدى. آدنى على باشا قودى».

(2) لطفي باشا: ص 117: «سلطان مراده مغنسيا يه خبر اولوب سلطان مراد كلميوب بكوكز آنده در وارك اوغراشك ديو جواب ويردى عاقبت بكلر بز سنسز وارمزز بزم بكومز سنسك ديو اقدام ايتديلر».

(3) آنونيم تواريخ آل عثمان: ص 68: «بو طرفدن سلطان مراده مغنسيا خبر اولوب. سلطان مراد كلمدى بكوكز آنده در ديو وارك اوغراشك ديدى. عاقبت بكلر بز سنسز وارمزز. بزم بكومز سنسك آلبته سن بله اولق كركسك» ديديلر. اقدام ايتديلر.

فنجدُ أنَّ «لُطْفي باشا» أفادَ بشكلٍ كبيرٍ من هذا الكتاب، وهذا يعني أنه بخلافِ المصادرِ التي ذُكرت في الدراسةِ سابقًا؛ سواءٌ المُشاهَدةُ والمُشارَكةُ في الأحداثِ أو السَّماعُ أو تواريخُ السّابقين، فهناك مصادرُ اطّلعَ عليها المؤرِّخُ «لُطْفي باشا»، وأفادَ منها بشكلٍ أو بآخَرَ، سواءً اختصَرَها وكتبَها بأسلوبه مِن جديدٍ، أو نقلَ مِنها حَرْفيًّا أو أعادَ صِياغتَها، فإنه هناك مصادرُ أفادَ مِنها في تاريخِه ولَمْ يذكُرْها في كتابِه.

منهجُ لُطفي باشا في كتابةِ تاريخه:

لقدْ كان لتنوُّعِ مصادرِ لُطْفي باشا وانحصارِ أغلبِها في الموضوعاتِ العسكريةِ أثرٌ ملموسٌ في المنهج الذي اتَّبعَه في صياغةِ أحداثِ عصرِه وكتابِه، وقد تأثَّرَ المؤرِّخون العُثْمانيون بصفةٍ عامَّةٍ و«لُطْفي باشا» بصفةٍ خاصَّةٍ بالمؤرِّخين المُسلمين في المنهج الذي اتَّبعوه في تدوينِ كُتبِهم ومؤلَّفاتِهم التاريخيةِ، وتمكَّنَ لُطْفي باشا- لمعرفتِه باللغةِ العربيةِ والفارسيةِ- مِن الاطِّلاعِ على كتبِ المؤرِّخِين العربِ، أمثالَ: «ابن كثير» و«الطَّبَري»، ومِن الفرسِ، أمثال: «الفردوسي» و«المستوفي القزويني».

وينقسمُ المنهجُ التاريخيُّ عندَ المؤرِّخين إلى قِسمَين رئيسيَّين:

القِسمُ الأوّل: المنهج الحَوْلي.

القِسمُ الثّاني: المنهج الموضوعي.

والمنهجُ الحَوْلي في الكتابةِ التاريخيةِ معناه أنْ يكُونَ التأريخُ للأحداثِ حسبَ الزمانِ، وليس بحسبِ المكانِ أو الأشخاصِ. وفي المنهج الحَوْلي يتمُّ ربطُ الأحداثِ كلِّها في إطارٍ زمنيٍّ واحدٍ، هو الحَوْلُ أو العامّ، ويكونُ فيه المؤلِّفُ كمَن يصدرُ نشرةً إخباريةً بما حدثَ في هذا اليوم وما يليه، وذلك

العام وما يليه، وهكذا. ومَيْزةُ هذا المنهج وهذه الطريقةِ أنها تُعطينا سِجلًّا تفصيليًّا بالأحداثِ اليوميةِ والسنويةِ، وتجعلُنا نحسُّ بإيقاعِ العصرِ ونبضِ الحياةِ فيها، ولكنْ مِن عيوبِ هذا المنهجِ أنه يمزِّقُ سِياقَ الحادثةِ التاريخيةِ الكبيرة، التي تقعُ في عِدّةِ سنواتٍ متّصِلةٍ. ومِن أشهرِ المؤرِّخين الذين اتّبعوا هذا المنهجَ: «الطَبَري» في كتابِه المشهور «تاريخ الطَبَري».

أمَّا المنهجُ الموضوعيُّ فهو عِبارةٌ عن ربطِ الحدثِ التاريخيِّ بالمكانِ والأشخاصِ بشكلٍ خاصٍّ؛ فالحوادثُ التاريخيةُ تدورُ مِن خلالِ دولةٍ في منطقةٍ معيَّنةٍ أو مِن خلالِ تاريخِ شخصٍ معيَّنٍ، ويدورُ الزمانُ في إطارِ الأماكنِ أو الأشخاصِ، ومِن أشهرِ مَن استخدمَ هذا المنهجَ مِن المؤرِّخين العربِ: «الدِّينَوري» في كتابِه «الأخبار الطِّوال»، و«السّيوطي» في كتابِه «تاريخ الخُلفاء».

والمؤرِّخُ في هذا المنهجِ يتتبَّعُ قيامَ الدولةِ وأحداثَها مولِّيًا وجهَه شَطْرَها مِن البدايةِ إلى النهايةِ، ويكونُ السّردُ الزمنيُّ في إطارِ المكانِ والأشخاصِ، وينصرفُ جُهدُه إلى تجليةِ الموضوعِ مِن بدايتِه إلى نهايتِه، والمؤرِّخُ الذي يتناولُ تاريخَ شخصٍ ما يبدأ بميلادِه وسيرةِ آبائه، ثمّ يسيرُ مع نشأتِه إلى أنْ يصِلَ إلى وفاتِه.

والمُلاحَظُ أنَّ لُطْفي باشا قد تأثّر كثيرًا بالمؤرِّخين العربِ، وذلك لمعرفته باللغةِ العربيةِ، وتأثّر كثيرًا بطريقةِ سَرْدِهم للأحداثِ، وهكذا يكُونُ قد اتّخذَ مِن موضوعِ التأريخِ العسكريِّ للدولةِ العُثْمانيةِ منهجًا له؛ إذْ راحَ يعرضُ الأحداثَ في أثرِه عَرْضًا موضوعيًّا، وكان يعرضُ ما يتناولُه مِن حدثٍ، ويستمرُّ في عرضِه حتى نهايتِه، وذلك على الرغمِ مِن وقوعِ أحداثٍ أخرى خلالَ الفترةِ الزمنيةِ التي وقع فيها الحدثُ، ثمّ يعودُ بالزمنِ للوراءِ ثانيةً؛ ليعرضَ حادثةً أخرى.

ومثالُ ذلك عندما ذكرَ لُطْفي باشا موقعةَ «چالديران» بين السّلطان «سليم الأول» والشاه «إسماعيلَ الصَّفَوي» قال: «خرجَ السّلطان سليمٌ يومَ 22 مِن شهرِ محرّم سنةَ 920هـ من «أدرنة»، ووصلَ «إسلامْبُول» في اليومِ العاشرِ، وأرسلَ الرسائلَ إلى أطرافِ العالَمِ، وأمرَهم قائلًا: «ليستعِدَّ كلُّ شخصٍ بالعُدَّةِ والعَتادِ، ويعبُرُ إلى الجانبِ الآخرِ»[1].

ثمّ واصَلَ المؤلِّفُ حديثَه عن المعركةِ، وعن تبادُلِ الرّسائلِ بين الطرفَين، ثمّ سيرِ السّلطان «سليم» بجنودِه حتى وصلَ وادي «چالديران» فقال: «بعدَ ذلك نزَلَ السّلطان «سليمٌ» سُلْطانُ الرّوم بهذا الترتيبِ إلى الصّحراءِ»[2].

أمّا عن وصفِ المعركةِ فقدْ قال: «وبسُرعةٍ التقى الجيشانِ، وهجموا مثلَ الوحوشِ والحملانِ، ونزلوا مثلِ الجبالِ عليهم، وتصارَعوا مثلَ الأسودِ، وتدفّقوا عليهم مثلَ الأنهارِ، وأنهَوا مع بعضِهم البعض قدحَ الأجَلِ، وغابَ الرجالُ والخيولُ وسطَ الغُبارِ، وتحارَبوا على هذا النحوِ فترةً طويلةً من الوقتِ، وفي النهايةِ تحارَبَ الجيشانِ من صحوةِ الفجرِ حتى آخرِ وقتِ الظهيرةِ، وقُتل خلقٌ كثيرٌ مِن الفُرْسانِ والأبطالِ الشُّجعانِ، وسقطوا قتلى على الأرضِ»[3].

---

(1) لطفي باشا: ص 208: وسلطان سليم تاريخ هجرتك طقوز يوز يكرمسنده محرم اينك يكرمي ايكنجي كوني ادرنه دن كوجوب اون قونقده اسلامبوه واردي واطراف عالمه نامه لر براكنده ايدوب «هر كشي مكمل يراغله اوته يقايه كجسون» ديو امر ايدوب.

(2) لطفي باشا ص 227: آندن صكره روم بادشاهي سلطان سليم لشكرين اول صحرايه بو ترتيله ايندوريب».

(3) لطفي باشا: ص230: همانذم ايكي لشكر بولشوب قوجلر كبي اورشديلر وطاغلر كبي يرتدن قبوب طوقشديلر وآرصلانلر كبي آكرشديلر ودريالر كبي آقشديلر وبربرينه اجل قدحلرين صونشديلر وآداميلر وآتلر توز آراسنده بلورسز اولوب بو صورتله جوق زمان جنك وجدال

وهكذا كان «لُطْفي باشا» إذا سردَ حادثةً ما؛ فيبدأُ بالمقدِّماتِ ثمّ الأسبابِ وفي النهايةِ النتائجِ مثلما جاء في موقعةِ «چالديران»، وبعد ذلك، يلفتُ انتباهَ القارئِ إلى حادثةٍ أخرى، فبعدَ أنْ انتهى مِن موقعةِ «چالديران» قال: «وقضى السّلطان «سليم» موسمَ الشّتاءِ في «آماسيه»، وفي ربيع عام 921هـ جمعَ السّلطان «سَليم» جيشَه مرةً أخرى، وعزمَ على فتح قلعَةِ «كَماخ»، وكانت «كماخ» قلعةً حصينةً، عجزَ عن فتحِها السّلاطينُ القُدماءُ والحكّامُ الأقوياءُ، وصارُوا حَيارى عاجزين عن فتحِها[1].

وهكذا يمكِنُنا أنْ نقرِّرَ أنَّ «لُطْفي باشا» قد اتّخذَ المنهجَ الموضوعيَّ منهجًا أساسيًّا لأثرِه، ويتّضحُ ذلك جليًّا عندما تحدّثَ عن قضيةِ ظُلمِ ناقلي الرّسائلِ في الدولةِ العُثْمانيةِ، فقدْ ذكرَ بدايةَ ظهورِ البريدِ في عهدِ «عمرَ بن الخطابِ»، ثمّ انتقلَ إلى «الدولةِ العبّاسيةِ»، ثمّ إلى «المَغُولِ»، وذكرَ أنَّ «العُثْمانيّين» اقتدَوا بالمَغُولِ في هذا الأمرِ، وورِثوا هذا الظّلمَ مِن «المَغُولِ». وإذا كان «لُطْفي باشا» يتشعّبُ- أحيانًا- في ذِكرِ بعضِ الأحداثِ، إلّا أنّه يعودُ إلى الحادثةِ الأصليةِ، ويربطُ بين أحداثِها، ويستخدِمُ هذا التعبيرَ عندما يعودُ إلى الحادثةِ الأصليةِ؛ فيقولُ: (بز كيرو سُلْطان محمد قصه سنه كله لَم)، في أثناءِ حديثِه عن فتحِ القُسْطَنْطِينيةِ ذكرَ بعضَ الغرائبِ والعجائبِ وقصةَ بناءِ القُسْطَنْطِينيةِ، ثمّ عادَ إلى الموضوعِ الأصليِّ مرةً أخرى[2].

ضرب وقتال ايدوب، والحاصل ضحوه كيرادن شروع اولنوب ايكندونك آخر وقتنه دك صواش اولوب نيجه شير نر بهادرلر ونيجه سرورلر هلاك اولوب.

(1) لطفي باشا: ص239: وسلطان سليم اول قيش اماسيه ده قشليوب تاريخك طقوز يوز يكرمي برنده اول بهار اوليجق ينه لشكرين جمع ايدوب دخي كماخ قلعه سنك فتحنه عزم ايدوب وكماخ قلعه سي بر حصار ايدى كيم بادشاهان پيشين وسلاطين دوريين انك فتحنده عاجز وسر كردان وبى درمان اولمشلردى.

(2) لطفي باشا ص184: عن فتح القسطنطينية. ولطفي باشا ص371-384 عن موضوع البريد.

الخاتمة

منهجُ الباحثِ في ترجمةِ كتابِ تواريخُ آلِ عُثمان

قبلَ عرضِ منهجِ المُترجِمِ في ترجمةِ الكتابِ يجبُ الإشارةُ إلى بعضِ الاعتباراتِ، هي:

- الكتابُ الذي بيْنَ أيدينا يحتوي على نصٍّ أصليٍّ وحاشيةٍ؛ النصُّ الأصليُّ للمؤلِّفِ، والحاشيةُ للمُصحِّحِ وكاتبُ الحواشي «عالي» أمينُ مكتبةِ متحفِ الآثارِ العتيقة.

- اشتمالُ المتنِ والحاشيةِ أحيانًا على أشعارٍ ونصوصٍ ووثائقَ باللغتَيْنِ التُّركيةِ العُثمانيةِ والفارسية: وقد قامَ المترجِمُ بترجمتِها إلى لغةٍ واضحةٍ يفهمُها القارئُ العربيّ.

وقد قام المنهجُ الذي اتَّخذه المترجِمُ لإقامةِ النصِّ على قواعدَ عامَّةٍ تمَّ تطبيقُها سواءً على المتنِ أو الحاشيةِ. وهذه القواعدُ تشملُ التدخُّلَ سواءً في شكلِ النصِّ أو في مضمونِه. وكانت هذه التعديلاتُ على النحوِ الآتي:

- وضعُ علاماتِ الترقيمِ المناسبةِ بين الكلماتِ والعباراتِ والجُمَلِ.
- تقسيمُ النصِّ إلى فقراتٍ مستقلَّةٍ وفقًا للموضوعِ.
- وضعُ كلِّ ما تدخَّلَ به المترجِمُ مِن ترجماتٍ أو كلماتٍ أو عباراتٍ بين قوسَيْنِ معقوفَيْنِ [].
- تعريفُ بعضِ أسماءِ الأماكنِ والأعلامِ التي تركَها المؤلِّفُ ووضعَها

في الهامش.

– وضعُ عناوين عند بدايةِ كلِّ موضوعٍ جديد ثمّ كتابةُ عبارةِ «هذا مِن وضعِ المترجم» في الهامشِ، ووضع العنوان بين قوسين معقوفين.

– ترجمةُ كلِّ ما تضمَّنَه المتنُ والحواشي مِن إضافاتٍ تُركيةٍ أو فارسيةٍ أو وثائقَ إلى العربيةِ.

– وضعُ المقابِلِ الميلاديِّ للتاريخِ الهجريِّ سواءً في المتنِ أو في الحاشيةِ بين قوسَين.

الجزء الثّاني



التّرْجمة

جمهورية تركيا
دارُ نشر وكالة المعارف

تواريخُ آل عثمان

لـ لطفي باشا

يتناولُ وقائعَ الدّولة العثمانية حتى عام 961هـ / 1553م

المُصحّح وكاتبُ الحواشي
«عالي» أمين مكتبة متحف الآثار العتيقة

الطبعة الأولى

استانبول - المطبعة العامرة
1341هـ /1922م

ديباجة حول المؤلف والكتاب

يُسْعِدنا أنْ نطالعَ ترجمةَ المرحوم «لُطْفي باشا» مؤلِّفِ هذا الكتابِ، إذْ إنَّ قِسمًا منها دوَّنَه في مقدِّمةِ هذا الكتابِ، وقِسْمًا آخَرَ وردَ في مقدِّمةِ كتابه «آصفنامه». وأظنُّ أنَّ هذا القَدْرَ كافٍ بالنِسبةِ لمؤلِّفٍ اهتمَّ فيه مؤرِّخُه بإظهارِ أهمِّ النِقاطِ الجوهريةِ والأساسيةِ، وإنْ كانت ترجمةُ سيرتِه هذه قدْ دُوِّنتْ في الواقعِ بشكلٍ مختصَر.

وأنتظرُ الحُصولَ على الدَّعْمِ والعَوْنِ مِن مجلسِ التاريخ التُّركيِّ الذي يمتلكُ كافَّةَ الوسائطِ المتنوِّعة، مِن أجْلِ إمكانيةِ تسهيلِ كتابةِ ترجمةٍ مفصَّلةٍ للعُظماءِ مِثلَ «لُطْفي باشا».

وإذا ما ألْقَينا نظرةً هنالك على مؤلَّفاتِ المؤلِّفِ المعتبَرةِ يتبيَّنُ لنا أنَّ المُشارَ إليه «لُطْفي باشا» قدْ اشتغلَ بدأبٍ بعلم الحديثِ والعقائدِ والفقه، وأنَّه إنسانٌ عالمٌ، تلقَّى عِلمَ الأصولِ في الفقهِ والحديثِ، وعلى الرَّغمِ مِن أنه كان قد صنَّفَ كتابًا في الطبِّ أيضًا فإنه لَم يستطعْ تعيينَ اسمِ مناسبٍ له.

أمَّا عن آثاره الدينية، فلا أستطيعُ أنْ أُبْديَ رأيي فيها لعدمِ اطِّلاعي عليها، إلّا أنَّ تدوينَه للآثارِ الدينيةِ يدُلُّ على أنه يمتلكُ قدرةً علميةً فائقةً مِثلَ العلماءِ الكبارِ أمثالَ «أبو السُّعود» [1] و«ابن كمال» [2]. ونظرًا لعدمِ وجودِ

---

(1) هو محمد محيي الدين بن محمد بن مصطفى العمادي، الشهير بأبي السعود أفندي، ولد في اسكليب سنة 1490م، تولّى قضاء بورصة سنة 1533م، وتدرّج في المناصب حتى وصل إلى شيخ الإسلام 1545م، واستمرّ بها حتى وفاته سنة 1574م. انظر: محمد ثريا: سجل عثماني، استانبول: المطبعة العامرة، 1308هـ ج1، ص 169.

(2) هو شمس الدين أحمد بن سُليمان، من مشاهير العلماء الذين تولّوا منصب مشيخة الإسلام،

جزءٍ باللغةِ الفارسيةِ في مؤلَّفاتِه يمكِننا القولُ بأنَّ المؤلِّفَ لَم يكُنْ ضليعًا في اللغةِ الفارسيةِ.

وقدْ وردتْ أشعارٌ كثيرةٌ في ذلك الأثر، وبسبب أنه قدْ كتبَ في بعضِها عبارةَ «هكذا قال الشّاعر»، فيُفهَمُ أنَّ الأشعارَ قدْ كتبها شاعرٌ آخرُ، والأشعارُ التي لَم يضَعْ لها قيدًا مذكورًا يمكِنُ الحُكْمُ بأنها مِن شِعْرِه هو. والغريبُ أنَّ في المواضِعِ التي ذكرَ فيها أنها شِعرٌ آخرُ لَم يذكُرْ لنا أيَّ شاعرٍ قالَها، ولا في أيِّ كتابٍ ذكرَها.

مع أنّه ذكرَ في نهايةِ الصفحةِ الحاديةَ عشرةَ عِبارةَ [هكذا قال جالينوس تاريخ مناسِب لهذا المقام]، وإذا كان يُفهمُ مِن هذه العبارةِ أنَّ الذي قال الشِّعرَ شاعرٌ اسمُه جالينوس، فنفهمُ مِن معناها أنَّ النَّظْمَ المذكورَ كان لشاعرٍ يسمّى (جفر- جفرجى)، مِن منظومةِ جفر، وهو قائمٌ مقامَ جالينوس.

وإذا كان طاهر بك أفندي مؤلِّفُ كتابِ «عثمانلى مؤلفلرى» قدْ ذكرَ نقلًا مِن تذكرةِ سهى بأنَّ: لُطْفي باشا كان شاعرًا، إلّا أنه لَم يذكُرْ نُموذَجًا مِن شِعرِه. والحالُ إنَّ «سهى» صاحبَ التذكرةِ لَم يكتفِ بقولِ إنَّ لُطْفي باشا كان شاعرًا فقط، بل أوردَ واحدةً مِن غَزَليّاته النابعةِ مِن طبيعتِه علاوةً على قولِه «أشعاره الغرّاء وكلامه الطيِّب». وسوفَ أذكُرها هنا:

غَزَلٌ (1)

الغوثُ يازهرقي الباسمة لقدْ خرجتْ رُوحي مِن العُزْلة
وامتلأ العالَـمُ وغرِقَ مِن دُموعي الغوثُ

وعين في مشيخة الإسلام سنة 932هـ وتلقّب بـ(مفتي الثقلين). توفي سنة 940هـ. ش. الدين سامي: قاموس الأعلام، استانبول، مطبعة مهران، 1314 هـ، ج 5 ص 3886.

(1) تذكرة سهي المطبوعة ص 26.

ولو سألتِ عن يومي فهو بدُونك أسودُ مثل شعرك

وعِشتُ في الظلامِ يا ماء حياتي الغوث

وهـاجـمـنـي الأدعـيـاء، وطـعـنـوني

وقتها مَن سيرحمُني يا مليكتي الغوث

وعندما أموتُ بسبب هَجْرِك، سيزُورون قبري

ويسمعون مِن باطنِ الأرضِ أنيني وصِياحي الغوث

وصارَ [لُطْفي] لطريقِ المحبوبِ شهيدًا

وسامحتُ أعدائي الذين هَجَموني ظُلمًا، الغوث

وممّا يزيدُ مِن قيمةِ هذا الأثرِ وأهمّيته [موضوعُ الدراسةِ] أنَّ مؤلّفَه كان شاهدَ عِيانٍ على جميعِ الوقائعِ التي حدثتْ إبّانَ عصورِ ثلاثةِ سلاطينَ عِظام مِثلَ (بايَزِيد الثاني، وسليم الأوّل، وسُليمان الأوّل)، ومشاركًا في الحروبِ التي خاضتْها الدولةُ آنذاك، ويكفي التفكيرُ في أنه تدرّجَ في الوظائفِ حتى وصلَ إلى موقعِ الوزارةِ والصدارةِ العُظمى.

أمّا عن الكتابِ فلَم توجَدْ منه أيّةُ نسْخةٍ في مكتباتِ اسْتانْبُول، إلّا أنّه في النهايةِ عثرَ طاهر بك أفَنْدي على نسخةٍ ناقصةٍ مِن الكتابِ عند شمسِ الدينِ أفَنْدي (المِصري) شيخِ الخانقاه/ التكيةِ الموجودةِ بجانبِ «أولو جامع» [الجامع العظيم] في مدينةِ «بروسة»، وأخذَها أمانةً. وتنتهي هذه النّسخةُ بكلمةِ «شيروانده» [في شيروان] الموجودةِ في السطرِ الرابعِ مِن صفحةِ 435.

أمّا نسختُه الثانيةُ فلأنّها في المكتبةِ القوميةِ الموجودةِ الآنَ في «ويانه» [فِيينّا]، التُقِطتْ صورةٌ فوتوغرافيةٌ للصّفحاتِ اللازمةِ بمساعَدةِ كلٍّ مِن مديريةِ متحفِ الآثارِ العتيقةِ باسْتانبُول، والبروفسُور «فون قره ليج» الذي

كانَ يعملُ آنذاكَ أمينَ كتبٍ في المكتبةِ المذكورةِ، وبهذهِ الصورةِ استُدرِكَ نقصُ النسخةِ الأولى.

وكان تصحيحُ الفورمِ في أثناءِ الطَّبعِ في عُهدةِ «عالي بك» أمينِ مكتبةِ متحفِ الآثارِ العتيقةِ، وعندما قامَ المُشارُ إليه [عالي بك] بتقديمِ عُذرٍ مشروعٍ [بأنه لن يتمكَّنَ مِن تصحيحِ وكتابةِ الحواشي المكلَّفِ بها على الكتابِ]، على 27 فورمه/ على الفورمه 27، قمتُ أنا العاجزُ [كليسه لى معلم رفعت] بإكمالِ بقيَّتِها.

وبناءً عليه، فإنَّ التَّصحيحاتِ وكتابةَ الحواشي التي تمَّتْ حتى صفحة 432 تعودُ إلى «عالي بك»، وليستْ لي أيَّةُ عَلاقةٍ قطُّ بتلكَ الصفحاتِ، أمَّا ما قمتُ أنا بتصحيحِه فيبدأُ مِن صفحةِ 433، حتى إنَّ الأسطُرَ الثلاثةَ المُلاحَظةَ الموجودةَ في حاشيةِ صفحة 433 قامَ المُشارُ إليه «عالي بك» بكتابتِها مِن أجْلِ إكمالِ بحثِه. وخِدمتي تُعَدُّ ذرَّةً بجانبِ الشمسِ، وقطرةً بجانبِ البحرِ، حتى إنني لم أضَعْ اسمي على الكتابِ.

وقد كتبتُ فِهرسًا صغيرًا لهذا الكتابِ، ومع أنَّه كان مِن الممكنِ عملُ فِهرسٍ يحتوي على الممالكِ والأعلامِ مِن أجْلِ توسيعِ الفِهْرس، إلَّا أنَّني صرفتُ نظرًا عنه لاعتقادي بأنه لن يحقِّقَ نَفْعًا كبيرًا.

وإذا كان هناك قصورٌ في التَّصحيحاتِ التي كانت مِن نَصيبي فذلكَ مِن العَجَلةِ، وأتمنَّى مِن القُرَّاءِ أنْ يلتمِسوا لي العُذرَ، وأنْ ينالَ الكتابُ إعجابَهم.

معلِّم العربي بدار الفنون

«كليسه لى معلم رفعت»

تواريخُ آلِ عُثْمانَ
لـ «لُطْفي باشا»

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الملكِ الجبّار، الذي بيدِه الرفعةُ والذلّةُ، يجعلُ مَن يشاءُ عزيزًا، ويجعلُ مَن يشاءُ ذليلًا [يُعِزُّ مَن يشاءُ ويُذِلُّ مَن يشاءُ]، يجعلُ مَن يشاءُ فقيرًا، ويجعلُ مَن يشاءُ غنيًّا، يجعلُ مَن يشاءُ سيّدًا، ويجعلُ مَن يشاءُ عبدًا، ويجعلُ مَن يشاءُ سُلطانًا، ويجعلُ مَن يشاءُ راعيًا، والشكرُ لله الباقي، الذي أمرُه غالبٌ على السّلاطينِ والرّعايا، وحُكْمُه نافذٌ. والصلواتُ الأبديةُ، والتسليماتُ الكثيرةُ على رسولِ الثَّقَلَين سيِّدِ الحرمين الشريفين محمدٍ المصطفى، عليه أكملُ التحيةِ، وعلى آلِه وأصحابِه الذين اهتدَوا بِهُداه.

بعدَ حمدِ الله، والصلاةِ والسلامِ على رسولِ الله، وعلى آلِه وصَحْبِه: كتبَ هذه التواريخَ وجَمَعَها حاجُّ الحرمينِ الشريفينِ «لُطْفي باشا بنُ عبدِ المُعين» - يسَّرَ الله له مُرادَه في الدنيا والآخرةِ -. وقد قامَ بتأليفِ وتصنيفِ بعضٍ مِن تواريخِ آلِ عثمانَ، وبعضُها الآخرُ انتخَبَه واختصَرَه مِن كتبِ القُدامى. وهناكَ عِدّةُ أسبابٍ لكتابةِ هذا الكتاب:

أنَّ هذا العبدَ الحقيرَ[1] [لُطْفي باشا] الذي لا يساوي مِقْدارَ الذرّةِ نشأَ

(1) لقد درجَ كثيرٌ من الشعراء والأدباء والمفكرين العثمانيين والمؤرخين، من بينهم لطفي باشا على الإشارة إلى أنفسهم في تواضع جمّ باستخدام ألفاظ كـ «الفقير، والضعيف، والعاجز، والحقير». المترجم.

وتربَّى في عصرِ هؤلاءِ السَّلاطينِ، وتربَّى في قصرِ السُّلطان بايَزِيد- طيَّبَ اللهُ ثراهُ وجعلَ الجَنَّةَ مَثْواه-، وسعى معه في تحصيلِ المعارفِ والعلومِ طويلًا. ودرسَ العلمَ والاجتهادَ حتى جاء السُّلطان «سليم» وجلس على كُرْسيِّ السَّلْطنة. وكان السُّلطان «بايَزِيد» ماهرًا في كلِّ فنٍّ، وكان له قدرةٌ لا نظيرَ لها في شدِّ القوسِ، ورَمْيِ السّهام، وكان القوسُ الذي يقومُ بشدِّه لا يستطيعُ أحدٌ أنْ يشُدَّه في عصرِه. وكان صالحًا ومتدينًا، ومُحِبًّا للعلماء والصَّالحين.

وبعد ذلك، جاء السُّلطان «سليم خان»- أكرمَه اللهُ وعطَّر بنسيم الخُلْدِ تُرابَه- كان سُلطانًا عالمًا. ولَمْ يتأخَّرْ هذا العبدُ الحقيرُ ولو لحظةً عن خدمةِ هؤلاء، وشارَكَ معهم في كثيرٍ من الحروبِ والغزواتِ والحوادثِ والوقائعِ في دِيارِ الرُّوم وبلادِ الشَّرقِ والعربِ وحَلَب والشام ومِصْرَ وغيرِها مِن الأماكن. وكان هذا الحقيرُ يقومُ بخدمةِ هؤلاء حتى وفاةِ السُّلطان «سليم»، وكان السُّلطان «سليم» أصغرَ أبناءِ السُّلطان بايَزِيد، وكان دقيقَ النظرِ وأديبًا، وعالمًا باللطائفِ، وله في كلِّ الفنونِ باعٌ، ولا يوجدُ سُلطانٌ مثلُه في القيادةِ والأعمالِ التي يقومُ بها منذ عصرِ الإسكندر. وإنْ شاء الله تعالى سوف يُذكَرُ ذلك في موضعِه في هذا الكتابِ. وهذا العبدُ الحقيرُ [لُطْفي باشا] كان يعرفُ بدايةَ هذه الحوادث.

وفي تلك الأزمانِ، وتبدُّلِ وتغيُّرِ الأيام أصبحَ في زمنِ السُّلطان بايَزِيد الشَّاه إسماعيل بنُ الشيخ حَيْدَر سردارًا في بلادِ العجم، فقام أمير «ذو القادر» بالتوجُّهِ إليه، وصعدَ الجبالَ الوعِرةَ، وقامَ السُّلطانُ «بايَزِيد» أيضًا بإرسالِ وزيرِه «يحيى باشا»[1]، مع آلافٍ مِن الجنودِ إلى قلعةِ «أَنْقَرَة»[2]. وقد حدث

(1) كان مفوضًا من الديوان الهمايوني، وصهر السُّلطان بايَزِيد الثاني (ت 912هـ).

(2) ولاية تقع في منتصف شبه جزيرة الأناضول، ويحيط بها ولاية قسطموني من الشمال، وولاية

في إسلامبُول زلزالٌ كبيرٌ، أدّى إلى خرابِ كثيرٍ من الأماكنِ، وذهبَ السّلطان بايَزيد إلى «أدرنة»، وذهبَ السّلطان «سليم» مِن «طرابزون»[1] إلى «كفه»، ومن «كفه» توجّهَ إلى «أدرنة»، وحاربَ والدَه السّلطان «بايَزيد» بالقربِ مِن منطقةِ «چورلى».

وبعد ذلك، أصبحَ سليم هو السّلْطان، وكلُّ الأعمالِ التي قامَ بها في بلادِ الرومِ والعجمِ والعربِ جميعُها محفوظةٌ في الذاكرةِ، وعندما تُوفي السّلطان «سليم» تولّى الحكمَ مكانَه ابنُه السّلطان «سُليمان»، وعاد هذا الحقيرُ مرّةً أخرى إلى خدمةِ الركابِ الهمايوني، وقد وقعتْ عِدّةُ حروبٍ في ذلك الوقتِ، أوّلُها حملةُ «بلغراد»، ثمّ «رودس»، ثمّ حملةُ المَجَر «أنجروس» التي كانت مشهورةً بحملةِ «موهاج»، وبعدها حملةُ «بش»، وبعد ذلك، «آلامان»، ثمّ حملة «القزلباش»، وفيها استولى على بغداد.

وبعد ذلك، كانت حملةُ «آولونية» [أفلونيا]، وعبرتْ السفنُ إلى ولايةِ «بولية»[2]، وكان هذا الحقيرُ قائدًا على السّفنِ، وغنِمَ المسلمون أموالًا وغنائمَ كثيرةً. وبعد ذلك، وقعتْ حملةُ «قرة بغدان»، وكان الحقيرُ في خدمةِ السّلطان ومشارِكًا في الحملاتِ معه حتى عام 948هـ.

وفي أوائلِ شهرِ محرّمِ الحرامِ، قامَ السّلطان ملجأ العالَم بنقلِ الصدارةِ[3]

خداوندكار في الغرب، وقونيه في الجنوب، وفي الشرق سيواس: علي جواد: ممالك عثمانيه نك تاريخ وجغرافيا لغاتي، جلد1، درسعادت 1313هـ.

(1) هي مدينة تقع على ساحل البحر الأسود، وهي مدينة تجارية، وبها كثير من الآثار الهامّة: علي جواد: ممالك عثمانيه نك تاريخ وجغرافيا لغاتي، جلد1، درسعادت 1313.

(2) بولية: ذكر كتاب صحائف الأخبار، المطبعة العامرة 1285 ج3 ص 493 أن لطفي باشا وخير الدين باشا قادة البحار ذهبوا بالعسكر إلى منطقة بولية.

(3) أصبح خادم سُليمان باشا صدرًا أعظم بعد لطفي باشا.

التي كانت في عُهْدةِ هذا الحقيرِ إلى شخصٍ آخَرَ، وأخذ هذا الحقيرُ إجازةً شريفةً، وكان هدفُه وأقصى مَطْلَبِه الذهابَ إلى الكعبةِ المعظَّمةِ/ مكَّةَ المكرَّمةِ، وبذلك يكونُ قد حجَّ الحرمينِ الشريفينِ في رعايةِ دولتِه، وعندما عادَ مِن الحجِّ ودخلَ بلادَ الرومِ انعزلَ عن الخلقِ، وتفرَّغَ إلى تحصيلِ العلومِ والمعارفِ وجالَسَ الكتبَ المهمَّةَ كما قال في ذلك الشاعر:

الكتبُ النفيسةُ هي خيرُ أنيسٍ   إنها في الزمانِ خيرُ جليسٍ[1]

وكان مشغولًا في أكثرِ الأوقاتِ بالتفقُّدِ والتحصيلِ، والإفادةِ والاستفادةِ، حتى إنه ألَّفَ وصنَّفَ كثيرًا مِن الكتبِ العربيةِ والتُّركيةِ في الشريعة.

أمَّا الكتبُ العربيةُ فهي:

- كتابُ زُبدةِ المسائلِ في الاعتقاداتِ والعباداتِ.
- الكنوزُ في لطائفِ الرموزِ في الأحاديثِ الأربعين[2].
- رسالةٌ في تصحيحِ النيَّةِ والعملِ بها.
- رسالةٌ في تقريرِ الأرواحِ أين يصيروا إذا أُخرِجوا مِن هذه الأجسادِ.
- رسالةٌ في تقريرِ مَن أحبَّ لقاءَ[3] اللهِ ومَن كرِهَه.
- رسالةٌ في تقريرِ الشهداءِ وما يتعلَّقُ بأمورِ الآخرةِ.

---

(1) جاء في زينة المجالس لـ "رجائي زادة أحمد جودت أفندي" في مجموعة منتخبات مصارع، المطبعة العامرة 1258 هـ ص 152 "شو انيس كتابهاى نفيس.

(2) موجود في مكتبة الكتب الشرقية الموجودة في إمبراطورية مكتبة ويانه رقم 1001، وجاء اسمه باسم «كتاب الكنوز في لطائف الرموز في الأحاديث الأربعين» في النسخة المندرجة في قسم المقدمة في الصفحة رقم 224، من المجلد الثاني لكاتلوج الكتب الشرقية التي نظمت من طرف كوستاو فلوكل.

(3) جاءت في الكاتلوج المذكور ج 2 ص 224 «رسالة في تقرير مَن أحبَّ لقاء الله أو ربّه ومَن كرهه.

- رسالةٌ في خصائصِ أهلِ السنةِ والجماعةِ وفي بيانِ أهلِ الأهواءِ والضلالةِ.

- رسالةٌ في تصحيحِ صلاةِ الجُمعةِ وما يتعلقُ بها مِن الفضائلِ والآدابِ.

- رسالةٌ في بيانِ دخولِ الحمّامِ وما يتعلقُ به، والاختضابِ وتقليمِ الأظافرِ.

- رسالةٌ في بيانِ متى تنقطعُ معرفةُ العبدِ مِن الناسِ عند حالةِ الموتِ، وفي التوبةِ وبيانِها، وفي التائبِ مَن هو.

- رسالةٌ في بيانِ التداوي والمصائبِ وتلقينِ الميّتِ وما يُستحَبُّ مِن أحوالِ المُحتضَرين عند الموتِ.

- رسالةٌ في بيانِ أفعالِ العبادِ، ويُعنى به الاختيارُ الجزئيُّ.

أمّا الكتبُ التُّرْكيةُ:

- كتابُ تنبيهِ الغافلين وتأكيدِ الغافلين [1]، وهذا الكتابُ متعلّقٌ بأصولِ الدينِ.

- كتابُ تُحْفةِ الطالبين، وهذا الكتابُ متعلّقٌ بالإيمانِ والعباداتِ.

- كتابُ الحياةِ الأبديةِ: وهذا الكتابُ متعلّقٌ بأهلِ السُّنّةِ والجماعةِ وأهلِ الأهواءِ والبدَعِ وألفاظِ الكفرِ.

- رسالةُ سؤالٍ وجوابٍ.

- رسالةُ النيّةِ: متعلّقةٌ ببعضِ المسائلِ المهمّةِ والطبِّ.

- أمورُ المهمّاتِ.

---

(1) في نسخة ويانه: «كتاب تنبيه الغافلين وتأكيد الغافلين».

- تواريخ آل عثمان: وهو مثلَ القمرِ اللامع الذي يُنظَرُ إليه للعبرةِ، والشمسِ المُضيئةِ التي تعطي شُعلةَ السُرورِ لقلوبِ قُرّائه.

والسببُ [الآخَرُ] في تأليفِ هذا الكتابِ هو أنك عندما تطالعُ السِيَرَ المختلفةَ لكلِّ واحدٍ من السّلاطينِ الذين مرَّ ذِكرُهم في التواريخِ السابقةِ تجدُ عدالتَهم وظُلمَهم وجَورَهم وضَعفَهم وتديُّنَهم بالدينِ الإسلاميِّ وصِحّةَ عقيدتِهم في اللهِ عزَّ وجلَّ. وهذا معلومٌ مِن جُملةِ هذه التواريخ، منذُ عهدِ الرسولِ- صلى الله عليه وسلم- وحتى انقطاع الخلافةِ عن الخلفاءِ الراشدين.

أمّا طائفةُ العثمانيّين فعقيدتُهم طاهرةٌ ونقيةٌ، وهُم المسلمون السُنّةُ الذين تزيّنوا بمكارمِ الأخلاقِ، وبقانونِ السّلاطينِ السّابقين، وبحُكمِ الخواقينِ عاليِ الشأنِ. وهُم الحكّامُ الذين يستحِقّون التّاجَ والعرشَ؛ لأنهم زيّنوا حُكمَهم بالشريعةِ، وبسُنّةِ حضرةِ النبيِّ المطهّرة، أمّا في وقتِ الحربِ والغزوِ فكانوا أبطالاً يُضرَبُ بهم المثلُ مِثلَ مَلْحمة «رُسْتُم» [1]، ويتدفّقون مِثلَ السيلِ على الكفارِ الأشرارِ وعلى الملاحدةِ الكفّارِ، ويقضُون عليهم ويُبيدونَهم مِن على وجهِ الأرضِ.

وكانت عقيدةُ آلِ سلجوق [السّلاجقة] طاهرةً، ولَم يتدخّلْ [العثمانيون] في حُكمِهم، وباتّفاقِ جميعِ المؤرّخين أنّ السلاجقةَ هُم الزعيمُ والمُرشِدُ للدولةِ العثمانيةِ [لآل عثمان].

نعم، إنَّ كلَّ الطوائفِ الذين كانوا سلاطينَ في الأمّةِ الإسلاميةِ كان كلُّ واحدٍ منهم متّهماً بالإثم والذنب؛ فبعضُ بني أميّةَ كانوا مشهورين بالخوارج، وبعضُ بني العبّاسِ عُرِفوا بالاعتزالِ والرّفضِ، وأكثرُ آل بُوَيْه وبني ليث

(1) بطل أسطوري فارسي خيالي، وهو أبعدُهم صيتاً وأبقاهم ذكرًا. (المترجم).

والفاطميّين والقرامطة [1] اشتهروا بالزندقة والإلحاد. وأكثرُ الغزنويّين[2] والخُوارَزْميّين[3]، والسلغريّين[4] كانوا يكفُرون بنعمة السّلاطين، ويخرُجون على حُكّامِهم، ويتمرّدون عليهم ويعصُونَهم، ويحكُمون مكانَهم بدلًا عنهم.

فكان العثمانيّون يحذَرُون كُفْرانَ النِعمة، حتى إنّه ذكرَ في بعضِ كتبِ التواريخ أنَّ «عثمان غازي» عندما كان أميرًا على إمارة، قال: «فإنّني أعتزِلُ الإمارةَ ما دام السّلاجقةُ هُم الذين يحكُمون».

وذُكِر في «تاريخ كُزيده» [5] أنَّ غياثَ الدين مسعود- مِن السّلاجقةِ- كان حاكمًا على الرّوم مِن طرفِ «غازان خان» في عام 697هـ مِن هجرةِ النبيِّ عليه الصلاة والسلام. وتُوفّي في هذا العام «غياث الدين مسعود»، وولّى «غازان خان» ابنَ أخيه «مسعود قيقباد» الحُكمَ. وعندما وصلَ «قيقباد» إلى الرومِ شنَّ بعدَ فترةٍ قصيرةٍ الحربَ على «غازان خان»، فقام «غازان خان»

---

(1) القرامطة: مفردها قرمطي، رئيسهم أبو طاهر سُليمان بن سعيد الحسن بن بهرام، وسميت الجماعة باسمه واسمهم كركسة. وتوجد تفصيلات في تاريخ أبي الفداء، المطبعة العامرة 1280 هـ ج2، ص79، 77، 71، 64، 58، وفي ترجمة وفيات الأعيان، المطبعة العامرة 1280هـ ج1، ص 9-187 بخصوص الوقائع التاريخية.

(2) سلالة تركية أُغوزية حكمت في أفغانستان وخراسان وشمال الهند ما بين 977-1150م، ثمّ في البنجاب حتى 1186م. مقرّها كان غزنة بين عامي 977 هـ و1156م ثمّ لاهور منذ 1156م. انظر: ويكيبيديا: مادة الغزنويين.

(3) هي سلالة تركية مسلمة سنية حكمت أجزاء كبيرة من آسيا الوسط وغرب ايران بين سنوات (1077-1220) انظر: ويكيبيديا، مادة: الخوارزميين.

(4) سلغريلر: تطلق سلغر على هذه العائلة وعلى الدولة السلغرية وعلى هذه الحكومة التي تنسب إلى سلغر، وجده سنقر بن مودود مؤسس الحكومة المذكورة من سلالة الأتابك التي حكمت في فارس.

(5) كزيده: حمد بن أبي بكر بن حمد بن نصر المستوفي القزويني، من وزراء غياث الدين محمد ودون الكتاب في تاريخ 730هـ ويتكون من فاتحة وستة أبواب وخاتمة، وتوجد معلومات عن هذا الكتاب في كشف الظنون طبعة بولاق ج2، ص 171، وطبعة استانبول 1311، ج 2، ص 309.

بإرسالِ جيشٍ كبيرٍ إليه، وقُبِضَ عليه وسُلِّمَ إلى «غازان خان». وبعد ذلك، انتقلتْ الإمارةُ إلى «عثمان غازي».

وذُكِر في كتاب« تواريخ الفردوسي» [1] أنَّ السّلطان «عثمان غازي» حكمَ في حياةِ السّلطان «غياثِ الدِين مسعود»، وكان العثمانيّون يتجنّبون آفةَ كُفرانِ النّعمةِ، ويتجنّبهم هذا بارك الله لهم في أعمارِهم وأملاكِهم ومُلكِهم. وإذا واجهتْ هذه الطّائفةُ المبارَكةُ أيًّا من الأعداءِ- مَهْما كانت عِدّتُهم وعتادُهم- فإنَّ الله يمنحُهم الغَلَبَةَ والنصرَ عليهم.

وكان «عثمان غازي» مجدِّدَ الدِينِ الإسلاميِّ على رأسِ القرنِ السابعِ الهجريِّ؛ لأنَّ في ذلك الزمانِ كان خروجُ «جنكيز خان» الّذي انتصرَ على المُسلمين، وأهان الدِينَ الإسلاميَّ أيّما إهانة، حتى كُتبُ التّواريخِ ذكرتْ أنّه: منذ ظهورِ «جنكيز خان» حتى العصرِ الذي تولّى فيه «عثمان غازي» الإمارةَ كان الكفّارُ المغُولُ ينتصرون على المُسلمين في كلِّ إقليمٍ ومكانٍ، ويهجُمون عليهم في المُدنِ والبلادِ والقرى، ويقيمون دُورَ العبادةِ بدلًا عن المساجدِ، ويتعبّدون فيها، ويقيمون ضيافةً في أيِّ مكانٍ ينزلون به.

وعندما يذْهبون مِن هذا المكانِ يُرسِلون الرُسلَ إلى البلادِ التي يذهبون إليها، وعندما ينزلُ التّتارُ إلى أيّةِ قريةٍ فإنهم ينهَبون خيراتِها، ولا يرضَون بغيرِ ذلك، ويشربون الخمرَ، ويتمتّعون بالنّساءِ. وكان الرجالُ الفقراءُ المغلوبُ على أمرِهم يضعُون الشرابَ والخمرَ والنّساءَ في الأسواقِ، وفي المدنِ والقرى؛ مِن

(1) تاريخ الفردوسي: الفردوسي الطوسي هو أبو القاسم حسن ابن اسحاق بن شرفشاه، من الهند (هندستان)، إيران، وطبع الكتاب في أوروبا على دفعات، وحول نثرًا للعربية، وتُرجم إلى الإنجليزية وإلى الفرنسية، ودون أيضًا كتابه الشاهنامه، من 306 مجلد والفردوسي من الشعراء العثمانيّين. وتمّ انتخاب 80 مجلدًا منهم من طرف السّلطان بايزيد.

أجلهم، ويعرضون نساءهم في القرى، ويأخذ التتارُ مَنْ تُعجبهم مِن النساءِ؛ وأصابت المسلمين محنةٌ شديدةٌ في ذلك الوقت.

وقد أخبر النبيُّ- صلى الله عليه وسلم- قائلًا: «إنَّ الله تعالى يبعثُ لهذه الأمَّة على رأسِ كلِّ مائةِ سنةٍ مَن يجدِّدُ لها دِينَها»[1]. وكان النبيُّ- صلى الله عليه وسلم- هو مجدِّدَ المائةِ الأولى؛ إذْ قال- عليه الصلاة والسلام-: «خيرُ القرونِ قرني» [2]. ولا يوجدُ اختلافٌ في أصلِ رأسِ المائةِ، ولكنْ يوجدُ اختلافٌ في القرنِ، فقدْ ذكرَ بعضُهم أنَّ القرنَ أربعون سنة، وقال بعضُهم إنَّ القرنَ ستُّون سنة، وقال آخرُون إنَّ القرنَ ثمانون سنة.

ولكنَّ الصحيحَ أنَّهم يُطلِقون على المائةِ عام قرنًا؛ لأنه رُوِي عن النبيِّ- صلى الله عليه وسلم- أنَّه قال ذاتَ يوم لأصحابِه في الصباحِ: «هل رأيتم ليلتكم هذه». فقالوا: نعم يا رسولَ الله. فقال الرسولُ- عليه الصلاة والسلام-: «لا يأتي على الناس مائةُ سنةٍ وعلى وجهِ الأرض أحدٌ كبيرًا كان أو صغيرًا». والمعْلومُ أنَّ القرنَ مائةُ عام، ومِن الصعبِ أنْ يعيشَ الإنسانُ أكثرَ مِن مائةِ عامٍ، وإذا وُجِدَ فهو نادر. وذُكر في كتابِ «تواريخ مسكويه»[3]،

(1) جاء هذا الحديث الشريف في العزيزية، المطبعة الأزهرية في مصر، 1324 هـ ص 378 بلفظ «إنَّ الله تعالى يبعث لهذه الأمَّة على رأس كلِّ مائة سنة مَن يجدِّد لها دينها»، وتوجد أيضًا رسالة باسم «التنبيه بمَن يبعثه الله سبحانه وتعالى على رأس كلِّ مائة» للإمام السيوطي، ص331، وكشف الظنون عن أسامي الكُتب والفنون، 274 طبعة بولاق ج1، ص 254، وطبعة استانبول، 1311 هـ ج1 ص 331.

(2) صحيح، جاء بلفظ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثم الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثم الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثم يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ). رواه البخاري (2652)، ومسلم (2533).

(3) هو أبو علي أحمد بن محمد بن مسكويه، المتوفَّى في عام 421هـ وله كتاب تاريخي معروف وهو (تجارب الأمم وتعاقب الهمم). وتوجد معلومات عن هذا الكتاب في كشف الظنون، طبعة

وكتاب «طبقات الفقهاء»[1] لـ «أبو إسحاق الشيرازيّ» أنَّ صحابةَ رسولِ اللهِ- صلى الله عليه وسلم- قد تُوفُّوا بين عامِ تسعين إلى مائةِ هجرية.

ومُجدِّدُ القرنِ الثاني الهجري هو «عمرُ بنُ عبدِ العزيز»[2]؛ لأنَّ بني أميَّةَ قد أحدثوا بِدَعًا[3] في الدِّينِ، فرفضَها وقضى على كثيرٍ منْها، وعلى المذاهبِ التي انتشرتْ بين الناسِ، وقام بإصلاحِ ما أفسدوه.

ومُجدِّدُ القرنِ الثالثِ الهجريِّ هو «المعتصِمُ»[4] بنُ «هارونَ الرشيدِ» مِن العبَّاسيِّين؛ لأنَّ أخاه «محمد الأمين»[5] قد أحدثَ بِدَعًا كثيرة. واعتنقَ أخوه

بولاق ج1 ص 191. وطبعة اسْتانْبُول ج1 ص 248.

(1) أبو إسحاق الشيرازي: هو إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي، وورد اسمه في قاموس الأعلام ج1 ص685 «جمال الدين إبراهيم بن علي فيروزآبادي»، ولد عام 393هـ، وتُوفِّي عام 476هـ في بغداد. وأصله فارسي سكن في بغداد عندما توفي والده، وكان يعمل في شيراز، وكان يعمل مدرسًا في المدرسة النظامية حتى وفاته.

(2) عمر بن عبد العزيز: هو ابن عبد العزيز، مِن أولاد مروان، وهو ثامن ملوك بني أمية. وكانت مدّة خلافته سنتين وخمسة أشهر، نشر العدل، ولا يشبهه أحدٌ من ملوك بني أمية، وتُوفِّي مسمومًا في دار سمعان التي تقع في أرض حمص، في رجب 101 هـ عن عمر 39 سنة.

(3) من أسوأ جملة هذه البدع سبّ سيدنا علي، كرّم الله وجهه، على المنابر، وذكر أبو القاسم جار الله محمود ابن عمر الزمخشري، المتوفّى سنة 528 هـ في تفسيره المسمّى بـ «الكشاف عن حقائق التنزيل» طبعة المطبعة الشرقية في مصر، 1307 هـ ج1 ص535 في تفسيره للآية الكريمة [إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ] التي قرنت في نهاية خطبة اليوم حيث قال في البحث الذي كتبه في هذا الباب «ولعمري أنها كانت فاحشة ومنكرًا وبغيًا ضاعف الله لمَن سنَّها غضبًا ونكالًا وخزيًا إجابة لدعوة نبيه وعاد مَن عاده». وورد ذلك أيضًا في كتاب (تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين) للإمام السيوطي 1305 هـ طبعة مصر، ص94، بالاضافة إلى كتاب (آثار التواريخ) ص36.

(4) المعتصم بالله محمد، ولد سنة 179 هـ مدّة خلافته ثمان سنين وثمانية أشهر ويومان. توفي في ربيع الأول 227 هـ في سامراء ودُفن بها.

(5) محمد الأمين: ولد سنة 169 هـ مدة خلافته أربع سنين وسبعة أشهر وثلاثة وعشرون يومًا. مات

«المأمونُ»[1] مذهبَ الرفضِ والاعتزالِ، وقال بأنَّ القرآنَ مخلوقٌ، واحتقرَ العلماءَ والفضلاءَ وأهانَهم.

وكانَ «المعتصمُ» أيضًا متَّهمًا بالاعتزالِ، ولكنَّه قضى على بعضِ البِدَعِ التي أحدثَها إخوتُه ومَحاها. وقد أظهرَ «بابك حرمي»[2] مذهبَ الزَّنْدَقةِ لمدَّةِ عشرين عامًا، ودعا الناسَ لاعتناقِ مذهبِه الباطلِ بالقوَّةِ، فاتَّبعه كثيرٌ مِن الناسِ، وكان قد فتحَ ولايةَ «أذَرْبيجان» و«الأرْمَن» وبعضَ مدنِ العراقِ. وعندما تولَّى المعتصمُ الخلافةَ عملَ بجدٍّ واجتهادٍ، وقضى على «بابك الخُرَّمي» ومحا مذهبَه الفاسدَ، وذلك مكتوبٌ ومشهورٌ في كتبِ التواريخِ.

ومشهورٌ أيضًا أنَّ قلعةَ أنقَرة في ذلك الوقتِ كانت تحتَ حُكْمِ الكفَّارِ، فوقعتْ امرأةٌ مسلمةٌ في أسْرِ الكفارِ، واعْتَدوا عليها؛ لأنَّها كانت ذاتَ عقيدةٍ طاهرةٍ. وذاتَ يومٍ تعدَّى أحدُ الكفارِ عليها بالأذى فقالت «وامؤمناه»، «وامعتصماه، تعالَ وأنقِذْني مِن الكفارِ». فضحكَ الكفارُ، وقالوا: «سيأتي المعتصِمُ على حصانٍ أبيضَ ويخلِّصُكِ مِن أيدينا». وعندما سمعَ الخليفةُ المعتصِمُ هذا الخبرَ تركَ كلَّ شيءٍ وجهَّزَ جيشًا، وانطلقَ به في الشتاءِ والثلجِ حتى وصلَ إلى قلعةِ «أنقرة»، وحاربَ الكفَّارَ واستولى على القلعةِ، وأنقذَ[3]

في محرم 198هـ قتله طاهر ذو اليمين الذي كان قائدًا لعسكر أخيه المأمون حين كان سجينًا.

(1) عبد الله المأمون: ولادته 170هـ ومدّة خلافته عشرون سنة وخمسة أشهر وواحد وعشرون يومًا. وتُوفِّي في طرطوس في رجب 218 هـ ودُفن بها. ووردت أخباره في كتاب كنه الأخبار في الباب السادس، ج1 ص205.

(2) بابك حرمي: ظهر في زمن الخليفة المأمون، وأظهر مذهبًا سمّاه البابكية/ الفرخية. وفي 223 هـ قُبض عليه مِن قِبَل رجال المعتصم بالله والأمراء الأتراك بالقرب مِن «أفشين»، ونقل إلى بغداد وأعدم هناك. وكانت جماعته تسميه بابك فرخ.

(3) ورد في تاريخ أبي الفداء 1280هـ المطبعة العامرة، ج2 ص36 أخبار عن هذه القلعة، وكانت

هذه المرأةَ مِن أيديهم. وقد ذكروا أنَّ جنودَ جيشِ المعتصمِ كانوا يمتطُون الجيادَ البيض.

وكان مُجدِّدُ الدينِ في القرنِ الرابعِ الهجريِّ هو «القادرُ باللهِ أحمدُ بنُ إسحاقَ بنِ المقتدرِ»[1] مِن العبّاسيّين، واعتنقَ حكامُ مصرَ والشامِ الفاطميون في زمنِه دِينَ القرامطةِ، ودَعَوا الأمراءَ الذين يحكُمون في ديارِ الإسلامِ إلى هذا الدّينِ والمذهبِ الباطلِ، واستطاعوا أنْ يصرِفوا النّاسَ إلى هذا الدّينِ الباطلِ باللّينِ وبالقوّةِ، وبإعطاءِ الرّشوةِ. ولكنَّ القادرَ باللهِ كان مطّلِعًا على أعمالهم؛ فعملَ بجدٍّ واجتهادٍ لمحوِ هذه العقيدةِ الخبيثةِ، وأرشدَ النّاسَ إلى عقيدةِ أهلِ السنّةِ والجماعة.

ومُجدِّدُ الدّينِ في القرنِ الخامسِ الهجريِّ هو «محمدُ بنُ ملك شاه» مِن نسلِ السّلاجقةِ. كان معروفًا بالدينِ والتّديُّنِ وموصوفًا بالعدلِ والأمانةِ، ذا رأيٍ صائبٍ، وعهدٍ ثابتٍ، ووعدٍ صادقٍ. وبلغَ غايةَ المجدِ في إعزازِ الدّينِ وقهْرِ الملاحدةِ الملْعونين. وكان له يدٌ بيضاءُ في حمايةِ بيضةِ الإسلامِ، وبلغَ غايةَ الاجتهادِ والسّعيِ في محْوِ البدعةِ والإلحادِ، وقد انتصرَ على الملاحدةِ في قلعةِ «دركوه» عند بابِ «أصْفهان». وقد حاصرَ هذه القلعةَ سبعَ سِنينَ، ولم يسترِحْ ليلًا أو نهارًا، ولَمْ يهدأْ له بالٌ حتى قضى على الملاحدةِ الكفارِ تمامًا. ومحا كلَّ آثارِ الإلحادِ والكفرِ أيًا كانت. وكانت سياستُه قطعَ العلاقةِ مع الكفّارِ، وقطعَ رؤوسِهم في الحالِ. وقد ذُكر ذلك مفصَّلًا في «تواريخ آل سلجوق».

ومُجدِّدُ الدينِ في القرنِ السّادسِ الهجريِّ هو السّلطان «غازان خان بنُ

تسمّى «عمورية» في زمن الخلفاء العباسيّين.

(1) والده إسحق، وتولّى الخلافة بعد وفاة أبيه، وخلع عمّه طايع زاده، مدّة خلافته إحدى وأربعون سنة، وأربعة أشهر. وتُوفّي في بغداد وعمره اثنان وسبعون عامًا، ودفن هناك.

أرغون خان بن هو لاكو خان بن طلي خان» مِن نسلِ «جنكيز خان» [المَغُول]، وقد تركَ دِينَ آبائه وأجدادِه واعتنقَ الدِّينَ الإسلاميَّ؛ دِينَ رسولِ اللهِ- صلى الله عليه وسلم-؛ الذي هو منيرٌ كالشمسِ. ومنذُ ظهورِ جدِّه «جنكيز خان» حتى إعْلانِ إسلامِه كانت قد أُقيمت في بلادِ الإسلامِ كثيرٌ مِن الكنائسِ وبيوتِ الأوثانِ، فأمرَ بهدْمِها في الحالِ، وأزالَ كلَّ البدعِ وألغى الخراجَ الذي فرضَه الكفارُ على المُسلمين. وفرحَ المسلمون شرقًا وغربًا بإسلامِ «غازان خان»، وفرحوا بمَحْوِه للبدعِ، وكانوا يرجُون ذلك منذ زمنٍ بعيدٍ، ويتمنَّون اللّحظةَ التي يرَونَ فيها ذلك.

ومُجدِّدُ الدِّينِ في القرنِ السّابعِ الهجريِّ هو «عثمانُ غازي»، وقد شُرِح ذلك فيما سبقَ[1].

ومُجدِّدُ الدِّينِ في القرنِ الثّامنِ الهجريِّ هو السّلطان «محمدُ بنُ السّلطان يلدرم بايَزِيد خان» مِن نسلِ آلِ عثمان؛ إذْ ظهرتْ في عصرِه طائفةُ جغتاي، يعني جيش «تَيْمُورلنك» مِن الشَّرقِ. فأهان أهلَ الإسلامِ وأذلَّهم؛ وأيَّدَ أهلَ البدعِ لدرجةٍ لا يمكنُ وصفُها. وتأريخُ خروجِه كان مناسبًا لكلمةِ «خراب»[2].

ومُجدِّدُ الدِّينِ في القرنِ التّاسعِ الهجريِّ هو السّلطان «سليم الأول» مِن

(1) : انظر الصفحة رقم 6.

(2) عند الحساب نجد أنها في سنة 803 هـ وكما هو موضح في الجدول الآتي: (المترجم)

الحرف	قيمته العددية
خ	600
ر	200
أ	1
ب	2

العثمانيين، وأحيا سُنَّةَ رسولِ ربِّ العالَمين؛ لأنَّ العصرَ الذي تولَّى فيه السَّلْطَنة كان العالَمُ مليئًا بالفِتنةِ والفساد. وقد ذكر «جالينيوس» تاريخًا مناسِبًا لهذا المقامِ:

مِن أيِّ صدد يترك جزءًا مِن التاريخ
هــذا الحـكـيـمُ الخـبـيرُ الحـذِر
كـان الـعـالَمُ لمـدَّةِ خمسٍ وعشرين سنة
مليًّا بالضعفِ والفتنةِ والقتلِ بلا حسابٍ

وكان السّلطان «بايَزيد خان» سُلْطانُ الرومِ قد طعنَ في السّنِّ، وانتشرتْ الفتنُ والقلاقلُ في ولايةِ الرّوم وفي كلِّ مكانٍ، وعجَّ العالَمُ بالفتنِ وانقلبَ رأسًا على عقِب. وقد نصحَه ابنُه السّلطان «سليم» بإصلاحِ ذلك. وقد خرج في ديارِ الشّرقِ الشّاه «إسماعيل» ابنُ الشيخِ حيدر، وانتصرَ على أمراءِ الشّرقِ، وانتحلَ مذهبَ الرافضةِ. وكان جميعُ أهلِ السّنّةِ والجماعةِ في ضعفٍ وذلٍّ وتشتُّتٍ بصُورةٍ لا يمكنُ التعبيرُ عنها. وكان الشّاه «إسماعيل» قد استولى على أموالِ ومتاعِ كلِّ مَن هو سُنّيّ، ثمّ يقومُ بعد ذلك بقتلِهم، حتّى لم يبقَ أحدٌ مِن أهلِ السّنّةِ في «عراق العرب» و«عراق العجم» و«أذرَبيجان» و«خُراسان» و«فارس»، و«كَرْمان»، وقد قال الشاعرُ:

كــلُّ مُـلـحـدٍ وزنــديـقٍ في الـعـالَمِ
إذا تجـمـعـوا فـإنهـم يـتـبـعـونَـه
واعــتــنــقَ مــذهــبَ الـرافـضـةِ
وكـان مُـفـسِـدًا وبـلا دِيـنٍ باختيارِه
جمعَ الجيشَ وسـاروا فـوجًـا فوجًا
وانتشرَ الملحدون في العالَمِ مثلَ الموجِ

ونـــادَيـــنـــا بـــالـــغـــزوِ في غـــزاتـــنـــا

فقد تعرّضوا لأهـلِ الإســلامِ بالإيذاءِ

لَم يُـوجـد مـكـانٌ في الـــشرقِ لَم يُـهـدَمْ

وإنـــما ســـاروا عـلـيـه بـالهـجـومِ

وكـــــلُّ مـــكـــانٍ يـــنـــزلـــون بـه

يدعون فيه إلى المهديِّ صاحبِ الزمانِ

وعندما وصلَ مُلكُه في خُراسانَ وهرات

كـــان يـطـلـبُ هـــنـــاك مـــاءَ الحـيـاةِ

وفي نهايةِ الأمرِ عندما تولَّى السّلطان «سليم» الحكمَ بعد وفاةِ والدِه؛ تركَ كلَّ هذا المالِ والجاهِ، وقام بجمعِ جيشٍ كبيرٍ بالعدَّةِ والعتادِ، وخرجَ مِن «إسلامْبول» واتَّجهَ إلى «تبريز»، وعانى مِن المشقَّةِ والتَّعبِ؛ وكان هدفُه ومقصدُه إحياءَ مراسمِ الدينِ وإجراءَ مراسمِ سُنةِ سيِّدِ الأنامِ والمرسَلين. ووفَّقه الله تعالى في عملِه ومطلبِه، ومحا أولئك المفسِدين الملحدين مِن صحائفِ الدّهرِ. وعاد السّلطان «سليم» مِن هذه الحملةِ متَّجهًا إلى «إسلامْبول»، واستقرَّ بها، وبعد فترةٍ جاءت الرّسائلُ مِن علماءِ ما وراءَ النهرِ، وتمَّ اختصارُ صورِها، وكُتبت بهذه المناسبةِ في هذا المكانِ:

هو فـتّـاحُ الأبـوابِ لكلِّ ملكٍ كريمٍ

ومفتاحُ الأسبابِ لكلِّ قلبٍ سليمٍ(1)

---

(1) توجد هذه الرسالة في منشآت السّلاطين لـ فريدون بك، طبعة المطبعة العامرة، ج1 ص417، وهذا البيت موجود في صفحة 416، وهو بداية الرسالة الفارسية.

أيّها الأسدُ المصورُ يا مَن بمثابةِ الخَضرِ الثاني
يتوسَّلُ إليك عبدُك الفقيرُ خواجه متلا صفاهانى
يا مليكَ عرشِ الخلافةِ
وقمرَ فلكِ العدالةِ
يا مَن تتَّصِفُ بصفاتِ سُليمان ولك أنفاسُ عيسى
وخصالُ النبيّ أنت الوليُّ المقدَّمُ
يا قائدَ ملكِ السخاءِ
وبطلَ مسالكِ الشجاعةِ
يا سُلْطانَ الدِينِ والدنيا
يا مَن أنت ملكٌ وابنُ ملِكٍ إنك خسرو الزمان
يا مَن شمسُ وجهِه هي أوجُ الجلالِ
وأهلُ الأرضِ هُم بمثابةِ ذرَّةٍ في حاجبِك
عند ظهورِك زُيِّنَ العالَمُ مِن نورِك
وشعرَ الناسُ بالحبِّ والسرورِ لجمالِك
أيّها الملكُ الذي دقَّ طبولَ البشرى في العالَمِ
فكان صداها رسالةٌ بلغتْ رجالَ الدِينِ
إنَّ السّلطان سليم هو خسرو ملاذ الدِينِ
ودرّةٌ يتيمةٌ بين أصدافِ الزمانِ[1]

---

(1) بعد هذا البيت بيت، وهو: "تابدى حق يوليدا طريق هدا، خلد الله ملكه ابدا: الترجمة: يا مَن سلك طريق الحقّ طريق الهدى، خلد الله ملكه أبدا.

فـــاهـــدْ أهــــلَ الإســــلامِ
وارعَ طـريـقَ الـــشرعِ المُـبـينِ
فــقـــدْ أقـــمــتَ الـــعــدلَ
وليسلُكْ طريقَ عدلِك الخلفاءُ الأربعةُ
فلتعلمْ أنك أنت أنت الأمانُ لأهلِ الدِينِ
أنــت مـهـديُّ آخِــرِ الــزمــانِ[1]
مليكي لقد عـرضـتُ عليك حالي
بيـد إنِّي لَمْ أقــدِّمْ كــلَّ مـا عندي
فاجعلْني أبـلُـغُ مُـــرادي بلُطفِك
إنــنــي المـشــتــاقُ إلى الــعــدلِ
إنني المسكينُ كنتُ ذاتَ مرَّةٍ فقيرًا بخُراسان
ومرَّةً أخري كنتُ بائسًا في بلادِ البلقان
وقــد رأيـــتُ مِحنـةَ الـوطـنِ وبــلاءه
ورأيتُ مملكةَ الدِينِ قد مُحِيتْ عن الأوطانِ
إن الكفرَ هـو هـــادمُ سرايـا الـدِيـنِ
وهـــو الــــذي يحـتـــلُّ مـكـانَـه

(1) توجد عدّة أبيات بعد هذا البيت، وهي على هذا النحو: بار عدل وسخاك ايچون حيران، يوز تومان خاتم ايله نوشروان، بويله كيم سنده يار فتح وظفر، قدرت، حقدورزنه فعل بش، من ديان كيم زمانه شاهيسين، بلكه سن قدرت الهى سين". الترجمة: من أجل عدلك وكرمك يظل الإنسان حيران، وخاتمك هو خاتم انوشروان، فمن غيرك يملك الفتح والنصر، وأعطى لك الله القدرة في فعل البشر، فأنت سلطان الزمان، فلتعلم أنك تعمل بقدرة الله".

البدعةُ والفِسقُ قد جعلا العالَمَ خرابًا
وأصابَ كلَّ رجلٍ في العالَمِ
لَم يكُنْ هناك مكانٌ لَم يصِلْه الخرابُ
وعمَّ الخرابُ كلَّ أركانِ الشرعِ
ونارُ الكفرِ جعلتْ قلبي بمنزلةِ الشواءِ للكبابِ
فقد خربتْ الدينَ الإسلاميَّ
والمذهبُ السُّنيُّ هو مذهبُ الطهور
فهو معلِّمي وأنا تابعٌ لِما فيه مِن علمٍ ودِينٍ
لذلك حاربني أهلُ البدعِ
بل إنهم جفوني
أنا فقط لا أهاجِم هذا البلاءَ
بل المِحنة والظلم والابتلاء
يا مَن رأى جفاءَ الناسِ
وشهدَ البلاءَ المنطلقَ مِن أهلِ البدعِ
والعالَمُ يتوسَّمُ فيك الخيرَ
بل وكلُّ بني آدمَ في العالَمِ[1]
شُدَّ خيطَ [رباطَ] الكفرِ
وسارِعْ في تخليصِ الممالكِ الإسلاميةِ مِن الأتربةِ
وامْضِ فخُراسانُ تنتظرُك
فلْتقِمْ السَّلْطَنة في خُراسانَ

(١) هذا المصراع هو: لطفينه منتظر بني آدم الترجمة: وبنو آدم ينتظرون لطفك.

وكـذلـك يشتاقُ إليك أهـلُ الـعـراقِ

نعم فالرُوحُ والجسدُ إليك في اشتياقٍ

الملِكُ والشحّاذُ في بلادِ ما وراءِ النهرِ

على الـــدوامِ يــدْعــونَ لــك بالنصرِ

وأنْ تـــزدادَ دولــتُــك اتّـســاعًا

ويضعفَ عــدوُّك ويطأطئ الــرأسَ

فـبـالـعـزمِ تـكـونُ الـسـعـادةُ والـنـصرُ

وبـالـحـزمِ تـــرُدُّ الـكـفـرَ وتـدفـعُـه

ولْـتـحـمِ أهــلَ الإســلامِ مِــن الغمّ

وتـنـصُرْ الـديـنَ مِـن الـبـدعِ والمِحَـنِ

فالطُفْ وهيِّئ أسبابَ العلاجِ للمرضى

ولْتحسِنْ مِن أجْلِ الخيرِ على الضعفاءِ

فأنت الآنَ سندٌ لذلك الـعـالَمِ الجديدِ

ودِعـــامـــةُ الـــشـــعـــوبِ المـتـديِّـنـةِ

إنَّ الـخـــواجـــه حـــزيـــنٌ حـزيـنٌ

كبدُه مُثخَنٌ بـالجـراحِ ومُفعَمٌ بالدمِ

ودائمًا يتمنّى الخواجه صفاهانى وصالَك

ويـتـضـرَّعُ إلى اللهِ بـبـقـاءِ دولـتِـك

ودورُك هو أنْ تردَّ أهلَ الكفرِ والبدعِ

لكي تضمنَ حـيـاةَ جـسـدِك الـخـالـدةَ

ولْيكُنْ عرشُك مظفَّرًا على الــدوامِ

ولْـــتـــدُمْ دولـــتُـــك أبـــدًا

وينبغي ذِكرُ صورةٍ أخرى مِن الرسالةِ التي أرسَلوها إلى [السّلْطان سليم]، ومطلعُها [1]:

ألا أيُّها القاصدُ المباركُ المنظر

احمل حاجتي إلى الشّاه المظفّر

وقُلْ يا ملِكَ العالَمِ أجمعِ

إنك اليومَ في المروءةِ مشهورٌ

أنت وضعتَ في الدنيا أساسَ الدِينِ

وأنت أقمتَ شرعَ المصطفى

وقد جدَّدتَ الدِينَ بِهمَّتِك

والعالَمُ مَدِينٌ لك بفضلِك

وإذا كان ملكُ الشريعةِ مستقيما

فذلك بفضلِ دولةِ السّلطان سليمِ

والفُرْسُ والتُّركُ مِن خوفِك متزلزِلين

حيث ألقيتَ تاجَ القزلباشية عن رؤوسِهم

***

إنَّ القزلباش مِثلَ الثعبانِ الأفعى

فلا جدوى ما لَم تسحَقْ رأسَه

وأنت اليومَ بالأوصافِ الشريفةِ

للهِ ولمحمدٍ خليفةٌ

(1) جاء في مطلعها البيت: هو فتاح الأبواب لكلّ ملك كريم، ومتاح الأسباب لكلّ قلب سليم.

فهل يجوزُ أنْ يسُبَّ الملاحدةُ والمجوسُ
والمجيون أصحابَ محمد
فإذا لَمْ تستحقْه بالشجاعةِ
وإنْ عدتَ دون قطعِ رأسِه
وإنْ سَلِمَ بالحصولِ على الأمانِ
فسأُمسِكُ بتلابيبِك يومَ القيامةِ
وهكذا قرأتُ في أخبارِ النبيِّ
أنَّ ذا القرنين كان قيصرَ الرومِ
وقد جعل نفسَه مشهورًا بذِي القرنين
لأنه ضمَّ مُلكَ فارسَ إلى مُلكِ الرومِ
وقد حكمَ العالَمَ قرنين
وصار حُكمُه نافذًا في الشرقِ والغربِ
فأقبِلْ وحطِّمْ الصنمَ نُصرةً للدينِ
وضُمَّ مُلكَ فارسَ إلى عرشِ الرومِ
فسيأخذُ ذو القرنين المسلمُ المشرقَ
والغربَ ثانيةً بالسعادةِ والإقبالِ
وفي أخبارِ الملاحمِ في الصحابةِ
هكذا روى الكاتبُ في الكتابةِ
أنه في الإسلامِ بعد (قرونٍ عديدةٍ)؟
يأتي ذو قرنين آخرُ متدينٌ

وأنـــت ذلـــك المـــتـديّـنُ الـفـاتـحُ
الــذي هو ذو القرنين مـوعـودُ العالَمِ
فأقبِلْ وأزِلْ العناءَ عن وجـهِ العالَمِ
واقتلْ الثعبانَ الأفعوان وخُـذْ الكنزَ
ومُـــرادي مِـن هـذا ليس الكنزَ والمـالَ
بـل غـرضي كـنـزُ رِضــا ذي الجــلالِ
إذا كان ذو القرنين قد صارَ سعيدًا بقرنيه
فلْيكُنْ لك عُمرُ ومُـلـكُ مائةِ قرنٍ
يا إلهـي فلْيعمِّرْ سيِّدُنا البلادَ ويصِرْ
فـاتحًـا غــازيًـا مِـثـلَ ذي القرنين
ويـــنـــوِّرْ الـــعـــالَمَ بـــنـــورِه وعـــدلِـــه
فـقُـلْ آمِـين آمِـين إلى يــومِ المحشرِ

ويشهدون بمضمونِ هذه الرسائلِ المكتوبةِ بأنَّ: السّلطان «سليم خان الأول»- عليه الرحمةُ والغفرانُ- كان مجدِّدَ الدِّينِ على رأسِ القرنِ التاسعِ الهجريِّ، وأنّ الله أحيا به الدِينَ الإسلاميَّ.

بدايةُ دولةِ آلِ عثمان

حكاية: ذُكر في التواريخِ أنَّ نسلَ «عثمان غازي» بنَ «أرطغرل» بنِ «سُليمان شاه غازي»... إلخ، عمودِ النَّسبِ وفيه ستةٌ وثلاثون أبًا. وعندما نتصدَّى بالحديثِ عن «يافث» فهو مشهورٌ في كتبِ التواريخ؛ ويافث هو ابنُ «سيدِنا نوح» عليه أفضلُ الصلواتِ وأكملُ التحياتِ، وهو جدُّ الأوغوز[1]. وأغوات وخانات آشغة الذين هُم مِن عشائر[2] الأوغوز، والذين هُم مِن جماعة قالي خان[3]، والذين لديهم محبَّةٌ زائدةٌ واعتقادٌ في سرورِ الكائناتِ وأفضلِ الموجوداتِ [صلى الله عليه وسلم]، كانوا سلاطينَ في مدينة «ماهان»[4]، ويُروى أنَّ «أبا مُسلم مروي»[5] [خرج] مِن هذا النَّسل.

(1) جاء في كتاب «لهجه عثماني» 1306 هـ الطبعة الثانية ج1 ص 128 أنَّ كلمة أوغوز/ اوز مخفَّفة، وترقيقها هو اوكز، بمعنى (صافي أو نقي)، طاهر مبارك، رجل صحراوي. وتطلق على الرجل القروي الريفي.

(2) بوي: سلسلة العشيرة.

(3) قالي خان: عشيرة عظيمة من عشائر التركمان.

(4) ماهان: جاء في قاموس الأعلام ج 6 ص141 : «أنها مدينة صغيرة في مسافة مرحلتين على الجانبين من منطقة ولاية كرمان، ومعروفة عند العرب بماهات». ووردت في معجم البلدان 1869 هـ طبعة لايبزيغ، مجلد 4 قسم أول ص405. وطُبع هذا الكتاب كلمة مقدمة في مصر في هذا الباب. وقاموس الأعلام 1272هـ المطبعة العامرة، ج3 ص 748 ذكر أنَّ: الماهان مثنى، وتطلق على بلدة نهاوند، وهي ماه الكوفة وماه البصرة، ومعلوم أنَّ ماه بهلوي يطلق على البلدة والمدينة، وعندما فتح حذيفة قلعة همدان وصل مِن هناك إلى قلعة نهاوند، وكانت نهاوند مدينة صغيرة آنذاك، فأمر العساكر بمحاصرتها، وذهب عسكر الكوفة إلى دينور، وبقي عسكر البصرة داخل نهاوند، لذلك أطلق على المدينة ماه الكوفة، وعلى نهاوند ماه البصرة. وبناءً عليه أطلق العرب على دينور ونهاوند ماهان، وماه وماه اسم بلدتين. أمّا كلمة ماهان فهو اسمُ رجل. وورد الكلامُ على ماهان في (فرهنك انجمني اراى ناصري)، 1288هـ طبعة ليتوغرافيا في طهران.

(5) هو أبو مسلم الخراساني، اسمه عبد الرحمن، والده من قرية ماخوان من قرى مارو. ولد في

ولمَّا قامَ «جنكيز خان» الذي خرجَ مِن ولاية «خطاي» [1] بتخريبِ «سنجبازراء» [2]، و«سَمَرْقَند» و«بَلْخ» وأكثرِ بلادِ «خُراسان» بسببِ السّلطان «محمد نكش» [3]، وهو مِن الخوارَزْميّين، قامَ بتخريبِ وتدميرِ مدينة «ماهان»، عندما سلبَها ونهبَها وجعلَ أهلَها يئنُّون، فرحلَ «سُليمان شاه» الذي هو جدُّ «عثمان» إلى ولايةِ الرّوم في تلك الفتراتِ، ووصلَ إلى «أرزنجان»[4]، ومِن «أرزنجان» وصلَ إلى ولايةِ الرّومِ التي هي بجوارِ «أماسية». وبدأ يغْزُو هناكَ فترةً طويلةً. وخرجَ مِن هناكَ إلى «حَلَب»، ومِن «حَلَب» توجَّهَ إلى قلعةِ «جعبر» [5]، وكان يقصدُ عبورَ نهرِ الفُراتِ. لكِنْ جرى القضاءُ والقدرُ على هذا النّحوِ الذي ابتُلي فيه «سُليمان شاه» قبل جميعِ الخلقِ، وجُرِحَ، واختفى مع حصانِه في البحرِ، وتجمَّعَ النّاسُ عندما ماتَ غرقًا، وفعلوا ما فعلوا، وأخرجوه مِن الماءِ، ودفنوه أمامَ قلعة «جعبر»، التي ضريحُه بها الآنَ مشهورٌ[6].

آذربايجان وعمل مع الدولة العباسية بعد انهيار الدولة الأموية في الشام، وبعد أن ولي أبو جعفر المنصور الخلافة في 25 شعبان 137هـ أمر بقتله غدرًا في حضوره بالقرب من مدينة صغيرة تسمّى رومية المدائن بالقرب من الأنبار في شاطئ دجلة. وله ترجمة في كتاب وفيات الأعيان1280هـ المطبعة العامرة ج1 ص 320، 313.

(1) ختا: بلدة شمال الصين وكان جزءًا منها تابعًا للأتراك منذ القدم.

(2) من المحتمل أن تكون في النسخة الأصلية أسبيجاب، أو سنجاب.

(3) نكش: الصواب أنها تكش.

(4) أرزنجان: (أرزنكان) بلدة في تُركيا الأسيوية، في ولاية ارضروم، تقع بالقرب من نهر الفرات. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، بيروت 1977م، ج1 صـ 150، ش. سامي: قاموس الأعلام، مهران مطبعة سي، استانبول، 1306هـ/ 1889م، ج2 صـ 827.

(5) جعبر: قلعة على نهر الفرات بين بالس والرقة قرب صفين، تقع اليوم في سوريا. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، بيروت 1977م، ج2 ص141، ش. سامي: قاموس الأعلام، مهران مطبعة سي، استانبول، 1306هـ/ 1889م، ج3 ص1816.

(6) ذكر عاشق باشا زادة في تاريخه 1332هـ المطبعة العامرة ص3: إنه مكان معروف بـ «مزار تركي» (تورك مزاري).

وكان لـ «سُليمان شاه» ثلاثةُ أبناء، الأولُ اسمُه:«سنقوردكن» [1]، والثاني:« كون طوغدى»[2]، أمّا الثالثُ فهو:«أرطغرل» الذي هو جدّ «عثمان». وقد هاجرَ الإخوةُ الثلاثةُ من قلعةِ «جعبر» ووصلوا إلى نهرِ «قبور»، وأقاموا عنده لفترةٍ، ثمّ ذهب الأخوانِ «سنقور» و«كون طوغدى» إلى ولايةِ العجم. أمّا «أرطغرل» فقد انفصلَ عنهم وذهبَ إلى ولايةِ الروم؛ إلى السّلطان «علاءِ الدينِ» الذي كان مِن السّلاجقةِ، وكان مقيمًا في ولايةِ «اليونانِ»؛ أيْ أنه كان السّلطان الأعظمَ في ولايةِ «قرمان». وهو الذي أمرَ ببناء «قونية» [3] و«سيواس» [4] . فأرسلَ «أرطغرل» رجُلًا إلى السّلطان «علاءِ الدينِ»، وطلبَ مِنه مكانًا ليستقرُّوا فيه. واستقبل السّلطان «علاءُ الدينِ» أرطغرل استقبالًا حسنًا، وكان حاكمُ «قرجه حصار» [5] وحاكمُ «بيله جك» [6] في ذلك الوقتِ تابعين للسّلْطانِ «علاءِ الدينِ»، ويدفعونَ الخَراجَ له، فمنحَ السّلطان «أرطغرل» المنطقةَ الواقعةَ بين «قرجه حصار وبيله جك» كمكانٍ

(1) سونغار: النسر، الأمير، القائد.

(2) كون طوغدى.

(3) قونية: عرفت قديما (ايقونيوم)، وتعرف اليوم (الوكونيه)، مدينة في تُركيا الآسيوية، في ولاية قرمان، كانت عاصمة الدولة السلجوقية، انظر: ش. سامي: قاموس الأعلام، مهران، مطبعة سي، اسْتانبُول، 1306هـ/ 1889م، ج5 ص3781.

(4) سيواس: مدينة في تُركيا الآسيوية، اليوم هي إحدى المدن التركية، انظر: ش. سامي: قاموس الأعلام، مهران مطبعة سي، اسْتانبُول، 1306هـ/ 1889م، ج4 ص 2793.

(5) قره جه حصار: مدينة في تُركيا الآسيوية، في ولاية خداوندكار، تقع شرق مدينة بروسا. انظر: ش. سامي: قاموس الأعلام، مهران، مطبعة سي، اسْتانبُول، 1306هـ/ 1889م، ج5 ص 3624.

(6) بيله جك:(بله جك، بلاجك، بلجك)، بلدة في تُركيا الآسيوية، في ولاية خداوندكار، تقع جنوب شرق مدينة بروسا، انظر: ش. سامي: قاموس الأعلام، مطبعة مهران، اسْتانبُول، 1306هـ/ 1889م، ج2 ص1444.

للمَصيفِ، وأعطاه أيضا «سكوتجك»(1) مِن أجلِ المَشْتى، فوصلَ «أرطغرل» برجالِه وأتباعِه إلى هناك، واستوطَنوا في ذلك المكانِ. وسكنَ «أرطغرل» لعدَّةِ سنواتٍ في «سوكوت». ورزقَ اللهُ- جلَّ وعلا- «أرطغرل» ثلاثةَ أبناءَ أحدُهم يُسمَّى «عثمان»، والثاني «كوندوز»، والثالث «صاوجي»(2)، وكان أقواهم «عثمان»، وكان الناسُ يُحبُّونه ويجلُّونه، وتجمَّعَ الأتراكُ حولَه في الصيدِ والقنصِ. وكان كلُّ مَن ولي الحُكمَ مِن سلاطينِ السلاجقة يُعاملُ «أرطغرل» و«عثمان» بالعطفِ والحنانِ.

فكانوا غايةً في التَّديُّنِ والشُّهرةِ والفضلِ، وموصوفين بالشَّجاعة، لذلك كان السَّلاجقةُ لا يتأسَّفون على الإذنِ لهم بالإقامةِ بجوارهم، وتُوفِّي الشيخُ العجوزُ «أرطغرل»، فحكمَ «عثمانُ» مع إخوتِه العشيرة، وكانوا يحكُمون ويخدُمون الأتراكَ الذين هاجَروا معهم جميعًا.

وفي تلك المُدَّةِ اتَّحدَ أمير «أسكي شهر» و«كوسه ميخال»(3) حاكمُ كفارِ «خرمن قيا»(4) بسبب امرأةٍ(5)، وانطلقوا لحربِ «عثمان غازي»، ووقعتْ الحربُ. وفي النهايةِ شتَّتَ «عثمان غازي» شَمْلَهم وهزَمَهم شرَّ هزيمةٍ، ووقع

(1) سكوتجك: (سكود، سوغوت)، مدينة في تُركيا الآسيوية، في ولاية خداوندكار، تقع شرق مدينة بروسا. انظر: ش. سامي: قاموس الأعلام، مهران، مطبعة سي، استانبول، 1306هـ / 1889م، ج4 ص 2587.

(2) جاء في كتاب «تواريخ نسل آل عثمان» الموجود في مكتبة آياصوفيا رقم 3018 ص 6: أنه ابن اردوكرول صاروبن، ويطلقون عليه صاوجي. وفي كتاب لهجه عثماني 1306هـ الطبعة الثانية ج1 ص 486 اسمه صاوه جي أو ساوه جي: ساروه جي صروياتي ابن ارطغرل.

(3) جاء في كتاب جامع الدول ج 2: أنه سمي بعد إسلامه وهدايته عبد الله.

(4) خرمن قيا: هي قلعة خربة داخل خرمن التي كانت مركز للقضاء في ولاية خداوندكار.

(5) هي كريمة الشيخ اده بالي: توجد تفصيلات عن ذلك في جهانيا تشرى.

«كوسه ميخال» في الأسْرِ، ولمَّا عرفَ «عثمان غازي» أنه شجاعٌ لَم يقتُلْه، وعفا عنه، وأعتقَه مِن الأسْرِ.

وبعد ذلك، أحبَّ «كوسه ميخال» عثمانَ محبَّةً عظيمةً. واتَّفقتْ كتبُ التواريخِ أنَّ «أرطغرل» تُوفِّي وعمرُه ثلاثٌ وتسعون سنةً. وقال في ذلك الشاعرُ:

كان العصرُ هو عصرَنا وفيه الفلكُ القديمُ
إنما إلى الدنيا الفلكُ العظيمُ
عندما يكونُ مثبتُ الدولةِ لا حظَّ له
مِن أجْلِ ذلك لا داعيَ للحزنِ والغم
عندما يذهبُ يبقى المالُ والشبابُ
ولا داعيَ لشيءٍ مِن الألمِ والمشقَّةِ
لماذا جاء هذا العصرُ بهذه الحيلةِ
تموتُ الوردةُ وفي الأرضِ يبقى شوكُها

[رؤيا عثمان غازي][1]

يُروى أنه وقع لـ «عثمان غازي» ما يلي: «رأى ذاتَ يوم في منامه رؤيا غريبةً، واستيقظَ منها قُرْبَ صلاةِ الصّبحِ، فقام وتوضَّأ وصلَّى الصّبحَ، وجلسَ يتأمَّلُ ويفكِّرُ في الرؤيا التي رآها، ثمّ عرضَها على خاطرِه، وكان هناك رجُلٌ في ذلك الوقتِ مِن الأتقياءِ يُطلَقُ عليه «الشيخ أده بالي»[2]، وكانت قد

(1) هذا العنوان من وضع (المترجم).

(2) هذا الشخص أصله من ديار قرمان. درس مبادئ العلوم في بلده، ورحل إلى الشام ودرس التفسير والحديث وأصول الفقه والفروع، وتوفي عام 726 هـ. وذكر عاشق باشا زاده في تاريخه ص 3 أنه دفن في بيله جك.

ظهرتْ عليه بعضُ الكراماتِ عدّةَ مرّاتٍ، وهو ذو ثروةٍ وأموالٍ كثيرة.

فجاء «عثمان غازي» وقصَّ على «أده بالي» رؤياه التي رآها، وقال: «يا شيخُ لقد رأيتُ قمرًا خرجَ مِن حُضنِك، ودخلَ حُضني، ولمّا دخلَ في حُضني نبتتْ مِنه شجرةٌ عظيمةٌ في بطني، عمّتْ ظِلالُها العالَمَ، وتحتَ ظِلّها جبالٌ وأشجارٌ وصحاري وفيافي، ويخرُجُ مِن أسفلِ كلِّ جبلٍ وشجرةٍ مياهٌ تتدفَّقُ وتسيل، ويشربُ بعضُ الناسِ مِن هذه المياهِ، وبعضُهم الآخَرُ يسقي الحدائقَ، وبعضُهم الآخَرُ يسقُونَ بساتينَهم، وبعضُهم أيضًا يسقُون زرعَهم، والسّواقي تدورُ والعيونُ تتدفَّقُ وتسيلُ، وهذه هي الرؤيا التي رأيتُها.

فكَّرَ الشّيخُ «أده بالي» قليلًا في تفسيرِ هذه الرؤيا، وقال: «إنها البُشرى لك أيُّها البطلُ؛ لقد أعطيتُ السّلطَنة لذُرّيّتك، وأنت ستتزوّجُ ابنتي، ويكونُ أولادُك مِنها»[1].

---

(1) كتب المؤرخ شيخ الإسلام خواجه سعد الدين أفندي في هذه الرؤيا شعرًا، فقال:

ومطلعها صدر الشيخ عالي القدر … كانت الرؤيا التي رأيتها على وجه القمر

ونبت منها فروع بلا مقدار … نبتت شجرة عظيمة في ظهر عثمان

ومنبتها في بطن عثمان الطاهرة … وظلّ الشجرة هو ظلّ الله

أصلها ثابت وفرعها خيرها ثابت … ومن الحظ أنّ الشجرة ذات ثمار

وأوراقها تملأ الأفاق … وهكذا كان ساقها عاليا

ويخرج تحت كل جبل الماء الزلال … ظلّها يغطي الجبال والتلال

ويسقي الناس منها البساتين … ويسقي الخلق من هذه الينابيع

ويسقي الناسُ بساتينَهم مِن الماءِ … ويشربُ الناسُ مِنها ماءَ الحياةِ

والبعضُ يسيرُ في الفناءِ والصحراءِ … ويبني الناسُ هناك العيونَ

وكانت العبرةُ مِن اده بالي والاستعبار … ويقال إنَّ حُسنَ الحظِّ قد ظهرَ

وتصيرُ أولادك وتمليكُ العرشَ … قلت أنت الشابُّ حسنُ الحظِّ

فتزوَّجَ «عثمانُ غازي» ابنةَ هذا الشَّيخِ، ثمّ أنجب «أورخان»، وبعد وفاةِ «أرطغرل» جلس «عثمان غازي» مكانَ والده على العرشِ، وأعلنَ انقيادَه وتبعيَّته للسَّلاجقة. وكان أُمراءُ التُّركِ الذين هُم مِن عشيرة الأُوغوز التي كانت في تلكَ الحدودِ آنذاك قد تفرَّقوا خوفًا مِن «التتار» إلى حدودٍ أخرى، وكانوا يقضُون الصَّيفَ والشّتاءَ فيها، وتزايدوا كثيرًا مع مرورِ الوقتِ.

[إمارةُ عثمان غازي][1]

وبصِفةٍ عامَّة، قد تجمَّعَ أولئك الذين يقولون عليهم «أوغوز» وأمراؤهم وكتخداتهم [2] وجاءوا إلى جوارِ «عثمان غازي» وتشاوروا معه وعرفوا الأمرَ برُمَّته، وبعد الكلامِ والقيلِ والقالِ، كانت مُحصِّلةُ كلامِهم أنّهم قالوا لـ«عثمان غازي»: «أنتَ مِن نسلِ «قاني خان» [3]، وكان «قاني خان» وجميع الأمراءِ الأوغوز وأغواتهم وخاناتهم مِن بعدِ ذلك مِن الأوغوز، وبمُوجبِ وصيّةِ «كوين خان» وقانون الأوغوز فإنَّ المُلكَ والسَّلطنةَ لا تصِلُ إلى عشيرةِ «بوى» ما بقِيتْ عشيرةُ «قانى» وما بقي مِن الأوغوز رجُلٌ».

وسـتكـونُ صـاحـبَ رايـةٍ وجيشٍ   مـبـاركٌ عـلـيك السَّـلْـطـنـةُ
ويـكـونُ بـيـنـنـا ربـاطٌ وصِـلـةٌ   يـا بـنـيَّ سـتـكـونُ صِـهـري
وفي الـعـام التالي وُلـد أورخـان خان   لأن هـذا سيكـونُ زواجًـا سعيدًا
وامـتـلأ الـعـالم بـشـعـاع الـنـور   وظـهـر صـدق تـعـبـير الـرؤيـا
وقــدس الله رأس مــن عبر   روح الله روح مــن خبر

(1) هذا العنوان من وضع (المترجم).

(2) كلمة فارسية بمعنى (ربّ البيت)، واصطلح على استخدامه لمَن يعمل نائبًا أو قائمًا بالأعمال، وخاصّة على أعمال رجال الدولة والوزراء، د. سهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، الرياض 1421هـ/ 2000م ص188.

(3) قايي خان.

ومِنَ الآنَ لن نؤيِّدَ السّلاجقةَ، فقدْ خرجتْ مِن أيديهم مُعظَمُ الدولةِ، وانتصرَ التتارُ عليهم. وكان المرحومُ السّلطان «علاءُ الدينِ» ينظرُ إلى والدِك وإليك بالمودَّةِ والمحبَّةِ، ومنحَكم هذه الأماكنَ. وما دام الأمرُ على هذا النّحوِ فإنه يجبُ أنْ تكونَ أنت السّلطان، فأنتَ أهلٌ للسّلْطنةِ والمُلكِ، ولعلَّ هناك اتّفاقًا، لأنَّ السّلْطَنة تكونُ إمّا بالاتفاقِ أو بالاستحقاقِ، ونحن سنُعلنُ لك الطّاعةَ والانقيادَ كما ينبغي، ونغزو معك في هذه الأطرافِ عن طِيبِ خاطرٍ.

فقبِلَ «عثمان غازي»- رحمةُ الله عليه- كلامَهم، ثمّ وقف جميعُ الأمراءِ ورؤساءِ العشائرِ وطائفةِ الأوغوز، وبِمُوجِبِ قانونِ الأوغوز انحنوا له ثلاثَ مرّاتٍ، وأحضروا كثيرًا مِن العسلِ والشّرابِ، وقدّموا قدحًا إلى «عثمان غازي»، ولمّا شربَ «عثمان» دعا «الجاويشية»[1] وهلّلوا قائلين: «نسألُ الله لك الصّحّةَ والعافيةَ في الدّنيا، ولْيباركْ اللهُ السّلْطنةَ، ثمّ صار «عثمان غازي» بذلك الحشدِ، واستولوا على قلعتَي «بيله جك» و «يار حصار»[2].

ولمّا فتحوا هذه القلاعَ علتْ رايةُ الجهادِ في كلِّ أنحاءِ العالَمِ، وجاء العلماءُ والأفاضلُ مِن كلِّ مكانٍ إلى «عثمان غازي». وعند جلوسِ «عثمانَ غازي» مكانَ جدِّه جمعَ الضّعفاءَ إلى جانبِه، وقامَ بغزواتٍ كثيرةٍ، وفتحَ قلعةَ «كوبرو حصار»

(1) كلمة جاويش في الأصل تعني الحاجبَ، وهو صاحب البريد والدليلُ في الحروب، وجامع الأخبار، وهو رأس العشرة، وتعني العريف في المصطلح الحديث. سهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، الرياض 1421هـ/ 2000م، صـ81.

(2) يار حصار: مدينة في تُركيا الآسيوية في ولاية خداوندكار، تقع جنوب شرق مدينة يني شهر. انظر: س. موستراس: المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية، ترجمة وتحقيق: عصام محمد الشحادات، دار ابن حزم 2002 ص493.

[1]، و«إينه كول» [2]، و«يكيشهر» [يني شهر] [3] في عامِ 699هـ[4]. وكان «أورخان» غازي بطلًا جسورًا.

ثُمَّ جاء «عثمان غازي» إلى «يني شهر»، وبنى منازلَ مع الغُزاةِ وأقاموا فيها، وسمَّى المدينةَ «يني شهر» [أيْ المدينة الجديدة]، ووُلد لـ «عثمان غازي» ولدٌ سمَّاه «علي باشا»، وكان يعيش معه، وأرسل «أورخان» مع الغُزاةِ إلى قلعةِ «كوبرو».

[حصارُ قلعةِ إزنيق][5]

وقام «أورخان غازي» بفتحِ القلعةِ، وسلبَها. ثمّ انطلق بعد ذلك فحاصرَ قلعةَ «إزنيق» [6]. وكانت قلعةُ «إزنيق» في هذه الأثناءِ قلعةً عامرةً ومدينةً

---

(1) كوبرو حصار: وتعني (حصن الجسر)، قلعة قديمة بالقرب من اسكيشهر، وكانت متينة في ذلك الوقت وفتحت من طرف عثمان غازي سنة 688هـ انظر: ش. سامي: قاموس الأعلام، مهران، مطبعة سي، اسْتانْبُول، 1306هـ / 1889م، ج5 ص 3906.

(2) اينه كول: مدينة في مركز قضاء أرطغرل في ولاية خداوندكار، وتقع جنوب غرب بيله جك بـ 38 كم، وجنوب شرق بروسا بـ 40 كم. انظر: ش. سامي: قاموس الأعلام، مهران، مطبعة سي، اسْتانْبُول، 1306هـ/ 1889م، ج2 ص1172.

(3) يكي شهر[يني شهر]: مدينة في سنجق أرطغرل في ولاية خداوندكار، تقع في شمال غرب مدينة بيله جك بـ 35 كم، وشرق مدينة بروسه بـ 45 كم، وبعد فتحها اتخذها عثمان غازي عاصمة لدولته. انظر: ش. سامي: قاموس الأعلام، مهران مطبعة سي، اسْتانْبُول، 1306هـ/ 1889م، ج6 ص 4805.

(4) الموافق 1299م. (المترجم).

(5) هذا العنوان من وضع (المترجم).

(6) ازنيق: مدينة في قضاء يكي شهر في ولاية خداوندكار، تقع شمال شرق بروسا بـ 55 كم. انظر: ش. سامي: قاموس الأعلام، مهران، مطبعة سي، اسْتانْبُول، 1306هـ / 1889م، ج2 ص 851، وياقوت الحموي: معجم البلدان، بيروت، 1977م، ج1 ص169.

عظيمة، وكانت جوانبُها الأربعةُ مُحاطةً بحشائشِ الغابِ والمستنقَعاتِ، ولا يستطيعُ أحدٌ الوصولَ إليها، ويعيشُ بداخلها كثيرٌ مِن الكفارِ.

وذُكِر أنَّ هذه القلعةَ لها أربعةُ أبوابٍ، يخرُجُ مِن كلِّ بابٍ كثيرٌ مِن الخيَّالةِ الكفارِ، وقِسْ على ذلك الخيولَ المتنوِّعةَ التي تبقى بها. نعم، كان الغُزاةِ قلَّةً، ولكنَّهم شُجعانٌ، ويؤمنون أنَّ الرجُلَ لو قاتل ألفًا مِن الكفارِ فإنه سينتصرُ عليهم؛ لأنَّ عقيدتَهم طاهرةٌ وقوية. وقد يسَّرَ اللهُ جلَّ جلالُه لهم هذا الأمرَ ببركةِ اعتقادِهم في مواجهةِ هؤلاء الكفارِ، فأغاروا على قلعةِ «إزنيق»، وغنموا منها، وخرجَ الكفارُ عدَّةَ مرَّاتٍ وحاربوا الغُزاةَ، ومنحَ اللهُ- جلَّ وعلا- الغُزاةَ فُرصةً ثانية، وهزموا الكفارَ خارجَ القلعةِ، ولكنَّهم لَم يستطيعوا الاقترابَ مِن القلعة.

نعمْ لَم يصِلوا إلى ناحيةِ القلعةِ، ولَم يستولوا عليها بالحربِ، وقاموا ببناءِ قلعةٍ في جبلٍ قريبٍ مِن «يني شهر». وجعلوا فيها الرِّجالَ، وحاصروا «إزنيق» (1)، وبعد ذلك، دبَّ الخوفُ والضَّعفُ لدى الكفارِ، وبقَوا داخلَ القلعةِ، وكان الغُزاةُ دائمِي الحركةِ والعملِ، ولَم يخرُجْ الرجالُ مِن الدَّاخلِ ولَم يأتِ أحدٌ مِن الخارجِ. وبقَوا على هذا الوضعِ لفترةٍ طويلة. وفي النهايةِ أرسلَ الكفارُ رسولًا إلى حاكمِ «إسلامبُول»، وقالوا له: «لقد جاء التُّرْكُ إلينا ومنعونا مِن الخروجِ، فإن كانت لديكم أيَّةُ حيلةٍ لنا فأنقذونا بها، وإلَّا فإنَّ التُّرْكَ سيأسرونَنا وبناتِنا وأبناءنا أو سنهلِكُ مِن الجوعِ»، فإنْ كنتم تستطيعون معاونَتَنا فأعينونا.

وفي ذلك الوقت، كان حاكمُ «إسلامبول» هو مَن يحكم «إزنيق». ولمَّا

---

(1) جاء في كنه الأخبار، ج 4 ص 34 أنَّ: محافظ القلعة كان شخصًا يسمَّى طاز علي، وذكر أنه كان معه أربعون رجلًا من المحاربين.

عرفَ حاكمُ «إسلامبول» هذا الأمرَ قامَ بجمعِ كثيرٍ مِن السّفنِ، وأمدَّها بجيش كبير، وأرسلَها إلى هناك؛ ليطرُدوا الغُزاةَ، ويفكّوا الحصارَ. ووصلتْ السّفنُ وخرجتْ إلى وادي «يلاق». ومِن هناك ذهبوا إلى «إزنيق»، وهجموا على الغُزاةِ بغتةً، ولكنْ كان للغُزاةِ جاسوسٌ يتجسّسُ على الكفار، عندما علِمَ بموْعد خروجِهم إلى البرِّ أسرعَ إلى الغُزاةِ وأخبرَهم. وجاء الغُزاةُ أيضًا مُسرِعين، ونصبوا كمينًا في السّاحلِ الذي سيخرجُ إليه الكفارُ وانتظروهم، وفي هذا الجانبِ رستْ سفنُ الكفارِ في «يلاق» وبدءوا في الخروجِ.

وبينما كان الكفّارُ يحاولونَ إخراجَ خيولِهم ومعدّاتِهم خرجَ الغُزاةُ مِن كمائنِهم وحفرِهم، ولجئوا إلى الله- عزّ وجل- ودعوا وكبّروا، وهجموا على الكفّارِ بالخيولِ، وأعملوا السيوفَ في رقابِهم، وجعلوا الدّائرةَ تدورُ على الكافرين، وأهلكوا مِنهم خلقًا الله أعلمُ بعدَّتِهم، وغرقَ مُعظَمُ الذي سقطَ في البحْرِ، وبعضُهم الآخرُ هربَ، وهرب الحاكمُ الذي كان على رأسِ الجيشِ إلى السّفينة.

وفي النهايةِ، هلكَ مُعظَمُ جيشِ الكفارِ، وهربَ عددٌ قليلٌ إلى «إسلامْبول»، وأخبروا الحاكمَ بما نزلَ بهم مِن البلاءِ. فأصابه الفزعُ والجزعُ، ولكنّه مع حُزْنه وأسفِه لَم يستطعْ أنْ يفعلَ شيئًا، ولّما عرف كفارُ «إزنيق» هذا الخبرَ حزنوا كثيرًا، وشعروا باليأسِ.

وفي النهايةِ، اتّفقوا على ضرورةِ تسليمِ القلعةِ إلى الغُزاةِ، وإعلانِ الطّاعةِ، وقد فعلوا ذلك جَرّاءَ هذا الوهْمِ؛ حيثُ سلّموا القلعةَ للغُزاةِ، وأخذَ الغُزاةُ القلعةَ، واستولوا على ما فيها، وصاروا أثرياءَ أغنياءَ. ولأنَّ «إزنيق» قد سقطتْ في يدِ الغُزاةِ، هامَ الكفارُ على وجوهِهم في صحراءِ «يلاق»؛ لأنَّ جبالَ صحراءِ «يلاق» في ذلك الزمانِ كانت شديدةَ الانحدارِ، وكانت

حُصونُها كثيرةٌ وكانت معمورةً آنذاك. وقد كثُرَ الهاربون مِن الغُزاةِ، وأخذ الكفّارُ الذين تجمّعوا مِن قبلُ في صحراءِ «يلاق» في القيلِ والقالِ مع بعضهم بعضًا، وقالوا فزِعين: «التُركي، هذا هو التُركي، على هذا النّحو».

[حكايةُ الدرويش مع الكفار][1]

وبينما كان الكفّارُ يقفون خرجَ عليهم ذاتَ يوم رجلٌ [درويش]، عارٍ، ودعاهم إلى الإسْلام. وكان في يدِه سيفٌ مِن الخشَبِ، وعندما رأوه الكفارُ ضحِكوا جميعًا، واستهزءوا به. وفي يوم آخرَ دعاهم مرّةً أخرى إلى الإسْلام، وكانوا جميعًا سُكارى، فالتفُّوا حولَه، وجعلوا يسخَرُون منه أيضًا، وقالوا له: «أنت تتكلَّم، ونحنُ لا نسمعُ لك، فلماذا تقولُ؟ وليس معك سلاحٌ». فقال الدّرويشُ: كيف لا يوجد معي سلاحٌ، والسّيفُ في يدي، وإنْ لَم تُسلموا سأقتلُكم بهذا السّيف. فضحِكوا جميعًا، وخرجَ مِن بينهم رجلٌ سكرانٌ، ووقف أمامَ الدّرويشِ وقال له: «تعالَ إليَّ، واضرِبْني بالسّيفِ؛ لنرى هل سيقطعُني سيفُك أو لا؟».

وعندئذٍ دعا الدّرويشُ ربَّه وتضرَّعَ إليه وضربَ الكافرَ بسيفه ضربةً واحدةً، وبعنايةِ الله قسمَ السّيفُ الخشبيُّ الكافرَ نصفين. وصار جسدُ الكافرِ مُلقًى في الأرض، وهَوَتْ رُوحُه في جهنَّمَ. فضحِكَ الكفارُ الباقون مرّةً أخرى، وقالوا: «سيفُكَ قاطعٌ وحادٌّ، هل ستحارِبُنا به؟»، فقال الدّرويشُ: «انظروا إلى صديقِكم قدْ مات، فذهب الكفارُ إلى مكانِه، وعندما رأوه مُلقًى في الأرضِ ظنُّوا أنَّ الكافرَ صارَ قطعتين، وسقطَ على الأرض، ولمّا رأوا ذلك صدَّقوا الدّرويشَ ودخلوا في الإسْلامِ. فصدَّقَ بعضُهم الدّرويشَ ودخل الإسلامَ،

(1) هذا العنوان من وضع (المترجم).

وهربَ آخرونَ، وتفرّق. وخلاصةُ القولِ: إنَّ الدّرويشَ قد فتحَ طريقَ [الدّعوةِ إلى الإسلام]، ثمّ تُوفّي هناك، وقبرُه يُزار. وهو الآنَ موجودٌ بجانبِ الحمامِ، ومزارُه الشّريفُ مشهورٌ، ومَن يذهبُ إلى هذا الحمامِ يزورُ هذا القبر[1].

[فتحُ قلعةِ بروسه][2]

ولمّا علِمَ حاكمُ «بروسه»[3] بانتصارِ المُسلمين وهزيمةِ الكفارِ استشاطَ الكافرُ غضبًا، واتّفقَ مع بعضِ الحُكّام بأنْ يسيروا إلى الغُزاةِ، ويشتّتوا شملَهم، وجمعَ جيشًا كبيرًا وساروا مِن «بروسه» إلى «عثمانِ غازي». فتضرّع «عثمانُ غازي» إلى ربِّه، وواجه الغُزاةَ الكفارَ، واشتعلتْ حربٌ عظيمةٌ؛ انتهتْ بهزيمةِ الكفارِ. وذلك بعنايةِ اللهِ وفضلِه، وببركةِ معجزاتِ الرسولِ الكريمِ، وسقطَ عددٌ كبيرٌ منهم في المَعركةِ، واستشهدَ مِن الغُزاةِ «أي طوغدى» بنُ «كوندوز الب»، وهربَ حاكمُ «اورنوس»[4] وحاكمُ «بروسه»، وفرّا بحياتِهما، وقُتلَ حاكمُ «كستل»[5] في المعركةِ، وذهبَ إلى النّارِ وإلى سَقَرَ. وهربَ حاكمُ

(1) ذُكر في كتاب (كنه الأخبار) المطبوع، ركن 4 ج1 ص35 أنَّ هذا الدرويش اسمه عبابوش، ووردت أخبار عن يالوه قابليجه سى ص 36-37.

(2) هذا العنوان من وضع (المترجم).

(3) بروسه: من أجمل وأكبر مدن الأناضول، تقع في ولاية خداوندكار، وتعدُّ أول عاصمة للدولة العثمانية، وبها الجوامع الشريفة ومقابر السّلاطين العظام. انظر: ش. سامى: قاموس الأعلام، مهران، مطبعة سى، اسْتانْبول، 1306هـ/ 1889م، ج2 صـ 1294.

(4) انظر تاريخ عاشق باشا زادة ص21، 28، اطرانوس: بدلًا من اورانوس: وهي مدينة قديمة تنسب إلى القيصر اوريانوس، وداخلة في ولاية بروسة.

(5) كستل: هي مدينة كبيرة في ولاية خداوندكار، وفتحها عثمان غازي، ويطلقون عليها كستلك. انظر: ش. سامى: قاموس الأعلام، مهران مطبعة سى، اسْتانْبول، 1306هـ/ 1889م، ج 5 ص 3859.

«بروسه»، ودخلَ قلعةَ «بروسه». فوضعَه الغُزاةُ في القلعةِ، وخرجوا مِن هناك واستولَوا على «أولوباد»(1). وعقدَ حاكمُ «أولوباد» صُلحًا مع الغُزاةِ، وأعلنَ الطَّاعةَ لهم(2). وأبقَوه في الحُكمِ، ثمّ جاءوا بعدَ ذلك، واستقرُّوا في مدينةِ «بروسه».

ورأى «عثمانُ غازي» أنَّ الاستيلاءَ على قلعةِ «بروسه» بالحربِ يحتِّمُ عليه بناءَ حِصنٍ أمامَ القلعةِ مِن جهةِ « قبلوجه»، فعيَّنَ عليه ابنَ أخيه، ويُسمَّى «تيمور» (3). وكان فارسًا شجاعًا وقويًّا، وتركَ معه جنودًا أقوياء، وبني قلعة أيضًا من ناحية الجبل، يطلقون عليها «بلبانجق»(4). وكان لدى «عثمان غازي» خادمٌ عيَّنَه على هذه القلعةِ، وأصبحتْ هذه القلعةُ حِصنًا لـ «بروسه»، وهذا الحصنُ الآن يسمَّى حِصْن «بلبانجق». وشدَّدَ الحصارَ على «بروسه» بهذين الحِصنين، بحيث لا يخرجُ شخصٌ مِن الحِصنِ إلى الخارجِ.

واستولى الغُزاةُ على ولايةِ «إيلن» (5). وظلَّتْ القلعةُ هي وَحْدَها التي لَم تُفتَحْ، وحاصرَ الغُزاةُ قلعةَ «بروسه». أمَّا «عثمانُ غازي» فقدْ جاء إلى «يني شهر»، وبعدَ فترةٍ قصيرةٍ أرسلَ ابنَه «أورخان» لفتحِ «بروسه». ولحِقَ به «كوسه ميخال» و«طورغورد بك» ، وحاصرَ «أورخان غازي» قلعةَ «بروسه» مع بعضِ الغُزاةِ والقادةِ. وكان الكفارُ عاجزين مِن شِدَّةِ الجوعِ.

(1) اولوباد: (اولوباط)، مدينة في قضاء ميخاليج في سنجق بروسه في ولاية خداوندكار، فتحها أورخان غازي. انظر: ش. سامي: قاموس الأعلام، مهران، مطبعة سي، استانبول، 1306هـ / 1889م، ج 2 ص 1099.

(2) انظر تاريخ عاشق باشا زادة ص 21.

(3) جاء في تاريخ عاشق باشا زادة، ص 22، وكنه الأخبار، فصل 4 ج1 ص27 باسم اق تيمور.

(4) بالابان: هو نوعٌ من قلب طائر الصقر.

(5) لم أعثر على ترجمة لها في المصادر الموجودة بين يدي.

وبعدَ عِدَّةِ حروبٍ ومعاركَ عجزَ حاكمُ «بروسه»، وقام بإرسالِ رسولٍ إلى «أورخان غازي» وعقدَ معه صُلحًا. وسلَّمَ القلعةَ لـ «أورخان»، وأطلقوا سراحَه بمُوجِبِ العهدِ والمِيثاق؛ فذهب بابنِه وبنتِه، وكلِّ مالِه وعتادِه إلى «إسلامْبُول»[1]، وأرسلَ الغُزاةُ البُشرى إلى «عثمانَ غازي» بفتح قلعة «بروسه» وكان فتحُها عام 716هـ[2]. وحكمَ «عثمانُ غازي» الدولةَ لمدّةِ تسعةَ عشرَ عامًا، ثمّ التحقَ بالرفيقِ الأعلى.

---

(1) ذكر عاشق باشا زادة في كتابه 1332هـ، المطبعة العامرة ص ـ29 وتاج التواريخ ج1 صـ 28، وصحائف الأخبار ج 3 ص282: أنّ السّلطان أورخان غازي عزم على الذهاب إلى الحاكم بواسطة كوسه ميخال، وطلب الحاكم أيضًا الذّهاب إلى استانْبُول بواسطة المشار إليه، وذكر عاشق باشا زادة في تاريخه صـ31 وتاج التواريخ ج1 صـ39، وكنه الأخبار المطبوع المطبعة العامرة قسم 4 ج 1 صـ 37؛ أنّ: فتح بورصة كان عام 726هـ وصحائف الأخبار 1285 هـ المطبعة العامرة ج3 ص 282 أنّ فتحها كان 636هـ. وربما هذا سهوٌ في الترتيب.

(2) ذكر عاشق باشا زادة في تاريخه صـ31 وتاج التواريخ ج1 ص39، وكنه الأخبار المطبوع بالمطبعة العامرة قسم 4 ج 1 ص 37 أنّ: فتح بورصة كان عام 726هـ. وصحائف الأخبار 1285 هـ المطبعة العامرة، ج3 ص 282 أنّ: فتحها كان سنة 636 هـ. ولعلّ هذا وهمٌ في الترتيب. ويوافق هذا التاريخ عام 1316م.

عصرُ السّلطان أورخان غازي

صار ابنه «أورخان» أميرًا، وتولّى عام 718هـ[1] الحُكمَ بعد أبيه. ثمّ استدعى أخاه «علي باشا»، وقال له: «يا أخي ماذا ترى بخُصوصِ السّلْطنةِ؟». فقال علي باشا: مُباركٌ عليك السّلْطنةُ، فأنا لا أريدُها»[2].

ثُمّ فتح «أورخان غازي» مدينةَ «إيزنكميد»[3]، وهدمَ الكنائسَ، وبنى مكانَها مساجدَ ومدارسَ، وأمرَ [الجند] بالانتظارِ بجانبِ البحرِ حتى لا تأتيَ السّفنُ إلى «إسلامبول» أو تخرُجَ منها. وأعطى سنجقية [إمارة] تلك الأماكنِ إلى ابنه «سُليمان باشا».

وذاتَ يوم، قال «علي باشا» لأخيه «أورخان»: «يا أخي، ثمّ شيءٌ عظيمٌ ومُهِمٌّ يخفى علَيك». فقال «أورخان»: ما هو يا أخي؟»، فقال علي باشا: «ليلبسْ جندُك غِطاءَ رأسٍ، بعضُهم يلبسُ غطاءَ رأسٍ أحمرَ، والآخَرون أبيضَ». فقال أورخان: «نِعمَ الرأيُ يا أخي، على الرحْبِ والسّعةِ». فأمر

---

(1) توافق موت السّلطان عثمان غازي- كما ذكر فيما سبق- مع تاريخ فتح بورصة، وكان جلوس السّلطان أورخان في عام 726 هـ. الموافق 1318م.

(2) ذكر عاشق باشا زاده في تاريخه صـ37 أنّ: ذلك حدث في وادي كته في قرية قرده، وورد في صحائف الأخبار ج3 ص282 أنّه في نواحي كته، والتمس قورون أنّ: يملكها لنفسه، وأنشأ أورخان في بورصة مسجدًا وزاوية بالقرب من قابوبجه، وهناك أقام مع العلماء والفقراء والسياح وقضى حياته معهم.

(3) ايزنكميد: [ازميد]: مدينة تقع على بحر مرمرة شمال شرق مدينة بروسه، وكانت تسمّى قديمًا (نيقوميديا)، واليوم تعرف باسم (قوجه ايل). انظر: ش. سامي: قاموس الأعلام، مهران، مطبعة سي، اشتانبول، 1306هـ/ 1889م، ج2 ص 850.

«أورخان» الجيشَ بلُبْسِ العِمامةِ فلبسوها.

وفي ذلك الوقتِ، لم يكُن الأمراءُ يقتُلُ بعضُهم بعضًا، وكانوا يعيشون حياةً طيبةً حتى جاء عصرُ «يلدرم خان»، وأسّس «أورخان» فِرقةً جديدةً مِن الجنودِ في الأناضولِ، أطلقَ عليها «يايا يازمغى» أيْ الجنودُ المُشاة.

ثمَّ توجَّهَ [أورخان] إلى «إزنيق» وبنى عمارةً هناك، وكان يطبخُ الطعامَ بيدِه، وبقيتْ بعدَه عادةُ طهيِ الطعامِ في العمائرِ.

ثمَّ فتح «أورخان غازي» ولايةَ «اوباد» [أولو آباد] «، وولايةَ «قراسى»[1]، و«بالى كسر»[2]، و«برغمه»[3]، و«آدرميد»[4] وولّى عليهما ابنَه «سُليمان باشا»، وذهب إلى «بروسه» واستقرَّ فيها.

وكان السَّببُ في مرورِ «سُليمان» إلى ولايةِ «اورم» [الروم] هو أنه

---

(1) جاء في تاريخ عاشق باشا زادة ص 45 وص 43 وتاج التواريخ ج1 ص47 و51 أنّ: حاكم قره سى هو عجلان بك، المتوفّى سنة 733هـ وبعد وفاته اجتمع أهالي قره سى عند أورخان غازي واختاروا أميرهم طورسون بك ابن عجلان الصغير، وطلبوا من أورخان بعض القادة أنْ يرسله السلطان إلى بالكيسير، وبذلك فقد دخلت ايدينجق وميناس وبالكسير وبرغمة وادرميد إلى الممالك العثمانية. وهناك فرق بين البلدين في أسماء البلدان «بيكار حصار قيرنجه طوزله وازميد وقبولا التنازل عن المدن واصطحب أورخان غازي طورسون بك إلى بالكسير.

(2) بالى كسر: [باليكسر / باليكسري]: مدينة في سنجق قره سى في ولاية خداوندكار، تقع جنوب غرب بروسه بـ 125 كم، وشمال شرق ازمير بـ 150 كم. انظر: ش. سامى: قاموس الأعلام، مهران مطبعة سى، اسْتانْبول، 1306هـ / 1889م، ج2 ص 1219.

(3) برغمه: مدينة في سنجق ازمير في ولاية آيدين، تقع على نهر باقر جاى شمال مدينة ازمير، واسمها القديم برغاموس. انظر: ش. سامى: قاموس الأعلام، مهران مطبعة سى، اسْتانْبول، 1306هـ / 1889م، ج2 ص 1280.

(4) ادرميد: عرفت قديما (آدراميتى)؛ مدينة في سنجق قره سى في ولاية خداوندكار، تقع في الجانب الغربي من ساحل الأناضول، انظر: ش. سامى: قاموس الأعلام، مهران مطبعة سى، اسْتانْبول، 1306هـ/ 1889م، ج2 ص 807.

خرج ذاتَ يوم لرؤيةِ ولايتِه، وعبرَ فجأةً من «آيدينجق» [1] حتى وصلَ إلى «تماشالق»، وجعل ينظرُ إلى ما فيها من العجائبِ والغرائبِ[2]، ودعا لروحِ حضرةِ النبيِّ «سُليمان» – عليه السلام –، وخطرتْ على قلبِه بعضُ الأفكارِ، ولَم يذكُرْها لأحدٍ. وبينما كان يفكِّر ذكرَ الجنودُ اسمَ «أجه بك» [3]. وكان من الأبطالِ، فقال لـ «سُليمان باشا»: «فيم تفكِّرُ يا ترى»؟، قال «سُليمان باشا»: «أفكِّرُ في عبورِ هذا البحرِ إلى السّاحلِ الآخَرِ، هل من الممكنِ – يا تُرى – العبورُ إليه دونَ أنْ يعلمَ الكفّارُ». وكان لـ «اجه بك» صديقٌ اسمُه «فاضل»، فقال الاثنان: «لو أذنتَ لنا بالعبورِ لنأتيَ لك بنبأٍ يقينٍ».

فأذنَ «سُليمان باشا» لهم بالعبورِ، وعبرَ الاثنانِ من قلعةِ «تماشالق» ومن «كليبولى» [4] إلى الرّوم ايلى أمامَ قلعةِ «جنلك» [5]. فأمسكوا بكافرٍ وسطَ الغاباتِ، وفي الصباحِ أحضروه إلى «سُليمان باشا». فخلعَ «سُليمانُ باشا» هذا الكافرَ خلعةً، وقال له: «هل هناك حِيلةٌ تمكِّنُنا من دخولِ قلعتِكم دون

---

(1) آيدينجق: هي شبه جزيرة في ولاية اردل الداخلة في ولاية خداواندكار، ومن توابع قضاء أردل، وتسمّى في اللغة اديتجق.

(2) هي مدينة قديمة للنزهة بجوار أردل، ويوجد بها الأثر القديم المشهور «بال قيزيق»، وهي تعني في لهجة العثماني، طبعة 1306 هـ ج1 ص675: الماء الساخنة التي تسيل من خمسة عشر عينًا في بعض الأماكن، ولا توجد في عمقها أحد المياه المعدنية.

(3) ذكر عاشق باشا زادة في تاريخه ص47 وتاج التواريخ ج1 ص53 أنّ: «اجه بك»: تعني اسم رجل عظيم وقوي، وهي تخفيف كلمة حاج.

(4) تقع على ضفة بوغاز الدردنيل الذي هو الممرّ الوحيد بين بحار أوروبا وبحر مرمره. وتبعد عن مدينة «أدرنة» بـ 140 كم، وتقع في آخر مضيق الدردنيل في الجانب الأوروبي. انظر: ش. سامي: قاموس الأعلام، مهران مطبعة سى ،استانبول، 1306هـ / 1889م، ج5 ص 3878.

(5) ذكر عاشق باشا زادة في تاريخه ص 48 قلعة جين، وتاج التواريخ ج1 ص54 قلعة جنى، وكنه الأخبار المطبوع ركن 4 ج1 ص45 جنلك. وصحائف الأخبار ج3 ص288 قلعة جنى.

أنْ يشعُرَ بنا الكفارُ؟». فقال الكافرُ: «سوف أُدخِلُكم القلعةَ مِن مكانٍ لا يطَّلِعُ فيه على حالِكم أحدٌ».

فركِبَ «سُليمان باشا» السُّفنَ مع سبعين أو ثمانين رجُلًا[1]، وذهبوا نحو قلعةِ «جمنلك». وكان الكافرُ دليلَهم في الليلِ. وكان ذلك الوقتُ هو وقتَ هالةِ القمرِ، ولَم يكُنْ في القلعةِ أحدٌ. فدخلوها واستقرُّوا بها، ثمّ أحضرَ الكافرُ بعضَ قباطِنةِ سُفُنِ الكفارِ لـ«سُليمان باشا»، وأعطى لهم الأمانَ، وكانت على ساحلِ البحرِ بعضُ السُّفُنِ، فركِبَها مع بعضِ الغُزاةِ، وعبرَ بهم إلى الجانبِ الآخَرِ، فوصلَ مِنهم نحوُ مائتي جنديّ.

ولمَّا طلعَ الصَّباحُ امتطوا الخيولَ التي كانت داخلَ القلعةِ وخارجَها، وأعطَوا الأمانَ لأهلِ ذلك المكانِ، ولَم يؤذوا أحدًا، وكانت في الميناءِ المعروفِ باسْمِ «آقچه ليمون» سُفُنٌ كثيرةٌ للكفَّارِ[2] بجانبِ «بولاير»[3]، فأخذوا هذه السُّفنَ ودخلوا بها قلعةَ «جمنلك»، وأرسَوْها بجوارِ سفنِ القلعةِ، ثمّ عبرَ الجنودُ والخيلُ إلى الجانبِ الآخَرِ، وجمع جيشًا عظيمًا وفُتِحتْ ولايةُ «الروم ايلي». وكانت بجوارِهم قلعةٌ اسمها «أياش»، استولوا عليها أيضًا؛ فأصبحتْ القلعةُ قلعتينِ. وصالَحوا أهالي ذلك المكانِ وأعطوا لهم الأمانَ. وبعد ذلك،

---

(1) ذُكر في تاج التواريخ ج1 ص54 أنّ: الغزاة قاموا بالإغارة على العدو الموجود في الساحل، وربطوا الأحزمة بالأشجار، وأسّسوا جيشًا كبيرًا، وجاء في كتاب صحائف الأخبار ج3 ص289 أنّ: ركب بعض السفن كلّ من سُليمان باشا واق سنقر وقره اوغلان وقره تيمورتاش وقره حسن اوغلى واقجه قوجه اوغلى وبلبان جق اوغلى وأربعين شخصًا آخرين وحاجى ايلبكى واجه بك وغازي فاضل واروتوس بك، وكان في السفينة أربعون شخصًا.

(2) ذُكر في تاج التواريخ ج1 ص55 وصحائف الأخبار ج3 ص289 أن اسمه اقجه ليمان.

(3) بولاير: مدينة صغيرة ناحية سنجق وقضاء كليبولي في ولاية «أدرنة»، تقع شمال شرق كليبولي بـ 15 كم. انظر: ش. سامي: قاموس الأعلام، مهران مطبعة سي، استانبول، 1306هـ / 1889م، ج2 ص 1393.

عبرَ خلقٌ كثيرٌ من ميناء «آيدينجق». ثمّ جمعَ حاكمُ «كليبولي» الجيشَ، وأقبل، وحاربَ الغُزاةَ وكانت حربًا عظيمةً، فمَنَّ الحقُّ - عزّ وجل - على الغُزاةِ بالنّصرِ، وهزموا حاكمَ «كليبولي» [غاليبولي]، وبعدَها فتحوا «قوارق كليبولي» عام 759 هـ[1]. وعندما فتحَ المسلمون «كليبولي»، أصبحَ أمرُ العبورِ سهلًا عليهم. ثمّ اتخذَ «سُليمان باشا» قلعةَ «بولاير» وطنًا له، وجاء بعضُ جيشِ الكفارِ وحاربوه، ومنَّ الحقُّ - سبحانه وتعالى - على المسلمين بالنّصر.

وذاتَ يوم، ركِبَ سُليمان باشا حصانَه، وبينما كان يسيرُ في تلك الأماكنِ تعثّرتْ قدمُ حِصانِه، فتدحرجَ الحِصانُ به، فسقط شهيدًا. وذلك في عام 759 هـ[2]. وبعدها ذهبَ رسولٌ إلى «أورخان غازي»، وأخبره خبرَ وفاةِ «سُليمان باشا»، فحزِنَ كثيرًا لوفاتِه، وسئمَ الحياةَ. وبعد هذا الخبرِ مرِضَ «أورخان غازي»، ويُروى أنَّ «أورخان غازي» تُوفّي بعدَ ابنِه بشهرين، وقُدّرَتْ وفاةُ «أورخان غازي» في هذا التأريخِ.

شعر

جــاء وعـــدُ الله لـــ «أورخـــان»
فـذهــبَ بعد ذلـك إلى جـنّـةِ الخُـلـدِ
حكمَ التاجَ والعرشَ لمُدّةِ تِسعٍ وثلاثينَ سنة
ثــم رحـــلَ إلى روضـــةِ الجـنّـةِ

(1) الموافق 1358م. (المترجم).

(2) ذكر عاشق باشا زادة في تاريخه، ص51 أنّ: تاريخ وفاة المشار إليه كان سنة 758 هـ أثناء الصيد. وجاء في صحائف الأخبار ج3 ص297 أنه توفي أثناء الصيد عام 761 هـ. وفي كنه الأخبار المطبوع ركن 4 ج1 ص 48 توفّي المذكور قبل وفاة أورخان غازي بشهرين، وفي هذا العام توفي أورخان غازي، وعمره 64 عاما، وبعد أن حكم 34 عامًا، وتاريخ وفاته سنة 760هـ.

عصرُ السّلطان مُراد خان الأول

جلسَ «مُراد» على عرشِ السّلْطنةِ، فأصبحَ سُلطانًا [مكانَ والدِه]. وفي التاريخِ المذكورِ الذي أصبح فيه سُلْطانًا، أعلن ابنُ قرمان [قرمان اوغلى] العِصيانَ. وكان جيشُ ابنِ «قرمان» مِن التتارِ والتُّركِ والـ «وارسق»[1] والـ «طورغود»[2] و«الروم» و«الشام» ومِن كلِّ مكان.

ولَم يطلُبْ السّلطان «مراد» العونَ مِن أحدٍ، وتوكَّلَ على اللهِ- عزّ وجل، والتقى بـ «ابن قرمان» في حربٍ ضَرُوسٍ، ولَم يستطِعْ «ابن قرمان» رغمَ قوّةِ جيشِه هذا الصمودَ أمامَه، وهربَ في النّهايةِ، وهلكَ كثيرٌ مِن أمرائه ورجالِه، وقُبِروا في التراب.

ويسّرَ الحقُّ- سبحانه وتعالى- هذا الفتحَ العظيمَ للسّلْطانِ «مُراد»، وفتحَ أيضًا عِدّةَ ولاياتٍ أخرى، وألْحقَها بدولتِه. ثمّ ذهب إلى «بروسه»، واستقرَّ فيها. وبعد ذلك، جمعَ السّلطان «مُراد» جيشًا عظيمًا، وأسندَ وظيفةَ إمارةِ الأمراءِ إلى مُربِّيه «لالا شاهين»[3]، ووظيفةَ قضاءِ العسكرِ إلى «جندره

(1) وارسق: عشيرة من التتار متفرقة في داخل الولايات.

(2) طورغود: هي أيضًا عشيرة من التتار متفرّقة في بعض الولايات داخل الأناضول، ومعظمها موجود في نواحي مدينة آق شهر.

(3) لالا شاهين باشا: هو صديق السّلطان أورخان غازي منذ صباه، وعند جلوس السّلطان مراد على العرش عينه في وظيفة إمارة الأمراء، وفتح «أدرنة» وفلبه، وصار وزيرًا، وكانت وفاته في سنة 872هـ.

لو قره خليل» [1] ثمّ جاء، وعبرَ مِن «كليبولی» وفتحَ عِدَّةَ قِلاعٍ في الروم ايلي [2]. وفتحَ «ديموتوقه» [3]، وقلعةَ «ايلی بكی برغوزی» [4] و«جورمی» [5] و«كشان» [6]. وبعدها أمدَّ «لالا شاهين» بجيشٍ عظيمٍ، وأرسلَه إلى «أدرنة».

---

(1) هو من أقرباء الشيخ «اده بالي»، ومن تلاميذ علاء الدين أسود، ومن أجل حسن عمله في الوظيفة الشرعية في عهد السلطان أورخان، وبناءً على طلب أورخان غازي هذا الشخص من علاء الدين اسود أرسل إليه. ويروى أنه كان قاضي بيله جك في عهد عثمان غازي، ولمّا تمّ فتح ازنيق ولي بها القضاء. وعند جلوس مراد خان على العرش عينه ملا بروسه. وذُكر في تاج التواريخ ج1 ص69 أنه كان قاضي عسكر سنة 763هـ ونال لقب باشا عام 770هـ وعُين صدرًا أعظمًا، ونال لقب خير الدين عام 788هـ وتُوفي في تلك السنة، ونقل نعشه إلى ازنيق، ودفن في حجرة من المرمر.

(2) ذكر عاشق باشا زاده في تاريخه صـ52 أنّ: أول قلعة فتحها السلطان مراد خان الأول أثناء مروره من الروم ايلي هي «ينطوز»، وكذلك تاج التواريخ ج1 ص69. وذُكر في كتاب كنه الأخبار المطبوع ركن 4 ج1 صـ 66 أنها «بطنوس». وصحائف الأخبار ج3 ص292 أنها قلعة «ينطوز».

(3) ديموتوقه: [ديمتوقه]: مدينة تقع جنوب «أدرنة» بـ 40 كم، في ولاية وسنجق «أدرنة»، انظر: ش. سامي: قاموس الأعلام، مهران، مطبعة سي، اسْتانبُول، 1306هـ / 1889م، ج3 ص 2216.

(4) جاء في كتاب صحائف الأخبار ج3 ص290 أن: حاجي ايليكي قد حاصر قلعة برغاز الواقعة في حافة مريج في سنة 762 هـ وفتحها، ومعنى القلعة برغوس وبرغوز، ولا يصح أن يقال بورغاز.

(5) جورمی: [چورلی]، مدينة في سنجق تكفور طاغی في ولاية «أدرنة»، تقع في شمال شرق تكفور طاق بـ 32 كم، انظر: ش. سامي: قاموس الأعلام، مهران، مطبعة سي، اسْتانبُول، 1306هـ / 1889م، ج3 ص 1886.

(6) جاء في كتاب صحائف الأخبار ج3 ص293 أن: الغازي اورنوس فتح قلعة كشان، وأثناء فتحه لقلعة چورلی أرسل خبر الفتح إلى الركاب الهمايوني وجورم خطا وهي چورلی. وهي مدينة مركزية لقضاء چورلی واركلى في جبل الحاكم.

[فتح قلعة أدرنة] (1)

وعندما وصلَ «لالا شاهين» بجيشِه إلى «أدرنة»، خرج (2) كفارُها عليه، ووقعتْ حربٌ عظيمةٌ، وهلكَ خلقٌ كثير. وفي النهايةِ انهزمَ جيشُ الكفارِ، ووصلَ خبرُ هزيمةِ الكفارِ إلى السّلطان «مُراد»، ففرِح، وتوجّهَ إلى «أدرنة»، وركبَ حاكمُ «أدرنة» قاربًا ليلًا، وهربَ إلى «أنوس»(3)؛ رغمَ أنّ نهرَ «مريج» كان شديدَ الهَيَجانِ. وفي الصباحِ طلبَ أهلُ المدينةِ الأمانَ، وفتحوا أبوابَ المدينةِ. وفتحَ المسلمون مدينةَ «أدرنة» في سنةِ 761هـ (4).

وفي ذلك الوقتِ أرسلَ السّلطان «مُراد» «لالا شاهين» للهجوم على قلعةِ «زغرا» (5) و«فلبه»(6)، ووصلَ هناك، وفتحَ القلعتين. وأرسلَ أيضًا

---

(1) هذا العنوان من وضع (المترجم).

(2) ذُكر في تاج التواريخ، ج1 ص72 وصحائف الأخبار ج3 ص293 أنه في نهر سازلي.

(3) ذكر عاشق باشا زادة في تاريخه ص54 «هرب وذهب إلى اونكروس». وتاج التواريخ ج1 ص73 «فرّ واستقرّ في ايتوز». وذُكر في كتاب كنه الأخبار المطبوع ركن 4 ج1 ص68 «ذات ليلة ركب قارب مع أتباعه ونجوا بأرواحهم، وتركوا أموالهم وهربوا إلى قلعة أخرى. وجاء في صحائف الأخبار ج3 ص293 أنه فرّ إلى ناحية ايتوز. بينما جاء في تاج التواريخ ج1 ص72 «كان حاكم أدرنة مشهورًا باسم اندرنه، وذكرت هذه المدينة على اسمه. بينما جاء في كتاب صحائف الأخبار ج3 ص293 أن اسمه اندله. واشتهرت المدينة باسمه. وكانت المدينة قديمًا تسمّى بـ «اوسكوداما». وتمّ تزيينها من طرف ادريان، وبعد ذلك، صار اسمها ادريان ويوليس. وجاء التعريف بها في القاموس الفرنسي المحيط الكبير ج2 ص 1048. وتاريخ فتح المدينة في كنه الأخبار ركن 4 ج1 ص67 «تيسر فتح المدينة في حدود سنة 762هـ».

(4) الموافق 1359م. (المترجم).

(5) زاغرا: [زاغور]: مدينة تقع شمال شرق يان به في سنجق وقضاء ولاية يانيه، انظر: ش. سامي: قاموس الأعلام، مهران، مطبعة سي، استانبول، 1306هـ / 1889م ج4 ص 2405.

(6) ذُكر في تاج التواريخ ج 1 ص 76، وصحائف الأخبار ج 3 ص 293 أنه «بعد أن دافع حاكم المدينة مدة طلب الأمان وتسليم المدينة، وكان اسم الحاكم هو فلس بولي واشتهرت المدينة بهذا

«أورنوس بك» إلى «أبصاله» [1] و«قره» [2] و«كوملجنه» [3]، ففتحها.

وفي ذلك الزمانِ جرتْ العادةُ على أخذِ خُمْسِ الغنائمِ [4] مِن الأسرى في «كليبولي» بمشورةٍ مِن قره رستم [5].

وبعد ذلك، ذهبَ السّلطان «مُراد» وفتحَ قلعةَ «بورغاز»، وقضى موسمَ

الاسم. وكان فتحها سنة 765هـ وبعد فتحها ألقى مراد خان سهمين في نهر المريج، وأمر بإنشاء كوبرى في وسط وعرض المدينة للمرور بعربتين محملتين جنبًا لجنب. وأكّد على ذلك تاج التواريخ ج1 ص76. قلبه: تم تأسيسها من طرف فيليب الثاني والد الإسكندر، وتمّ نهبها وهدمها من طرف الغوط سنة 250 م. ويشار إليها من قبل الخطأ على أنها كانت في عهد إمبراطورية اللاتين. وتمّ تشكيل دوقه لق باسم فيه بوبل. وتمّ تخريبها ومُحيت تمامًا في الحركات التي حدثت سنة 818 م، وتوجد معلومات كثيرة عن هذا الباب في المحيط الكبير الفرنسي ج 26 ص 688.

(1) ابصاله: (ايبصاله) بلدة في ولاية «أدرنة» في لواء كليبولي تقع على نهر مريج. انظر: موستراس، المعجم ص 126.

(2) قره: كان اسمها قره جك الداخلة في سنجق كليبولي.

(3) كوملجنه: مدينة تقع جنوب غرب «أدرنة» بـ 145 كم في ولاية «أدرنة»، انظر: ش. سامي: قاموس الأعلام، مهران، مطبعة سي، استانبول، 1306هـ / 1889م ج 5 ص 3926.

(4) بنجك: تعني التمسك بحقّ أخذ خمس الغنائم من أسرى الحرب، وتعني الخمس الشرعي من الغنائم.

(5) قره رستم: من علماء قرمان وجاء إلى بلاط السّلطان مراد خان. وبسبب عدم مراعاة أخذ الخمس الشرعي من الغنائم من بين المجاهدين قامَ المشار إليه بمراجعة قاضي العسكر خير الدين باشا بضرورة أخذ الخمس من الأسرى بموجب الآية الكريمة في سورة الأنفال: «وَاعْلَمُوا أَن مَا غَنِمْتُم مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ» وتمّ عرض هذا الأمر في حضور السّلطان مراد، وتمّ تفويض قره رستم بتنظيم هذا الأصل. وكان كلّ أسير يدفع 125 أقجه عثمانية. وقال صاحب كنه الأخبار «وتعني ربع درهم شرعي الاقجه العثمانية». ووضع قاعدة أخذ من كلّ أسير 25 اقجه. وذكر خوجا سعد الدين في تاج التواريخ ج1 ص 74- 76 «عندما ذكر هذا الموضوع، فقال: بعض الأتراك الذين دوّنوا التواريخ العثمانية بدون إدراك قد عينوا الخمس للغنائم، وذلك من شنائع البدع، واخترعها قره رستم بطريق الظلم»، وبعد أن ذكر ذلك قال: وحتى لا تغلبني حدّة القول بالغيرة في المسلك فقد انتقده بعض المؤرخين أيضًا. وقد ذكر منجم باشى أحمد دده أفندي من رجال المولوية في كتاب صحائف الأخبار ج3 ص 293 «تمّ وضع أصول أخذ الخمس من الغنائم في سنة 764هـ.

الشتاءِ في «بروسه» في سنة 762 هـ [1]. وفي تلك الأثناءِ وردَ فجأةً خبرٌ بأنَّ جيشَ سرف [الصرب] في طريقِه إلى «أدرنة». وكان الجيشُ تقريبًا ما بين أربعين إلى خمسين ألفًا، وأخبَروا السّلطان «مُراد» بذلك.

وبعد هذا الخبرِ خرجَ السّلطان «مراد غازي» من «بروسه»، ولمَّا عبرَ مِن «كليبولي» إلى «الروم ايلي»، وبينما كان جيشُ الصرْبِ قد اقتربَ مِن «أدرنة»، نزلَ السّلطان مُرادٌ بجانبِ «جرمن» التي يطلِقون عليها الآن «صرب صنغونى» [2].

وأغارَ «لالا شاهين» [3] مع الغُزاةِ مِن «أدرنة». وكان جيشُ الصرْب مغرورًا، وفي الوقتِ الذي كانوا فيه سُكارى ويلعبون القِمارَ استعدَّ الغُزاةُ، وجمعوا بعضَهم بعضًا، وامتطَوا خيولَهم، وتقلَّدوا السيوفَ، وقاتلوا الكفارَ؛ فانهزموا، وهربوا. وبعدَ هزيمةِ جيشِ الكفارِ أخذَ الغُزاةُ أموالًا وغنائمَ لا حصرَ لها، وتوجَّهوا بها إلى «أدرنة». وبعدَها أرسلَ «لالا شاهين» كثيرًا مِن الأموالِ والأسرى والأمراءِ إلى السّلطان «مُراد»، وسمعَ السّلطان «مُراد» بهذا الفتحِ، ففرِحَ كثيرًا. ثمّ عادَ إلى «بروسة».

وفي هذا العامِ احتفلَ السّلطان «مُراد» بختانِ ابنَيه «يلدرم بايَزيد»، و«يعقوب چلبي»، وأقام حفلَ ختانٍ عظيمًا [4]. وبنى في «بروسة» مدرسةً

(1) الموافق 1360م. (المترجم).

(2) صرب صنغونى: صينمق تعني متهزم ومغلوب، وتدل على الهجوم على، وصينديغى تعني المكان الذي هزم فيه، والكلمة تعني «الآن هزام الصربي» المكان الذي انهزم فيه الصرب. وجاء في تاج التواريخ ج1 ص79 في صورة سرف صينديغى. وصينغين يعنى مهزوم نادم مقتول.

(3) دون باصغونو: تعني غارة ليلية أو الهجوم ليلًا. شبخون في الفارسية.

(4) ذُكر في تاج التواريخ ج1 صـ82 وصحائف الأخبار ج3 ص295 أنّ حفل الختان حدث سنة 762هـ من طرف الشهزاده ساوجى بك. الذي توفّي في عهد السّلطان بايَزيد الأول، ودفن في قبر السّلطان أورخان في بروسة.

وعمارةً عظيمةً [1]. وزوّجَ ابنَه «يلدرم خان» بابنةِ حاكم «كرميان». وأقامَ حفلَ عُرْسٍ عظيمًا، وبعدَها فتحَ «حميد ايلى» [2] و«كوتاهية» [3].

وفتحَ «آق شهري»[4] و«سيدى شهري»[5] في سنةِ 764هـ [6]. ثمّ عبرَ

---

(1) ذُكر في تاج التواريخ ج1 ص81 «صدر الفرمان الهمايوني واجب الاتباع ببناء جامع فاخر أمام السراى العامرة». وجاء في كتاب «كلدسته رياض عرفان ووفيات دانشوران نادره دان» للكاتب بروسه لى شاهين زاده بليغ أفندي من الشعراء، المُتوفّى سنة 1142هـ طبعة 1302هـ في بروسة في صفحة 23 بخصوص بناء الجامع الشريف فقال: «أنشأ جامع لطيف في بروسة»، وبموجب هذه العبارة فهو جامع، وتوجد به خواص المياه المعدنية الشفائية، واسمها القديم فورتاريچى، والمعنى للمدينة صوتيرو بوليس. وجاء في تاج التواريخ ج1 ص81 وصحائف الأخبار ج3 ص295: «تمّ وضع أساس بناء جامع كبير ومدرسة وعمارة ومنزل وسبيل قديم في سنة 767هـ». وتوجد معلومات في تاج التواريخ وصفحة 21 من كتاب «كلدسته رياض عرفان» عن هذه المباني الخيرية. وذكر بليغ أفندي في كتابه المذكور أنه حدث هدم في إحدى جوانب السبيل، وقام السلطان بايزيد الثاني بتعميرها سنة 916 هـ.

(2) حميد ايلى: هي إحدى إمارات التركمان التي نشأت عقب انهيار الدولة السلجوقية في أواخر القرن السابع الهجريّ/ الثالث عشر الميلادي، وتقع إمارتهم بين قونية وافيون في وسط تُركيا، انظر: ش. سامى: قاموس الأعلام، مهران مطبعة سى، اسْتانْبُول، 1306هـ/ 1889م ج3 ص1989.

(3) كوتاهيه: مدينة تقع جنوب شرق بروسه في ولاية خداوندكار بـ 120كم، ويوجد بها مسجد السّلطان يلدرم بايزيد المعروف بـ (اولو جامع). انظر: ش. سامى: قاموس الأعلام، مهران، مطبعة سى، اسْتانْبُول، 1306هـ/ 1889م ج 5 ص 3910. الموافق 1362م.

(4) اق شهر: (آق شهر): مدينة في مركز وقضاء في ولاية قونية، تقع شمال غرب قونية بمسافة 24 ساعة. ويوجد اختلاف في اسمها القديم، البعض ذكر أنه (بيسيا انطاكيه سى)، والبعض الآخر ذكر أنه (سوريوم)، انظر: ش. سامى: قاموس الأعلام، مهران مطبعة سى، اسْتانْبُول، 1306هـ/ 1889م، ج1 ص 266.

(5) سيد شهرى: (سيدى شهرى): مدينة تقع جنوب غرب مدينة قونية بـ 80 كم في ولاية قونيه، انظر: ش. سامى: قاموس الأعلام، مهران مطبعة سى، اسْتانْبُول، 1306 هـ/ 1889 م ج 4 ص 2746.

(6) ذكر عاشق باشا زاده في تاريخه المطبعة العامرة 1332 هـ ص 59، أنّ: السّلطان مراد خان الأول اشترى من حسين بك من أولاد حميد قلعة آق شهر ويك شهرى وسيدى شهرى وقره اغاج.

السّلطان «مُراد» مِن «كليبولي»، ونزلَ بالقربِ مِن «ملغرة» وجاءَ «لالا شاهين» و«أورنوس بك» مع جنودهم، وتوجّهوا بهم إلى ناحيةِ «أنجوكز»[1] و«جاتلجه»[2]. ثمّ توجّهوا إلى قلعةٍ حصينةٍ يقالُ لها «تكرى يقدوغى»، واجتهدوا كثيرًا في فتحِها، ولكنْ لَم يستطيعوا[3].

وملَّ السّلطان «مراد» مِن طُولِ ما انتظرَ فتحَ القلعةِ، وسمّاها «تكرى يقه»

بينما ذكرت منشآت السلاطين المطبعة العامرة، 1274 هـ ج 1 ص 101 أنه اشتراهم من كمال الدين حسين بك. وفي تاج التواريخ المطبعة العامرة 1279هـ ج 1 ص 98 وصحائف الأخبار المطبعة العامرة 1285 هـ ج 3 ص 299 «اشترى بك شهرى وسيدى شهرى ويلواج وقره اغاج واسبارته». وتوجد تفصيلات في تاريخ عاشق زاده وتاج التواريخ عن هذا الباب. وفي كته الأخبار المطبوع ركن 4 ج 1 ص 70 في الواقعة الثامنة سنة سبع وستين قال «ثم فتح وتسخير قلعة الشهر وسيدى شهرى ويكى شهرى وقره اغاج من ولاية حيد ايلي في سنة 767هـ».

(1) ذُكر في تاج التواريخ، المطبعة العامرة 1279 هـ ج 1 ص 89 «عقد السّلطان مراد خان الأول- هذا السّلطان سلطان أهل الدين- العزم على الذهاب إلى ناحية اسْتانْبول، وفي الطريق وعلى بعد يوم من اسْتانْبول حاصر قلعة انجوكز، وبعد يومين أو ثلاثة تيسر الفتح» والقلعة المذكورة خربة.

(2) جتالجه: جاء في تاريخ عاشق باشا زاده، المطبعة العامرة 1332 هـ ص 60 «جاء مراد خان غازي، وحاصر قلعة جتالجه». وفي تاج التواريخ المطبعة العامرة 1279 هـ ج 1 ص 89، وذهب إلى جانب جتال برغاز». وفي صحائف الأخبار المطبعة العامرة 1285 هـ ج 3 ص 296 «استولوا على قلعة جتال برغازي بطلب الأمان......». ولم يذُكر في كتاب كته الأخبار المطبوع ركن 4 ج 1 ص 70 شي عن ذلك. وفي كتاب لهجه عثماني طبعة اسْتانْبول 1306هـ ج 1 ص 330 أن: اسم القلعة جاتال برغوس ولوله برغوس شي آخر، وهي بمعنى قلعة برغوس وكلمة بورغاز خطأ.

(3) جاء في تاريخ عاشق باشا زاده ص 60: «اطلقون قلعة بلنيه على اينجكز. وفي تاج التواريخ ج 1 ص 89 قلعة بولونية في انجوكز. وصحائف الأخبار ج 3 ص 297 «قلعة اسمها بولونية في نواحي انجوكز. وفي كته الأخبار المطبوع ركن 4 ج 1 ص 70 «في هذا العام وصل إلى بلنه سنة 887 هـ وحوُصرت لعدة أيام من قبل اورنوس بك».

[يهدمُها اللهُ]، ومضى[1]. وكانت ثمّ شجرةُ «قواق آغاجى»[2] فنزلَ السّلطان «مُراد» تحتَ هذه الشجرةِ، وأسندَ ظهرَه إليها، وبينما كان جالسًا منتصبًا جاءه خبرٌ بهدم جانبٍ مِن القلعةِ، فأرسلَ السّلطان مُراد «لالا شاهين»؛ فوصلَ هناك وأخذَ الأموالَ والأسرى، وقسَمَها على الغُزاةِ، ووجدَ بعضُ الناسِ «الأسكوف» في القلعةِ؛ فوضعوه على رؤوسِهم، وذهبوا به إلى السّلطان «مُراد». ومنذ ذلك الوقتِ بدأ لُبْسُ الـ «اوسكوف»[3]، ويطلقون على هذا الشجرِ الآنَ اسمَ «دولتلو قواغج»[4]. ولا تزالُ آثارٌ لتلك الشجرةِ إلى الآنِ.

[حكايةٌ عن «آق بييق دده م» و«ملايكان»][5]

وبعد ذلك، خرجَ السّلطان «مُراد» مِن هذا المكانِ، ووصل «أدرنة»، وقام بإرسالِ وزيرِه «خيرِ الدينِ باشا»[6] لفتحِ قلعةِ «أورنوس ايل كون»[7]. ولكِنَّ «خيرِ الدينِ باشا» لَم يصبِرْ على ما رأى؛ فقدْ كان العلماءُ والطّامعونَ

(1) جاء في تاريخ عاشق باشا زاده ص 60 «وهربوا في النهاية». وفي كنه الأخبار المطبوع ركن 4 ج 1 ص 70 «نزل هناك» ولم يذكر وجهته بعد ذلك، وفي تاج التواريخ ج 1 ص 19 وصحائف الأخبار ج 3 ص 297 «بين أن حضرة السّلطان عزم الذهاب إلى ساحل البحر الأبيض [اق دكز]».

(2) المقصود به شجر الجوز. (المترجم).

(3) يؤيد كلّ من تاريخ عاشق باشا زاده ص60 وتاج التواريخ ج 1 ص 90 قول المؤرخ لطفي باشا، بينما ذُكر في كتاب كنه الأخبار المطبوع ركن 4 ج 1 ص 70 أنهم لبسوه أثناء فتح سيروز. وصحائف الأخبار ج3 ص 297 لم يذكر شيئًا عن ذلك.

(4) ذكرها عاشق باشا زاده في تاريخه ص 60 باسم «دولتلو قبا اغاج».

(5) هذا العنوان من وضع (المترجم).

(6) انظر ص 32 في الاستطراد رقم 2.

(7) ذكر عاشق باشا زاده في تاريخه ص 61 «أمر خير الدين باشا ونزل عند قلعة وارك اوره، وقام بفتح الولاية.

يصاحبون السّلْطان، وظهر ظلمُهم، بل زاد في ذلك الوقتِ. وإذا كان في الدولةِ ظلمٌ وفسادٌ فإنما كان بسببِ العلماءِ؛ لأنهم لا يعملون بعلمِهم، حتى صارت العامّةُ يقتدون بهم في المعاصي. وهناك حكايةٌ عن هذا الأمرِ: كان بالقربِ مِن «يكي شهر» التي تقعُ في «الأناضول» رجُلٌ يُسمَّى «آق بيق دده م» [1]. وبينما كان يجلسُ ذاتَ يوم في «بروسة» مع «مغله يكن» [ملايكان]» [2] قال له: «يا مولانا، كلُّ الذنوبِ التي يعملُها العامّةُ جميعُها بسببِ أهلِ العلم، وسيسألُكم الله- عزّ وجلّ- عن هذه المعاصي». فقال الملايكان: «لماذا»؟ قال «آق بيق دده:» أنتم تعلمون ذلك، ومع ذلك تزْنُون وتلُوطون، وتأكلون

---

(1) اق بيق دده: من دراويش حاجي بيرام ولي. وذكر كتاب» كلدسته رياض العرفان ص 221، بعد السياحة وصل إلى بروسه، وتُوفّي في عصر السّلطان بايَزِيد خان، ودفن في محاذاة المدرسة الصرافية الكبيرة بالقرب من الجامع الكبير. وبعد أن ذكر أنه توجد له حديقة ومسجد معروف ينتمي إليه بالقرب من مزاره، قال يوجد في بعض التواريخ أنّ الدرويش المشار إليه كان موجود مع حضرة اق شمس الدين أثناء فتح اسْتانْبُول. وجاء في عاشق باشا زاده ص 135» عندما ذكر المؤرخ الدرويش أحمد عاشقي أفندي تفصيلات الحرب التي وقعت بين السّلطان مراد خان الثاني وزان هونياد في قوصوه قال: «وقتل الفقير أيضًا بعض الكفار، وأعطى السّلطان للفقير حصانًا، وأعطى أيضًا للدرويش اق بيق» وفي ص 202 وبعد أن ذكر أن المشار إليه من مشايخ عصر السّلطان مراد خان الثاني. وفي ص 203 قال «كان موجودًا هذا الشيخ العزيز في حياة السّلطان ابنه السّلطان محمد خان غازي» وطبقًا لما قاله عاشق باشا زاده في تاريخه أنّ اق بيق كان موجودًا في فتح اسْتانْبُول سنة 857 هـ فالقول بأنّه كان موجودًا في حرب زان هونياد يعدّ صحيحًا.

(2) ملايكان: اسمه محمد بن ارمغان. من جماعة اقجه قيونلي الموجودة في ايدين تعلم في بلده، ثم أكمل علومه/ تعليمه على يد الملا فناري، وعمل مدرسًا في مدرسة مناستر عام 771 هـ وفي سنة 822 هـ ولي قضاء بروسة. وبعد أن ذهب للحج وعاد لم يقبل الوظيفة وتُوفّي سنة 840 هـ ودفن في حظيرة معلم خانة التي أنشأها بالقرب من المدرسة الموجودة بجوار عمارة السّلطان يلدرم بايَزِيد في بروسة. وذكر عاشق باشا زاده في تاريخه ص196، عندما ذهب ملايكان للحج أعطاه السّلطان مراد خان الثاني ثلاثة آلاف وخمسمائة فلوري كلّ سنة.

الرِّبا، ولَم تفرِّقوا بين الحلالِ والحرام، والعامَّةُ يفعلون كما تفعلون[1]. ولْنكُنْ متصفين، أليسَ هذا هو الواقعَ. وكما قال الدرويش، «آق بييق دده» ألا يوجَدُ في هذا الزمانِ أهلُ علم يردُّون الشُّبهةَ، أو على الأقلِّ يرُدُّون شُبهةً واحدةً في حياتِهم، ويقولون هذا حلالٌ وهذا حرامٌ؟ فالحكمة تقتضي ألَّا يعملوا الموبِقات.

فلْنرجعْ إلى هدفِنا ومقصودِنا[2]. وبعد ذلك، وصل «لالا شاهين»، وفتحَ قلعةَ «قواله»[3] و«دارمه»[4] و«زخنا»[5]، كان هناك أعيانٌ كُثر من الذين هاجروا إلى ولايةِ «صاروخان» في «الأناضول»، ولأنهم من الأشقياءِ

---

(1) ذكر هذه الصحبة كتاب كنه الأخبار، المطبوع ركن 4 ج 1 ص 105، وأنها حدثت في الجامع الشريف.

(2) مما كرّره المؤلف لطفي باشا في كتابه هذا إكثاره الاستطراد إلى أحداث تخرج عن موضوع الكتاب الأساسي، وهو سردُ الوقائع التاريخية، ثمّ يعود إلى هدفه بقول جُمل معينة مثل: «بز كيرو مقصودمزه كله لم»: «فلنعد الآن إلى مقصودنا». (المترجم).

(3) قواله: هي مدينة وميناء في قضاء ومركز درامه في ولاية سلانيك، تقع جنوب شرق مدينة درامه بـ 24 كم، ومنها محمد علي باشا الذي حكم مصر، وبه آثار خيرية كثيرة قد بناها، واسمها القديم نتيوليس. انظر: ش. سامي: قاموس الأعلام، مهران، مطبعة سي، استانبول، 1306هـ / 1889م، ج 5 ص 2709.

(4) درامه: مدينة في ولاية الروم ايلي بين تراقيا ومقدونيا، وهي مركز لسنجق ملحق بولاية سلانيك، تقع شمال شرق سلانيك بـ 120 كم. واسمها القديم درابسقوس. انظر: ش. سامي: قاموس الأعلام، مهران، مطبعة سي، استانبول 1306هـ/ 1889م، ج 3 ص 2127.

(5) زخنا: (زيخنه): مدينة تقع جنوب شرق سيروز في سنجق سيروز في ولاية سلانيك، انظر: ش. سامي: قاموس الأعلام، مهران، مطبعة سي، استانبول، 1306هـ/ 1889م، ج 4 ص 2438.

ساروا إلى ناحيةِ «سيروز»[1]. وبعد ذلك، فتحَ «لالا شاهين» مناستر[2]. وذلك سنةَ 787 هـ[3].

(1) ذكر عاشق باشا زاده في تاريخه ص61 أنه: أمر بذلك أمير الأمراء قره تمورتاش باشا. وقره تمورتاش باشا: هو ابن قره علي بك من الأمراء، صار أمير أمراء، وبعد وفاة لالا شاهين عُين أمير أمراء الروم ايلي. وبعد حربه مع ابن قرمان التي وقعت سنة 788 هـ كافأه السّلطان بتعيينه في الصدارة العظمى. وهو أول مَن حصل على الصدارة وإمارة أمراء الروم ايلي في نفس الوقت. واستشهد ابنه يخشي بك في حرب تيمور، ووقع أبناءه الآخرين علي بك، واوروج بك، ومحمود بك أسرى. وعندما ذهب تيمور إلى كوتاهية بعد الحرب، -ومرّ من هناك في فصل الصيف- وفي صحائف الأخبار ج 3 ص 313 أن: تيمور عندما مرّ من كوتاهيه وجد خزينة الباشا تشتمل على جواهر نفيسة وأشياء ثمينة. وكانت تقدر بثماني أوقيات وحسبها بعشرين أوقية. وتعجّب تيمور من أحد أمراء الدولة العلية تشتمل خزينته على كل ذلك، فجاء به إليه وعاتبه قائلًا: «لماذا لم تصرف كلّ الأموال التي تدّخرها في خزينتك في جمع الجنود، لكي تدفع الهزيمة عن ولي نعمتك. فقال الباشا: سلطاننا ليس طفلًا. ولا يحتاج إلى وصي. وليس حديث عهد بالدولة. وليس مثل حديث عهدٍ بالدولة الذي يطمع في أموال أتباعه»، فتغيّر وجه تيمور من كلام قره تيمور باشا، وقال له: «كنت قد عزمت على إطلاق سراح أبنائك. ولكن غيّرت رأيي بسبب تعريضك بسوء الأدب. وحبسهم مرة أخرى. وبعد الخلاص تواجد في معية الشهزادة عيسى چلبي في الحرب التي وقعت عام 808 هـ بين الشهزاده المشار إليه وچلبي سلطان محمد خان بالقرب من نهر اولو اباد في بروسة. وفي أثناء هزيمة وفرار عيسى چلبي من المعركة تمّ طعنه بالخنجر من طرف كوله- أنزله من ظهر حصانه وترحم عليه-. ووجد بعض رجال الباشا من العساكر السّلطانية الذين أوقعوه من على حصانه ما زال فيه رمق في الحياة، فأخذوه، وعندما أحضروه إلى حضرة السّلطان تمّ قطع رأسه وسلمت روحه للباري. وتمّ إرسالها إلى الشهزادة «سُليمان». وذكر كلدمته رياض عرفان ص 63 أنّ جسده دفن في سوق بالق في بروسة. وذُكر في تاج التواريخ ج 1 ص 94 وصحائف الأخبار ج 3 ص 298 «أنّه تمّ إحداث سباه اوغلي وتقسيمه على أولاد التيمار ووظيفة السباه، وتمّ ترتيب جند الوينق/ وينوق من أجل الحفاظ على خدمات ووضع ولوازم السفر حتى لا يكون محرومًا من قول اوغلي. وفي النهاية يوجد في التواريخ العثمانية أنّ: هؤلاء هم أبناء ات اوغلان لري. ويعني ذلك كما جاء في القاموس التركي أنه كان يوجد في جيش الخدمة العثمانية عساكر البلغار في ذلك الوقت.

(2) مناستر: مدينة تقع شرق بلاد الأرناؤوط في ولاية الروم ايلي، وفي الجهة الغربية من ماقدونيا وشمال غرب سلانيك بـ 180 كم، انظر: ش. سامي: قاموس الأعلام، مهران، مطبعة سي، استانبول، 1306 هـ/ 1889م ج6 ص 4437.

(3) الموافق 1385م. (المترجم).

[موقعةُ «قوصوه» واستشهادُ السّلطان «مُراد خان»] (1)

وبعد ذلك، ذهبوا إلى «ابن لاز» [لازاوغلي] (2). فأرسل «ابن لاز» رسالة إلى السّلطان «مُراد» وقال له: «فلنأتِ لنتقاتلْ، وسنرى لمَن تكونُ الدولةُ» (3). فجمعَ «غازي مُراد خان» الجيشَ، وأخذَ معه ابنيه «يلدرم بايَزيد» و«يعقوب چلبي»، وخرجوا إلى «قوصوه»، والتقَوا بجيشِ «الصرب»، وجاء جيشُ الكفارِ إلى «ابن لاز» مِن كلِّ مكان، وكانوا قد أرسَلوا مع الجيشِ أمراءهم.

وكان قد تجمّعَ جيشٌ لا حصرَ له في «قوصوه» (4)، ووقعتْ حربٌ ضروس (5). وفي النهاية انتصرَ الغُزاةُ، وهزموا الكفارَ شرَّ هزيمةٍ ودحروهم، فهربوا.

---

(1) هذا العنوان من وضع (المترجم).

(2) ذكر هامر في تاريخه الفرنسي ترجمة هللر 1835 طبعة باريس ج 1 ص 285 أنه: لازار حاكم الصرب.

(3) ذُكر في تاج التواريخ 1279هـ المطبعة العامرة ج 1 ص 114 أنه: أرسل رسول إلى السّلطان مراد خان الموجود في قلبه.

(4) ذُكر في تاج التواريخ ج 1 ص 114 «حشد ابن لازار مع حكام البوسنة والفرنج والمجر والأفلاق والأرناؤوط والبغدان والنمسا جيش قوامه مائتين ألف جندي. وفي ص 115 «أمّا الجيش العثماني فكان يتكون من اسفنديار بك حاكم قسطموني، ويعقوب بك حاكم كرميان، وحكام صاروخان ومنتشا ايلي وايدين ايلي وحميد ايلي. وتمّ اختيار قوصوه موقع للحرب من طرف السّلطان مراد خان.

(5) جاء في كتاب صحائف الأخبار، المطبعة العامرة 1285هـ ج 3 ص 303: «كان حضرة السّلطان في قلب الجيش وفي الجناح الأيمن الوزير الأعظم علي باشا، وفي الجناح الأيسر يوجد أمير الأمراء تيمورتاش باشا، وفي الميمنة يوجد الشهزادة السّلطان بايَزيد وصاروجه باشا، وفي الميسرة الشهزادة يعقوب چلبي مع طورغودجه بك وفي الجناح اليمين اورنوس بك وابنه بك صوباشي في الجناح الأيسر، والإنكشارية تقف أمام السُّلطان. وتمّ انتخاب ألفين من رماة السهام من قبل اورنوس بك. وتمّ ترتيب الصفوف على هذا النحو: ألفًا في الميمنة وألفًا في الميسرة من رماة السهام.

وبينما كان السّلطان «مُراد» يمرُّ بين جيشِ الكفارِ المهزوم، كان بين الجنودِ المهزومين جنديٌّ يرقدُ ملطَّخًا بالدماء؛ إذْ كانَ يراقبُ السّلطان «مراد»، وعندما رآه واقفًا أمامَه قامَ في الحالِ، وطعنَه على حينِ غفلةٍ، فسقطَ شهيدًا[1]- رحم اللهُ رحمةً واسعة-.

وبعدها انتظرَ الأمراءُ «يلدرم خان»، وقيّدوا أخاه «يعقوب چلبى» وحبسوه[2]. ومنذ ذلك الوقتِ بدأ ما يُعرَفُ في الدولةِ العثمانيةِ بقتلِ الإخوة. وتمَّ القبضُ على «ابن لاز» في هذه الحربِ، وأحضروه أمامَ السّلطانِ «يلدرم خان» وضربوا عنقَه، [ومضى إلى النارِ وإلى سَقَر].

حكمَ السّلطان «مُراد» ثلاثين عامًا، وبنوا له قبرًا في المكانِ الذي استُشهِد فيه في «قوصوه»، ثمّ نقلوا جسدَه إلى «بروسة»، ودفنوه هناك[3]، وذلك سنة 791هـ[4].

---

(1) ذكر عاشق باشا زاده في تاريخه، المطبعة العامرة 1332 هـ ص 63 أنّ: اسم الجندي الذي قتله هو «بلش كوبله» ميلوش قوبله». بينما لم يذكر اسمه تاج التواريخ ج 1 ص 122. وجاء في صحائف الأخبار ج 3 ص 304 أنّ: اسمه «ميلوس وإذا كان يوجد لم قونليش فذلك من سهو الترتيب. ولم يذكر اسمه في كنه الأخبار المطبوع ركن 4 ج 1 ص 73. وجاء في كلدسته رياض عرفان أن: اسمه ص 23 «ميلوش نيقوله. وفي تاريخ هامر النص الألماني، 1827، مطبعة بشته ج 1 ص 212 والطبعة الفرنسية 1835م طبعة باريس ج 1 ص 284 أن: اسمه «ميلوش قوبيلوريج».

(2) ذكر المؤرخ عالي في كنه الأخبار المطبوع ركن 4 ج 1 ص 27 أنّ «الذي كان السبب في استشهاد الشهزادة يعقوب جلبي هو الوزير خير الدين باشا. ودفن في مكان بالقرب من النوافذ التي تطل على تربة مراد خان الموجودة في جكرجه في بروسه.

(3) هي قرية جكرجه تبعد ساعة في الغرب عن بروسة.

(4) الموافق 1389م. (المترجم).

عصرُ السّلطان بايَزِيد خان الأوّل

بعد ذلك، رحلَ السّلطان «يلدرم بايَزِيد»، ووصل «أدرنة». وفي هذا العامِ فتح «معادن قره طوه»[1]، ونواحيها. وفي هذا العامِ أيضًا فتحَ قلعةَ «ودين»[2]. وبعد ذلك، قامَ «فيروز بك»[3] بشنِّ هجومٍ على وِلايةِ «أفلاق»[4]. وهجم أيضًا على «البوسنة»، وفتحَ الغُزاةُ عِدّةَ أماكنَ وغنموا غنائمَ كثيرة.

وبعد ذلك، انتقلَ «يلدرم بايَزِيد» إلى مكانٍ آخرَ، وأمرَ ببناءِ جامعٍ ومدرسةٍ ومستشفى وأكمل بناءها[5]. وبعدها وصلَ إلى «أدرنة»، وبنى

(1) معادن قره طوه: (قره طوه): مدينة صغيرة تقع شمال شرق اسكوب بـ 70 كم في سنجق اسكوب في ولاية قوصوه، انظر: ش. سامي: قاموس الأعلام، مهران، مطبعة سي، استانبول، 1306هـ / 1889م، ج 5 ص 3639.

(2) ودين: مدينة صغيرة في سنجق على نهر طونه تبعد عن مدينة صوفيه 160 كم شمال غرب بلغارستان، انظر: ش. سامي: قاموس الأعلام، مهران، مطبعة سي، استانبول، 1306هـ / 1889م، ج 6 ص 4681.

(3) فيروز بك: من الأمراء، بعد أن شهِدَ الحروبَ ولاسيما حرب قوصوه صار محافظ ويدين. واستشهد في حرب تيمور 804 هـ.

(4) أفلاق: واحدة من أكبر مدن دولة رومانيا الموجودة في شبه جزيرة البلقان، واسمها ولاخ أو اولاخ. انظر: ش. سامي: قاموس الأعلام، مهران، مطبعة سي، استانبول، 1306هـ / 1889م، ج 2 ص 1004.

(5) هو الجامع الكبير «اولو جامع» الموجود في بروسة. ومقدّم عن الجامع الشريف المعروف هناك وهو في جهة الشرق من بروسة، وتمّ إنشاؤه في المكان الذي يُعرف باسم يلدرم خان، بالقرب من قبر بايَزِيد خان.

عمارةً هناك [1]. وبعد ذلك، وصل إلى «بروسة» مرّةً أخرى، وجمعَ جيشًا، وخرج به على «ابن قرمان»، لأنه هاجمَ بعضَ ممالكِه [2].

فلَم يأتِ القرمانيّون إليه، فاستولى [بايَزيد] على بعضِ بلادِهم. وفتحَ ولايةَ «آيدين» [3] و«آلا شهر» [مدينة الا][4] و«آيا صلوغي». وبعد ذلك، تُوفّي أمراءُ «صاروخان» و«كَرميان» [5]. وفي النهايةِ أخذَ «يلدرم خان» جميعَ ولاياتِهم [6]، وكانت هذه الفتوحاتُ سنةَ 792 هـ [7].

وبعد ذلك، عبرَ السّلطان «بايَزيد» مِن «كليبولى» ووصل إلى «القُسطَنطِينية». ونهبَ نواحِيها، وبينما كان يحاربُ أصحابَ القلعةِ جاء حاكمُ «أنكروس»[المَجر] [8]، وحطَّ برحلِه على «نيكبولى» [9] وحاصرَها، فعلِمَ السّلطان «بايَزيد» بذلك، فخرجَ مِنَ «القُسطَنطِينية»، وكبسَ ملكَ

---

(1) ذكر الشاعر بروسه لي بليغ أفندي في «كلدسته رياض عرفان ووفيات دانشوران نادران، «طبعة بورصة 1302 هـ صـ 29 «بنى جامع وعمارة في أدرنة المحمية».

(2) هو علاء الدين بك ابن قرمان.

(3) آيدين: [كوزل حصار]: مدينة تقع في سنجق ايدين في ولاية ايدين، جنوب شرق إزمير. انظر: ش. سامي: قاموس الأعلام، مهران مطبعة سي، اسْتانْبول، 1306هـ/ 1889م، ج 1 ص 512.

(4) آلاشهر: عرفت قديمًا (فيلادلفية)، وهي مدينة في ولاية آيدين. انظر موستراس، المعجم صـ 89.

(5) جاء في كتاب صحائف الأخبار، المطبعة العامرة، 1285هـ ج 3 ص 33 و 34 «أنه ابن صاروخان هو خضر شاه بك، وابن كَرميان هو يعقوب بك.

(6) إفادة المؤرخ هذه تخالف الوقائع التاريخية، وسيتم بيان ذلك في استطراد.

(7) الموافق 1390م. (المترجم).

(8) ذكر هامر في تاريخه باللغة الفرنسية ترجمة هللر طبعة باريس 1835م، ج 1 ص 325 أنه حاكم المجر سيكيزموند.

(9) نيكبولى: مدينة على ساحل نهر طونه تقع شمال غرب زشتوه بـ 40 كم في سنجق زشتوه في بلغارستان، وقام السّلطان يلدرم بايَزيد بفتحها وهزم حاكم المجر سيجسموند. انظر: ش. سامي: قاموس الأعلام، مهران مطبعة سي، اسْتانْبول، 1306هـ/ 1889م، ج 6 ص 4637.

المَجَرِ وجيشَه.

وبينما كان حاكمُ المَجَرِ يحاولُ العبورَ بجيشِه مِن نهرِ «طونه»، كبسه المسلمون مِن الخلفِ، وقتلوا كثيرًا مِن الكفارِ، وغنموا غنائمَ لا حصرَ لها. وذلك سنةَ 793 هـ[1].

وبعد ذلك، فتحَ «يلدرم بايَزِيد» «نيكه بولي» و«سلستره»[2] ونواحِيهما. وبعدَها أرسلَ جنودًا للهجومِ على نواحي «المورة». وفُتحتْ بعضُ الأماكنِ هناك. وتزوّجَ السّلطان بايَزِيد بابنةِ حاكمِ «ولق»[3]. وقبلَ أنْ يتزوَّجَها كان لا يعرفُ الصّحْبةَ والعِشرةَ، ولا يعرفُ الخمرَ، وكان السّلطان «عثمان» و«أورخان غازي» لا يشربانِ الخمرَ في زمانِهم.

وفي ذلك الوقتِ، كان لأهلِ العلمِ كلمةٌ مسموعةٌ عند الأمراءِ، وكان الأمراءُ لا يعصُونَ أمرَهم؛ ولذلك كانوا ينكرونَ كلَّ ظلمٍ أو فسادٍ يصدُرُ مِن آلِ عثمانَ، وإنْ لَم يمتنِعوا عن الظلمِ اعتزلوهم لأنهم ليسوا مفسِدين. فكانوا لا يخافون على مناصِبِهم مِثلَ علماءِ عصرِنا، ولا يطمعون في الانفرادِ به، وكانوا يمنعونَ ما يخالفُ الشرعَ، وكانوا يفعلون ما يقولون.

---

(1) الموافق 1391م. (المترجم).

(2) سلستره: مدينة تقع جنوب شرق صوفيه على ساحل نهر طونه في إمارة بلغارستان، وكانت تسمى في زمن الروم (دوروستورم) وفي القرون الوسطى أطلق عليها البلغار (دبرستريا) وحول العثمانيون الإسم إلى سلستره. انظر: ش. سامي: قاموس الأعلام، مهران مطبعة سي، استانبول، 1306هـ/ 1889م، ج 4 صـ 4599.

(3) جاء في تاريخ هامر الفرنسية ترجمة هللرج 1 ص 295 أنها: أخت اتين ابن لازار حاكم الصرب ولم يذكر اسمها ص 316.

شعر

مَـــنْ مِـــنَ الـعـلـماء الـقـدامـى
لا يـنـظـرُ إلى المـــالِ في عـصـرِه

مَـن يـزعـمُ أنهـم غـيرُ مـوجـودِيـن
يحِـلُّ عـلـيـه الـبـلاءُ في الآخــرة

وما حـدثَ الآنَ أنهم يـدَّعـون العلمَ
يـقـولـون كـما يـقـولُ الحـاكـمُ

فـمَـن كـان تـابـعًـا لـلـحـاكـم
فـإنـه لا يـشـبـعُ مِـن جمـعِ المـالِ

وأحــبُّــوا الحـيــاةَ الـدنـيـا
ومَن يستطيعُ أنْ يحفظَ نفسَه عن ملذَّاتِ الدنيا

وانتشرتْ بين الناسِ فكرةُ الحسدِ والتزويرِ
والخبثُ مِثلَ الكلبِ يلهثُ أمامَ الناسِ

والجيفةُ بجلاةٌ وذليلةٌ ومصفاةٌ
واليومَ الوطنُ مِثلُ البومِ في أقبحِ حالٍ

ولو أُعطِيَ الإنسانُ مالَ قارونَ
لقالَ: ليس معي أريدُ المَزيدَ

فرأسُه مليئةٌ بالكِبْرِ، ونفسُه مليئةٌ بالحقدِ
فقدْ أضلَّه إبليسُ اللعينُ

ويـــــرائــــــي الــــنــــاسَ
ولَمْ يــرِثْ الحـيـاةَ مِـن الـنـبـيِّ (١)
فـمَـن يــرِثْ الـيـقـينَ مِـن الـنـبيِّ
لا يجتمعُ في قلبِه حقدٌ أو حسدٌ أو كِبْرٌ
فـمَـن يـكـتـسـبُ هـذا الـعـلـمَ
يــرِثْ أشـيـاءَ مِــن الأنـبـيـاءِ
عـلـمُ الأنـبـيـاءِ هـو الـكـشـفُ
فلْيأخذْ هذا الميراثَ مِن الأنبياءِ والأولياءِ
ويـومَ القيامةِ يـتركُ الإنـسـانُ مالَه
ويـقـول: أيـن هـو؟ فـقـدْ ذهـبَ.

نثر: وفي ذلك الزمانِ كان يُعيَّنُ لوظيفةِ القضاءِ مِن بين المدرِّسين العلماءُ الصّالحون، وظلَّتْ مِهنةُ القاضي شاغرةً فترةً مِن الزمنِ؛ لأنَّ الناسَ كانوا لا يرضونَ بمهنةِ القضاءِ؛ لأنهم كانوا يقولون: «القضاءُ مكانُ حصيرٍ في جهنَّم» (2). فكانوا يهربون مِن القضاءِ، ولكنَّ العجيبَ أنَّهم في ذلك الوقتِ [في عصرِ يلدرم بايَزِيد] كانوا يدفعون الرِّشوةَ مِن أجْلِ القضاءِ. ويلتمِسون الشّفعاءَ، ويتذلَّلون أمامَ بابِ الأمراءِ وقُضاةِ العسكرِ، ولكنْ كانوا لا يلتفِتون إليهم. [ومَن يريد أنْ يتعيَّن في مِهنةِ القضاء] يصاحبون العجمَ والقرمانيِّين الموجودين أمامَ البابِ الهمايوني. ولذلك ارتكبَ العثمانيّون شتَّى أنواعِ

(1) يشير هنا إلى الحديث الشريف «العلماء ورثة الأنبياء».

(2) يقصد المؤلف هنا كلمة حصير بمعنى ضيق أو مكان للحبس، كما في قول الله عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾. (المترجم).

الذنوبِ والآثامِ بسببِ كثرةِ هؤلاءِ الذين ملأوا الدنيا بالفسادِ والمعاصي. وعندما أصبحَ «علي باشا» بن «قره خليل»[1] وزيرًا ازداد الفسقُ والفجورُ، وظهرتْ الأعمالُ المحرَّمة، مثلَ شراءِ العبيدِ الملاحِ، وأخذِ الرشوةِ، وظهورِ التزويرِ بين الناسِ. وهو الذي أمرَ بصكِّ عُمْلةٍ جديدةٍ، ومنعَ البيعَ والشراءَ بالعُمْلةِ القديمة.

وظهرَ بسببه- أيضًا- فسادُ أكثرِ القضاةِ، وانتشرتْ الرّشوةُ بينهم. ولمّا علمَ السّلطان «يلدرم بايَزيد» بأحوالهم قال: «اجمعوا كلَّ القضاةِ الموجودين، وضعوهم في «يني شهر»، وأحرقوهم جميعًا»، وعندما علمَ «علي باشا» بذلك؛ عجزَ عن الردِّ، ولَم يجِدْ حيلةً في إنقاذِ القضاة.

[قِصّةُ مُضحِكِ السّلطانِ وإنقاذِ القُضاةِ][2]

وفي النهايةِ، كان للسّلْطانِ رجلٌ عربيٌّ نديمٌ ظريف، وكان مقدّمًا عنده، مسموعَ الكلمةِ، بحيثُ إنَّ السّلطان «يلدرم بايَزيد» إذا غضبَ لا يجسُرُ أحدٌ على مُحاورتِه غيرُه. ومِن المناسِبِ هنا ذِكرُ طُرفةٍ أو طرفتين مِن نوادرِه: «ذاتَ يوم، غضِبَ السّلطان «يلدرم بايَزيد» على بعضِ الناسِ، فجِيء بهم إلى وسطِ الدّيوان؛ لكي يُعدَموا، ورأى الوزراءُ غضبَ السّلطان «بايَزيد» فلَم يستطِعْ

(1) علي باشا: هو ابن الصدر الأعظم جندرلي قره خليل خير الدين باشا. عُين في سنة 770 هـ قاضي عسكر، وعندما ذهب السّلطان مراد خان الأول إلى «أدرنة»عام 788 هـ، وبعد أن أرسل والده خير الدين باشا إلى الجانب الغربي في الروم ايلي، تُوفي عند وصوله إلى يكيجه، وبناءً عليه تم تعيين ابنه علي باشا صدرًا أعظمًا، وعزل من قضاي العسكر. وبعد أن شارك في حرب تيمور عام 804 ذهب مع الشهزادة سُليمان جلبي إلى «أدرنة»، وتُوفِّي هناك سنة 810 هـ.

(2) هذا العنوان من وضع (المترجِم).

أحدٌ أن ينقذَ هؤلاء مِن الموتِ مِن شِدَّةِ خوفِهم، وطأطؤوا رؤوسَهم. فقال أحدُ الوزراءِ في ذلك الوقتِ: «لو كانت هناك حِيلةٌ لإنقاذِ هؤلاء؛ فستكُونُ مِن المُضحِكاتِ». فقاموا هذه المرَّةَ باستدعاءِ العربيِّ، وقالوا له: «أيُّها العربيُّ، إنْ أنقذتَ هؤلاء القضاةِ بحِيلتِك فسنكرِمُك»، فتقدَّمَ الرجلُ العربيُّ في تلك الأثناءِ وقال: «يا أيُّها السّلطان، لا تُعطي الأمانَ لهؤلاء، اقتلْهم. هؤلاء هُم القرمانيّون الخائنون. فقال «يلدرم خان»: «لماذا؟ هل لهؤلاء جُرْمٌ آخَرُ؟». فقال العربيُّ: «يا مولاي، لا تَدَعْ هؤلاء، فقدْ خرجَ جيشُ «تَيْمُورلنك» وجاء إلينا. اقتلْ هؤلاء الآنَ وأنتَ ستحمِلُ الرّايةَ، وأنا سأدُقُّ طبولَ الحربِ، ونذهبُ ونقاتلُ «تَيْمُورلنك»، ونردُّ العدوَّ معًا.

فعندما سمع «بايَزِيد خان» هذا الجوابَ خطرتْ ببالِه بعضُ الأفكارِ، وعفا عن أولئك الرّجالِ. وكان كلُّ ما يقولُه العربيُّ في عصرِ «يلدرم خان»، في موضِعِه. بعد ذلك استدعى «علي باشا» الرجلَ العربيَّ، وقال له: «أيُّها العربيُّ إنْ أنقذتَ القضاةَ مِن يدِ السّلطان فسأعطيك كلَّ ما تريدُ[١]».

فاستجابَ العربيُّ، وسارَعَ فلبِسَ القُفْطانَ، ووضعَ البورك [العِمامةَ] على رأسِه، وذهبَ إلى السّلطان «يلدرم خان». فقال «يلدرم خان»: «يا عربيُّ» لقد أتيتَ بسرعةٍ هذا اليومَ». فقال العربيُّ: «أريدُ طلبًا مِن السّلْطان». فقال السّلْطان: «ما طلبُك»؟. فقال العربيُّ: «أريدُ أنْ ترسِلَني سفيرًا إلى «إسلامْبُول». فقال السّلْطان: «وماذا تفعلُ في «إسلامْبُول»؟.

فقال العربيُّ: «أذهبُ وأطلبُ مِن حاكمِ «إسلامْبُول» أربعين أو خمسين راهبًا». فقال السّلْطان: «ماذا تفعلُ بالرُّهْبان؟»، فقال العربيُّ: «أيُّها السّلطان

(١) ذكر تاريخ صحائف الأخبار ج 3 ص 308 أنه وعده بعشرين ألف درهم.

نحن سنقتلُ القضاةَ، ويجبُ أنْ نعيّنَ قُضاةً مِن الرّهْبان». فقال السّلْطان: «أيّها العربيُّ، ماذا سيحدثُ لو عيّنّا هؤلاءِ القضاةَ مِن خدمي». فقال العربيُّ: «يا مولايَ عبيدُك ليسوا متعلّمين، وينبغي أنْ يكُونَ القضاةُ متعلّمين». فقال السّلْطان: «أيّها العربيُّ، هل جميعُ القضاةِ متعلّمون؟».

فقال العربيُّ: «مولايَ، الجاهلُ لا يكونُ قاضيًا أبدًا». فقال السّلْطان: «إذا كان هؤلاء القضاةُ متعلّمين، فلماذا لا يعملون بعِلمهم». وعندئذ استدعى السّلطان «علي باشا» وقال له: «هل هؤلاء القضاةُ متعلّمون؟»، فقال «علي باشا»: «لا يوجَدُ قاضٍ أمّيٌّ». فقال السّلْطانُ: «إذا كانوا متعلّمين فلماذا يفعلون ويتصرّفون هكذا»؟. فقال «علي باشا»: «لأنه لا معاشَ [مرتّب] لهم، ويجبُ أنْ نخصّصَ لهم راتبًا». فقال السّلْطانُ: «فلْنخصّصْ راتبًا مناسِبًا لهم. فوضع «علي باشا» رسومًا للقاضي، عشرون أقجه مِن كلّ شخصٍ يمتلكُ ألفَ أقجه، وآقجتين على كلّ رسالةٍ، وطُبقتْ هذه العادةُ أيضًا على «قضاة العسكر»(1). وأوّلُ مَن سنّ هذا الأمرَ «علي باشا»، فلَم تكُنْ موجودةً مِن قبلُ.

وذاتَ يوم، أغارَ «ابن قرمان» على ولايةِ «حميد»(2) فجاء أهلُها إلى السّلطان «يلدرم خان» واشتكوا إليه(3). فسارَ «يلدرم بايَزيد» إلى «ابن قرمان»، فذهبَ «ابن قرمان» إلى ولايةِ «طشره»(4) فنزلَ «يلدرم خان» على «قونية»، وفتحَها،

---

(1) جاء في صحائف الأخبار ج 3 ص 309 أنه: جعل ضريبة الحج 25 اقجه والتسجيل 7 اقجات والنكاح 12 اقجه وتقسيم الميراث 2 اقجه.

(2) وكان السّلطان مراد خان الأول قد اشترى ولاية حميد ايلي من حميد اوغلي كمال الدين حسين بك.

(3) جاء في تاج التواريخ أنه: علي بك ابن قرمان ج 1 ص 128.

(4) جاء في تاج التواريخ ج 1 ص 129 أنه: ذهب إلى طاش ايلي، وهي في الناحية الشمالية من قرمان.

واستولى عليها. وقام أيضًا بالاستيلاءِ على «آق سراي»[1]، و«نيكده»[2]، و«قيصرى»[3] ونواحِيها. وعندما سمعَ «ابن قرمان» هذا الأمرَ عجزَ عن فِعلِ أيِّ شيءٍ، وأرسلَ سفيرًا إلى السّلطان[4]. وعقدَ صُلْحًا مع «يلدرم خان»، وجعلَ نهرَ «جهارشنبه» حدًّا بينهما، على أنْ تكُونَ ناحية «لارنده» لابنِ قرمان، وناحية «قونيه» لـ«يلدرم خان». فتركَ السّلطان «يلدرم بايَزِيد» رجالَه هناك، فأحكَموا السيطرةَ عليها، ورجعَ السّلطان إلى «بروسة».

وبعد أنِ استقرَّ عِدَّةَ شهورٍ في «بروسه» توجَّه صوبَ «قسطموني»[5]، وهربَ ابن إسفنديار «إسفنديار اوغلى»[6] واستولى «يلدرم خان» على

(1) آقسراي: مدينة في مركز وقضاء نيكدة في ولاية قونيه، تقع شمال غرب نيكده بمسافة 16 ساعة. انظر: ش. سامي: قاموس الأعلام، مهران، مطبعة سي، اسْتانْبُول، 1306هـ/ 1889م، ج 1 ص 264.

(2) نيكده: مدينة تقع شرق قونية بـ 196 كم في ولاية قونية، وبها كثير من الآثار الإسلامية. انظر: ش. سامي: قاموس الأعلام، مهران مطبعة سي، اسْتانْبُول، 1306هـ / 1889م، ج 6 ص 4637.

(3) قيصري: [قيصريه]: مدينة تقع جنوب شرق أنقره، وهي مدينة قديمة كان تُسمى (مزاقه)، انظر: ش. سامي: قاموس الأعلام، مهران، مطبعة سي، اسْتانْبُول، 1306هـ/ 1889م، ج 5 ص 3802.

(4) توجد تفصيلات في تاريخ عاشق باشا زاده ص 71 و72.

(5) ذُكر في تاج التواريخ، ج 1 ص 131: «بعد بيان عصيان حاكم الأفلاق سنة 793 هـ الذي تمّ توضيحه- ص 135- ففي سنة 795 هـ في أول ربيع خرج الحاكم المشار إليه من بروسة إلى قسطموني، فخرج يلدرم خان خلفه، وعندما سمع بخبر وصول السّلطان بايَزِيد أصابته أمراض جسيمة وأمراض نفسية ثمّ توفي. وبعد وفاته فتح يلدرم بايَزِيد قلعة «قسطموني وكره نحاس وعثمانجق وتوابعهم بلا قتال».

(6) ذُكر في تاج التواريخ ج 1 ص 136 «فرّ ابن بايَزِيد وولي عهدي إلى قلعة سينوب عند اسفنديار بك، وبعد ذلك، أرسل سفير إلى يلدرم بايَزِيد خان، وطلب منه أن يبقيه في سينوب وأن يرسل أحدًا يسحفه.

«قسطموني» ونواحِيها، ثمّ عادَ إلى «بروسة»، وبعد ذلك، ذهبَ إلى «أماسية»[1]، وأخذ مدينةَ «سيواس»[2] مِن «القاضي برهان الدِين»، وأعطاها لابْنِه الأميرِ «سُليمان». وبعد ذلك، وصلَ «أرزنجان»، وكان حاكمُ «أرزنجان» هو «طهرتن بك» فقبلَ الصّلحَ، وأعلنَ الطاعةَ للسّلْطانِ «بايَزيد»، فتركَ السّلطان بايَزيد حُكْمَ «أرزنجان» لـ «طهرتن بك»، واكتفى بأخذِ ابنِه وبنتِه رهينةً. وأخذَهما معه إلى «بروسة». ثمّ رحلَ السّلطان «بايَزيد» مِن هناك وفتحَ «بهستي» [3] في ديارِ «ملاطية». ثمّ رجعَ واستقرَّ في «بروسة». وذلك سنةَ 802 هـ [4].

[مَوقِعةُ أنقرة] [5]

وكانت هذه البلادُ تابعةً للسّلطَان «يلدرم بايَزيد»، بعد ذلك جمعَ كلٌّ مِن حاكمِ «كَرميان»، وحاكمِ «آيدين» [6]، وحاكمِ «صاروخان» [7] وحاكمِ

(1) آماسيه: مدينة تقع شمال غرب مدينة سيواس في ولاية سيواس، وبها آثار خيرية بناها يلدرم بايَزيد خان. انظر: ش. سامي: قاموس الأعلام، مهران مطبعة سي، اسْتانْبُول، 1306هـ / 1889م، ج 1 ص 357.

(2) سيواس: ولاية من أكبر ولايات الأناضول، يحيط بها من الشمال طربزون، ومن الشرق ارضروم، ومن الجنوب حلب وآضنه، ومن الغرب أنقره. انظر: ش. سامي: قاموس الأعلام، مهران مطبعة سي، اسْتانْبُول، 1306هـ / 1889م، ج 4 ص 2794.

(3) بهستي: [بهسني]: مدينة في مركز قضاء ملاطية في ولاية معمورة العزيز، تقع جنوب غرب ملاطيه بحوالي 100 كم، وتذكر في الكتب العربية بهسنا. انظر: ش. سامي: قاموس الأعلام، مهران مطبعة سي، اسْتانْبُول، 1306هـ / 1889م، ج 2 ص 1418.

(4) الموافق 1400م. (المترجم).

(5) هذا العنوان من وضع (المترجم).

(6) جاء في كتاب صحائف الأخبار ج 3 ص 32 أنه: خادم عيسى بك جنيد بك من أبناء ايدين.

(7) ذكر كتاب صحائف الأخبار ج 3 ص 33 أنه خضر شاه بك من أبناء صاروخان.

«منتشا»[1] أبناءهم، ووصلوا إلى جانب «طهرتن بك»[2] و«إسفنديار بك»[3]. وقد أرسلَ إليهم ابن إسفنديار سفيرًا[4]، وعندما وصلوا إلى «تيمور خان» وعرضوا عليه حالَهم، وتضرَّعوا وتباكَوا قائلين[5]: «[السّلطان بايَزيد خان] أخذ أراضي أجدادِنا وظلَمَنا، وكلُّ مَن يقعْ تحتَ يديه يقتلْه على الفورِ». ونهايةُ القولِ: فقدْ حرَّضوا «تيمورلنك» بكلامِهم[6].

فقام «تيمورلنك» بإرسالِ رسولٍ يحملُ رسالةً إلى السّلطان «يلدرم بايَزيد خان»، وذكر فيها صفاتَ العِزَّةِ فقال: «ابني يلدرم خان» تعظيمًا له وطلبًا للصّلحِ، ولكنَّ «يلدرم بايَزيد» إنْ كان قد أرسل رسولًا إلى «تيمورلنك» فقدْ أرسلَه إليه بصورةٍ فيها إذلالٌ[7]. وقال: «تعالَ إليَّ يا ابنَ الزانيةِ، وإنْ لَمْ تأتِ

---

(1) ذكر كتاب صحائف الأخبار ج 3 ص 33 أنه إلياس بك من أبناء منتشا.

(2) ذُكر في تاج التواريخ ج 1 ص 158 أنه حاكم أرزنجان.

(3) ذكر صحائف الأخبار ج 3 ص 29 أنه اسفنديار بك – من أبناء اسفنديار – قزل أحمد لولر الذي كان حاكم قسطموني.

(4) ذكر عاشق باشا زاده في تاريخه ص 74 و75 أن: اسفنديار بك أرسل سفيرًا إلى تيمور، وصحائف الأخبار ج 3 ص 30 ذكرت أنّ «عندما ظهر تيمور التجأ الأمراء إليه».

(5) ذكر عاشق زاده في تاريخه ص 74 و75 أنّ: يعقوب بك ابن كَرميان فر من حبسه الموجود في اسيل- ايصاله- وذهبوا إلى تيمور متنكرين، فتنكر ابن كَرميان في زي بائع ملاعب القرود، وابن منتشا حلق شعره ولحيته ورأسه، وابن ايدين ببيع خردة، وعمل سفير اسفنديار وطرتن بك خدم.

(6) جاء الحوار الذي دار بين الأمراء وتيمورلنك في تاريخ عاشق باشا زاده المطبعة العامرة 1332 هـ صـ 75 و76.

(7) توجد المراسلات التي جرت بين يلدرم خان الأول وتيمور في منشآت السلاطين لفريدون بك المطبعة العامرة ج 1 ص 120، 121، 125، 127، 128، 131، 132، 134، 140، وتوجد أيضًا في كنه الأخبار المطبوع ركن 4 ج 1 ص 84 و85 مراسلات تيمور مع أحمد جلايري وقره يوسف.

إليَّ فسآتي إليك، وإنْ لَم أصلْ إليك تكُنْ زوجتي طالقًا». وقال أيضًا: «تعالَ لنتقاتَلْ، ونرى لِمَن ستكُونُ الغلبةُ والدولة».

شعر

أيُّها الأفّاكُ لا تتكلمْ كثيرًا
فمَن ينتظرُ الوفاءَ مِن الخائنِ فهو واهمٌ
ومَن يضربْ يدَه بالسيفِ
لا ينالُه في النهايةِ مِن هذا السيفِ سوى الجنونُ
الشخصُ الذي لا ينالُ العذابَ مِن العدوِّ
يظُنُّ أنَّ قبضتَه مِن حديدٍ

نثر: وفي النهايةِ، جمعَ «تيمور» الجيشَ، وسارَ به إلى ناحيةِ الروم ايلي. ووصلَ مدينةَ «سيواس» ونزلَ بها، ولَم يعطِ أهلَها أيّةَ فرصةٍ فاستولى عليها بالألغام، وجمعَ كلَّ مَن بداخلِها وقتلَهم جميعًا (1). وكان يوجَدُ في «سيواس» أميرٌ مِن رجالِ السّلطان يلدرم بايَزيد اسمُه «مالقوج»(2) لَم يقتُلْه «تيمور» وأطلقَ سراحَه، وقال له: «اذهبْ إلى «يلدرم خان»، وصِفْ له قوَّتَنا». فخرجَ وذهبَ إلى «يلدرم خان»، وذكرَ له كلّ ما أوصى به «تيمورلنك»، ووصفَ

(1) ذكر عاشق باشا زاده في تاريخه ص 77 «جاء تيمور إلى سيواس، وبدأ الحرب ونصب اللغم، وقتل البعض وأسر خلقًا كثيرًا».

(2) ذكر المرحوم أحمد وفيق باشا في لهجة عثماني طبعة 1306 هـ ج 1 ص 762 عن هذا اللفظ قائلًا: «هي عائلة مشهورة في تصرف نيكبول ومشتولة عن فصيلة المهاجين آقينجيلر. وفي ص 642 قال: إنّ معنى كلمة قوج: الفتوة ومالقوج تعني الكريم، ثمّ ركبت الكلمة، وأصبحت «مالقوج»».

له حالَهم. فسأل «يلدرم خان» مالقوج قائلًا: «هل جيشُ التتارِ أكبرُ مِن جيشِنا؟». فقال مالقوج: «إذا لَم تغضبْ أقولُ الصدقَ»، فقال «يلدرم خان»: «إنْ كنتَ تحبُّني فقلِ الحقيقةَ». فقال مالقوج: «يريدُ هذا الشخصُ أنْ يجعلَ دولتَه فوقَ دولتِك، ويضُمَّ جيشَك إلى جيشِه». وعندما قال مالقوج ذلك لَم يعُدْ «يلدرم» يتحمَّلُ سماعَ شيءٍ آخَرَ.

ومِن الجانبِ الآخرِ، عندما استولى «تيمور» على «سيواس» هدمَ قلعتَها، وسوَّى بها الأرضَ. ثمّ خرجَ مِن هناك، وسارَ إلى ناحيةِ الشام. وعندما سمعَ السّلطان «يلدرم بايَزيد» بخروج «تيمور» إلى الشام لَم يتحرَّكْ مِن مكانِه. وسار «تيمور» إلى الشام، وقام سُلْطانُ مصرَ بجمعِ الجيشِ مِن الشّامِ وحلب وذو القادر ومِن الأكرادِ. والتقى بـ «تيمور» في وادي «مرج دابق»[1]. ووقعتْ الحربُ، فانهزم فيها جيشُ مصرَ، وهربَ سُلْطانُها إلى مصرَ، فاستولى تيمورٌ على «حلب» و«حماة» و«حمص» عنوةً. وعبرَ مِن هناك إلى «بعلبك». فأصابَ الحزنُ والهمُّ أهلَ الشام، حتى إنهم لَم يستطيعوا دخولَ القلعةِ وجلسوا في أماكنِهم. ولكنَّ تيمور لَم يقتلْهم، ونزلَ القلعةَ واستولى عليها عنوةً، وقام بتخريبِها[2]. وعبرَ مِن هناك، وسار إلى «قره باغ»، وقضى بها فصلَ الشتاء، وفي الصّيفِ سارَ ناحيةَ الرّومِ، ووصلَ قلعةَ «أنكرويه»، وحاصرَها عدَّةَ أيامٍ، وبعد ذلك، استولى عليها، وقتلَ أهلَها.

وبعد ذلك، وصلَ الخبرُ إلى «يلدرم خان» بأنَّ «تيمور» جاء واستولى على «أنكرويه». وعندما سمعَ «يلدرم خان» هذا الخبرَ جمعَ جيشَه، وسارَ ليلَ

(1) وردت في الأصل «مرج دابق». (المترجم).

(2) توجد تفصيلات عن هذا الباب في تاريخ عاشق باشا زاده، المطبعة العامرة 1332 هـ ص 77.

نهارٍ، وبذلَ قصارى جهدِه، وسار مسرعًا وهو يقول: حتى لا يحدُثَ فيها كما حدثَ في «سيواس»، ولَم يتشاورْ مع أحدٍ»[1]. ونصحوه كثيرًا، ولكنْ لَم يستمعْ لأحدٍ قطُّ، واغترَّ بحالِه، وسارَ.

شعر

لا تظنَّ أنَّ العملَ بلا مَشُورةٍ يُعدُّ عملا
ولا تُـقـدِمْ عـلى عـمـلٍ بـرأيـك فقط
مــا خــابَ مَــن اسـتـشـارَ
ومــا خـسـرَ مَــن اسـتـشـارَ
فــكــلُّ عــمــلٍ بــلا مَــشُــورةٍ
عــمــلٌ أبــتــرٌ

نثر: بعد ذلك وصلَ «يلدرم بايَزِيد» بهذه السّرعةِ إلى «تيمورلنك»، وعسكرَ هناك[2]، ولو كان «يلدرم بايَزِيد» خرجَ إلى «تيمورلنك» عند وصوله ولَم يبقَ في مكانه؛ لَكانَ قد أخذَ «تيمور» أسيرًا، وهزمه، ولكنْ «لا يعلمُ الغيبَ إلّا اللهُ»[3]؛ لأنَّ «تيمور» كان غافلًا عن قدومِ «يلدرم بايَزِيد» إليه، وجيشُ

---

(1) ذكر عاشق باشا زاده في تاريخه ص 76: «قال بايَزِيد خان لوزرائه: اجهزوا بسرعة لكي نخرج إلى تيمور. فقال علي باشا لا يمكنك أن تخرجه من إحدى ولايتك. وعلي باشا الصدر الأعظم قال: مولاي صاحب الدولة لماذا نتعب جيشنا بلا داع. لنبقَ هنا ويأتي هو إلينا. وعند يدخل بلادنا نحاربه ونقتله. ونرسل نحن الأخبار إلى بلاده. فأعجب الأمراء بهذا الرأي، ولم يسمعوا رأي بايَزيد خان.

(2) ذُكر في كتاب كنه الأخبار المطبوع ركن 4 ج 1 ص 87 «أنّ: موقع المعركة كان في وادي جبوق في أنقرة. بينما جاء في كتاب صحائف الأخبار المطبعة العامرة ج 3 ص 311 «وصل تيمور إلى ديار الروم وعسكر في وادي جبق»، وذكر تاريخ عاشق زاده ص 78 أنها كانت في أنقرة.

(3) النمل آية 65.

«تيمور» كان قد تفرَّقَ وتشتَّتَ، بعضُهم يعلِفُ حيوانَه، وبعضُهم يسقي خيلَه، وبعضُهم الآخَرُ في مصلحتِه. وقال جميعُ الأمراءِ، وأبناءُ السّلطان الأمير «سُليمان» و«مصطفى چلبي» و«السّلْطان محمد» لـ «يلدرم خان»: «هيَّا لنهجمَ على «تيمور» على حين غِرَّةٍ، ونهزِمه». فقال السّلطان «بايَزِيد»: «لا، ليجمعْ «تيمور» جيشَه، ويرفعْ راياتِه، ونتقاتلْ طِبقًا لمراسم الحربِ». وتحدَّثَ أيضًا بعضُ الأمراءِ عن ذلك ولكِنْ دونَ جَدْوى. وعسكرَ السّلطان وجيشُه، ولَم يتحرَّكْ. وجاء جيشُ «تيمور»، وفي صباحِ يوم الجمعةِ رفعتِ الراياتُ، وبدأت الحربُ[1] والتقى الجيشانِ، ولكِنْ كان مُعظَمُ جيشِ «يلدرم

(1) ذكر عاشق باشا زاده في تاريخه ص 78 قائلًا: «تقابلوا يوم الجمعة، وأقيمت صلاة الجمعة، ورفع السّلطان بايَزِيد الرايات، ودقت طبول الحرب. وفي تاج التواريخ ج1 ص171 وصحائف الأخبار ج3 ص311 ذكروا أن يوم وقوع الحرب كان يوم الجمعة 19 ذي الحجة لسنة 804 هـ. وفي تاج التواريخ ج1 ص169: «تشكّل الجيش العثماني من: جيش السباهية في الميمنة وهو مكوّن من عشرين ألف جنديّ من جيش ملك الصرب وابن ولق، وعين الشهزادة «سُليمان» قائدًا على جيش الروم ايلي الذي كان حاكمًا على ظهير وايدين وصاروخان في الميمنة. وتكون القلب والميسرة من حضرة السّلطان مع 12 ألف جنديّ من الانكشارية والعزب والقابوقولي. وفي ظهر القلب تواجد الشهزادة مصطفى و«موسى» چلبي وعيسى چلبي الذين كانوا حكامًا على ولايات حميد ايلي وتكه ايلي. وتمّ تعيين الشهزادة محمد والي اماسية وفي جواره الوزراء والأمراء مثل علي باشا، وتيمورتاش باشا، ومالقوچ باشا، واورنوس باشا، وعبدي بك، وفيروز بك، وعيسى بك، وحسن باشا، وخليل باشا، ومراد باشا، وشاهين بك، ويعقوب بك، وبليان بك، وداود بالي والاكوز، وأحدى وبشير وطاهر ومحمدي ومقبل، وسائر المشورين كلّهم وقفوا في طليعة الجيش. وتمّ ترتيب الصفوف على هذا النحو. أمّا جيش تيمور فكان في الميمنة التي تسمى برانغار والي خراسان الأمير زاده شام رخي، والأمير زاده خليل سلطان، والأمير زاده سُليمان، وابنه الذي يسمى السّلطان حسين عين لإمداد الجناح الأيمن. وفي الميسرة التي تسمّى جوانغار: كان يوجد أكبر أولاده الذي يسمى ميرزاميران شاهي، وعلى رأس الراية كان حاكم شيراز بير أحمد، وحاكم أصفهان ميرزا اسكندر- وهو ابن الشيخ عمر- وميرزا أبو بكر. وحاكم شيروان الشيخ إبراهيم، وحاكم أرزنجان طهرتن بك، ووالي ديار بكر قره عثمان

خان» خائنًا. وخرج أمراءُ «منتشا» و«كَرميان» و«صاروخان» وأبناؤهم وجنودُهم، وذهبوا إلى «تيمور» وانضمُّوا إليه. وعندما رأى وزراءُ «يلدرم خان» ذلك؛ هربوا مِن المعركةِ مع ابنِه الأكبرِ الأمير «سُليمان»[1]. وذهب الأميرُ «محمد» أيضًا بجيشِه إلى ناحيةِ «أماسيه». وانفصلَ «مصطفى چلبي» عن أبيه، واختفى، وبقِي السّلطان «بايَزِيد» مع فِرَقِ «القابو قولى» بمفردِه.

وكان يوجدُ مع السّلطان في المعركةِ عشرةُ آلافِ جنديٍّ مِن الانكشاريةِ. ويُروى أنَّ الذين كانوا في هذه المعركةِ ذهبوا إلى السّلطان «بايَزِيد» وقالوا له: «مولاي لماذا تقفُ؟، لقد خانك أغلبُ الجيشِ، وهربوا، فغضبَ السّلطان عندما عرَف ذلك، وضربَ بيدِه دبوسَ الحربِ. وخرج وتتبّعَ الجيشَ الهاربَ، ويُقال إنّه خرجَ بمفردِه مِن الجيشِ، ووجدَ طريقةً، وذهبَ ودخلَ جيشَ التتارِ[2]، ورأينا بعد فترةٍ قصيرةٍ أنه سقطَ أسيرًا في أيديهم[3].

وأخذوه أمامَنا، فوقفْنا مكتوفي الأيدي. ولو لَم يَخرُجْ مِن بيننا لَما وقعَ أسيرًا. فأخذوه في المساء، وهربْنا نحنُ إلى مكانٍ ما. ولو كان السّلطان بايَزِيد قد سمعَ الكلامَ لَمَا حدثَ له ما حدثَ[4]. ولمّا قُبِض علينا نحنُ أيضًا، ولمّا

بايندري، وتمّ وضع جنود السواري لتقوية الميمنة والميسرة.

(1) ذُكر في تاج التواريخ ج1 صـ 173 وصحائف الأخبار ج3 صـ 312 أن: الذين هربوا هم علي باشا ومراد باشا وصوباشي اينه بك وأغا الانكشارية حسن أغا.

(2) ذكر عاشق باشا زاده في تاريخه ص78: «ظلّ بايَزِيد خان مع جيش القابو قولى. وكان يوجد رجل يسمونه صولاق قره جه. قال له: كيف تصرف إليك الأمراء ووزيرك السكران بهذه الطريقة السيئة، فقال: «لم ندفع الاقجه، ووضعناها في الخزينة، فهي رزق لأبنائي. فقد جاءت هذه الكلمات مؤثرة جدًّا وصعبة على بايَزِيد خان. وقال «هُم ليسوا مطيعين لي». وركب حصانه وخرج.

(3) ذكر عاشق باشا زاده في تاريخه ص78: «أخبر بذلك ابن كَرميان بعد أن رأى ذلك.

(4) ذُكر في تاج التواريخ ج1 ص174، صحائف الأخبار ج3 ص312 أنّ: عندما رأى أحد الأمراء

قبضوا[1] على السّلطان «بايَزيد»؛ قاموا بحملِه إلى «تيمور»، فاستقبلَه بحفاوةٍ، وأرسلوه إلى خيمتِه، وأنزلوه مِن على الحصانِ، وتركوه في خيمةِ «تيمور». وجلس الاثنانِ على فراشٍ واحدٍ[2].

وجعلوا يسرُدون القصصَ ويتحدّثون. وبعدَها قال «تيمور»: «أيُّها السّلطان «بايَزيد»، يجب أنْ أشكرَ الله كثيرًا؛ لأنه منحني مُلْكَك. أنا أعرجُ وأنت عاجزٌ[3]، وكلُّ السّلْطَنةِ مِن «الهندِ» حتى «سيواس» ستكونُ لرجُلٍ ضعيفٍ مِثلي، ومِن «سيواس» إلى ولاية «انكروس» [المجر] تكونُ للعاجزِ مِثلك. ولو كانت الدنيا لها قدرٌ وقيمةٌ عند اللهِ- عزَّ وجل- لأعطاها إلى أشخاصٍ أصِحّاء غيرنا. فلْنشكُرْ الله كثيرًا، ولْنكُنْ دائمًا شاكرين له».

فقال «بايَزيد»: «قد لا تعرفُ أنت شُكْرَ اللهِ- عزّ وجل-. ولذلك كانت تربيتُك هكذا». فعاد «تيمور»، وقال على سبيل التّسلية: «لا تُغضِبْ نفسَك يا صديقي، يجبُ أنْ يكونَ الإنسانُ صحيحًا، وبعدَها تكونُ الدّولةُ». بعد ذلك أمرَ «تيمور» بإحضارِ الطّعام؛ فأحضروه إليهم، وكان عليها شيءٌ مِن الزّبادي، وعندما رأى «يلدرم خانَ» الزبادي أصابتْه الدّهشةُ، وبدأ يفكّرُ، فقال له «تيمور خان»: «أيُّها السّلطان في ماذا تفكّرُ؟ دَعْ التفكيرَ الآنَ وهيّا

وهو منت بك، الوضع عرض على السّلطان الخروج من ميدان الحرب، وتوسل إليه بذلك، ولكن لم يقبل السّلطان هذا العرض.

(1) ذُكر في تاج التواريخ ج1 ص178 وصحائف الأخبار ج3 ص312: «أنّ: هذا الرجل من طرف محمود خان جنكيزى الذي عينه تيمور.

(2) جاء في كتاب صحائف الأخبار ج3 ص312 أنّ لقاء تيمور ببايَزيد الأول حدث وقت العشاء يوم السبت 20 ذي الحجة لسنة 704هـ.

(3) لم نصادف في كتب التواريخ العثمانية شيئًا يثبت أن: يلدرم بايَزيد كان عاجزًا.

لتأكلْ». فقال «يلدرم خان»: «لقد قال لي السّلطان «أحمد» ذاتَ يومٍ كلمةً، وهذه الكلمةُ قد تحقّقتْ اليومَ أمامي، ولذلك تعجّبتُ. فقال تيمورُ: «ماذا قال لك؟ هو يعرف أننا مشهورون بالكرم». فقال «يلدرم خان»: «في ذلك الوقت الذي جاء فيه السّلطان أحمد[1] إلينا، سألته قائلًا: إنّي سأقابل «تيمور خان»، وأقاتله». فقال [السّلْطان أحمد]: «ستواجهه وتقاتله». فقال «يلدرم بايَزيد»: «مَن سينتصر؟» فقال السّلطان أحمد: «اللهُ تعالى أعلمُ بذلك، ولكنّك ستجتمعُ به وتجلِسان معًا على فراشٍ، ويؤتى إليكم بطعام وهو الزّبادي، ويقول لك لتأكلْ، وقد حدثَ ما قالَ بالفعل؛ لذلك تعجّبتُ. فقال تيمور خان: «أحمد عنده عِلمٌ غزيرٌ، وإذا لَم يرحلْ مِن عندك لَما أتيتُ إليك».

ويُروى أنّ: السّلطان «أحمد» كان عنده عِلمٌ كاملٌ بالرّملِ، وما يقوله يحدثُ كثيرٌ مِنه ويتحقّقُ، ولكنّه كان سفّاكًا للدماءِ وسيّئَ الطّباعِ ، وقد انتُزعتْ الرّحمةُ مِن قلبه[2]. ويُحكى أنّ: السّلطان «أحمد» قد هربَ مِن عند «تيمور»، وذهبَ إلى «يلدرم خان»، فاستقبلَه السّلطان «يلدرم» استقبالًا حافلًا وأُعجِبَ به، واستقرّ فترةً طويلةً بجوار «يلدرم خان»[3]. وبعد ذلك، عرفَ السّلطان أحمدُ طالعَ السّلطان «يلدرم بايَزيد»، وكان طالعُه أنّ «تيمور» سيهزِمُه. فقال له: «هيّا يا مولاي لنذهبْ إلى تيمور ونحاربُه، فهي الفرصةُ والغنيمة». فلَم يقبلْ «يلدرم»، ومنعتْه بعضُ الأشياءِ. وتأكّدَ السّلطان «أحمدُ»

---

(1) السّلطان أحمد جلايري حاكم بغداد.

(2) انظر: مقدمة كتاب بزم ورزم لعزيز بن أردشير استر ابادي، والنسخة موجودة في مكتبة آياصوفيه رقم 3465.

(3) ذكر عاشق زاده في تاريخه صـ 249: أنه بقي بجوار السّلطان لمدة 4 شهور وأعطاه السّلطان تيار كوتاهية.

أنَّ ذلك سيتحقّقُ بالفعلِ، ولَم يجِدْ حيلةً [في نُصْحِ بايَزيد]. وعندما تأكّدَ مِن أنَّ «تيمور» سيغلبُ «يلدرم خان» لَم يستقرَّ عنده، وأراد الذهابَ إلى بلادِه، ولكنْ منعَه السّلطان «بايَزيد» فلَم يجِدْ حِيلةً للذهابِ.

وفي يوم آخَرَ، وبينما كان يجلسُ «يلدرم خان» مع «تيمور» قال له «تيمور»: «أيُّها السّلطان لو كنتُ وقعتُ أنا في أسْرِك ماذا كنتَ ستفعلُ بي وبجيشي؟». فقال «يلدرم خان»: «لو كنتَ وقعتَ أنتَ في أسْري لَوضعتُك في قفصٍ مِن حديدٍ، وأضعُ كلَّ مَن يقعُ تحت يدي فيه ولا أتركُ أحدًا مِن جندِك إلّا قتلته، وهكذا كان عهدي بمَن يقعُ في أسْري.

فقال «تيمور خان»: «أيُّها السّلطان لقد عاهدتُ نفسي عندما خرجتُ مِن ولايتي أنّي إذا انتصرتُ عليك لا أقتلُ أحدًا بعد هذه المعركةِ...»[1] ومعلومٌ أنَّ: «صاحبَ النيّةِ الحسنةِ يجِدُ الخيرَ، وصاحبَ النيّةِ السيّئةِ يجِدُ الشرَّ»، فقام «تيمور خان» بصُنعِ قفصٍ مِن حديدٍ، ووضعَ «يلدرم سلطان» فيه، وأخذه وذهب[2].

وذهب حاكمُ «كَرميان» وحاكمُ «منتشا» وحاكمُ «صاروخان» إلى بلادِهم. وبعد ذلك، قضى «تيمور» فصلَ الشتاءِ في ولايةِ «آيدين». ولَم يكُنْ «تيمور» يعرفُ أحدًا مِن أقاربِ السّلطان «يلدرم خان»، فأخذَ السّلطان وذهبَ.

---

(1) يوجد نقص في النسخة.

(2) ذكر عاشق باشا زاده في تاريخه ص79: «كان يوجد نائب في بورصة، وكان خادم يلدرم بايَزيد، وعندما أمسكوا بالسّلطان بايَزيد كان يعرف هو أنّ بايَزيد توفي. فسأله الفقير قائلًا: لماذا أخفى تيمور بايَزيد. فقال: وضعه في قفص حديد مثل تختروان، وكانت يجره اثنان من الخيول ويسيروا سويًّا دائمًا. ووضعه أمام خيمته، وذكر خواجه سعد الدين أفندي في تاج التواريخ ج1 ص186: «ذكر بعض الأتراك أصحاب القصص أنه حبسه في قفص، وهذا كلام مزخرف.

وذاتَ يوم، قال «تيمور» لـ «يلدرم خان»: «لديك ابنٌ أصبحَ مكانك الآن في السَّلطنةِ، ولَمْ يعترفْ بك، ولو أطلقتُ سراحَك الآنَ هل سيقبلونك مرةً ثانية؟».

فقال «يلدرم خان»: «فقط أطلِقْ سراحي، وأنا سآخُذُ حقّي مِن هؤلاء». فعندما سمعَ «تيمور» هذا الجوابَ قال: «يا ابنَ الزّانية، لو أطلقتُ سراحَك ستأتي إليَّ وتحاربُني مرةً أخرى». فقال: «عندما يكُنِ الأمرُ بأيدينا لن نتركَك، وسنحاربُك».

وفي يوم آخرَ، قال «تيمور» لـ «يلدرم خان»: «لا تحزنْ أيُّها السّلطانُ، سأرسِلُك إلى «سمرقند»، ومِن هناك سأرسِلُك إلى مملكتِك». وعندما سمعَ «بايَزيد» هذا الكلامَ حزنَ حُزنًا شديدًا، ومرضَ وتُوفّي في الأسرِ قبلَ أنْ يصلَ إلى ولايةِ «تيمور»(1). وقال بعضُ المؤرّخين إنَّ: «تيمور» أرادَ أنْ يعالجَه، ويطلقَ سراحَه، ولكنَّ بايَزيد تُوفي بعد ثلاثةِ أيامٍ(2).

شعر

لا قـــدَّرَ اللهُ عـلى أحــدِ الأسْرَ

ولا مَكَّنَ اللهُ الأعــداءَ مِن هذه الحالِ

---

(1) إنْ كان عاشق زاده في تاريخه صـ80 يؤيّد كلام المؤرخ لطفي باشا إلّا أنّ نشانجي ذكر في تاريخه المطبعة العامرة 1279هـ ص132 أنّه ارتحل من «حماى عرقة». وكنه الأخبار المطبوع ركن 4 ج1 ص102 ذكر: «اغتمّ واهتمّ فجأة في حماى عرقة، وضاقت نفسه ومرض من الخناق وضيق النفس، وانتقل من الدار الفانية إلى الدار الباقية». وفي صحائف الأخبار ج3 ص313: «ذكر أنه مرض من أمراض الخفقان في حماى المحرقة في رجب سنة 805 هـ.

(2) ذُكر في كتاب كنه الأخبار المطبوع ركن 4 ج1 ص102 وصحائف الأخبار ج3 ص301: أن السّلطان بايَزيد خان الأول، توفي يوم الخميس 14 من شعبان سنة 805 هـ في بلدة «اق شهر».

فالموتُ حقٌّ، فليأتِ في أيّةِ صورةٍ
ولو كنتَ في يدِ العدوِّ ستموتُ
والموتُ بالظلمِ والجَوْرِ أفضلُ
مِن السقوطِ في يدِ العدوِّ

نثر: بعد ذلك رجعَ «تيمور» إلى ولايتِه، وأعطي «قير شهرى»، و«سيورى حصار» و«بك بازار» إلى حاكمِ «قرمان»، وأعطى «قسطمونى» و«كانغرى» و«قلاغجى»[1] إلى حاكم «إسفنديار». ثمّ رجع «تيمور» إلى ولايتِه، وذلك سنة 805هـ[2].

شِعر

ذهبَ الملِكُ الجليلُ مُصابًا بالفتورِ
وقد هَدمَ البلادَ ودمَّرَ القصورَ
إذا كان تيمور لا عدلَ عنده
فلا جرمَ أنْ يكونَ كثيرَ الظلمِ
والبلادُ التي استولى عليها ذهبتْ مِن يدِه
فلماذا فعل كلَّ هذا الظلمَ

نثر: حكمَ السّلطان «يلدرم» خان أربعةَ عشرَ عامًا. وبعدها انتقلَ إلى رحمةِ اللهِ. وذكرتْ الرّواياتُ أنَّ السّلطان «يلدرم خان» كان شديدَ الغضبِ. ولو نجا مِن الأسْرِ لَعادَ لسُلْطانِه، وما تركَ جُنديًا مِن الذين فرُّوا مِن المعركةِ

---

(1) ذكر عاشق زاده في تاريخه ص80 أنّ: اسمها قلعه جكى.

(2) الموافق عام 1406م. (المترجم).

إلّا وقتلهم جميعًا. ولهذا السببِ ذهبَ إلى «تيمور خان» بمفردِه، ولَم يشاوِرْ أحدًا، وكان هذا مقدَّرًا.

[صراعُ أبناءِ السلطان بايزيد على العرش] [1]

كان للسّلطَان بايَزِيد ستةُ أبناءَ؛ اختفى أحدُهم في المعركةِ، وبقي خمسةٌ مِنهم على قيدِ الحياةِ [2]، فأخذَ وزراءُ «يلدرم خان» ومِنهم «علي باشا» وباقي الأمراءِ [3] الأميرَ «سُليمان»، وذهبوا به إلى الرومِ ايلي، وعيَّنوه سُلطانًا. وذهبَ السّلطان «محمد» إلى «أماسية» واستقرَّ بها. وذهب «موسى چلبي» في إثرِ «عيسى» إلى ولاية «قره سى»، فوجدَه هناك، وقتله. ثمّ خرجَ «موسى» إلى «بروسة». وجاء الأميرُ «سُليمان» أيضًا إليها، فهربَ «موسى» مِن هناك. وذهبَ إلى «قرمان». وتركَ الأميرُ «سُليمان» أخاه «قاسم» وأخته «فاطمة» [4] رهينةً عند حاكمِ القُسْطَنطِينية، وخرجَ مِن هناك، وعبرَ مِن «إسلامْبُول» إلى الرومِ ايلي، واستقرَّ في «أدرنة».

وعندما سمع الأميرُ «محمد» الموجودُ في «أماسيه» خبرَ اعتلاءِ الأميرِ «سُليمان» العرشَ؛ أرسلَ إليه قائلًا: «أخي العزيزَ، يجبُ أنْ نتّبِعَ ما كان عليه أجدادُنا»، وأرسلَ إليه الهدايا والعطايا.

وعندما رأى السّلطان «سُليمان» تواضُعَ أخيه أرسل هو أيضًا إليه الغِلْمانَ والهدايا والأقمِشةَ، وتصالحا، وبقِيَ كل واحدٍ في مكانِه. بعدها أرسلَ

---

(1) هذا العنوان من وضع (المترجم).

(2) الأمير سُليمان، وعيسى چلبي، وموسى چلبي، والشهزادة السّلطان محمد، وقاسم چلبي.

(3) انظر هامش/ استطراد رقم 1 صـ56.

(4) الشهزادة قاسم وكريمته فاطمة سلطان أصغر خدم السّلطان بايَزِيد خان الأول.

الأميرُ «سُليمان» إلى أميرِ «قرمان» قائلًا: «لا تتركْ أخي، وإذا أردتَ الصُلحَ فلْتصالحْ». وعندما رأى «موسى» أنَّ الأميرَ «سُليمان» تصالحَ مع أميرِ قرمان هربَ، ولجأ إلى أميرِ إسفنديار. فسمعَ هذا الخبرَ الأميرُ «سُليمان» في «بروسة» بأنَّ «موسى» هرب، ولجأ إلى أميرِ إسفنديار. وكان الأميرُ «سُليمان» رجُلًا صاحبَ ذوقٍ، ويحِبُّ شُرْبَ الخمرِ، إذْ كان يشربُها في كلِّ مكانٍ يحِلُّ به.

وقام إسفنديار اوغلي بوضعِ «موسى چلبي» في سفينةٍ بـ «سينوب»، وأرسلَه إلى ولايةِ الأفـلاق[1]. وكان حاكمُ الأفلاقِ في ذلك الوقتِ هو «مرجه كافر بك»؛ فأخذ مرجه كافر «موسى»، وأرسلَه إلى الرّومِ ايلي. وجمعَ «موسى» العسكرَ الموجودِين معه، وسارَ بهم إلى «أدرنة». وعندما سمع الأميرُ «سُليمان» بعبورِ أخيه «موسى» إلى الرّوم ايلي قاصدًا «أدرنة» أسرعَ وخرجَ إلى «أدرنة»، وكان مُدْمِنًا لشُربِ الخمرِ.

ويروون أنّه جلسَ في مرّةٍ لعِدّةِ أيامٍ في مكانٍ يشربُ الخمرَ، وانشغل كثيرًا بالشرابِ، وبينما كان يشربُ الخمرَ في حمّامٍ في «أدرنة» قالوا له: إنَّ «موسى چلبي» وصلَ «أدرنة»، ولكِنْ دونَ جَدْوى. فعندما وصلَ «موسى چلبي» إلى «أدرنة»، اتّبعَه كلُّ أهالي الروم ايلي. وجاء الأميرُ «سُليمان» مِن مكانٍ وهو مخمورٌ سكرانُ، وعندما علِمَ بوصولِ «موسى» إلى الرّوم ايلي ليهجمَ عليه هربَ الأميرُ «سُليمان» قاصدًا «إسلامْبُول»، وبينما كان في الطّريقِ نزلَ قريةَ «دوكنجيلر»[2]

(1) ذُكر في كتاب كنه الأخبار المطبوع ركن 4 ج1 ص119 أنّ: «موسى چلبي طلب من أخيه السلطان محمد خان الأول الذهاب إلى الروم ايلي، وأعطاه السلطان محمد المعدات الحربية ولوازم السفر، وأعطاه الرسائل، وذهب إلى ميرجويوده، وقام ميرديوجه بتزويج موسى چلبي بابنته.

(2) ذُكر في تاج التواريخ المطبعة العامرة 1279 هـ ج1 ص220 وكنه الأخبار المطبوع ركن 4 ج1

التي كان بها حفلُ زفافٍ، وعندما رأوه [سُليمان چلبي] مِن بعيدٍ قتلوه [1]. بعد ذلك قامَ «موسى چلبي» بهدمِ منازلِ هذه القريةِ، وقتلَ جميعَ أهلِها.

ص123 أنّ: اسمها قرية دوكنجيلر.

(1) ذكر عاشق باشا زاده في تاريخه، المطبعة العامرة، 1332 هـ ص82: «هرب ونزل بقرية دوكنجيلر، وتُوفّي في هذه القرية. وفي تاج التواريخ المطبعة العامرة 1279هـ ج1 ص220 وصحائف الأخبار المطبعة العامرة ج3 ص316 «عندما أراد الفرار إلى إسلامبُول مرّ بقرية دوكنجيلر، وبسبب تعدّي جنود السّلطان على أهالي القرية قامَ أهل القرية بالقبض عليه وربطوه، وبعد أن وصل رسل موسى جلبي إلى القرية، وعلموا أنّه توفي بعضهم علم ذلك، وذلك يؤيّد ما قاله المؤرخ لطفي باشا. وفي كنه الأخبار المطبوع ركن 4 ج1 ص123 «تمّ حصار أدرنة من طرف موسى جلبي، وحاربها حتى المساء، وعندما حلّ الليل هرب الشهزاده سُليمان مع قره جه بك وقره مقبل، وستّة فرسان أو خمسة إلى استانبُول. وخرج من باب القصر السري، ووجد رجل تركماني عند نهر أدرنة، واتّخذه كدليل. وهذا الشخص لم يرشده إلى الطريق الصحيح. وفي الصباح وصلوا إلى قرية دوكنجيلر. وقاموا بالهجوم على هذه القرية بحجة وصول الشهزادة «سُليمان» وتمّ قتل قره جه بك وقره مقبل بك وخدام شهزاده الموجودين في المقدمة. وضربوا حصان الشهزادة بسهم/ بحربة، وقبضوا عليه. وربطوه وقتلوا بعضهم وحبسوا بعضهم الآخر. وذهب الشهزادة «موسى» مع بعض الرّجال الموجودين معه إلى هذه القرية، وسلموا له الشهزادة سُليمان. وبعد أن ذكر أنه قتل من طرف قويون موسى. قال ذكر بعض المؤرخين ما يؤيّد ما ذكر أعلى، وبعد ذلك، قال: «تمّ مقارنة الروايتين والأصحّ هو القول الأول». وفي النسخة المطبوعة هذه العبارة كانت من سهو الترتيب. ذكر بروسه لى بليغ أفندي في كلدسته رياض عرفان ووفيات دانشوران نادره دان، طبعة بروسة 1302 هـ ص41: «في سنة 813 هـ كان عمره الشريف ثلاثين عامًا، يعني ذلك أنّ الشهزادة سُليمان كانت ولادته سنة 783هـ وعين واليًا على صاروخان في عصر والده. ودفن في تربة السّلطان مراد خان الأول الموجودة في چكرجه في بروسة في الطرف الأيمن من المقبرة.

قويون موسى: كان من الأمراء في عصر السّلطان بايَزيد الأول. وكان متواجدًا في خدمة الشهزادة موسى جلبي، وفي سنة 814 هـ أصبح المشار إليه وزيرًا وباشا. وعزل في 816 هـ وبعد ذلك، توفي في بروسة. وفي كنه الأخبار المطبوع ركن4 ج1 ص137: «نشأ في الدولة وهو من طائفة اللوند، حتى أنه جاء من جماعة چوبان لق. وكان مالكًا لأغنام كثيرة، ولذلك اشتهر باسم قويون موسى. وهو شخص جاهل.

⏮ بيت

إذا ضربَ [السّلطان] الأسدُ بكفِّه ولم يقتُلْه الأسدُ

وبقِيَ حيًّا ينبغي أن يكونَ عاقِلًا بعدها

نثر: بعد ذلك، جاء «موسى چلبی» إلى «أدرنة»، واعتلى العرشَ. وصار سُلْطانًا، وكان أخوه الأميرُ «سُليمان» قد أخذ السّلْطَنةَ في سنةِ 805 هـ [1]. وفي سنةِ 813 هـ [2] زعم «موسى چلبی» أنه السّلْطانُ. وقد حكَمَ أخوه «سُليمان» لمدّةِ سبعِ سنين.

وبعد ذلك، استقرَّ «موسى چلبی» في «أدرنة»، واستكملَ بناءَ الجامع القديم [3] الذي ترك بناءه قبلَ ذلك. وسمعَ السّلطان «محمد» الموجودُ في «أماسية» أنَّ: «موسى چلبی» أعلنَ نفسَه سُلْطانًا على الرّوم ايلى، فخرج بنفسِه مِن «أماسية» وعبرَ إلى «بروسة»، واستقبلَه أهالي «بروسة»؛ وأجلسوه على العرشِ.

وكان السّلطان «محمد» يحكمُ بعضَ المناطقِ الموجودةِ في الأناضولِ التي كان يحكمُها أخوه الأميرُ «سُليمان» مِن قبلُ. وكان «موسى چلبی» يعلمُ ذلك، فعيَّنَ «كورشاه ملك» [4] وزيرًا له، و«ميخال اوغلى محمد بك» أميرًا

(1) الموافق 1406م.

(2) الموافق 1414م.

(3) ذكر بروسه لى بليغ أفندي في كلدسته رياض عرفان ووفيات دانشوران نادره دان: طبعة بروسة 1302 هـ ص42: «في ترجمة حال الشهزادة سُليمان: وضع أساس بناء الجامع العتيق في «أدرنة». وبسبب عدم امتلاكِه الأموال التي تستكمِل بناءه أكمله أخوه «موسى چلبی»، وسعى واجتهد في ذلك.

(4) من أمراء السّلطان بايزيد خان الأول، وعُزل سنة 816 هـ وتوفي.

للأمراءِ، و«صامونة اوغلى بدر الدين» [1] قاضي عسكر، و«عزب بك» [2] أميرًا للعَلَم. وأعطى سائرَ السّناجقِ لعبيدِه، وساء ظنُّه بالروم ايلى، وانتابه الشكُّ فيها؛ حتى إنّه أراد أنْ يقتلَ «أورنوس بك»، وعندما رآه ضربه، ولَم يصدِّقْ «موسى» وأحضرَه. ووضع أمامَه طبيخَ الضّفادعِ بدلَ اللّحمةِ. وقال له: «كُلْ»، وعندما رأى «أورنوس بك» ذلك تعجّبَ، وضربَ كفًّا بكفٍّ كأنه لا يرى شيئًا. فأخذ واحدةً أو اثنتينِ من الضفادعِ وأكلَها. فرأى «موسى چلبى» هذا الوضعَ، وحقًّا لَم يقُلْ شيئًا، وأذِن له وأرسلَه إلى أحدِ الأماكنِ.

وبعد ذلك، عبرَ السّلطان «محمد» إلى منطقةِ الرّوم ايلى، وهربَ «أورنوس بك» إلى مكانٍ آخرَ. فذهبَ إلى السّلطان «محمد»، ورآه بنفسِه. فعندما سمع «موسى چلبى» بذلك تضايقَ كثيرًا. ولكنْ دون جَدْوى، وندِمَ على ذلك كثيرًا.

شِعْر

عندما يــراكَ العدوُّ ضعيفًا   لا يتأخَّرُ لحظةً في الهجوم عليك

وعندما ترى عــدوَّك ضعيفًا   عندها لا تجدُ القوّةَ ولا الصديقَ

ومَــن يُـغْـطِ الــعـدوَّ الأمـــانَ   يُصبِحُ بلا شكٍّ مِثلَ «قيطافه»

نثر: كان «موسى چلبى» شُجاعًا، ولا يحبُّ ولايةَ الرّوم، وقد خان أخاه السّلطان «سُليمان»، وكان يحبُّ الخدمَ الذين أرسلهم إليه أخوه، وكان أيضًا سخِيًّا كريمًا. ولَم يعبُرْ السّلطان «محمد» مِن «كليبولى»، وعقدَ صُلْحًا مع حاكمِ

(1) بدر الدين ابن قاضي سماونه.

(2) عزب بك: كان مصاحبًا للسّلطان مراد خان الثاني، وذكر عاشق زاده في تاريخه ص133 أنه أُرسل كسفير إلى سلطان مصر بعد حرب وارنه سنة 847 هـ. وأعطيت له الباشاوية وحبس في توقات. وبنى مسجدًا في بروسة سمي مسجد عزب بك.

«إسلامبول»، وقام حاكمُ «إسلامبول» بإمرارِ السّلطان «محمد» إلى الروم ايلي[1]. وعندما سمعَ «موسى» بأنَّ أخاه السّلطان «محمد» قادمٌ إليه هربَ مِن «أدرنة» إلى ولايةِ «لاز».

فنزل السّلطان «محمد» في «أنجكوز»[2] وجاء «علي بك» بن «أورنوس» و«يخشى بك» ابن «ميخال». وكان «ميخال اوغلى محمد بك» أميرَ أمراءِ «موسى چلبي». نعم أرسلَ ابنَه. وفي النهايةِ ذهبَ السّلطان «محمد» إلى «أدرنة»[3]، وهربَ جميعُ أمراءِ الرّومِ ايلي مِن «موسى»، وذهبوا إلى السّلطان

(1) ذكر عاشق باشا زاده في تاريخه ص83: «عندما استشار السّلطان محمد خان چلبي بايَزيد باشا من أجل العبور إلى الروم ايلي، جلب الباشا إليه شاه ملك بك- كرر شاه ملك- للاستشارة فأرسل المشار إليه رسول حاكم اسْتانْبُول، وقال له لا يوجد مكان آخر للعبور سوى ذلك. وبسبب وجود «موسى» چلبي في يد حاكم كليبولى أرسل قاضي ككبورز «فضل الله» سفيرًا إلى إمبراطور اسْتانْبُول. وبعد المذاكرات أُرسل سفن من طرف الإمبراطور إلى السّلطان المشار إليه. وفي صحائف الأخبار ج3 ص323 أنه كان معه خمسة عشر ألف جندي. وعبر من بروسة بالسفن إلى ولاية الروم. وفي كنه الأخبار المطبوع ركن4 ج1 ص139: ذكر أنّ هذه الوظيفة قامَ بها كورشاه ملك. وتاج التواريخ 1279هـ المطبعة العامرة، ج1 ص258 وصحائف الأخبار المطبعة العامرة 1285هـ ج3 ص333: عيّن مكان بايَزيد باشا علي باشا زاده إبراهيم باشا.

(2) ذُكر في تاج التواريخ ج1 ص259 وصحائف الأخبار ج3 ص323 أن: حدثت معركة وحرب بين السّلطان محمد و«موسى» چلبي في انجوكز وجرح السّلطان المشار إليه في الحرب، واضطر للعودة. وعاد إلى بروسة، وتوجد تفصيلات عن هذا الباب في صحائف الأخبار.

(3) ذُكر في تاج التواريخ ج1 ص269 وصحائف الأخبار ج3 ص324 أن: السّلطان محمد خان الأول مرّ إلى الروم ايلي للمرة الثانية. وفي تاج التواريخ في الصفحة المذكورة طلب السّلطان المشار إليه سفن من إمبراطور اسْتانْبُول، واستقبله الإمبراطور بنفسه. وتوجد تفصيلات في صحائف الأخبار عن ذلك. وذكر عالي في كنه الأخبار المطبوع في وقائع عصر «موسى» چلبي ركن4 ج1 ص139 أن: السّلطان محمد خان الأول عبر إلى الروم ايلي من أجل محاربه موسى چلبي، وبعد أن جلس على العرش عبر مرّة أخرى إلى الروم ايلي. وتوجد تفصيلات عن ذلك في كنه الأخبار المطبوع.

«محمد»، حتى أغا الإنكشاريةِ أيضًا ترك «موسى چلبي»، وبقِيَ معه الرُّماةُ [آقينجيلر] فقط.

وعبرَ السّلطان «محمد» مِن «أدرنة» [1] إلى ناحيةِ «صوفية»، والتقى بـ «موسى چلبي» في «صماقو»[2]. واشتعلتْ حربٌ بينهم [3]، وهُزم «موسى چلبي»، وأثناء هروبِه ساخت قوائمُ حصانِه في الوحلِ؛ وكان معه خادمٌ اسمُه «صاروجه» [4]، وعندما ركضَ حِصانُ «موسى» سقطَ مِن فوقِه، فأمسكَ الخادمُ بـ «موسى چلبي»، وذهب به إلى السّلطان «محمد» [5]. وفي المساءِ قُتل

(1) ذُكر في تاج التواريخ ج1 ص268 وصحائف الأخبار ج3 ص324 أنّ: السّلطان محمد عندما وصل إلى آدرنة أغلق أهالي المدينة أبوابها في وجهه، وقالوا إنّهم سلّموا المدينة لأخيه «موسى»، فقبل هذا العذر السّلطان محمد، وخرج من هناك إلى زغرة.

(2) صماقو: هي قلعة تيمور.

(3) ذكر عاشق باشا زاده في تاريخه المطبعة العامرة 1332 هـ ص84 وكنه الأخبار المطبوع، ركن 4 ج1 ص140 أنّ: مكان الحرب كان في صماقو. وتاج التواريخ ج1 ص271 وصحائف الأخبار ج3 ص325، ذكر أنّ المكان كان في صحراء جامورلي. وتوجد معلومات عن هذا الباب في صحائف الأخبار.

(4) ذُكر في كتاب كنه الأخبار المطبوع ركن4 ج1 ص140 عطفًا على جامع المكنونات، أنّ: اسمه «صاروجه»، وفي تاريخ عاشق باشا زاده ص84 اسمه «ترزي صاروجه».

(5) ذكر عاشق باشا زاده في تاريخه ص84، وكنه الأخبار المطبوع ركن4 ج1 ص140، وإذا كان المؤرخ يوافق ما جاء في عطفا على جامع المكنونات. إلّا أنّ تاج التواريخ ج1 ص272، أنّه من قبض عليه كلٌ مِن بايزيد باشا وميخال اوغلي وبراق بك وبعض الأمراء. وفي صحائف الأخبار ج3 ص325 أنه تعقبه كلٌ من بايزيد بك ويخشي بك وبداق بك. وسقط «موسى» من فوق حصانه وأمسكوا به وأحضروه إلى حضرة السّلطان. وفي كنه الأخبار المطبوع ركن4 ج1 ص140 «أسرع السّلطان محمد خان إلى تتبع «موسى» ولحق به خادمُه في ناحية صماقو. ومِن الأمراء اللذين ساروا خلفه بايزيد باشا ويخشي بك، وأمسكوا به.

في الخيمةِ [1]، وفي تلك الليلةِ أرسلوا جسدَه إلى «بروسه» بجوارِ جدِّه [2].

شِعْر

لا وفـــاءَ في هــذه الدنيا فلا يأتي الوفاءُ من عديم الوفاءِ
ولا راحـــةَ لمَـن هـو أمـيرٌ والفخرُ كلُّه لمَن هو فقيرٌ [3]

نثر: حكمَ «موسى» ثلاثَ سنين ونصف، ثمّ تُوفي. وأمسكوا بأميرِ أمرائه «ميخال اوغلى محمد بك» [4]. وأرسلوه إلى سجنِ «جارطاق» [5] في توقات [6]. وحبسوه هناك، وقبضوا أيضًا على قاضي «صامونه» [7] الذي كان قاضيَ عسكر «موسى چلبي»، وأرسله مع ابنِه وابنتِه إلى «إزنيق». وهربَ «عزب بك» [8] إلى الأفلاقِ.

(1) ذكر عاشق باشا زاده في تاريخه ص84 «قتلوه في المساء في الخيمة. وتاج التواريخ ج1 ص272 قتلوه بالسّهم. وصحائف الأخبار ج3 ص325 ذكر أنّه خنقوه بالحبل/ بقوس النشاب. وفي كنه الأخبار المطبوع ركن4 ج1 ص140 نرى عبارة «قتلوه في هذه الساعة».

(2) دُفن في الطرف الأيسر من قبر مراد خان الأول الموجود في جكرجه في بروسة.

(3) اقتباس من الحديث النبوي الشريف: الفقر فخري، وهو حديث باطل موضوع.

(4) ذكر عاشق باشا زاده في تاريخه المطبعة العامرة 1332هـ ص84 أنه: ميخال اوغلى محمد بك، وأرسلوه إلى جارطاغ في توقات.

(5) جاء في كنه الأخبار المطبوع ركن4 ج1 ص140: «أُرسل أمراء أولاد ميخال لازم الإجلال إلى توقات، وتمّ حبسهم في مكان يسمّى جارطاق بدوى التابع إلى الدولة تحت إمرة أمير أمراء الروم ايلي.

(6) توقات: (توقاد): مدينة في ولاية سيواس. انظر موستراس، المعجم ص 222.

(7) بدر الدين زاده قاضي صماونه.

(8) ذكر عاشق باشا زاده في تاريخه ص84 أنه: كان يأخذ راتب ألف اقجه في الشهر. وكنه الأخبار المطبوع ركن4 ج1 ص140 تقاعد بمائة اقجه. وذكر أيضًا أنه خادم موسى جلبي، واسمه في كنه الأخبار مير علم عزب بك. وانظر استطراد رقم 5 ص64.

عصر السّلطان محمد خان الأول

عادتْ ولايةُ الرّوم ايلي تمامًا إلى السّلطان «محمد»، وصار سُلْطانًا سنة 814 هـ[1]، وبعد ذلكَ، أرسلَ الرسائلَ إلى الأمراءِ في نواحي العالَم. وعقدَ صُلْحًا مع كلِّ واحدٍ منهم. وعندما كان السّلطان «محمد» يحاربُ أخاه «موسى چلبي»، جاء ابنُ قرمان[2]، وقصدَ «بروسة»، وحرقَها، وهدمَها كلَّها. وكان صوباشي[3] «بروسة» في ذلك الوقتِ هو «حاجي عوض باشا»؛ فأحضر أهالي «بروسه»، وشاورهم؛ فقال: لقد جاء حاكمُ قرمان؛ ادخلوا القلعةَ بسلاحِكم وعتادِكم، فهو ظالمٌ، فدخلوا إلى القلعةِ بأموالِهم وأسلحتِهم، واستولى ابنُ قرمان على مدينةِ «بروسة»[4]. وبعدها قامَ بجمعِ

(1) ذكر عاشق باشا زاده في تاريخه ص85، وصحائف الأخبار ج3 ص327 وتاج التواريخ ج1 ص273 وكنه الأخبار المطبوع ركن4 ج1 ص144 أنّ: تاريخ جلوس السّلطان محمد خان الأول على العرش كان سنة 816 هـ/ الموافق 1413م.

(2) ذُكر في تاج التواريخ ج1 ص274 أنه محمد بك أمير قرمان.

(3) صوباشي: رئيس فرقة من السباهية، وهي فرقة من الفرسان في العسكرية العثمانية. ويطلق أيضًا على القائم بأعمال البلدية في الأقضية والبلدات، وله عدّة معان أخرى. د. سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية ص145 الرياض 1421هـ/ 2000م (المترجم).

(4) أحرق جامع السّلطان أورخان غازي الموجود خارج قلعة بروسة، ويؤيد ذلك خليل أدهم بك في تاريخ انجمنى عثمانيمجموعه سى بخصوص «اولاد قرمان» وثائق محكوكة. ج12 ص752 نوط 3 قال «أمر هذه العمارة الشريفة/ سلطان الغزاة والمجاهدين اورخان بك بن/ عثمان بك طاب ثراهما في سنة أربعين وسبعمائة، وحرق ولد/ قرمان، ثم أمر الناظر وهو الوزير الكبير بايزيد باشا باشارة/ السّلطان بن السّلطان سلطان محمد بن بايزيد خان خلد سلطنته في سنة عشرين وثمنمائة».

هذه الألغامِ وضربَ بعضَها بعضًا، فهلك كلُّ مَن كان بجوارِ الألغامِ [1]. وبينما كان هؤلاء في هذه الحربِ أحضروا جُثَّةَ «موسى» إلى «قبلوجه». وعندما رأى ابنُ قرمان ذلك فرَّ هاربًا، وذهبَ إلى بلادِه، وكان لابن قرمان صديقٌ [2]، فقال له: «يا مولايَ؛ أهكذا تهربُ مِن السّلطان العثمانيّ؟!، لو كان هو مكانَك ما كان ليفعلَ ذلك».

وبعد ذلك، وصلَ السّلطان «محمد» إلى «بروسة»، وجمعَ الجيشَ، وأخذ معه ابنَ «إسفنديار» [3] وابنَ «كَرميان» [4] وسارا على ابن «قرمان». واستولوا على «آقشهر» [5] وخرجَ مِنها إلى «قونية»، والتقى بـ ابن «قرمان» في قلعةِ «قونية»، ووقعتْ المعركةُ [6].

(1) ذكر عاشق باشا زاده في تاريخه ص84: «قامَ بحفر ماء في خارج حصار بروسة ماء بيكار باشي، وبعد ذلك، قطع المياه عن القلعة، ومن أجل أن يمنع أهالي القلعة من الشرب بدا في حفر الألغام، وقام عوض باشا بتحطيم هذه الألغام. وفي تاج التواريخ ج1 ص274 عمل ذلك لأنّ ماء بيكار باشي ينبع من نهر جلميز، وفي كنه الأخبار المطبوع ركن4 ج1 ص175: «نزل إلى بيكار باشي، ونصب ألغامًا كثيرة، وكان يقصد دخول المدينة من تحتها».

(2) النديم القديم لابن قرمان هو «خرمن طناسي» وفي تاج التواريخ ج1 ص24 و276 ذكره في بحث بعنوان لطيفة.

(3) ذُكر في تاج التواريخ ج1 ص277: أنه قزل أحمد لو من أبناء اسفنديار وخادم اسفنديار بك قاسم بك.

(4) ذُكر في تاج التواريخ ج1 ص، 277: أنه يعقوب بك ابن كَرميان.

(5) آقشهر: (آق شهر): مدينة ومركز للقضاء في سنجق وولاية قونية، تقع على مسافة 24 ساعة شمال غرب قونية، انظر: ش. سامي: قاموس الأعلام، مهران مطبعة سي، استانبول، 1306هـ / 1889م ج1 ص 266.

(6) ذُكر في تاج التواريخ ج1 ص278 «أنه في سنة 817 هـ وصل من طريق سيد غازي إلى اق شهر، وفي يوم وصوله فتح بك شهري وسيدي شهري واوقلق حصاري- وهي أراضي ثلاث عشائر تسكن في قرمان- وسعيد ايل- ويوركان وهي قضا تابع لقونية وناحية لادق. وقام بحصار

وأُسِرَ» قرمان اوغلى محمد بك» مع ابنه «مصطفى بك». وفي النهايةِ لَمْ يقتلْه السّلطان «محمد»، وأعطاه «ايو شهر» و«قير شهر» و«بك شهر» و«سورى حصارى» و«نيكده»، ثمّ عقدا صُلحًا[1]. وخلعَ السّلطان «محمد» على «محمد بك» ابن قرمان خلعةً، وأعطاه سنجق، وأرسلَه إلى بلادِه[2].

قونية، وتمّ التصالح بعد استدعاء ابن قرمان وعفا عنه. وفي سنة 818 هـ نقض العهد كالمعتاد، وتجاوز على بعض الممالك العثمانية. وصل السّلطان محمد خان إلى آقرة من أجل تأديبه. وبسبب مرضه تمّ تعيين أمير أمراء الأناضول بايَزيد باشا الموجود معه قائدًا للجيش. وكان معه أمراء شجعان قد اختارهم. وبعد المكاتبات التي جرت بين بايَزيد باشا وابن قرمان، وبعد قبول ابن قرمان جعل يعكّر مزاج السّلطان مرة ثانية، وتاب وأناب عن الانحراف مرّة أخرى. وكانت قوّته ضعيفة من العوارض الوهمية، وجسمه نحيفًا من الحمى اليومية. فقام بإرسال رسول من أجل الصلح، وتقرّر الصلح بينهم. وبعد أن أرسل بايَزيد باشا خطابًا إلى ابن قرمان يرغبه في الصلح والاتفاق على العهد والوعد. وبعد أن قرأ ابن قرمان الخطاب شكّ في أنْ يكون هذا خدعة، فقام بعمل استخبار عن أحوال السّلطان، وبعد أن تحقّق من جواسيسه أنّ: السّلطان محمد خان مريض بالفعل فعلم أنّ: بايَزيد خان يطلب الصلح والودّ بالفعل. فذهب بكمال الشوق إليه، فقام بايَزيد باشا في ليلة مظلمة بالهجوم عليه، وعند وصوله إليه قبض عليه هو وابنه مصطفى بك، وأرسلهم إلى السّلطان محمد.

(1) ذكر عاشق باشا زاده في تاريخه المطبعة العامرة 1332 هـ ص88: آق شهرى وسيدى شهرى واوقلغى وبكشهرى وسورى حصار وجام آردى حصارى ونيكده.

(2) ذُكر في تاج التواريخ ج1 ص281 «تمّ أسر محمد بك ابن قرمان وابنه مصطفى بك من طرف بايَزيد باشا. وتمّ نقلهم إلى السّلطان محمد، وتمّ تجهيز خيمة لهم بجوار السّلطان، وأجلسوهم فيها وأعطوهم الخلع والأطعمة النفيسة، وبعد أنْ أكرموهم غاية الكرم أحضروهم إلى السّلطان، وبعد اعترافهم بنقض العهد والمساوئ التي حدثت منهم تمّ العفو عنهم من قِبَل السّلطان بعد طلبهم الرحمة والعفو منه. وفي أثناء عودتهم منحهم السّلطان هدايا ومركبًا سلطانيًا خاصًّا، وغصبوا الخيول الخاصّة، وقالوا «عداوتنا مع آل عثمان من المهد إلى اللّحد». وفي عاشق باشا زاده ص88 «تمّ خلع خلعة على محمد بك ابن قرمان وسنجاق» وأعطاه خيل وأرسله لبلاده. وركب حصانه مع عبيده وذهب لبلاده.

وبعدها خرجَ السّلطان «محمد» إلى «بروسه»، وعبرَ مِن هناك إلى «أدرنة». وعزمَ على الذّهابَ إلى «الأفلاق». وقام ببناءِ قلعةِ «يركوك»[1] على حافّةِ نهرِ «طونة»، وأرسلَ جندًا إلى «الأفلاق»، وغنِموا كثيرًا، ثمّ رجعوا. وبعدها عقدَ الصُّلحَ مع «الأفلاق»، وأرسلوا الخراجَ، وأرسلوا أبناءهم رهينةً عند السّلْطانِ، بعد ذلك خرجَ السّلطان «محمد» وذهبَ إلى «بروسة»، وخرج مِن هناك واستولى على «صمصون»[2]. ومنحَ ابنَه مُراد «أماسية». وكان يوجدُ بجِوارِ «صمصون» كثيرٌ مِن التتارِ، قد بقَوا مِن عصرِ «تيمور»[3].

[عِصْيان بوركلوجه مصطفى وطورلق كمال][4]

وتحرّكَ هؤلاء إلى «أورم ايلي»، واستقرُّوا في قلعةِ «قرنوش»[5]. وعمروا

---

(1) في اللهجة العثماني طبعة 1306 هـ ج1 ص801 يركوكى، هاوج وج1 ص828 قال يركوكى تعني هاوج في الأفلاق، وهي مدينة لمركز قضاء ولاشقة.

(2) صمصون: [سامسون، صامسون]: مدينة تقع شمال غرب طربزون بـ 293 كم. انظر: ش. سامى: قاموس الأعلام، مهران مطبعة سي، استانبول، 1306هـ / 1889م ج4 ص2931، 2932.

(3) ذُكر في تاج التواريخ ج1 ص289 وصحائف الأخبار ج3 ص333 «أنّ: هؤلاء يسكنون في اسكليب- مدينة قضاء مركزي دخلة في ولاية قسطمونى- وأميرهم هو منت بك.

(4) هذا العنوان من وضع (المترجم).

(5) ذكر عاشق باشا زاده في تاريخه ص91 اسمها: «قلعة قونوش وصحائف الأخبار ج3 ص333 اسمها قونوش، وتاج التواريخ ج1 ص279 اسمها مكان مشهور باسم قونوش وذُكر في تاج التواريخ في هامش الصفحة «المحل المذكور سبب تسميته ترجع إلى بازار تاتار معروف هناك. أمّا في اللهجة العثماني طبعة 1306 هـ ج1 ص769 «قونوش: هي مدينة مركزية في قضاء نواحي فلبه وج1 ص287: تاتارى بازارى: هي مدينة لمركز قضاء فلبه مع قضاء اوه ويقه.

هذه الولاياتِ [1]، وكان يوجدُ لابنِ صاموته [2] الذي كان قاضي عسكرٍ في عصرِ «موسى چلبي»، كتخدا [3] يُسمّى «بوركلوجه مصطفى» [4]. فذهب مع الفارِّين في هذه الفوضى، ووصلوا إلى «قره بورن» في لاية «آيدين»، وضايقوا أهالي المدينةِ كثيرًا. وفعلوا أشياءَ غير معقولة؛ نهى عنها النبيّ - صلى الله عليه وسلم -، وأظهروا قوّتهم في تلك الولايةِ وتمرّدوا عليها.

فوصلَ «بايَزيد باشا» [5] والسّلْطانُ «مُراد» والتقيا بـ «بركلوجه»، وحدثتْ بينهما معركةٌ عظيمةٌ، وقُتل خلقٌ كثيرٌ مِن الطّرفين، وفي النهايةِ أمسكا بـ «بركلوجه» وقتلاه [6]، وقضيا على التّمرُّدِ والعصيانِ في هذه الولاية، وعمِلا على إقرارِ الأمْنِ فيها، وكان يوجدُ بالقُربِ مِن «مغنسيا»

(1) ذكر عاشق باشا زاده في تاريخه ص91 وتاج التواريخ ج1 ص289 وصحائف الأخبار ج3 ص333 «قامَ محمد بك ابن منت بك ببناء عمارة وكاربان سراى وبعض الأبنية الخيرية هناك». وفي كنه الأخبار المطبوع ركن4 ج1 ص181 «في تعداد الأبنية الخيرية للسّلطان محمد چلبي» قامَ ببناء جامع شريف على قبر الغازي محمد بك ابن منت زاده المدفون في قرية قونش بالقرب من قليه، وألحق بها أيضًا عمارة عامرة.

(2) هو بدر الدين بن قاضي سماونه.

(3) كتخدا: كلمة فارسية بمعنى رب البيت، واستعملت في التركية بمعنى من يقوم بالشئون المالية، انظر: سهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد الوطنية 1421هـ / 2000م ص 188 (المترجم).

(4) ذكر عاشق باشا زاده في تاريخه ص91 أنّ: اسمه بوركلوجه مصطفى. وفي كنه الأخبار المخطوط مكتبة المتحف الهمايوني رقم 361 ص9-178 «بعد الجلوس في حافة نهر ايدين كان مشهور بردكلوجه مصطفى صوفي كسرى في ساحل تيره». وفي كنه الأخبار المطبوع ركن 4 ج1 ص176 «بعد الجلوس تشرف بوركلوجه مصطفى مع صوفي كسرى في ساحل طربزون في حافة ولاية ايدين».

(5) من أمراء عصر السّلطان بايَزيد الأول، وهو من الأرناؤوط، وقع في أسر تيمور في حربه مع بايَزيد سنة 804هـ. انظر: قاموس الاعلام، ج2 صـ1235.

(6) ذُكر في كتاب كنه الأخبار المطبوع ركن4 ج1 ص178 «وقعت الحرب بجوار تيرة وقبضوا على بوركلوجه مصطفى مجروحًا وتُوفي متأثرًا بجراحه.

شخصٌ يسمّى «طورلق يهودى كمال»(1) قد جمعَ ألفًا أو ألفين مِن الجنودِ، وكان يدعو إلى العِصيانِ والتمرُّدِ في هذه الولايات، فحاربَه وشتَّتَ جيشَه، وقبضوا على «طورلق كمال»، ووضعوه في الحبسِ.

وعندما سمع الشيخُ «بدرُ الدِين» ابنُ قاضي صامونه بذلك لَم يجلسْ في «إزنيق»، وفرَّ هاربًا إلى «إسفنديار بك»، وذاتَ ليلةٍ ركِبَ سفينةً وعبرَ مِن ولايةِ «الأفلاق»، وذهبَ إلى مكانٍ يسمّى «آغاج دكزى» (2)، ثمّ خرجَ مِن هذا المكان، وأرسلَ بعضَ الصوفيّين الأشرارَ إلى الناسِ في وادي «زغرة» يدعوهم إلى اتّباعِه، وقال لهم: «مِن الآن الإمارةُ لي، والعرشُ سيكون لي». فذهبَ الصوفيّون إلى وادي «زغرة»، ودَعوا الناسَ هناك، واتّبَعهم كثيرٌ مِنهم، واجتمع كثيرٌ مِن الخدمِ والحشمِ حول الصوفيّين.

وعندما كان [الشيخُ بدرُ الدِينِ] قاضي عسكر لـ«موسى چلبى»، كان له نوّابٌ كثيرٌ ومريدون؛ فجمعَهم كلَّهم إلى جانبه، وعندما جاءوا وعرفوا أنّه ليس على حقٍّ تفرّقوا مِن عندِه، ولَم يبقَ معه إلّا عددٌ قليلٌ بجواره. وعندما سمعَ السّلطان محمدٌ الخبرَ ذهبَ إلى «سلانيك»(3). وأرسلَ رجالًا كثيرًا

(1) ذكر عاشق باشا زاده في تاريخه ص91 أنّ: اسمه «طورلاق هو كمال» وتاج التواريخ ج1 ص298 أنّ: اسمه «طورلاق هود بن كمال»، وصحائف الأخبار ج3 ص334 «طورلاق هود».

(2) آغاج دكزى: بمعنى غابة كبيرة. وربّما اسمها دلى اورمان. وفي تاج التواريخ ج1 ص298 «دلى اورمان: غابة معروفة في درختستان، وفي صحائف الأخبار ج3 ص334 «في نواحي دلى اورمان في ولاية دوبروجه» ويعني أنه اختفى في دلى اورمان. وفي تاريخ هامر ترجمة النسخة الفرنسية طبعة باريس 1835 م ج3 ص203 «ذكر أنّه وادي روسيه لى في البغدان.

(3) سلانيك: مدينة تقع في ولاية مقدونيا في الروم ايلى، تقع جنوب غرب اسْتانْبُول بـ 510 كم، اسمها القديم (ترمه)، انظر: ش. سامى: قاموس الأعلام، مهران مطبعة سى، اسْتانْبُول، 1306هـ / 1889م ج4 ص 2591.

خلفَه، فوجدوه في ناحيةِ «زغرة» وقبضوا عليه [1]. وأرسلوه إلى السّلطان «محمد» في «سيروز»[2].

وسأل السّلطان «محمد» قائلًا: «لماذا نفعلُ هكذا، فقدْ نشرَ الفسادَ، هل في قتلِ هذا ذنبٌ؟».

وكان سلاطينُ ذلك الزّمانِ مسلمين، لا يقتلُون العُصاةَ والمفسِدين بلا سببٍ. وكان يوجد في ذلك الوقتُ عالمٌ جليلٌ يُدعى «خليل» [3] أفتى أنَّ:

(1) ذُكر في تاج التواريخ ج1 ص299: «انهزم بدر الدين من طرف العسكر الذي أرسله السّلطان محمد خان، وفرّ هاربًا واختفى في مكان اسمه «دلي اورمان». وفي تلك الأثناء انتشر خبر هزيمة بوركلوجه مصطفى وطورلق هود بن كمال، فقبض الموجودون مع الشيخ بدر الدين عليه بوحشية، وأحضروه إلى السّلطان محمد. وذكر إدريس البدليسي في هشت بهشت أن: قام بايزيد باشا بمحاربة الشيخ بدر الدين. وعندما انتصر بايزيد باشا عليه، وأرسل بعض الأشخاص الذين يثق فيهم إلى الشيخ، وقالوا له إنّهم يريدون التحصيل والعلم منه، فقبضوا عليه. وفي كنه الأخبار المطبوع ركن4 ج1 ص179: «ذهب قبوجي باشا الوان آغا بحوالي مائتين أو ثلاثمائة جندي، وقبضوا على الشيخ في نواحي زغرة، وأحضروه إلى سيروز. وفي صحائف الأخبار ج3 ص334: «أرسل جاشنكير باشي علوان بك، وغلب الشيخ بدر الدين، واختفى في دلي اورمان. وبعد أن سمعوا بهزيمة بوركلوجه مصطفى وطورلق كمال؛ قبض رجال الشيخ عليه خوفًا من بطش وقهر السّلطان. وطبقًا لرواية إدريس البدليسي وبعض الروايات الأخرى بعد الهزيمة أرسل السّلطان بعض الرجال إليه، وظفروا به وأخذوه ونقلوه إلى سيروز، وأرسلوه إلى الركاب الهمايوني.

(2) سيروز: مدينة في ولاية سلانيك، تقع شمال شرق سلانيك بـ 73 كم، ومن الآثار الموجودة بها جامع [اسكي جامع]. المصدر السابق، ج4 ص 2755. الموافق عام 1421م.

(3) الذي أفتى بقتله، ذكر عاشق زاده في تاريخه ص 92 أنه حيدر هروي. وتاج التواريخ ج1 ص299 أنه حيدر الهروي من تلاميذ سعد الدين التفتازاني. وصحائف الأخبار ج3 ص334 أنه «برهان الدين عجمي» من تلاميذ سعد الدين التفتازاني، ومعروف بحيدر الهروي. وفي كنه الأخبار المطبوع ركن4 ج1 ص179 اسمه عجم حيدر.

دمه حلالٌ وماله حرامٌ[1]. وبعد ذلك، صلبوه[2] في «سيروز» بناءً على فتواه.

وبعد ذلك، خرجَ السّلطان «محمد» واستقرّ في «بروسة». وكان السّلطان «سُليمان چلبي» قد بدأ بناءَ الجامع القديم في «أدرنة»، وبعده داوم فيه أخوه «موسى چلبي»، وبعد ذلك، أكملَ بناءَه السّلطان «محمد»[3]. وبنى أيضًا في «أدرنة» السّراي القديمةَ. وبعد ذلك، بنى في «أدرنة» مدرسةً تسمّى السّلْطانية[4]. وبنى أيضًا عِمارةً في «بروسه»، وبعدها استقرّ في «أدرنة». ثمّ انتقلَ إلى رحمةِ الله تعالى. وذلك سنةَ 824 هـ[5].

---

(1) في كنه الأخبار المطبوع ركن4 ج1 ص179 «وطبقًا لقول مولانا روحي فإنّ: هذا الملا- حيدر هروي- أفتى بأنّ قتله حلال، وماله حرام، ومضى أيضًا على قوله.

(2) ذكر عاشق باشا زاده في تاريخه ص93 أنه صُلب في السوق في سيروز أمام الغلمان. وجاء في كتاب صحائف الأخبار ج3 ص335 أنّ قبره هناك يزار.

(3) ذُكر في كتاب كنه الأخبار المطبوع ركن4 ج1 ص181 «بنى أيضًا جامع شريف في أدرنة، وهو مشهور باسكى جامع، وهو معبد لطيف. وترك أخوه موسى چلبي بناءه في عصره، وبعد أن وضع حجر الأساس قامَ السّلطان محمد خان بإكمال بنائه.

(4) ذُكر في تاج التواريخ ج1 ص291 292، وكنه الأخبار المطبوع ركن4 ج1 ص333: أنّه بنى جامع شريف ومدرسة وعمارة وتربة. وذكر المؤرخ عالي أنّ: هذه المدرسة كانت مشهورة باسم «سلطانية وذكر بروسه لي بليغ أفندي في «كلدسته رياض عرفان ووفيات دانشوران نادره دان» طبعة بروسه 1302 هـ ص31: «هي عمارة مشهورة ونادرة، واسمها «يشيل عمارة، أي العمارة الخضراء. وذكر توحيد بك في تاريخ عثماني انجمني مجموعه سى» في ج17 الذي نشر عام 1330هـ: في مقالة بعنوان: «أوّل ستة مقابر للسّلاطين الموجودة في بروسة» أنّها مشهورة باسم يشيل تربة. وقال أيضًا في نفس المقالة. ومحرر اسم السّلطان محمد خان الأول وحاجي عوض باشا هناك. وهو برسم السّلطان المغفور له محمد بن بايزيد بن مراد بن أورخان بن عثمان باشا، والوزير صاحب التدبير حاجي عوض بن أخي بايزيد». وقال عن التربة «تمّ تفويض الحاج عوض باشا استكمال بناء الجامع الذي لم يستكمل بناءه لأخيه «موسى» چلبي في «أدرنة»، وإتمام منصة جلوه كر.

(5) ذكر عاشق باشا زاده في تاريخه ص94 عن وفاة الخاقان المشار إليه، فقال: «أكمل سلطته في تاريخ

شعر

لا يطمئنَّنَّ أحدٌ إلى هذه الدنيا
رحلتُ على هذه الصورةِ حتى إنك تظنُّ أنها لم تأتِ
فتارةً يجلسُ المرءُ على العرشِ مُعظَّمًا
وتارةً أخرى يُحمَلُ على الخشبِ في التابوتِ
وحين يزولُ العرشُ تمامًا بعد ذلك
فبِمَ سيُجْدي التاجُ والعرشُ
وعندما يزولُ المالُ والكنزُ فالموتُ أفضلُ
وسيأتي شخصٌ يرِثُ المالَ والكنزَ
كلُّ مَن يتولّى المُلكَ سيموتُ
ولن يبقَ إلا الحقُّ جلَّ جلالُه

---

820 هـ. وفي تاج التواريخ ص300: توفي السلطان السعيد في حمية «أدرنة» في أوائل جمادى الأولى سنة 824 هـ. وفي كنه الأخبار المطبوع ركن4 ج1 ص180: مرض بالصداع واستمرّ مرضه لمدّة ستة شهور، ثمّ توفي سنة 824 هـ. وفي تاريخ نشانجي المطبعة العامرة ص124 «توفي من مرض الإسهال». وفي صحائف الأخبار ج3 ص335: «تعرّض السلطان لمرض خطير في أوائل جمادى الأولى، وبعد عدّة أيام انتقل إلى رحمة الله. يوجد على باب قبره منقوش على أضلاع مرقده هذه الكتابة: «توفي في شهر جمادى الأولى سنة أربع وعشرين وثمانمائة»، ولم يذكر يوم وفاته. وتوجد تفصيلات في صحائف الأخبار عن الأحوال والوقائع التي جرت بعد وفاة السلطان المشار إليه.

عصرُ السّلطان مُراد خان الثاني

[حادثةُ دوزمه مصطفى] [1]

جاء السّلطان «مُراد»، وجلسَ على عرشِ السّلْطَنةِ مكانَ والدِه السّلطان «محمد». وبعد ذلك، أعلنَ أبناءُ [2] السّلطان «محمدٍ» التمرُّدَ والعِصيانَ في كلِّ مكانٍ، وانتشرتْ الفوضى في كلِّ الأرجاءِ، وكان يوجدُ أيضًا في الرّومِ ايلي «دوزمه مصطفى»؛ قام بجمعِ خلقٍ كثيرٍ مِن ولايةِ الرومِ ايلي حولَه.

ثمّ خرجَ «دوزمه مصطفى»، واستقرّ في «أدرنة»، وأحكمَ السّيطرةَ على الولايةِ، وجمع جيشَ الرّوم ايلي، وكانوا مُشاةً يُطلَقُ عليهم اسمُ «مُسَلم» [3]، وأعطى لكلٍّ مِنهم ستّةَ آقجه خراجًا[4]. وكان يوجدُ في ذلك الوقتِ عساكرُ

(1) هذا العنوان من وضع (المترجم).

(2) جاء في كتاب صحائف الأخبار ج3 ص327 أنّ: «أبناء السّلطان محمد خان هم: الشهزاده محمود، ويوسف، ومصطفى، وأحمد»، وتُوفّي في حياته الشهزاده محمود، وأحمد، ويوسف، ماتوا من الوباء/ المرض.

(3) هو القروي المعاف من الضريبة/ الخراج بشرط أن يعمل في قيادة العربات «ارابه جيلق» وحيازة البلطة بالطه جيلق مع الجنود، وهو أيضًا العسكري العربه جي والبلطه جي المعافلا من الضريبة.

(4) ذكر عاشق باشا زاده في تاريخه، المطبعة العامرة 1332هـ ص96 و97 «كان جنود/ مشاة الروم ايلي يسمّون مسلم، وكان بعضهم يتولّى مصاريف الآخر. وكانوا في ذلك الوقت يعطون الشخص الذي يذهب للجيش ستة اقجه. وفي صحائف الأخبار ج3 ص338: «أحدث هذه الطائفة التي تطلق على أصحاب الخراج من طوائف الجند- وزير ازمير اوغلى دوزمه جي مصطفى- جنيد بك.

«المسَلم» و«الجانباز»[1] بكثرةٍ. وبقَوا مِن ذلك الوقتِ [تمّ تشكيلُهم في ذلك الوقتِ]. وجمعَ أيضًا جندَ العزبِ[2] وخرجَ بهم مِن «أدرنة»، وسار ناحيةَ «بروسة»، وتوجَّهوا إلى السّلطان «مُراد». وجاء الخبرُ إلى السّلطان «مُراد» وهو في «بروسة» أنَّ «دوزمه مصطفى» قد جمعَ جيشًا كبيرًا قادمًا به إليكم».

وعندما سمعَ السّلطان «مُراد» بذلك خرجَ بجيشِه مِن «بروسة»، وذهبَ إلى ناحيةِ «أولوباط». وعبرَ «دوزمه مصطفى» مسرِعًا مِن «كليبولي»، وذهبَ إلى «ميخاليج»[3]. وعندما كان السّلطان «مُراد» في «بروسة»، أرسلَ رجُلًا، وأمره بهدمِ جسرِ «أولوباط»، لكي لا يمُرَّ عليه «دوزمه مصطفى».

ثمّ وصلَ السّلطان «مُراد» إلى هناك، ونزلَ في مكانٍ ناحيةَ «أولوباط»، ونزلَ «دوزمه مصطفى» في مكانٍ آخرَ هناك. ولكنَّ جنودَ «دوزمه مصطفى» كانت كثيرةً، وكانت جميعُها مِن جنودِ الرّوم ايلي. وقد أحضرَ السّلطان «مُراد» «ميخال اوغل»[4] الذي كان محبوسًا مِن قبلُ في «توقات»[5]، وأمَّنه ووعَدَه قائلًا: «لتبعِدْ عساكرَ الرّوم ايلي عن «دوزمه مصطفى»، وتجعلْها تنضمُّ إلينا».

---

(1) تطلق على الجندي الفدائي.

(2) عزب: بالفتح معناها المُجرد أعزب وصغير. وكانت تطلق سابقًا على رامي/ تفنكجي البحرية. أمّا بالذّال المعجمة «عذب» في ترجمة القاموس طبعة 1272هـ ج1 ص199 بمعنى «عسكر العذب، وتطلق على حدود كلّ شيء»، وكلمة اوج في التُّركية تعني حدود، وهي تعني الحدود العسكرية.

(3) ميخاليج: هي قضاء يدخل في ولاية خداوندكار.

(4) جاء في كتاب صحائف الأخبار، ج3 ص338 أنه: ميخال اوغل محمد بك. وجاء ذكره أيضًا في الكتاب صفحة 68. (المترجم).

(5) ذكر عاشق باشا زاده ص97 وكته الأخبار المطبوع ركن4 ج1 ص197، أنهم أحضروا من طرف إبراهيم باشا وحاجي عوض باشا وسائر الوزراء.

فقال: «سأفعلُ بقدرِ الإمكانِ»، وبعدها ركِبَ حِصانَه ووصلَ إلى نهر «أولوباط»، ونادى قائلًا: «يا جنودَ الرّوم ايلي، ماذا تفعلونَ بجانبِ «دوزمه مصطفى»، فلْتأتوا إلى جانبِ ابنِ سُلْطانِكم». فقال عساكرُ الرّوم ايلي: «مَن أنت لتقولَ هذا الكلامَ». فقال: « أنا ميخال اوغلي محمد بك». فقالوا: «أنت تكذبُ، كيف تكونُ محمد بك، أيّ محمد بك تقصد؟ » ، لأنَّ محمد بك كان محبوسًا منذُ ثماني سنواتٍ[1]، ولذلك لَم يصدّقوا كلامَه. وفي النهايةِ سأل «ميخال اوغلي» عن بعضِ الأمراءِ مِن الرّوم ايلي»، وقال فلان بك يا فلان بك هل هذا صحيحٌ». وبعد ذلك، عرفوا أنّه هو حقًّا «ميخال اوغلي». ففرحَ عساكرُ الروم ايلي بذلك، وبدءوا في الخروجِ مِن الجيشِ، وذهبوا إلى السّلطان «مُراد».

وعندما رأى «دوزمه مصطفى» أنّ عساكر الرّوم ايلي خرجوا من جانبه، وذهبوا إلى السّلطان «مُراد»، ذهب إلى ناحية «كليبولى»، ووصل إليها، ثمّ عبر مِنها. وجاء جميعُ أمراءِ الرّوم ايلي إلى السّلطان «مُراد» وأعلنوا له الطاعةَ، وعبر «دوزمه مصطفى» مِن «كليبولى»، وسحبَ جميعَ السّفنِ إلى البرّ، واستقرّ هناك. وجاء السّلطان «مُراد» خلفَه، ثمّ عاد إلى «لابسكى» [2].

---

(1) انظر: استطراد رقم 1 ص68.

(2) لابكسي: (لابسكي): مدينة تقع شمال شرق قلعة سلطانية بـ 34 كم، وجنوب بحر كليبولى بـ 3 ميل، واسمها القديم (بيتوشه). انظر. ش. سامي ج5 ص 3956.

وفي النهايةِ عبرَ[1] السّلطان «مُراد» بسفينةِ أحدِ التجّارِ إلى نهرِ «أجه»[2]، وعندما سمع «دوزمه مصطفى» بعبورِ السّلطان «مُراد» إلى نهرِ «أجه» هربَ مِن طريقِ «بولاير»، وجاء إلى «أدرنة»، وجمع جيشًا عظيمًا، وواجهَ السّلطان «مُراد»[3]، ولكِنّ الذين معه لَم يثْبُتوا، وهربوا.

ووصل إلى «أدرنة» مرةً أخرى، ولَم يستقرَّ هناك، وذهبَ إلى ولاية «قزل آغاج»[4]. فجاء السّلطان «مُراد» في إثرِه إلى«أدرنة»، وتمّ القبضُ على «دوزمه مصطفى»[5]. وأحضروه إلى السّلطان «مُراد» في «أدرنة». وقُتل «دوزمه

---

(1) ذكر عاشق باشا زاده في تاريخه ص99 وتاج التواريخ ج1 ص314 وصحائف الأخبار ج3 ص399 أنّ: وصل السّلطان مُراد خان الثاني مع جنده إلى لابسكي- وكان دوزمه مصطفى قد نقل كلّ السفن الموجودة معه عند مروره إلى الروم ايلي-، ولَم يجد السّلطان مُراد سفينة يعبر بها- فقام إبراهيم باشا- الذي كان صهره- بكتابة رسالة إلى ضابط كليبولي بضرورة توفير سفينة لها من أجل العبور، فأرسل سفينة بواسطة رجُل ماهر في فنّ السّباحة. وفي تلك الأثناء وبوصول بعض حمولة الأمتعة التجارية على سفن جنوة، فذهب الضّابط المشار إليه مع السفينة بحجة بيع بعض الأمتعة. وقام باستئجار السفينة بخمسة آلاف ذهبية وذهب بها إلى لابسكي. وتوجد تفصيلات في صحائف الأخبار عن ذلك. وذُكر في كتاب كنه الأخبار المطبوع ركن4 ج1 ص199: جاءت سفينة كبيرة مع أحد تجار جنوة، وفي الحال تمّ استئجار السفينة من رئيسها بأربعة آلاف فلوري.

(2) ذكر كتاب صحائف الأخبار ج3 ص340 أنه اجه اوواسي: وهي منطقة في كليبولي اجا اباد. واجه يعني شيخ ورجُل عظيم، ويمعنى لحية بيضاء ومخففة من حاجي.

(3) لا توجد معلومات في تاريخ عاشق باشا زاده أو تاج التواريخ أو صحائف الأخبار عن الحرب التي وقعت بين مُراد الثاني ودوزمه جه مصطفى في الروم ايلي.

(4) قزيل اغاج يكيجه سي: هي مدينة لمركز قضاء خاتون ايلي التابعة لولاية «أدرنة».

(5) ذكر عاشق باشا زاده في تاريخه ص100 «: قبض عليه في قزيل اغاج يكيجه ونقل إلى«أدرنة» وفي تاج التواريخ» أنه لمّا وصل هناك تمّ ربطه من طرف عسكري تابع له، وسلم إلى عساكر السّلطان مُراد، وأرسلوه إلى أدرنة. وفي كنه الأخبار المطبوع ركن4 ج1 ص200: أمر ميخال اوغلي محمد باشا بتعقيبه، ولحق به في جاموريلي، وتمّ خنقه بوتر القوس هناك. وفي صحائف

مصطفى» في برجٍ في قلعةِ «أدرنة». وجلسَ السّلطان «مُراد» على العرشِ في «أدرنة»، وتمَّ ذلكَ سنة 825 هـ[1].

[واقعةُ مصطفى أخي السّلْطانِ][2]

وكان للسّلطَان مُرادٍ أخٌ اسمُه «مصطفى»[3]؛ قام هذا أيضًا بأعمالٍ شغبٍ كثيرةٍ في «الأناضول»[4]. وبعد ذلك، ذهبَ إلى «إزنيق»[5]، وحاصرَها لمدّةٍ

الأخبار ج3 ص340: بعد أن أيّد ما ذكره تاج التواريخ قال: يقول البعض أنّ: ميخال اوغلي محمد بك قد لحق بدوزمه جه مصطفى بعد أن هرب في موضع يسمّى جاموريلي بالقرب من صوفيه، وأخذه وخنقه بوتر القوس وأرسل رأسه المقطوع إلى الركاب الهمايوني، ولكن هذا الكلام بعيد عن الصحة.

(1) الموافق 1422م.

(2)) هذا العنوان من وضع (المترجم).

(3) ذكر عاشق باشا زاده في تاريخه ص101 وتاج التواريخ ج1 ص315 وصحائف الأخبار ج3 ص340 أنّ: السّلطان محمد خان الأول قد نصّبه واليًا على حميد ايلي-، وفي ذلك الوقت عندما كان بجانبه قرّ هاريًا واختار الخدمة تحت الشهزادة سليمان، بعد ذلك جاء مرّة أخرى إلى الركاب الهمايوني، وتمّ العفو عنه، وعينه شرابدار إلياس بك لالا، وذهب إليه.

(4) جاء في التواريخ المذكورة أنه: «عندما كان السّلطان مُراد خان الثاني مشتغلًا بحرب عمّه دوزمه جه مصطفى حرض شرابدار إلياس بك الشهزاده مصطفى على العصيان. وبناءً على محبة يعقوب بك أمير كَرميان للشهزاده المذكور كان على هواه أن يقيم فتنة جديدة في الدولة العثمانية، واتفق مع محمد بك أمير قرمان. وقام بإرسال جند كثيرة إلى الشهزاده مصطفى من طائفة طورغودلي، وتحرك مصطفى بعسكر قرمان وحميد وكَرميان إلى بروسه، وعند وصوله إلى قرية «فديه قزيق»، وكان أهالي بروسه قد قرّروا فيما بينهم أن يعطوهم أموالًا وأقمشة، وبسبب رجاء كلّ من أخي يعقوب وأخي خوش قدم بعدم الدخول بتجاوز إلى المدينة أخذوا الهدايا وذهب إلى ازنيق.
طوغود: هي عشيرة من التتار، توجد في نواحي اق شهر في قونية، ومعظمها موجود في بعض الأماكن في الأناضول.

(5) ازنيق: مدينة تابعة لحكم يكيشهر في شنجق ارطغرل في ولاية خداوندكار، تقع شمال شرق بروسه بـ 55 كم، والآن هي قصبة صغيرة وخربة. انظر المصدر السابق ج2 ص856.

أربعين يومًا. ولكنْ لَم يفتحْها؛ لأنَّ السّلطان «مُراد» كان قد تركَ فيها رجُلًا شُجاعًا. وأرسل السّلطان «مُراد» أيضًا رجلًا خِلسةً إلى أهلِ «إزنيق» ومعه رسالةٌ فيها: «لتسلّموا له القلعةَ، ونحن سنكونُ بجوارِك، وعندما نصِلُ إليكم افتحوا لنا بسرعةٍ بابَ القلعةِ دونَ أنْ يشعُرَ أحدٌ».

فأعطى الرّسالةَ إلى الحاكمِ الموجودِ في «إزنيق»[1] ويُدعى «فيروز بك»[2]، فتلقّى هذا الخبرَ مِن السّلطانِ «مُراد»؛ فأرسل الخبرَ إلى «مصطفى چلبي»، وعقدَ صُلحًا معه، ووعدَه، فقام بتسليمِ القلعةِ له مِن غيرِ شيءٍ مِن مقاومة.

شِعر

إنْ لَم تنتصِرْ على العدوِّ بالحربِ
فعليك به بالحيلةِ والسياسةِ
ومِن اليقينِ أنْ لكلِّ زمنٍ عملًا خاصًّا به
وهذا اللزومُ مِثلَ الزمنِ الأولِ تمامًا
لا تضحكْ وقتَ الحربِ
ولا تحارِبْ وقتَ السّلْمِ

---

(1) ذُكر في تاج التواريخ وتاريخ عاشق باشا زاده وصحائف الأخبار أنه: «عندما وصل السّلطان مُراد الثاني لزنيق كان الشهزاده غافلًا عن ذلك، وبتوجيه من أمير أمراء الأناضول. وجاء في كتاب صحائف الأخبار أنّه أمير أمراء الروم ايلي- ج3 ص341 أرسل رسالة إلى شرابدار إلياس بك. وشرابدار إلياس بك: أسر من طرف أمير قرمان، وعندما كان واليًا على حميد ايلي تُوفّي هناك سنة 832 هـ. وفي لهجه عثماني طبعة 1306 هـ ج2 ص1191 ذكر أنه شرابدار هو شربتجي باشي.

(2) ذُكر في تاج التواريخ ج1 ص316 وكنه الأخبار المطبوع ركن4 ج1 ص202 وصحائف الأخبار ج3 ص341 أنّ: اسمه فيروز بك زاده علي بك.

نثر: وبعد ذلك، سلّموا القلعةَ لـ «مصطفى چلبي»، فدخلَها واستقرَّ بها غافلًا عن مجيءِ أخيه.[1]

شِعْر

مَـــن يجلـــسُ غـــافـــلًا يخـــسرُ رُوحَـــه
وكـــلُّ عـمـلٍ يضيعُ جـــرَّاءَ الغفلةِ
مَـن يغفُلُ يموتُ أمـامَ أعـيُنِ النّاسِ
وحـين يـكُـونُ مـغـرورًا يأتيه المـماتُ
ولا ينبغي أنْ يكُونَ المرءُ مغرورًا وغافلا
والـشـخـصُ الـغـافـلُ ينتهي أجَـلُـه

نثر: وفي النهايةِ كان جميعُ أهالي الولايةِ يعملون لصالحِ السّلطان «مُراد»؛ ولكِنْ خُفيةً. واصلَ السّلطان مُرادٌ السيرَ ليلَ نهار، حتى وصل «إزنيق» ليلًا، وفتحوا له أبوابَ «إزنيق» الأربعةَ، ودخلَ جيشُ السّلطان «مُرادٍ» القلعةَ في الصباحِ، وبينما كان «مصطفى» يجلسُ مع الناسِ غافلًا، هجموا عليهم[2]،

(1) ذكر عاشق باشا زاده في تاريخه ص102 وصحائف الأخبار ج3 ص341 أنه أقام في سراي إبراهيم باشا في ازنيق.

(2) ذكر عاشق باشا زاده في تاريخه ص102 أنّ: السّلطان مُراد خان الثاني تحرّك من أدرنة، ووصل إلى ازنيق مسرعًا في خلال تسعة أيام. وحاصر ميخال اوغل محمد بك قلعة ازنيق، وفتح أهالي القلعة أبوابها لأجل الحرب. ودخل محمد بك وأمسك تاج الدين اوغلى - بالشهزاده مصطفى-. وفي كنه الأخبار المطبوع ركن4 ج1 ص202: حضر وزيره وباجرخه جيمي، وطعنه بمزراق كان في يده. فسقط من فوق حصانه وطعنه مرّة أخرى في قلبه وهو على الأرض، وقتله. وفي تاج التواريخ ج1 ص317، وصحائف الأخبار ج3 ص341: وصل السّلطان مُراد خان الثاني إلى ازنيق وحدثت حرب بين ميخال الدين محمد بك الذي أمر العساكر وبين عساكر الشهزاده مصطفى جرخه جيسى تاج الدين، واستشهد محمد بك في هذه الحرب. وغلب جيش الشهزاده، وفر تاج الدين إلى ازنيق، وذكر أن أهالي القلعة فتحوا أبوابها.

ففزعوا، فقتلوا بعضَ جيشِه، وأسروا آخَرين [1]، وهربَ بعضُهم، واختفى. وقبضوا على «مصطفى»، وقتلوه [2]. ودفنوه بجوارِ جدِّه في «بروسة» [3].

[عِصيانُ حاكمِ قرمان] [4]

وعندما سمعَ «ابنُ قرمان» [5] بمقتلِ السّلطان «مصطفى»؛ أعلنَ العِصيانَ

---

(1) ذكر عاشق باشا زاده وتاج التواريخ أن: اسمه قولنجه تاج الدين اوغلى، وكنه الأخبار وصحائف الأخبار ذكرا اسمه تاج الدين. وتاج التواريخ ج1 ص317: اختفى في الرمال ووجدوه هناك، وقتل من قبل رجال ميخال اوغلى محمد بك. وفي تاريخ عاشق باشا زاده ص102: بعد استشهاد ميخال اوغلى محمد بك تمَّ قتل الأمير المشار إليه من طرف رجاله. وفي صحائف الأخبار ج3 ص341: تمَّ أخذ تاج الدين في إحدى القرى بموجب الأمر السّلْطاني، وقام أبناء ميخال بتعليه ثمّ قتله للأخذ بثأر محمد بك.

(2) ذكر عاشق باشا زاده ص102: «قبض شرابدار إلياس بك على الشهزاده مصطفى الموجود في الحمام، وأخذه بجانبه وركبا الحصان، وأرسله إلى السّلطان مُراد خان الثاني، وتمّ قتل الشهزاده. وفي تاج التواريخ ج1 ص2017 وصحائف الأخبار ج3 ص341 تمّ نقله إلى السّلطان مُراد من طرف شرابدار إلياس بك، وبموجب الأمر السّلْطاني تمّ قتله تحت شجرة التين في خارج ازنيق من طرف مير اخور مزيد بك. وجاء في كتاب صحائف الأخبار «أميل إلى بعض الروايات التي تقول أنه تُوفّي من شدة ألم الجرح»، وأصبح مزيد بك بعد ذلك أميرًا على الاجه حصار، وتُوفّي هناك. وفي كنه الأخبار المطبوع، ركن4 ج1 ص202 قال: «جاء من حق كمصطفى خان ووزيره تاج الدين».

(3) ذكر عاشق باشا زاده ص103: وتاج التواريخ ج1 ص217 وصحائف الأخبار ج3 ص341 وبروسه لي بليغ أفندي في كتابه كلدسته رياض عرفان ووفيات دانشوران نادره دان طبعة بروسه 1302 هـ ص45 أنه دفن في قبر والده في بروسه. وفي كنه الأخبار المطبوع ركن4 ج1 ص202: ولَم ينقل إلى مكان ودفن في ازنيق.

(4) هذا العنوان من وضع (المترجم).

(5) هو قرمان اوغلى محمد بك.

في الحال، وسارَ إلى ولايةِ «تكة»[1] واستولى على قلعةِ «آنطالية»[2] التي كان بها رجُلٌ اسمُه «فيروز بك» مِن عبيدِ جدِّه «السّلطان محمد»، وكان السّلطان «محمدٌ» قد أعطاه «آنطالية»، وفي ذلك الوقتِ تُوفِّي السّلطان «مصطفى»، وتُوفِّي [فيروز بك][3]، وترك ابنًا له يُدعى «حمزة»، وكان «صوباشي»[4] في قلعةِ «قره حصار»، وعندما تُوفِّي والدُه عُيِّنَ أميرًا على «قره حصار»، فذهبَ ودخل «آنطالية». وبينما كان على هذه الحالِ جاءه خبرٌ بأنَّ «أمير قرمان سيهجُمُ عليكم». وفعلًا جاء حاكمُ قرمان في الصّباحِ إليهم، وهجمَ على القلعة، وأحضر المدافعَ وشرعَ في دكِّ القلعةِ.

ومِن الجانبِ الآخَرِ عندما كان السّلطان «مُراد» يحاربُ أخاه أرسلَ مددًا إلى القلعة. ولَم يذهبْ بنفسِه، ولَم يخرُجْ أمير قرمان مِن «آنطالية»،

(1) ذُكر في تاج التواريخ ج1 ص338 أن: أمير تكه عثمان جلبي قد فر من غضب السّلطان مُراد الثاني وذهب إلى محمد بك أمير قرمان، وتعهد له باستخلاص ملكه الموروث. وقد قام أمير قرمان بتشويق وتحضير أهالي تكة الموجودين مع عثمان جلبي على حصار قلعة انطاليه واستردادها. ووصلوا إلى مكان يسمّى ايستانور في انطاليه، وبسبب مرض حمزة بك محافظ انطاليه الذي كان يترقب وصول أمير قرمان، ولكي يختبر الناس الموجودين بجواره قام بالشورى، واختار أفضل الجنود، وهجموا على جيش عثمان جلبي فجأة، وهزموا جيش عثمان جلبي، وغنموا كثيرًا وأحضروها إلى القلعة. وفي كنه الأخبار المطبوع ركن4 ج1 ص201: ذكر أنّ: حمزة بك تزوج بابنة عثمان جلبي في النهاية. وبعد وفاة عثمان جلبي بهذا الشكل وصل أمير قرمان إلى آنطالية وحاصرها.

(2) آنطالية: مدينة وميناء تقع داخل ميناء آنطالية جنوب ساحل الأناضول، وجنوب غرب قونيه بـ 72 ساعة. انظر: المصدر السابق ج1 ص430.

(3) كانت وفاة فيروز بك سنة 825 هـ.

(4) صوباشي: رئيس فرقة من جند السباهية، وهي فرقة من الفرسان في العسكرية العثمانية. ويطلق أيضًا على القائم بأعمال البلدية في الأقضية والبلدات. انظر: د. سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، الرياض 1421هـ / 2000م، ص145.

وحاصرَ القلعةَ لمدَّةِ ستةِ أشهرٍ، ووردَ بعدَ ستّةِ أشهرٍ خبرٌ إلى أميرِ قرمان بأنَّ: «السّلْطانَ مُرادًا قد قتلَ أخاه [الأمير مصطفى]، وجلسَ على العرشِ، وجمعَ جيشًا، وسيهجمُ عليكم».

وعندما سمعَ أميرُ قرمان هذا الخبرَ امتطى فرسًا، وجعل يتجوّلُ يمينًا ويسارًا أمامَ القلعةِ قبلَ ذهابِه، وكان هناك مدفعٌ كبيرٌ في وضعِ الاستعدادِ، وعندما وصلَ أمامَ هذا المدفعِ، وبينما هو راكبٌ فرسَه أمامَ الخيمةِ خرجتْ قذيفةٌ مِن المدفعِ، ولَمْ تُصِبْ الهدفَ، وسقطتْ على الأرضِ، فأحدثتْ شرخًا فيها، وعلقتْ بابنِ قرمان وبحصانِه، وعندما حدث ذلك عرفَ أهالي القلعةِ مِن ذلك أنَّ أميرَ قرمانَ قد قُتل. وخرجتْ عدّةُ خيولٍ ملوَّنةٍ مِن الموكبِ، وذهبتْ جماعات جماعات. وبعدها تُوفِّي أميرُ قرمان، وتركَ ابنين، أحدُهما اسمُه «علي بك» والآخَرُ «إبراهيم بك»؛ فاقتتلا، وأيّدَ الجيشُ «إبراهيمَ بك». فرأى «علي بك» ذلك فهربَ، وذهبَ إلى القلعةِ وحاصَرَها[1]. وبعد ذلك، حملَ «إبراهيم بك» جسدَ والدِه على حصانٍ، وأخذَ كلَّ ما يوجدُ مِن أشياءَ في القلعةِ، وهربَ. واجتمعَ الآخَرونَ ونظروا في الأمرِ، ورأوا أنَّ: الأمراءَ يقتلُ بعضُهم بعضًا، فاستقرُّوا على هذا الوضعِ[2].

(1) ذكر عاشق باشا زاده في تاريخه ص111: «بقي له ثلاثة أبناء إبراهيم وعيسى وعلاء الدين، وذهب الثلاثة إلى السلطان مُراد». وفي تاج التواريخ ج1 ص331 هذا الشخص اسمه علي بك. وفي كنه الأخبار المطبوع ركن4 ج1 ص202: أنه علاء الدين. وفي صحائف الأخبار ج3 ص344 أنه علاء الدين علي بك. وفي خليل أدهم بك في مقالة «الوثائق المحكوكة عن أبناء قرمان» وفي آثره تاريخ عثماني انجمنى مجموعه سى ص11 و12 و13 و14 أنه علي بك.

(2) ذكر عاشق باشا زاده في تاريخه ص111: ضربوه بالمدفع ومزّقوه، ووضعوا أشلاءه في صندوق، وأخذوه، وتبرك به القرمانيون. وتؤيّد صحائف الأخبار ج3 ص344 قول عاشق باشا زاده. وتاج التواريخ ج1 ص331 أخذ إبراهيم بك جسد والده وهرب. وكنه الأخبار المطبوع ركن4

ومِن جانبٍ آخرَ فقدْ علِمَ أهالي القلعةِ ما جرى لابنِ قرمان؛ فقدْ هُزِم جيشُه، وخرجَ مِن القلعةِ، وقاتلَ ما تبقّى مِن جيشِه بعضُهم بعضًا، وأخذوا غنائمَ كثيرةً لا حصرَ لها، وذهبوا بها إلى بلادِهم. وبعد ذلك، ربطوا فوّهةَ هذا المدفعِ بالسلاسلِ وأدخلوه القلعةَ ووضعوه فيها.

وعندما يرى القرمانيّون الموجودون إلى الآنَ في هذه المدينةِ هذا الحجرَ [المدفع] يتألّمون كثيرًا[1]. ووقعَ هذا الفتحُ لـ «حمزة بك»، وأرسلَ رسولًا إلى السّلطان «مُراد»، حتى أنه أرسلَ أميرَ قرمان، وقد كتبَ في دفترٍ كلَّ ما حدثَ ووقعَ على وجهِ التفصيل، وأخبره به. فسمعَ السّلطان «مُراد» هذا الخبرَ، فسعِدَ، وفرِحَ كثيرًا.

وكتبَ [السّلطان مُراد] فرمانًا[2] [أمر شريف] إلى «حمزة بك» بإمارةِ «تكه ايلى»، وأرسله له، وحكمَها لعدّةِ سنوات. وقد أعطى السّلطان «مُراد» أميرَ قرمان «علي بك» ولاية «صوفية»، وزوّجه أيضًا بأخته. وفي النهاية تُوفّي في «الروم ايلى».

وكان أميرُ قرمان قد هُزِم في عهدِ السّلطان «محمد»، وتصالحَ معه لمدّةِ سبعِ سنينَ، وكان حليفًا له، ولكنْ لَم يمرَّ وقتٌ طويلٌ وأعلنَ أميرُ قرمان

ج1 ص202 يوافق ما ذكره المؤرخون أعلى. وذكر خليل أدهم في اثره سالف الذكر«كتب أنّ محمد بك دفن في لارنده ومكان قبره غير معلوم».

(1) ذكر شيخ الإسلام ومعلم السّلطان المؤرخ سعد الدين أفندي في تاج التواريخ ص283 ج1: «وهو إلى الآن يوجد شكل مصلوب على باب القلعة المذكورة. وحين يمرّ القرمانيّون يتألمون عند رؤيته ويذكرون أيطالهم.

(2) براءة: أو برات كلمة عربية تعني الرسالة، وأطلقت في الدولة العثمانية على الفرمانات التي صدرت للتعين على وظيفة، أو منح وسام أو نيشان، أو امتياز معين. سهيل صابان ص59.

العِصيان؛ فتدخَّلَ قُضاةُ ذلك المكان وأمراؤه وأخذوا عهدًا لمدَّةِ سبع سنواتٍ أيضًا، وقالوا لأميرِ قرمان: «أنت تعلنُ العِصيانَ قبلَ أنْ ينقضي العهدُ، ويجبُ ألّا تنقُضَ العهدَ والمِيثاق».

فقال أميرُ قرمان: «أنا في ذلك الوقتِ لَم أقُلْ عامًا، بل قلتُ ريحًا، ومنذ ذلك الوقتِ لَم تمُرَّ سبعةُ رياحٍ فحسب، بل مرَّتْ مائةُ ألفِ ريحٍ.

بيت

لا تنقُضْ عهدَكَ وأوفِ بوعدِكَ

وإذا وعدتَ فلا تتلاعبْ بالألفاظِ!!

نثر: ومنذ ذلك الوقتِ، صار القرمانيّون قومًا خائنين، لا يوفُون بالعهدِ. فلا عهدَ ولا أمانَ عند آل قرمان، ولا يميِّزون بين الحلالِ والحرام. وحتى الآنَ فإنَّ القرمانيِّين ليسوا بطائفةٍ تعرفُ مِقدارَها، وهذا ظاهرٌ للعِيانِ، ولا يحتاجُ إلى بيانٍ.

والآنَ نعودُ إلى موضوعِنا، بينما كان السّلطان مُرادٌ يُحاربُ أخاه، عبرَ أمير الأفلاق «صراقولر ويرده»[1] مِن نهرِ «طونه»، وكان قد أحدثَ أشياءَ كثيرةً في الروم ايلي، فذهبَ السّلطان «مُراد» وعبرَ «طونه» وأمرَ بنهبِ ولايةِ «الأفلاق» وغنمَ جيشُه غنائمَ كثيرةً، ثمّ جاء مِن هناك، واستقرَّ في «أدرنة». وذلك سنةَ 826 هـ[2].

وبعد ذلك، عبرَ إلى الأناضولِ وفتح قلعةَ «إزمير اوغلى و«منتشا» و«صاروخان» و«حيد ايلى». وتمَّ ذلك سنةَ 827 هـ[3].

(1) هكذا في النسخة. وذكر عاشق باشا زاده في تاريخه ص205 «عبر أمير الافلاق دره قله من سلستره. وفي تاج التواريخ ج1 ص419: «عبر حاكم الافلاق دراقولا من سلسترة. وذكر اسمه شيطان ويوده، واسمه دراقول.

(2) الموافق 1423م.

(3) تكلّم كلٌ مِن عاشق باشا زاده ص108 وصاحب كتاب تاج التواريخ ج1 ص324 وصاحب صحائف

ثمّ جاء مِن هناك، واستقرَّ في «أدرنة»، وتزوَّجَ بابنةِ «إسفنديار»، وأقامَ الأفراحَ. وذلك سنةَ 828 هـ[1].

وبعد ذلك، شنَّ هُجومًا على ولايةِ «لاز»، واستولى على ولايةِ «قوجه دسبوت»، وسمّاها باسمِه وفتحَ قِلاعَها. وغزا السّلطان مُرادٌ سنةَ 832هـ[2]، وكانت الغزوةَ الكبرى. ثمّ فتحَ مدينةَ «سلانيك». وبعدها فتحَ ولاياتِ «يوان» وقِلاعَها، وغنِمَ الغُزاة كثيرًا، وجاءوا بالأموالِ والغنائم. ولَم يَغْزُ السّلطان في سنةِ 833 هـ[3]. ووُلد للسّلطان مُرادٍ ابنُه السّلطانَ «محمد». واستقرَّ في «أدرنة». وذلك سنةَ 834 هـ[4].

وبينما كان [السّلطان] جالسًا كسفتْ الشمسُ وقتَ الظُّهرِ، واسودَّ النهارُ كأنه الليلُ، وامتلأتْ الدنيا بالنّجوم، وصارت ظاهرةً في السّماءِ، وكان قد أرسلَ «علي بك ابنَ أورنوس بك» للهجوم على ولايةِ المَجَر [انكروس]، فلَم يحقِّقِ انتصارًا، وحلّت الهزيمةُ بالمسلمين[5].

الأخبار ج3 ص343 على استئصال جنيد بك فقال: «بعد وفاة إلياس بك الذي هو من أبناء منتشا، سنة 829 هـ ذكرت التواريخ أنّ منتشا انضمّت إلى الممالك العثمانية سنة 929هـ. الموافق 1424م.

(1) توجد تفصيلات عن هذه الوليمة في عاشق باشا زاده في تاريخه ص106 وتاج التواريخ ج1 ص32. وهي كريمة اسفنديار بك- قزيل أحمد لولو- من أبناء اسفنديار. الموافق 1425م.

(2) الموافق 1430م.

(3) الموافق 1431م.

(4) الموافق 1432م.

(5) ذُكر في تاج التواريخ ج1 ص351 أنّ: بينما كان السّلطان مُراد خان الثاني يعقد معاهدات مع الأمراء من أجل فتح بلاد المَجَر، تمّ إجراء استكشافات عن اولجه، وطلب الأمير المشار إليه التوديع، وعبر بجيش الروم ايل من نهر طونه سنة 833 هـ. وعندما دخل المَجَر ومن أجل أن دوجار حاكم المَجَر لَم يهجم أو يقام الجيش العثماني، وتفرّق في الجبل حفاظًا على الجند الموجود معه. وفجأة هجم على علي بك وهزمه وقتل معظم الجنود العثمانية.

وفي سنةِ 839 هـ[1] استقرَّ السّلطان مُرادٌ في «أدرنة»، وأحضرَ ابنةَ «ولق» وتزوَّجَها[2]، وفي هذا العامِ أرسلَ «علي بك ابنَ أورنوس بك» للهجومِ على ولايةِ «الأرناؤوط». فغنِموا كثيرًا، ثمّ رجعوا.

وعزم السّلطان «مُراد» على الذهابِ إلى «قرمان»[3]، وحاربَ «إبراهيمُ بك» حاكم قرمان، واستولى على «آق شهر» و «بك شهر»، وبعدها عقدَ صُلحًا مع «إبراهيم بك»، وعاد إلى «أدرنة». وفي سنةِ 840هـ[4] بنى «يكى جامع» [الجامع الجديد]، ووضعَ حجرَ الأساسِ بيدِه يومَ الجُمعةِ. وجرَّدَ حملةً إلى ولايةِ «المَجر»، وعبرَ نهرَ «طونه»، واستولى على قِلاعِ «آلتى باره». ثمّ جاء واستقرَّ في «أدرنة»[5].

---

(1) الموافق 1435م.

(2) جاء في تاريخ هامر النسخة الفرنسية ترجمة هاللر طبعة باريس 1835 م ص287، أنها كريمة ملك الصرب زورز بران قوويج.

(3) قرمان: [قره مان]: مِن أكبر الدول الصغيرة التي تشكّلت بعد انقراض دولة السلاجقة بعد الدولة العثمانية، أمّا عن المدينة فهو الاسم الذي أطلق على الجهة الجنوبية في القسم الأوسط من الأناضول، وهي عبارة عن سنجق قونيه ونيكده وايچ ايل، وقد استقلت بعد سقوط دولة السلاجقة. انظر: ش. سامي ج5 ص3647.

(4) الموافق 1436م.

(5) ذكر عاشق باشا في تاريخه المطبعة العامرة 1332 هـ ص124: «وصل بعسكر اقينجيلر إلى ويدين. وعبروا مِن ويدين، واستولوا على بعض القلاع ووصلوا حتى دين». وفي تاج التواريخ ج1 ص361: عبروا من ويدين، ودخلوا ديار المَجر، ووصلوا حتى زيين. واستولوا على قلعة التي باره. وفي هامش الصفحة المذكورة «وقلعة زيينه هي اليوم مشهورة باسم هرمانشتاد. وفي كنه الأخبار المطبوع ركن 4 ج1 ص206: لَم يذكر عدد القلاع التي فتحوها ولا أسماءها. وفي صحائف الأخبار ج3 ص352 «ثمّ فتح ستّ قلاع من قلاع ممالك انكروس. ومن أجل قلعة هرمانشتاد انظر: القاموس المحيط الفرنسي ج19 ص1181. وهذه البلدة تعني في الرومية «زيبين». وفي تاريخ هامر والترجمة الفرنسية هللر طبعة باريس 1835 م ج2 ص289 «ثمّ

وفي سنةِ 842 هـ [1] لم يخرجِ السّلطان «مُرادٌ» للغزوِ، وأقامَ الحفلاتِ والأفراحَ، وختنَ ابنيه السّلطانَ «علاءَ الدينِ» و«السّلْطانَ محمدًا». وبعدَ حفلِ الختانِ ذهبَ إلى «سمندرة» [2]، وفتحها، وبعد ذلك، خرجَ إلى «بلغراد» [3]، ولكنْ لم يفتحْها، وعاد مِن هناك وفتحَ قلعةَ «نوابرده». وبعد ذلك، جاء إلى «أدرنة» واستقرَّ بها.

وبعد ذلك، زوّجَ ابنتَه بأميرِ إسفنديار [4] وأقام حفلاتٍ كثيرةً، وأرسلَ

محاصرة هرمان شتاد لمدّةِ أسبوع بعد ذلك ثمَّ رفع الحصار عنها.

(1) الموافق 1438م.

(2) سمندرة: مدينة تقع جنوب شرق بلغراد بـ 44 كم، بالقرب من المورة على ساحل نهر طونه في صربستان، وكانت آنذاك مركز هامٌ للصرب، وفتحها السّلطان مُراد الثاني سنة 842 هـ. انظر ش. سامي، قاموس الأعلام ج4 ص2629.

(3) بلغراد: في لغة الصرب تسمّى [آق حصار]، وهي مدينة قوية كانت عرش للصرب وتقع على نهر صاوه، وحاصرها السّلطان مُراد الثاني والسُّلْطان محمد الفاتح عدّة مرات، ولكن تمَّ فتحها على يد السّلطان سليمان القانوني سنة 927هـ. المرجع السابق ج2 ص 1347.

(4) ذُكر في تاج التواريخ ج1 ص363: «الحفلة المذكورة هي حفل ختان السّلطان علاء الدين والسُّلْطان محمد خان، وأيضًا تمَّ عقد نكاح ابنة السّلطان العظيم صاحب المكارم علي بن اسفنديار. وفي صحائف الأخبار ج3 ص353: تمَّ ترتيب الحفل الهمايوني، وتمّ ختان الشهزاده السّلطان محمد والسّلْطان علاء الدين، وتزويج كريمة السّلطان بابن اسفنديار» وفي كنه الأخبار المطبوع ركن4 ج1 ص206: «في الواقعة السابعة عشر: أقام الشهريار المنصور حفل ختان، وظهرت من طرفه جمعية عظيمة بالبذل الموفور، وقام بتزويج ابنته السعيدة «سلطانه» بابن أمير اسفنديار، وقد عقد النكاح مولانا ولي الدين الذي كان قاضي عسكر- والد الشاعر المشهور والصدر الأعظم أحمد باشا-. وتمّ إعطاء الهدايا كلّ يوم. وبعد ذلك، ذهب الأمير قيا بك صاحب الضمير المضي بعروسة ذي العزة المصونة، وأرسل معه قائد عسكر مع الأكابر والأمراء. أمّا في تاريخ عاشق باشا زاده ص107: «أعطى ابنيه الاثنين إلى أبناء اسفنديار الاثنين أحدهما يدعى إبراهيم، والآخر قاسم»، وفي تاريخ نشانجي المطبعة العامرة 1279 هـ ص154 «نجد عبارة: وأصبح ابن اسفنديار قيا بك صهر السّلطان مُراد خان».

«يزيد بك» [1] للهجوم على ولايةِ «أنكروس»، ولكنْ لَم ينجحْ في فتحِها وهُزِم. وبعدها عبرَ السّلطان «مُرادٌ» مِن «أدرنة»، واستقرَّ في «صوفية».

وعبرَ «شِهابُ الدينِ باشا»[2] بعساكرِ الروم ايلي والمغاوير [آقينجيلر][3] والإنكشاريةِ [اليكيجرى] [4] مِن «الأفلاق»، وتركَ عسكرَ «آقنجيلر» في

(1) مزيد بك: جاء في تاج التواريخ ج1 ص367 وصحائف الأخبار ج3 ص355: «أنه دراقوله حاكم آلافلاق. وفي تاريخ هامر النسخة الفرنسية، ترجمة هللر، طبعة باريس 1835 م ج1 ص285 ذكر أنهم أولاد أمير آلافلاق. ودراقول الأول تعني حيّة الشيطان. وتمّ حبس دراقول مع ولديه الاثنين في قلعة اكرى كوز في ولاية كَرميان في كليولى، وبعد ذلك، تمّ تعيين حاكم من طرف حكام المَجَر على ولاية آلافلاق التي ظلّت بلا حاكم رغم أنف السّلطان. وفي أثناء حصار المشار إليه لسمندرة عبَرَ من طونه، وبسبب تعرّضه للممالك العثمانية تمّ أمر مزيد بك بالهجوم عليه. فدخل الأمير المشار إليه آلافلاق، وبعد أن هزم المخالفين شرّ هزيمة انشغل العسكر الموجودون معه بجمع الغنائم، وابتعدوا عنه، وتركوه بمفرده. وفي تلك الأثناء وصل مددٌ إلى حاكم آلافلاق، وعند وصول المددُ إليه تحصن بجنوده في الجبال العالية، ونزل من الجبال العالية والمواقع المنيعة، وهجوم بالاشتراك مع المَجَر على مزيد بك، وحاصروه من كلّ الجوانب، واستشهد مزيد بك، وقتلوا كثيرًا من الاقنجيلر الذين ذهبوا من أجل جمع الغنائم، وأسروا بعضهم، وعاد بعضهم بعبور نهر طونه بعدما رأوا ذلك. وفي كنه الأخبار المطبوع ركن4 ج1 ص207: «استشهد مزيد بك وابنه في ذلك المكان».

(2) في كنه الأخبار المطبوع ركن4 ج1 ص207: «ذكر أنه خادم شهاب الدين باشا»، وفي تاريخ عاشق باشا زاده ص196 وصحائف الأخبار ج3 ص354 وتاج التواريخ ج1 ص368 ذكروا أنه قوله شاهين باشا. وذكروا أنه أمر بطلبه، وتوجد تفصيلات في الصحائف المذكورة عن هذا الهجوم. وفي تاج التواريخ ج1 ص370: «وجاء في بعض التواريخ العثمانية اسم قوله شاهين باسم خادم شهاب الدين باشا، وبعد هذه الحرب بسط السّلطان مُراد العدل والوداد في مدينة صوفية، واستقرّ السّلطان المذكور في المدينة المذكورة مستريح.

(3) آقنجى: الاسم الذي أطلق على القوات الخفيفة من الخيالة العثمانية الذين كانوا يتمركزون في العادة على المناطق القريبة من الحدود، حيث يهجمون على حدود العدو فيحصلون منهم على الأموال والأسرى من جهة، ويتحصلون على معلومات مهمة عن العدو ويرسلونها إلى المركز.

(4) الانكشارية أو يكى جرى: يعني الجيش الجديد، مصدرها الدرويش حاج بكتاش ولي، ويقال

ولايةِ «أنكروس»، وجلسَ أميرُ الأمراءِ «خادم باشا» في خلوتِه[1] فهجمَ «يانقو» الملعونُ، وعندما وجدَ «مزيد بك» غافلًا، هزمَه وقطعَ رأسَه[2].

وفي سنةِ 845 هـ[3] خرجَ حاكمُ قرمان «إبراهيم بك» مرةً أخرى على الدولةِ، وفرّقَ ولايةَ «الأناضول» وشتّتَها. فأرسلَ السّلطان مُرادٌ ابنَه «علاءَ الدينِ» إلى أميرِ «قرمان». فتوجّهَ السّلطان «علاءُ الدينِ» إليه، فهربَ ابن قرمان إلى «طاش ايلي»، وبعد ذلك، عقدَ صُلحًا مع السّلْطانِ.

واستقرَّ السّلطان مُرادٌ في «أدرنة». وبينما هو في«أدرنة»؛ جاءه خبرُ وفاة ابنِه السّلطان «علاءِ الدينِ»[4]. وبينما كان السّلطان مُرادٌ في المأتمِ هجمَ «ملكُ

أن: أورخان بن عثمان قد اصطحب هذه الفرقة الأولى من هؤلاء المجندين إلى مسكن هذا الشيخ ورجاه أن يباركهم ويخلع عليهم اسمًا فسمّاهم يني جري، وكان الانكشارية يضعون على رؤوسهم قلنسوة من اللباد الأبيض شبيهة بقلنسوته. وهي فيالق عسكرية تكونت من أبناء رعايا الدولة الذيت تمّ جمعهم ما بين السادسة والخامسة عشرة من عمرهم من مختلف الولايات العثمانية في أوروبا في وقت معين من السنة، وهناك رأي قال: إنهم من أبناء المسلمين. د. سهيل صابان ص41.

(1) خلوت قالوب: يعني جلس وحيدًا. جاء في كنه الأخبار المطبوع ركن4 ج1 ص207: «تفرق الجند الموجودين مع الباشا من أجل الغنيمة إلى أماكن بعيدة، وبقي قليل منهم بجانب الباشا. وفي تاج التواريخ ج1 ص368 وتاريخ عاشق زاده ص129 وصحائف الأخبار ج3 ص355: «ذكر أنّ الباشا الذي كان مشتغلًا باللهو والطرب فرّ عند سماعه بقدوم جيش المَجَر.

(2) لَم يرد شيء بخصوص قتل الباشا في كنه الأخبار المطبوع ركن4 ج1 ص208، وتاج التواريخ ج1 ص368-370، وتاريخ عاشق باشا زاده ص129، وصحائف الأخبار ج3 ص355.

(3) الموافق 1441م.

(4) ذكر كلدسته رياض عرفان ص46 أنّ: «تاريخ ولادة الشهزاده المشار إليه كان 822 هـ وعندما كان أخوه الأكبر شهزاده أحمد واليًا على اماسيه أصبح واليًا بعد وفاته على أماسيه، وبعد أن شارك مع والده في حرب ابن قرمان تُوفِّي سنة 846 هـ في أماسيه، ونقل نعشه إلى بروسة، ودفن في قبة بجوار قبر والده السّلطان مُراد خان الثاني. وفي قاموس الترجمة طبعة 1269هـ ص215

المَجَر» و«يانقو اللعين» وابنُ «لاز» على «دسبوت»، ووصلوا حتى «أضلادى دربـ»[1]. وهجموا على أميرِ أمراءِ الرّوم ايلي «قاسم باشا»، وهزموه وجنودَه. وقام الكفارُ بضربِ مدينةِ «صوفية»، فأخبروا السّلطان «مُراد خان»؛ فعبرَ مِن «أدرنة» بجيشِ «القبو خلقى»[2] وجيش «الأناضول» و«العزب»، والتقى بالكفارِ في وقتِ الظهيرةِ عند «أضلادى دربـ»، واشتعلتْ حربٌ عظيمةٌ، واندحرَ جيشُ الكفارِ؛ فولّوا هاربين، فأرسلَ السّلطان جيشًا إثرَهم؛ فأسَروا كثيرًا مِنهم، ولكنَّ الكفارَ هزموا مَن تعقَّبَهم مِن جيشِ المسلمين.

وبعد ذلك، ذهبَ السّلطان «مُراد» إلى «أدرنة»، وعقدَ صُلحًا مع حاكمِ «لاز». وأعطاه ولايةَ «آلن» وقِلاعَها، ثمّ هجمَ أميرُ «قرمان» على ولايةِ الأناضولِ، وسعى في الأرضِ فسادًا. فعبرَ السّلطان مُرادٌ الأناضولَ، ووصل بجيشِ «القابو خلقى» وعسكرِ «الأناضول»، فهربَ ابنُ قرمان وذهب إلى «طاش ايلى»[3]. ووجدَ حِيلةً، وكانت هذه عادةً عند آلِ قرمان، فسارَ الكفارُ مِن «بودين»[4] وسار هو مِن طرفٍ آخَرَ؛ وكان مع ابنِ قرمانَ نديمٌ فقال له:

بدليس: بكسر الباء هي اسم بلدة جبلية بالقرب من خلاط– أخلاط–.

(1) جاء في لهجه عثماني طبعة 1306 ج1 ص97 أن ازلادى: هي مدينة مَركز قضاء في سنجاق صوفية.

(2) قبو قوللى أو قابى قولى أو قبو خلقى: لفظ مركب من قابى بمعنى الباب وقولى بمعنى عبد، أي عبيد الباب، ويطلق على مجموع جنود الدولة العثمانية الذين يشكلون فرق المشاة والخيالة العاملين بأجر، وكانوا يسمّون دركاه عالي قوللرى، ولهم تقسيمات عديدة. سهيل صابان ص172.

(3) طاش ايلى كيردى: في اللهجة العثماني ج1 ص625 كلمة قرمان، جاءت قره مان.

(4) بودين أو بدون وفي اللغة المَجرية بودا وفي الألمانية اوفن. وهي عاصمة مملكة المَجر اوجله ومنذ عام 872 م اتحدت مع بشته، وأخذت اسم بودا بشته وفي عصر السّلطان سليمان خان القانوني، تمّ فتحها سنة 948هـ وتوجد تفصيلات عن ذلك.

«فعلتَ حسنًا». فقال أميرُ قرمان: «لماذا فعلنا حسنًا»؟. فقال: «لأنَّ السّلطان سيأتي مِن هذا الجانبِ ومِن الجانبِ الآخَرِ سيصِلُ أخوك يانقو، ونتمنّى أنْ: يسحقَ الكفارُ المسلمين تحتَ أرجُلِهم، ويقتلوهم في الحالِ. ويُنسب ذلك إلى الكفارِ، وهذا معلومٌ.

[تنازُلُ السّلطان مُرادٍ عن العرشِ والرجوعُ إليه مرةً أخرى][1]

وبعد ذلك، أعطى السّلطان مُرادٌ للإنكشاريةِ وغيرِهم مِن الجُندِ الإذنَ؛ فتركوا المعسكَرَ، واستقرُّوا في «مغنسيا». ونزلَ السّلطانُ «مُراد» عن العرشِ لابنِه السّلطان «محمد»، وعيَّنَ «خليل باشا»[2] وزيرًا له، و«منلا خسرو» «قاضيَ عسكر»[3]. وتركَ العرشَ للسّلطَان «محمد». وذلك سنةَ 847 هـ.

وجاء «يانقو اللعين» مع بعضِ الحكّام وأغاروا على الدّولة، وكان معه جيشُ ولايةِ «أونكروس» و«صاص» و«آلامان» و«چه»[4] و«البوسنة» و«بوليه» بالاتفاقِ مع «الأفلاق» و«الفرنج» و«حاكم قرمان»، وباستثناءِ ابنِ قرمان كان الجميعُ بجانبِ الملكِ الملعونِ. فجمعَ [المَلكُ الملعونُ] جيشًا

---

(1) هذا العنوان من وضع (المترجم).

(2) كتبت ترجمته في الاستطراد الموجود في وقائع عصر حضرة الفاتح.

(3) قاضي عسكر: كان منصب قاضي عسكر في عهد الفاتح هو المنصب الأوحد الذي يصدر فتاوى الأحكام الشرعية، ولكن منذ عام 1481م انفصل هذا المنصب إلى اثنين: قاضي عسكر الأناضول وقاضي عسكر الروم ايلي، وهذا المنصب يأتي بعد مشيخة الإسلام مباشرة، ووظيفتهم تتمثل في إصدار الأحكام والفتاوى الشرعية، والردّ على الاستفسارات الموجهة إليهم من أفراد المجتمع، ومن صلاحياته أيضًا عزل ونصب المدرسين الذين تقلّ رواتبهم عن 150 اقچه. سهيل صابان 174 (المترجم).

(4) چه: [چهل]، چهستان: تقع في منتهى شمال غرب النمسا، وهاجروا في القرن الخامس الميلادي إلى بوهميا، وهؤلاء القوم يتحدثون الصربية والروسية، انظر: المرجع السابق ج3 ص1887.

عددُه يتراوحُ بين سبعين وثمانين ألفًا (1)، مع آلافٍ مِن المدافعِ والعرباتِ التي تسحبُها، ونزل جيشُه في ميناءِ «كوم كوك»، وعبرَ هذا الجيشُ بهيبتِه مِن «بلغراد»، وخربَ ولاياتِ «شومنى»(2) و«نيكه بولى»، وحاصرَ قلعةَ «براودى» (3).

وبعد ذلك، قامَ حاكمُ «نيكه بولى» «محمدُ بك» بنُ «فيروز بك» بجمعِ الجيشِ، وعساكرِ المهاجمين [آقينجيلر]، وهجمَ على الكفارِ، وقتل مِنهم عددًا كبيرًا، وأسرَ بعضَ الكفارِ لابسي الدّروعِ (4) و«الجبه جوشن» [الجنود المدرَّعين بالحديدِ]. فأخبر السّلطانَ مُرادًا بذلك في «مغنسيا»، ولكنَّ [السّلطان مُراد] لَم يذهبْ إليه وردَّ قائلًا: «سُلْطانُكم بينكم، اذهبوا إليه واسألوه»(5). بعد ذلك قال الأمراءُ: «لا نذهبُ مِن دونِك، أنت أميرُنا، أنت السّلطان»(6). فلَم

(1) يوجد نقص هنا. جاء في كتاب صحائف الأخبار ج3 ص357 أنَّ أصح الاقوال أنَّ: عدد الجيش كان 80 ألف جندي.

(2) شومنى: [شمنى]: مدينة محصنة في تُركيا الأوربية في بلغارية، مركز اللواء الذي يحمل الاسم نفسه، في ولاية سلسترة. انظر موستراس المعجم ص 320. (المترجم).

(3) جاء في لهجه عثماني ج1 ص266 أنَّ براوادى: هي مدينة مركزية لقضاء بجوار وارنه.

(4) جاء في ترجمة البرهان القاطع ص319 أن: زرخ تحريف زره.

(5) ذكر تاريخ عاشق باشا زاده ص132: «اجتمع أهالي المملكة حول السّلطان مُراد غازي، وقالوا له: أيها السّلطان لماذا تجلس وقد خربت الولاية وانهدم الإسلام؟. فقام السّلطان مُراد خان وسار معهم. وفي تاج التواريخ ج1 ص379: تمت المشورة بين الوزراء وعُرضت على السّلطان محمد الثاني، وطلبوا مِنه المساعدة من أبيه فكتبوا عريضة إلى السّلطان محمد خان. وفي صحائف الأخبار ج3 ص357 بعد استشارة السّلطان محمد خان الوزراء تمّ كتابة عريضة إلى أبيه. وفي تاريخ نشانجى ص155: سمع السّلطان مُراد بذلك وهو في مغنسيا فذهب إلى الغزو».

(6) ذُكر في تاج التواريخ ج3 ص379 صورة العريضة التي أرسلوها وهي: «إذا كان الأمر متعلقًا بالسّلْطَنة والعرش فوظيفة دفع العدو فرض عين، وإذا كان متعلقًا بهذا الجانب فمعلوم لدى ضميركم المنير أنَّ طاعة أولي الأمر واجبة. ويجب ألّا تتخلف بمقتضى حال الوقت ولا تترك

يجدْ حُجّةً، وعبرَ السّلطان مُرادُ مِن مكانِه وذهبَ إلى «كليبولي»، وكان حاكمُ الفرنجِ الملعونُ قد أرسلَ كثيرًا مِن السفنِ التي جَرَتْ في البحرِ[1].

وفي النهايةِ، عبرَ السّلطان «مُرادٌ» بجيشِ الأناضولِ، وبسفينةٍ مِن سفنِ الفرنجِ مِن فوقِ «غلطه» إلى خارج «يكي حصار». وبينما هو في «أدرنة» أرسلَ «فيروز بك» الأسرى الكفارَ ذوي «الجبه لو» [اللابسين الدّروعَ الحديديةَ][2]. فتفاءل السّلطان مُرادٌ بهذا الفتحِ، وقال: لقد كان فتحاً عظيماً لنا. وحمِدَ الله كثيرًا، وعقدَ عزمَه على الغزوِ، وعبرَ مِن أدرنة. وجمعَ جيشَ الإنكشاريةِ وجيشَ «الروم ايلي» و«الآقنجى» و«العزب» والـ«سر آخور»[3]، ودعا لنفيرٍ عامٍّ في أهلِ الإسلام مِن كلِّ نواحي العالم، وسارَ السّلطان «مُرادٌ» ووصل إلى

الخلل في نظام الإسلام». وفي صحائف الأخبار ج3 ص358: «لو كنت أنت السّلطان فإنَّ مجيئك لدفع هجوم الكفار واجب. ولو كنّا نحن السّلطان فطاعة أمرنا أيضًا واجبة».

(1) ذُكر في تاج التواريخ ج1 ص379: «65 سفينة فرنجية من نوع قادرغة». وفي كنه الأخبار المطبوع ركن4 ج1 ص212: «60 سفينة من نوع قادرغة». وفي زبدة القصص ج2 ص213: «ذكر سفن تديك».

(2) جاء في تاج التواريخ ج1 ص378 وصحائف الأخبار ج3 ص357 أنه فيروز بك زاده محمد بك. وفي كنه الأخبار المطبوع ركن 4 ج1 ص213 وعاشق باشا زاده ص132 لا يوجد شيء بخصوص انتصار محمد بك.

(3) سراخور: في لهجة عثمانلي ج1 ص492: صلاخور، سلاحشور وهي رتبة قديمة تعني رئيس الباب. وفي القاموس التركي ج2 ص830: صلاخور: غلط من سر آخور وتعني: صاحب رتبة قديمة وتعني رئيس الباب. وأيضًا غلط من سلاحشور، وهي تعني آنذاك الموظف المختص بالمحافظة على القلعة وعلى الموقع. وهو الشخص المحارب الذي يُعفى من التكاليف الأميرية مقابل خدمته. وفي فرهنك انجمك ارأي ناصري- طبعة طهران ليطوغرافيا: سراخور: هو الرجُل الذي يقود الحصان، ويكون رجُلًا شجاعًا، ويقدّم في الحرب. وفي معاني اللهجة طبعة استانبول، 18 صـ1047 سر اخور: هو لقب قديم يعني الفوج/ الراية الثانية من أفواج جيش السباهية العثمانية.

حاكم أونكروس اللعين[1] والتقى به في حربٍ ضروسٍ، وأُطلقت المدافعُ والرصاصُ والزنبرك مثلَ الأمطارِ، والتحمَ الجيشانِ، ووقفَ الملكُ اللعينُ في المعركةِ، وسار «يانقو اللعين» مِن جانبٍ و«قوه ميخال» مِن جانبٍ آخرَ، وتغلَّبوا على السّلطان مُرادٍ بكثرةٍ [في البداية]. وأسروا اثنين مِن رجالِه، واستشهدَ أميرُ أمراءِ الأناضولِ «قره جه باشا». وتفرَّقَ جيشُ الأناضولِ عندما رأى هذه الحالةَ، وعندما رأى جيشُ الروم ايلي أنَّ جيشَ الأناضولِ قد تفرَّقَ هربوا، قبلَ أنْ يأتيَ جيشُ الكفارِ، ولَم ينظروا خلفَهم.

ورأى السّلطان «مُراد» هذا الحالَ؛ فتضرَّعَ كثيرًا إلى الحقِّ تعالى، وقال: «يا إلهي مُدَّ يدَ العونِ والعنايةِ إلى دينِ الإسلام، ومِن أجْلِ نورِ حُرْمةِ «سيِّدنا محمدٍ»، وبكى، وجعلَ دعاءه على سهم. [ومِن الجانبِ الآخرِ] امتلأ قلبُ الملكِ اللعينِ بالغرورِ، فاغترَّ بنفسِه، وسار إلى السّلطان «مُراد»، ومِن غُرورِه ظنَّ أنه بطلٌ شجاعٌ، وقال في نفسِه سأهزِمُ وأشتِّتُ هذا الجيشَ، ووصلَ أمامَ السّلْطانِ، وبفضلِ الحقِّ- جلَّ وعلا- وعنايتِه اهتزَّ حصانُ الملكِ، فسقطَ على الأرضِ. وقد حدثَ أنَّ: جُنديًّا أو اثنينِ مِن جنودِ الإنكشاريةِ هجمَ عليه، وقطعَ رأسَه،

---

(1) ذُكر في تاج التواريخ ج1 ص380: «عبر الكفار الأشرار من آلافلاق ووصلوا إلى وارنه، ووصل عسكر الإسلام إلى هناك، وقابلوا الكفار هناك». وفي تاريخ عاشق باشا زاده ص132: «تقابلا/ تحاربا في جبل وارنه». وكته الأخبار المطبوع ركن4 ج1 ص213: «عبروا من منزل لمنزل حتى وصلوا إلى وارنه وقابلوا الكفار هناك»، وفي تاريخ نشانجى ص155 قال إنّه: حدث في جبل وارنه وصحائف الأخبار ج3 ص328 «تقابل الجيشان خارج وارنه». وزبدة القصص ج2 ص213 «بالقرب من وارنه». وذكر سعد الدين أفندي في تاج التواريخ الصفحة السابقة- قال في أثناء الفرار- «حتى أنّ مولانا ادريس قال إنّ: المعركة كانت في صحراء دوبريجه. في نهر قامجى- وفي لهجه عثماني ج1 ص611 - هو نهر بجوار شمنى من البلقان يصبّ في قره دكز، وبينه ثلاثة أيام، ولحق عسكر العثمانيين في ذلك اليوم بالناس الفارين.

وأحضره إلى السلطان «مُراد». فعندما رآها شكرَ اللهَ كثيرًا. وانفصلتْ رأسُ الملكِ الملعونِ وبقيَ جسدُه، ونادى المنادي في كلِّ مكانٍ أنَّ هذه رأسَ الملكِ. فتجمّعَ الجيشُ الهاربُ مرةً أخرى إلى جانبِ السّلطان «مُراد».

فرأى جيشُ الكفارِ ذلك، فأخبروا «يانقو اللعين»، وعندما رأى يانقو اللعينُ هذه الحالَ أنكرَ على الكفارِ فرارَهم، وقال لهم: «نحنُ أتينا إلى هنا مِن أجْلِ دِيننا، ولَم نأتِ مِن أجْلِ المَلِك». وبذلك أعاد ضبطَ الجيشِ وجمَعه مرةً أخرى. وعادوا وهجموا مرتينِ عليهم. وكان المسلمون قد تجمَّعوا وكثُروا مرّةً أخرى، وبسرعةٍ اصطفُّوا واستعدُّوا بعد أنْ كانوا يريدون الفِرارَ.

وانهزم جيشُ الكفّار، ورأى جيشُ الإسلام ذلك، وذهبوا إلى مكانِ الكفارِ، وبعد ذلك، وصلَ عسكرُ الإنكشاريةِ والعزبِ إلى عرباتِ الكفارِ، واشتعلتْ حربٌ ضروسٌ. وفي النهايةِ غنِمَ المسلمون العرباتِ وغنائمَ أخرى. وجاء السّلطان مُرادٌ واحتفل بالعيدِ المباركِ، وقال: «عيدُكم مباركٌ». واستقرَّ ثلاثةَ أيام في مكانِ المعركةِ، وخرج في اليومِ الرابعِ مِن هناك بالمالِ والغنائم إلى «أدرنة». وذلك سنةَ 848 هـ[1].

وترك السّلطان مُرادٌ العرشَ والسّلْطَنةَ مرةً ثانيةً، وأجلسَ السّلطان «محمد» على العرشِ. وجعله سُلْطانًا مستقلًا، وذهب هو إلى «مغنسيا». ولَم يستطعِ السّلطان «محمدٌ» السيطرةَ على عسكرِ الإنكشارية؛ فقدْ قاموا بأعمالِ سلبٍ ونهبٍ، وخرّبوا «أدرنة»، وآذوا أهلَها. وفي النهايةِ اتّفقَ «خليل باشا» مع الوزراءِ بأنْ يعيدوا السّلطان «مُراد» إلى الحُكمِ مرةً أخرى، وأرسَلوا السّلطان «محمد» إلى «مغنسيا».

---

(1) الموافق 1444م.

وبعد ذلك، قام السّلطان «مُراد» بشنّ حملةٍ في فصلِ الشتاءِ، وفتحَ ولاياتِ «المورة»[1]. وعيّن خراجًا على أهلِها، ثمّ ذهبَ واستقرّ في «أدرنة». ولَم يغزُ أو يقُمْ بحملةٍ في سنةِ 850 هـ[2]. ووُلد له السّلطان بايزيد. وفي سنةِ 851 هـ[3] غزا السّلطان مُرادٌ مرةً أخرى ولايةَ «يوان» و«آرنود»، وفتحَ قلعةَ «قوججق» و«إيكي باره»، واستولى على قلعةِ «يوان»، وهربَ «إسكندر» الخائنُ حاكمُ «آرنود». واستولى [السّلْطانُ] على ولاياتِه، وهدمَ الكنائسَ، وبنى عِدّةَ مساجدَ. وقويتْ شوكةُ أهلِ الإسلامِ في هذه الولاياتِ.

وبينما كانوا على هذه الحالِ جاء خبرٌ إلى السّلطان مُراد أنّ: «يانقو اللعين» قد هجمَ على الملِكِ وحكمَ مكانَه، ثمّ اتّحدَ مع جيشِ «أونكروس» و«صاص» و«جه» و«آلامان» و«لاطين» و«الأفلاق»، وعبرَ من «بلغراد» قادمًا إليك».

وعندما علِمَ السّلطان مُراد بذلك، خرجَ مِن ولاية «آرناود» وذهبَ إلى «صوفيه» واستقرّ بها. وأرسلَ الرّسائلَ إلى نواحي العالَمِ، وجمعَ جيشًا في «الروم ايلي». والتحقَ بالسّلْطانِ مُراد عشرةُ آلافٍ مِن جندِ «العزب»[4]، والإنكشارية والـ «سراخور»، وخرجَ بهم، وأطلقَ على هذه الغزوةِ النفيرَ

---

(1) مورة: شبه جزيرة تقع في جنوب اليونان، انظر: ش. سامي قاموس الأعلام ج6 ص4467.

(2) الموافق 1446م.

(3) الموافق 1447م.

(4) عزب: في ترجمة القاموس تعني «طرف كلّ شيء». ورغم أن المتبادر إلى الذهن أنها سرحد العسكر، ولكنّها تعني العسكر الذي يتمّ جلبه وجمعه طبقًا لقانون مخصوص. وفي تاج التواريخ المطبوع ج1 ص308 «كان جند المشاة معروفين باسم العزب». وجاء في كتاب تاريخ دولت عثمانية لكاتب الوقائع وقعه نويس عبد الرحمن شرف بك- الطبعة الثانية ج1 ص133: «بسبب قبول ابن ازمير جنيد بك وزارة دوزمه جه مصطفى ومن ناحية ترتيبه، كتب معظم طوائف الجند من الطوائف العسكرية في الروم ايلي ماعدا جند العزب».

العامَّ والغزوَ الأكبرَ، واستعدَّ الجميعُ للحربِ. وأخذ معه أيضًا «السّلْطان محمد»، وأصبحوا في وضعِ الاستعدادِ للحربِ(1).

ومِن الجانبِ الآخَرِ، عبرَ جيشُ الأفلاقِ إلى «نيكبولي»، وأرادوا أنْ يستولوا على تلك المناطقِ ويهدِموها، ولكِنَّ أمراءَ الحدودِ هجموا (2) وهُم «فيروز بك اوغلي محمد بك» و«حسن بك وأحمد بك»(3) ببِضعةِ آلافٍ مِن جُنْدِ الـ «آقنجيلر» على جيشِ «الأفلاق»، وأهلكوهم. وكانت هذه أوّلَ غزوةٍ حدثتْ بينهم(4).

بعد ذلك، وصلتْ بشارةُ النّصرِ إلى السّلطان مُراد ففرِحَ، ثمّ التقى- وهو فرِح- بـ «يانقو اللعين» في «قوصوه» (5)، ولَم يتقاتلا في البداية، ولكِنْ اصطفَّ كلٌّ مِنهم أمام الآخَرين لِمُدّةِ يومٍ وليلةٍ، ثمّ أمطر بعضُهم بعضًا بالمدافعِ والرصاصِ والزنبرك.

---

(1) جاء في تاريخ المؤرخ عاشق باشا درويش أحمد عاشقى أفندي- المطبوع ص135: أحسن السّلطان مُراد على ابنه السّلطان محمد بحصان، ولكنه لم يذكر أن السّلطان محمدًا كان قد صحب أباه في هذه الحرب أو في الجيش الهمايوني. ولا يوجد شيء عن هذا في كنه الأخبار أو تاج التواريخ أو صحائف الأخبار.

(2) تعني أمراء الحدود، ويؤيّد ذلك كلّ مِن تاج التواريخ وصحائف الأخبار.

(3) ذُكر في تاج التواريخ ج1 ص393: «أنّ أمراء الحدود هم فيروز بك اوغلي محمد بك وحسن بك اوغلي مصطفى بك واوزغور بك اوغلي عيسى بك»، وفي صحائف الأخبار المطبوع ج3 ص361: «أنّ فيروز بك زاده محمد بك والي نيكبولي اتفق مع حسن بك زاده مصطفى بك وازغور زاده عيسى بك. وكان فيروز بك من مشاهير الأمراء، واستشهد في حرب وارنه سنة 845 هـ عندما كان في محافظة سلسترة وحسن بك: كان من الأمراء في عصر السّلطان بايزيد خان الأول، ثمّ صار باشا، وأسر في حرب تيمور واستشهد. مصطفى بك: تُوفّي في عصر الفاتح. عيسى بك: كان واليًا على الأناضول، ثمّ صار وزيرا، ثمّ استشهد في حرب أنكروس سنة 884هـ.

(4) لم يذْكر في كتاب كنه الأخبار المطبوع شيء عن ذلك.

(5) تطلق على قره طاووق اووه سى طبقًا لإفادة بوييه.

وبعد ذلك، هجم يانقو اللعينُ على أهلِ الإسلام، وأحضرَ السّلطان الجناحين أمامَه جناحَ الأناضولِ وجناحَ الرّوم ايلي، وبقي جندُ قبو قولي[1] مع السّلطان بمفردِهم، فوضعَ جندَ العزبِ والإنكشاريةِ كمتاريسَ أمامَه، وجعل كلٌّ منهم يتبادلون ضربَ المدافعِ والرصاصِ، وكانت الحربُ ضروسًا بدرجةٍ لا يمكنُ وصفُها.

وكان السّلطان مُراد رابطَ الجأشِ، فقدْ حاربَ كثيرًا مِن قبلُ، ولكنهم لَم يستطيعوا إزاحةَ جيشِ الكفارِ عن أماكنِهم. وبعد ذلك، رأى بعضُ جيشِ المسلمينَ أنَّ الكفارَ يرتدُون الدّروعَ الحديديةَ، وعلى ذلك لا يستطيعون الصمودَ أمامَهم، فهربَ جيشُ المسلمينَ، وعندما تتبّعَهم جيشُ الكفارِ انقضَّ المسلمون عليهم مرّةً أخرى، وحاصروهم، فلَم يجدوا مجالًا للهربِ. وحاربَ جيشُ المسلمينَ جيشَ الكفارِ حتى المساءِ، وكانت حربًا ضروسًا، كُسرتْ فيها شوكةُ الكفارِ، وهُزموا. أمّا مَن تبقّى مِنهم فقد دخل بعضُهم في العرباتِ، وبعضُهم هربَ إلى الصحاري، فلحِق المسلمون بفلولِ الكفارِ في الصحراءِ، وكانت خيلُ الكفارِ قد تعِبتْ وعجزتْ عن الحركةِ، وكانت هناك قريةٌ فدخلَها الكفارُ بجنودِهم وأغلَقوا أبوابَها دون المسلمين، ولخوفِهم مِنهم لَم يخرُجوا مِن القريةِ، فماتوا.

وبعد ذلك، أخذَ الغُزاةُ العرباتِ إلى الخارجِ، وصاروا يقذفون الكفّارَ بالمدافعِ مِن المساءِ حتى الصباحِ، واقتتلوا مرةً أخرى. ورأى «يانقو اللعين»

---

(1) جاء في كتاب تاريخ أبو الفتح لطورسون بك- طور سينا وتخلصه لبيبي والذي كان باش دفتردار- مكتبة اياصوفية رقم 3032 ص81: «يطلق كلمة غلامان خاص وملازمان دركاه فلك اختصاص على جند القبو خلقي».

أنَّ الخطبَ رهيبٌ، فخدعَ الكفارَ وقال: «ابقوا في مكانِكم، وسأذهبُ أنا وأمُرُّ مِن بينِ جيشِ التُّرْكِ، وأنتم مِن الأمامِ وأنا مِن الخلفِ، ونهزِمُ التّرْكَ»، وأخذ تابعَه وهربَ. وتركَ الكفارَ في العرباتِ، فحارب المسلمون الكفارَ حتى الصباحِ.

وفي الصباحِ، أُسقِط في أيديهم، وهَمُّوا بالفرارِ؛ لأنهم لَم يجدوا يانقو اللعين بينهم، في الوقتِ الذي أخذ فيه المسلمون عرباتِهم، وبدءوا في ضربِهم، وأخذوا عرباتِهم، وأعملوا السيفَ في جُندِ «الخوريرات»[1] الموجودين بينهم، وأسروا الآخرين، وغنِموا غنائمَ كثيرةً.

وبعد ذلك، جاء الأمراءُ إلى السّلطان مُراد، وقبّلوا يدَه قائلين: «المجدُ للغُزاةِ». وأقاموا ثلاثةَ أيام[2] في معسكرِ المعركةِ. وسارَ السّلطان مُراد في ميدانِ المعركةِ، ورأى الكفّارَ المهزومين، وكانت الصحراءُ مكتظّةً بقتلى الكفارِ، والجُثثُ مُلقاةً بعضُها فوقَ بعضٍ. وكان هناك أميرٌ عجوزٌ ذو لحيةٍ بيضاء، كانوا يسمُّونه «عذب بك»، فقال السّلطان مُراد له: «لا يوجد بين الكفارِ المهزومين رجُلٌ عجوزٌ أو ذو لِحيةٍ بيضاء». فقال الأميرُ: «أيُّها السُّلْطانُ، لقد حدث هذا لأنّه لا يوجدُ بينهم رجُلٌ ذو لِحيةٍ بيضاءَ وخبرة وحِنْكةٍ. فلو كان بينهم رجُلٌ صاحبُ بصيرةٍ لَما أصابَهم ذلك»[3].

---

(1) خوريات: خطأ وهي خوريرات، وهي مأخوذة من كلمة خورياتيس الرومية، وتعني: غير مؤدب وسيئ، وأحمق وشخص لا يحسن المحافظة على شيء. مثل قول واصف: «عندما هجم علينا هؤلاء الحمقى خوريرات هربت منهم مسرعًا». وفي التواريخ القديمة كانت تستخدم الكلمة في مقام أرباب الحرف والضرب.

(2) يوجد نقص هنا.

(3) جاءت هذه الفقرة في تاج التواريخ ج1 ص382 في شكل حكاية وفي كنه الأخبار المطبوع

وبعد ذلك، جاء السّلطان مُراد إلى «أدرنة»، واستقرّ بها. ولَم يقُمْ بحملة هذا العام، وبنى قلعةَ «يركوكى» [جورجووا] [1] و«إكيلين» [2]. وبعد ذلك، هجمَ السّلطان على ولايةِ «الأفلاق»، وعيَّن «طراقلو أوغلى قازقلو» [3] أميرًا على ولاية «الأفلاق». ثمّ عاد واستقرّ في أدرنة. وذلك سنةَ 853 هـ [4]. وبعد ذلك، غزا ولايةَ «آرنود»، ونزل على قلعةِ «آقجه حصار» [5]، وضربَ

ركن4 ج1 ص214 في شكل لطيفة نادرة. وفي صحائف الأخبار ج3 ص359. وذكرت في الثلاثة كتب في وقائع حرب وارنه.

(1) يركوكى: جورجووا: ذكر اوليا چلبي في سياحتنامه طبعة 1314 هـ ج3 ص314 «في أوصاف قلعة جول يعني يركوكى قال: بناها السّلطان محمد خان سنة 816 هـ. وهي تابعة لقضاء باشقه جه بيالة وخمسين اقجه خاصّة في حكم ايالة اوزى. وبنيت بالطوب الأبيض على هيئة مربع في مكان دور جنتا في نواحي طونه، وأصبحت قلعة وبها ألف رجُل. وفي لهجه عثماني يركوكى: هي مدينة مركزية لقضاء لاشقة، ومعناها هاوج ترلاسى في آلافلاق. وهي مدينة على نهر طونة. وذكر أيضًا عن ولاشقة فقال: هي قضاء في آلافلاق ومركزه قصبة يركوكى. ويركوكى: بمعنى هاوج أو هويج. وفي معاني لهجه: يركوكى: ير كوى: هي جورجووا في آلافلاق.

(2) ذكر عاشق باشا زاده في تاريخه في وقائع السّلطان چلبي محمد خان ص87: بنى يركوكى، وفي التاريخ سالف الذكر الناقص ص135: «عندما وصل السّلطان مُراد من حرب قرصوه إلى «أدرنة» أرسل أمير أمراء الروم ايلي بعسكر الروم ايلي، وقام ببناء قلعة باسم يركوكى في حافة نهر طونة. وفي لغت جغتاي وتركى عثماني«ايكيلاي: يعني مرتين مرتين مرتين. وطبقًا لما قاله تعني مرتين.

(3) ذكر عاشق باشا زاده في تاريخه ص162 شعرًا عن ذلك فقال: ما هي حيلة ويوده قازيقلو، فهو رجُل نجس، عليه اللعنة ازيقلو، ذاك الخبيث هو ابن دره قوله، ومن يهزمه فله الأجر والثواب. ودره قوله– دراقول– ابنه قازيقل وهو اسمه ولاد. وأطلق عليه آلافلاق هذا الاسم، وهو بمعنى قاتل، جلاد، غدار. وسمّوه جبلبوش. وفي لغت جغتاي وتركى عثماني: يازوق: بمعنى ذنب، وقاحة، جرم، ولا توجد معاني للكلمة في لهجة عثماني والقاموس التركي.

(4) الموافق 1449م.

(5) «قرويا» وهي تعني في لغة الأرناؤوط الصنوبر أو عدّة أسيلة تسيل منها مياه غزيرة. وهي قلعة متينة ومستحكمة مبنية على تبة عالية في غاية الشدة والصلابة. وكانت قبل فتحها مقرًا لأحد

أسوارَها بالمدافعِ وهدمَها؛ حتى سوى الأسوارَ بالأرضِ.

وكان يأملُ أنْ يسلِّم الكفارُ القلعةَ دون قتالٍ، ولكنْ لم يفعلوا، فقال الأمراءُ للسّلطَان مُراد: «لنذهبْ ونفتحْ القلعةَ بالسيفِ». فعندئذ قال السّلطان مُراد: «مَن يذهبْ إلى القلعة سيهلك، وأنا لا أغامرُ برجُلٍ واحدٍ في سبيلِ خمسين قلعةً مِثل هذه». وقد جاء موسمُ الشتاءِ، فترَكَ القلعةَ وذهبَ[1].

وبعد ذلك، وصلَ إلى «أدرنة»، وزوّج ابنَه السّلطان «محمد» بابنةِ الأميرِ «ذو القادر». وأقام احتفالاتٍ عظيمةً، واستقرَّ هذا العامَ في «أدرنة». وذلك سنةَ 854 هـ[2].

الأمراء، وهو «بان قاستريوتي» الذي استمرّ حكمه في الأرناؤوط. وتحصّن الأمير المشار إليه لمدّةِ أربعين سنة هناك في الحروب التي استمرت بينه وبين اسكندر بك. وتمّ هدم القلعة سنة 1248 هـ بأمر من رشيد بك. وذكرها كتاب ممالك عثمانيه نك تاريخ وجغرافيه لغاتي في شكل «اقجه شهر».

(1) قام اسكندر بك عموجه زاده سي حمزه بك بتشويق وتحريض حضرة السّلطان على فتح القلعة المذكورة، وكان من أمراء عصر السّلطان المشار إليه عصر الفاتح. انظر تاريخ عاشق زاده ص133 و134 وتاج التواريخ ج1 ص391 وصحائف الأخبار ج3 ص361. وجاء تاريخ فتح القلعة في الآثار المذكورة أنه عام 852 هـ. أمّا في كنه الأخبار المطبوع ركن4 ج1 ص217 أنه سنة 852 هـ. وفي تاريخ نشانجي المطبوع ص156 أنه سنة 850 هـ. واستمرّ حصار القلعة لمدّةِ شهرين وبعد قطع الماء عن القلعة من الخارج أعلن أهلها الاستسلام، وطلبوا الأمان. وذكرت جملة الآثار المذكورة أن فتح اقجه حصار كان أثناء حرب قوصوه، ولكن ماعدا تاريخ نشانجي فقد ذكر أنه تمّ استدعاء السّلطان محمد خان من مغنسيا، وشهد مع حضرة السّلطان هذه الحرب. وذكر كاتب جلبي -في القسم الغير مطبوع من جهانما- «هي قلعة وقضاء بين اقضية ايشم وماط والبصان، وفي نسخة أخرى اشتم ولش وماط والبصان. وتبعد عشرين يومًا عن استانبول. وطبقًا لقول جنابي أنّ: عندما وصل المرحوم السّلطان محمد خان لفتح البصان سنة 871 هـ، بنى هذه القلعة لكي تكون سدًا بين بلاد الإسلام والكفار.

(2) الموافق 1450م.

وبعد ذلك، أذِن للسّلطَان «محمد» بالذهابِ إلى «مغنسيا»، واستقرّ السّلطان مُراد في «أدرنة». وبينما كان في «أدرنة» أدركته المنيَّةُ، يومَ الأربعاءِ غرةَ شهرِ محرّم، سنةَ 855 هـ[1]، وانتقل إلى رحمةِ الله تعالى. وقد حكمَ ثلاثين عامًا[2]. رحمةُ اللهِ تعالى عليه.

⏮ شِعْر

هـكـذا يـكُـونُ الـقـضـاءُ والـقـدرُ
لا يـنـجـو مِـنـه أحـدٌ
فـمَـن جـاء إلى هـنـا ولَم يـرحـلْ
قلْ لي مَن ذا الـذي لَم يدرِكْه المـوتُ؟!

(1) لَم يصرح عاشق باشا زاده في تاريخه بيوم ارتحاله. بينما ذُكر في تاج التواريخ ج1 ص406، وصحائف الأخبار المطبوع ج3 ص363 وكلدسته رياض عرفان، طبعة بروسة ص35 أنه تُوفِّي يوم الجمعة 3 محرم سنة 855 هـ. وفي تاريخ نشانجي المطبوع لَم يذكر شيء عن وفاة السّلطان المشار إليه ص157. وفي روضة الأبرار طبعة بولاق 1248 هـ ص373 «إذا كان قد ذكر أنه تُوفِّي في محرم لسنة خمسة وخمسين وألف» فهذا سهو في الترتيب. وفي مقدمة غزوات نامه المنظومة: «لقد ألفت كتاب الغزوات لك فلا ينبغي أن تعترض عليّ» ولَم يعلم العبد العاجز -مؤلفه- ذكر أنه تُوفِّي «يوم الخميس من أول شهر محرم».

(2) الموافق 2 فبراير عام 1451م.

عصر السّلطان محمّد خان الثاني

نثر: وبعد ذلك، جاء السّلطان محمدٌ مِن «مغنيسا»(1)، وجلسَ على عرشِ السّلْطَنةِ في اليومِ السّادسَ عشرَ مِن شهرِ محرّمِ الحرامِ. وبعد ذلك، خرجَ عليه حاكمُ قرمان، وخرّبَ كثيرًا مِن الولاياتِ. فهجمَ السّلطان محمدٌ أيضًا على أميرِ قرمان(2)، وفي النهايةِ جنحَ «إبراهيم بك» حاكمُ قرمان للسلم، مُرسِلًا رُسلَه، وعقدَ صُلحًا مع السّلطان محمد.

---

(1) مغنيسا: هي مدينة في سنجق صاروخان على حافة نهر واسع أسفل جبل (يهان لر) في جنوب المَجَر بمسافة 3 كم، شرق ازمير، وتبعد عنها 33 كم في ولاية آيدين. قاموس الأعلام، ش. الدين سامي، جلد 6، استانبول، مطبعة مهران 1316هـ ص 2348.

(2) في ترجمة القاموس كلمة قرمان: على وزن سلمان، والبعض يفتح الراء، وهي ولاية الآن في الأناضول وتنطق بالفتح في لغتنا. وفي تاريخ أبو الفتح «ظنّ ابن قرمان أنه كبر في السنّ والمقام، ولَم يظهر التعظيم والتبجيل اللائق لحضرة السّلطان بخصوص الجواب على الفرمان السُّلْطاني، ويجب تعريفه بقدره ويجب تأديبه وتعريفه بالأدب». ونظرًا لما جاء في تاج التواريخ ج1 ص415 وصحائف الأخبار ج3 ص336: «أنّ أمير قرمان إبراهيم بك قام بإعلان العصيان، وأرسل عسكر بقيادة أحد أمراء ايدين إلى ولاية ايدين، وأحد أبناء كَرميان إلى ولاية كَرميان، وأيضًا من أحد أمراء منتشا وصاروخان إلى ولاياتهم وتحرك هو إلى علائية أو إلى أنطالية. وقام أمير أمراء الأناضول اوزغور اوغلى عيسى بك بعرض الأمر على السّلطان وتمّ تعيين إسحق باشا أمير أمراء الأناضول. إسحق باشا: كان قائدًا شجاعًا وجسورًا لدى السّلْطان، وأصبح سنة 875 هـ صدرًا أعظمًا، وعاد للصدارة أيضًا سنة 886 هـ- وعزم على الذهاب إلى الأناضول بالعسكر، ولكن إبراهيم بك كالعادة فر مع أمرائه إلى طاش ايل.

[فتح القُسْطَنْطِينية][1]

وبعد ذلك، توجَّهَ السّلطان محمد إلى «أدرنة»، وقام ببناءِ سراي على ضِفافِ نهرِ «تونجه». وذلك سنةَ 855 هـ[2]. وبعد ذلك أيضًا قام ببناءِ قلعةِ «بوغاز كسن» في الطرفِ العلويِّ مِن القُسْطَنْطِينيةِ، وعاد مرةً أخرى إلى «أدرنة»، وأمرَ بصبِّ المدافعِ[3].

وجمع جيشًا جرَّارًا، وتوجَّهَ به إلى «إسلامبول»، وكان الغزوُ الأكبرُ[4].

---

(1) هذا العنوان من وضع (المترجم).

(2) جاء في «أنيس المسامرين»: أن حضرة السّلطان أبو الفتح سُلْطان محمد قام ببناء سراي جديد في حافة نهر تونجة سنة ست وخمسين وثمانمائة. وقد بنى هذا القصر حبًّا في حكيم ذلك المكان وهو بشير جلبي. وتوجد تفصيلات عن ذلك في كتاب أدرنة رهنماسي. وذُكر في تاج التواريخ ج1 ص419 أنه بنى السراي بعد إنشائه قلعة بوغاز كسن.

(3) جاء في تاج التواريخ ج1 ص419 «أنّ: المدفع الذي صنعه صاروجه باشا كان من ثلاثمائة قنطار نحاس» هكذا روايته. وفي كنه الأخبار ركن4 ج1 ص251: «صنع صاروجه باشا مدفع يلقي النيران من ثلاثمائة قنطار نحاس على هيئة ثعبان. وكان هو من زمرة الكفار– في النسخة المخطوطة أنّ: الذي صنعه هو اوربان– وأنّه صنع مدفعًا هائلًا من 300 قنطار نحاس. وفي صحائف الأخبار المطبوع ج3 ص367: «صنع كثيرًا من المدافع الكبيرة والصغيرة، ومن جملة المهرة في هذا الفن هو صاروجه باشا– يوجد نقص هنا– قام بصناعة مدفع من 300 قنطار نحاس، وطبقًا لذلك الوقت فإن كانت غير موجودة كلمة طوب دوكلمش. وفي مجموعة الحرب عام 2 عدد 19 ص294 «في مقالة بعنوان: أعمال الأسلحة والمهمات لدى العثمانيين»: «كان المدفع الذي أمر بصناعته الفاتح في أدرنة ضخمًا جدًّا، ونظرًا للمعلومات التي جاءت في حقّ هذا المدفع فإنّ «حجمه 12 شبرًا، وثقله 596،80 ليرة، وطوله 32 قدمًا، وطول القذيفة 600 كجم، وقذيفة البارود الرصاص 200 ليرة.

(4) ذكر حفيد أفندي في غلطاته– الدرر المنتخبات المنثورة في إصلاح الغلطات المشهورة – أنّ: لفظ إسلامبول مركّب من لفظ عربي ورومي، مثل كلمة كلاب وسيياب، ومعناها مدينة الإسلام، بتقديم المضاف إليه على المضاف. ولكنّ كلمة استانبول غير مبنية على الأصل، ولعلّها من المخترعات. لأنّ في الألفاظ الرومية الكلمة تركّب من جزءين لا تفيد معنى على حالها. وفي

وأمرَ بتحميلِ المدافعِ على العرباتِ، ورُبطتِ الثيرانُ بالحبالِ مِن الجانبين في العرباتِ، وأمسكَ بِضعةُ آلافِ رجُلٍ بالحبالِ، وساروا على هذا النحوِ بالمدافعِ إلى القُسْطَنْطِينية (1).

وأُطلقتِ المدافعُ مِن كلِّ ناحيةٍ، وهُدمتْ أسوارُ أبراجِ القلعةِ، وبعد ذلك، أمر [السُّلطانُ] بإبحارِ كثيرٍ مِن السُّفنِ مِن الجانبِ العلويِّ لـ

لسان مرقوم أنّ: استا عربية بمعنى إلى وبول بمعنى بلدة. وقام مخترعو الألفاظ من أجل تحسين الكلام بإضافة نون وسكون لام. وقولهم استانبول ولا أصل لكلمة استانبول في الصكوك الشرعية والسكوك البادشاهية السُّلطانية. وذكر غالب بك في تقويم المسكوكات العثماني: «أصبح استخدام كلمة اسلامبول في المسكوكات العثمانية منذ بداية عصر السُّلطان أحمد الثالث. وتمّ ضرب هذا الاسم منذ عصر السُّلطان المشار إليه على كافة المسكوكات حتى عصر السُّلطان سليم الثالث. وفي بحث بعنوان مسكوكات السُّلطان مصطفى الرابع: «كان في مسكوكات عهد السُّلطان سليم الثالث عمومًا عبارة «ضرب في اسلامبول». وفي هذا العصر أيضًا ضربت أسماء أحيانًا بالذهب، وأحيانًا بالفضة على السكوك القديمة باسم قُسْطَنْطِينية. وذكر وفيق باشا في لهجه عثماني:» أن: استانبول هي بلدة من الرومية وهي قُسْطَنْطِينية. وكتبت بالتصرّف اسلامبول. وذكر كاتب جلبي في جهانما- في الجزء غير المطبوع في بحث بعنوان بناء السور، وسبب التسمية- «لم يكن معلومًا وجه إطلاق لفظ استانبول، ولكنْ جاء ذكره في التواريخ. وفي قاموس الأعلام ذكر أنّ: كلمة استانبول رومية بمعنى إلى المدينة أو في المدينة، وهي خلط من كلمة «ايس تين بولين». ورغم أنه قد روي أنّ هذا الاسم قد أطلقه العثمانيون أثناء الفتح، ولكنّ هذا الاسم قد ذكر قبل العثمانيّين في القرن السابع الهجري، يعني أنه ذكر قبل فتحها بقرنَين من الزمان. وورد هذا الاسم في (معجم البلدان) لياقوت الحموي.

(1) يوجد في حاشية رقم 1 ص153 ج1 الطبعة الثانية من تاريخ دولت عثمانية: «تمّ صنع مدفع كبير من أجل فتح استانبول، قطره 12 شبرًا، وثقله 10 قناطير من الأحجار، ويبدل المكان بـ 50 حجرًا صغيرًا، ويحتاج إلى 700 شخص من أجل استخدامه ونقله. وتمّ استدعاء أهالي «أدرنة» بواسطة المنادين لكي يروا أوّل تجربة من قذيفة المدفع. وقد كسر زجاج المدينة، وهدمت بعض المباني القديمة من صوت دوي المدفع، وعمّ الدخان أرجاء المدينة. ومثل هذا المدفع غير سابق في التاريخ.

«غلطة»[1]، وأُحضرتْ إلى بحرِ «أيوب الأنصاري». ورستْ في المكانِ الذي هو الآنَ «ترسانة»[2]، وسارت مِن بابِ «الفنار»[3] إلى «إسلامبول». ودارتْ حربٌ ضاريةٌ بين كفارِ «إسلامبول» [المحصَّنين داخلَ القلعةِ] وبين هؤلاء [المسلمين] المحاصِرين لها مِن الخارجِ، ولكنْ دون جَدْوى.

وفي النهايةِ، هجمَ الغُزاةُ الذين أمرهم السّلطان محمدٌ قائلًا: «إنها الغنيمةُ» على «إسلامبول»، واستولوا عليها جبرًا وقهرًا. فقتلوا بعضَ الكفارِ، وأسروا نساءهم وأبناءهم وبناتِهم، وأخذوا أمتِعتهم وغنِموا كثيرًا، وذلك سنةَ 857هـ[4].

(1) جاء في لغات تاريخية وجغرافية: غلطة: غلط من غالاتيه. وفي قاموس الأعلام أنّ: غلطه: تعني في اللغة الرومية غزن اللبن. ومن المحتمل أن: تكون هي قرية عبارة عن عن بعض البقر والأغنام التي تربى من أجل الحليب في استانبول في ذلك الوقت. وفي لهجة عثماني: غلطة: هي اسم مكان يقع بجوار كليبولي ووارنه بمعنى قلافات. (الموافق 30 مارس عام 1453م).

(2) جاء في تاريخ أبو الفتح: هجموا من أعلى القلعة من بحر بوغاز إلى بحر ليمون «وفي تاج التواريخ» سارت السّفن من جانب يكي حصار، ونزلت إلى البحر من ناحية غلطة». وفي كنه الأخبار: «أخذوا سبعين سفينة من مكان يسمّى فوري، ودحرجوهم على شيء مثل العربة، وأنزلوهم من مكان يسمّى قاسم باشا إلى البحر». وفي صحائف الأخبار: «سحبوا السّفن من البر من قلعة بوغاز كسن من أجل فتح القلعة، وأنزلوهم من طريق قاسم باشا للبحر». وفي تاريخ دولت عثمانية: «سحبوا سبعين سفينة ليلًا بواسطة ألواح الخشب من طوله بالعجه، ومرّوا بها من بك اوغلي، ونقلوهم إلى بحر قاسم باشا».

(3) جاء في كتاب خريطه قبودان اندريا المطبوع ص11: «في ترجمة بالطه اوغلي سليمان بك: أخذوا الأسطول على الأخشاب من أمام منطقة بشكطاش، ومرّوا بهم من خلف غلطة، وأنزلوهم إلى البحر من جوار منطقة فنار. وفي صحائف الأخبار: «ربطوا السّفن بعضها ببعض أمام باب جبه علي، ووضعوا عليها المدافع والمتاريس، وجعلوا يضربون القلعة». ونظرًا لإفادة صحائف الأخبار أنّ: صوباشي بروسة «جبه علي بك» يطلق عليه اليوم بابا جبالي، وبسبب أنّ: القيطان دخل المدينة بالاستسلام أطلق على اسم الباب «جبه علي قبوسي».

(4) الموافق 1453م.

وتمَّ الفتحُ يومَ الخميس 20 ربيع الأول سنةَ 857 هـ[1]. وأُرِّخ للفتح بقولِ اللهِ- عزَّ وجلَّ- «بلدةٌ طيِّبةٌ». وبالعددِ الكبيرِ نجدُ أنَّ التاريخَ موافقٌ لها[2].

---

(1) جاء في كتاب تاريخ أبو الفتح: عندما أمر بالهجوم على القلعة تمامًا تمَّ بحمد الله تعالى، وطلب المدد من الله عزَّ وجلَّ، الفتح في يوم الأربعاء 27 جمادى الآخرة سنة 857 هـ. وفي تاريخ عاشق باشا زاده ذكر أنَّ فتح القلعة كان يوم السبت سنة 851 هـ. وفي تاج التواريخ بعد أن ذكر رواية عاشق باشا زاده قال: كان الفتح العظيم يوم السبت سنة 851 هـ. وكانت بداية الحرب يوم 51 من الحصار، ولكن الشروع في الحرب كان في منتصف ربيع الأول، والفتح والنصر كان يوم 20 جمادى الآخرة، كما روى مولانا نشري في تاريخه». وفي كنه الأخبار: «كان يوم السبت الموافق 21 من ربيع الأول سنة 857 هـ هو يوم الفتح». وفي صحائف الأخبار: «تمّ الفتح يوم الثلاثاء 27 جمادى الآخرة من سنة 857 هـ وفي بعض الروايات أنه كان في ربيع الأول. وذكر المؤرخ نشري أنّ: بدء الحصار في منتصف ربيع الأول من السنة المذكورة، وفي اليوم المذكور أعلى تيسر الفتح». وفي غزوات نامه: «تمّ فتح مدينة القُسْطَنْطِينية يوم السبت الموافق 20 من ربيع الآخر المبارك». وفي قاموس الأعلام ذكر: «تمّ فتح استانبول في السنة المذكورة 857 هـ في 20 جمادى الآخرة، الموافق 29 مايو 1453م.

(2) يوجد نقص هنا، جاء في كتب التواريخ عن الفتح: جاء في تاج التواريخ عبارة: «لَمْ يجد الأولون فرصة فتح القُسْطَنْطِينية، وفتحها السّلطان محمد وكتب تاريخ الآخرين». وفي كنه الأخبار المطبوع: «لَمْ يجد الأولون فرصة فتح القُسْطَنْطِينية، ووقع تاريخ الفتح من نصيب السّلطان محمد، وكتب تاريخ الآخرين». وفي تاريخ عطا المطبوع ج4 ص10: « في المصراع الثاني: «كتب السّلطان محمد بالفتح تاريخ الآخرين، وينسب هذا البيت للخاقان المشار إليه. وفي مجموعة سروري المطبوعة ص36: « لا: فتح أهل الدين استانبول بالجدال والحرب». وتأريخ الفتح يكون بهذا الشكل: [بلدت طيبت]:

الحرف	قيمته العددية
ب	2
ل	30
د	4
ت	400

[قِصَّةُ بناءِ القُسْطَنْطِينِيةِ] (1)

ونحنُ قد جئنا(2)، وبعد أنْ فتحَ السّلطان محمدٌ القُسْطَنْطِينيةَ دخل فيها، فرأى الأبنيةَ العجيبةَ والغريبةَ، وملكتْه الدهشةُ والحيرةُ؛ لأنه لا يستطيعُ آدميٌّ أنْ يصنعَ مِثلَ ذلك. وبعد ذلك، أمرَ بجمعِ الرّهْبانِ والبطارقةِ وعلماءِ التاريخِ مِن الرومِ والفرنجةِ، وسألهم قائلًا: «مَن بنى القُسْطَنْطِينيةَ؟ (3)، ومَن حكَمَها؟»، وطلَبَ مِنهم معرفةَ ذلك.

فجاء الرّهْبانُ والبطارقةُ وأهلُ التواريخِ، فقال لهم: «مَن بنى هذا المكانَ؟ ومَن بنى هذه المدينةَ؟ (4)، ولِمَن تعودُ هذه المدينةُ؟». فقام الجميعُ بإخبارِ حضرةِ السّلطان محمدٍ بما يعرِفونه بالاستعانةِ بكتبِهم، فقالوا: «كان هناك ملكٌ في

ط	9
ي	10
ب	20
ت	400

(1) هذا العنوان من وضع (المترجم).

(2) يوجد نقص هنا.

(3) في ترجمة القاموس لعاصم أفندي، وطبقًا لبيانه: أنها قسطنطينيا. وعند تعريبها تشدّد الياء الثانية، والبعض يخفّفها ويحذف الياء الأولى. وذكر إسماعيل غالب بك في المسكوكات العثمانية: ص ط استطراد 1: «كانت تكتب في المسكوكات العثمانية لمدّةِ مائتين سنة على العموم بـ «ياء» واحدة وشكلها «قسطنطنية». وفي عصور السّلطان محمد الرابع وسليمان الثاني مع تجديد المسكوكات بدأت تأخذ اثنين من الياء، وشكلها «قُسْطَنْطِينية». وباستثناء بعض الاقجات والعملات الصغيرة كانت تستمرّ بهذا الإملاء حتى الآن.

(4) انظر تاريخ أبي الفداء- المختصر في أخبار البشر في بحث «قُسْطَنْطِين وبناء سور القُسْطَنْطِينية «وكنه الأخبار وجهانما غير المطبوع في جزء «مدينة قُسْطَنْطِينية، وبناء السور وسبب التسمية». وفي لغات تاريخية وجغرافية وقاموس الأعلام عن كلمة استانبول.

ديارِ الرّوم، يطلقون عليه «ينقو بن ماديان»، وكان مِن أبناءِ العمالقةِ، وكان مِن شدادِ أمراءِ العمالقة (1). وذاتَ يوم وصلتِ الشمسُ إلى قصره، ووجد هذا التاريخ (2)، فأخذ هذا التاريخَ، وأحضَرَ وزراءه إلى جوارِه، وقال لهم: «ينبغي أنْ نبنيَ مدينةً». وكان مِن بينهم وزيرٌ يسمَّى «قنتوز» قال: «أيُّها السُّلطانُ، أنت «سُليمان» ذلك الزمانِ، ولو بنيتَ مدينةً سيطلقون عليها اسمَ شداد. لأنّ معه جيشًا كبيرًا جدًّا لا يُحصى. وكان يحكمُ ولايةَ «بلادِ المَجَر»(3) وجميعَ بلادِ «الفرنج» و«طرابلس»(4) و«الشام» و«الجركس» حتى بحر «بلاد الهند»(5). وكان جيشُه يتكوَّنُ مِن أربعينَ فِرقةً، وكلُّ فِرقةٍ مِن مائةِ ألفِ جُنديّ.

وفي هذا العامِ، كان قد مرَّ أربعةُ آلافِ عامٍ على هبوطِ سيِّدنا «آدم»- عليه السلام- إلى الأرضِ. وكان هذا العامُ أيضًا بعد «ينقو بن ماديان» (6). وكان المكانَ المقابلَ لـ «البحر الأسود»(7) و«البحر الأبيض» (8) مثلَّثَ الشكل(9).

---

(1) انظر في تاريخ أبي الفداء عن «ذكر أمة عاد وذكر العمالقة. وفي لغات تاريخية وجغرافية عن كلمة عمالقة».

(2) يوجد نقص هنا.

(3) جاءت في الكتاب بهذا الشكل: اونكروس.

(4) جاءت في الكتاب بهذا الشكل: طربلوس.

(5) جاءت في الكتاب: هندستان.

(6) يوجد نقص هنا.

(7) جاءت في الكتاب: قره دكز.

(8) جاءت في الكتاب آق دكز.

(9) جاء في غزوات نامه «كان البوغاز المؤدي من قره دكز إلى اق دكز في شكل ستبوسة. وفي التبيان النافع: ستبوسة: على وزن مانوسة. وتعني مثلث الشكل عمومًا. وخصوصًا تطلق على غطاء الرأس الذي يستخدمه نساء ديار الشرق ذو الثلاث زوايا. ويعمل في شكل مثلث. وتسخدم صمصة، وفي العربية بوركة أو قطاب. وصمصة هي تحريف لكلمة ستبوسة. ونظرًا لذلك فإن الكلمة هي صمصة.

وفي الطرفِ الشماليِّ يأخذُ شكلَ جزيرةٍ [1] الذي تشغله «إسلامبول» الآنَ. فأعجبَ [ينقو بن ماديان] بهذا المكانِ، وأمرَ بحفرِ خندقٍ فيه. وأحضرَ الأحجارَ، وكان جيشُه مكوّنًا من أربعين فِرقةً، وكلُّ فِرقةٍ من مائةِ ألفِ جُنديٍّ. وزعم المنجِّمون أنَّ البناءَ سينتهي في ساعةٍ كذا. وهذه الساعةُ تأتي بعد ثلاثين عامًا. وبنوا المناراتِ من أجْلِ هذه السّاعةِ [2]، وعلَّقوا عليها الأجراسَ، وقالوا عندما تأتي هذه الساعةُ ستدقُّ الأجراس[3].

وفي تلك اللحظةِ، جاء جميعُ العسكرِ، ووضعوا حجرَ الأساسِ، وبدءوا البناءَ. وجاء اليومُ الموعودُ، وبينما كان المنجِّمون يقفون مُنتظرين تلك الساعةَ لَم تأتِ تلك الساعةُ، وفي يوم السبتِ في ساعةِ المريخِ، جاءت جماعةٌ من الدجَّالين، وتجوّلوا في المكانِ، وأحضروا رجلًا كاذبًا وضرب بيدِه الجرسَ، وتحرَّكَ أحدُ الأجراسِ وجاءت تلك الساعةُ، وهجموا ودقُّوا جميعَ الأجراسِ، وجاء معمارٌ من بين الأحجارِ التي نصبها الجيشُ، وصاحَ قائلًا لَم تأتِ الساعةُ بعدُ، فأزعج هذا الكافرُ السّلطان، وقال له: «يجبُ الحديثُ لأنَّ الحالَ سيكون هكذا، ويذهبُ على هذا النحوِ». وفي اليوم العشرين بدءوا البناءَ من جانبِ البرِّ. وبهذا العددِ من العسكرِ أتمُّوا البناءَ في سبعِ سنين.

وبنوا 366 قلعة [4]، وبنوا بين كلِّ قلعةٍ 30 سورًا، و70 بابًا، وألْفَ كنيسةٍ، وستةَ آلافِ منزلٍ، وألْفَ حمّامٍ، وألْفَ خان، وثلاثين ألفِ دكّان،

---

(1) في غزوات نامه: «جزيره بكى»، وبناءً عليه فهي بكى بيكى، أو لعلَّها هي كبى.

(2) يعني العلامات الموجودة في الطرق، وتعني القلاع.

(3) في لغت جغتاي وتركى عثماني جانك بمعنى جرس.

(4) هي بمعنى قلعة، ولا يصح أن يقال بورغاز. وفي معاني اللهجة كلمة برغاز فارسية، وأصلها من الرومية، وهي بيرغوس.

وألفَ قصر، واستمرُّوا في ظُلمِهم ولاية «بلاد المَجَر» و«الروم»، وملأوا هذه المدينةَ. وكان الناسُ في ذلك الوقتِ يدعون بخرابِ «إسلامبول».

ووضعوا اسمَ «ينقو بن ماديان» على هذه المدينةِ؛ فسُمِّيتْ باسْمِه، وبنوا 360 قلعةً في صحراءِ «إسلامبول». ولَمْ يحتاجوا في ذلك الوقتِ لجمعِ الجيشِ كما كان في السابقِ. وبنوا داخلَ هذه المدينةِ 500 برميلًا بارتفاعِ ذراعٍ مِن الأرضِ، ولا بُدَّ لِمَن يريدُ النظرَ إلى القلعةِ أنْ يكونَ فوقَ حِصانِه. ووضعوا على كلِّ سُورٍ ثعبانًا ضخمًا مِن النحاسِ. وصنعوا صورةَ «يانقو بن ماديان» مِن النُّحاسِ [1]، ووضعوها فوق هذه الثعابين.

وبنوا كنيسةً، وبها عشرةُ آلاف حجرةٍ، في كلِّ حجرةٍ سبعةُ رُهْبان. وفي يوم النيروز جاء جميعُ الجيشِ إلى هناك، وكان في الكنيسةِ راهبٌ مِن عهدِ سيِّدنا «هُود» عليه السلام، فكانوا يأتون لزيارتِه كلَّ عامٍ. فجاء «يانقو» وصعِد على مكانٍ مرتفعٍ، وسجدَ مواجهًا للشمسِ، ونزلَ مِن ذلك المكانِ المرتفعِ، فزارَ هذا الراهبَ.

ودخل مع السَّلاطينِ إلى الكنيسةِ ثلاثمائة وستون كافرًا. ولكنَّ هذا السّلطان لَم يزلْ ولا يزالُ يظلمُ هؤلاء الكفار. وفي تلك الساعةِ حدثَ زلزالٌ عظيمٌ، وانهدمتْ تلك الكنيسةُ، وبقي ينقو وجميعُ الأمراءِ وسبعون ألفًا مِن الرُّهْبانِ أسفلَ القبة، وانْهارَ مُعظَمُ المدينةِ، وأصبحت خرابًا.

وكانت كنيسةُ يانقو بجوارِ «آياصوفيه» التي أصابَها الزلزالُ أيضًا، وتفرّقَ الناسُ، وأصبحتْ المدينةُ خرابًا. وفي ذلك اليومِ الذي انْهدمتْ فيه

(1) يوجد نقص هنا.

الكنيسةُ انهدمتْ فيه أيضًا قبّةُ الصخرةِ [1] الموجودةُ في بيتِ المقدسِ، وكان بها أيضًا السّلاطينُ والرّهبان.

وفي ذلك اليوم، تُوفِّي مائةٌ وثلاثون ألفَ راهبٍ، وثلاثمائة وستون سُلْطانًا مِن الكفار. وخرج «بوزنتون» ابن يانقو، وذهبَ إلى «بلاد المَجَر»، وقد خربتْ المدينةُ فأصبحتْ خرابًا، ومأوى للوحوشِ والثعابين. وبعد أربعين سنةً جمع «بوزنتون «جيشًا، وذهب إلى لَمدينة وأعادَ بناءها مِن جديدٍ. وكان البرميلُ الذي بناه والدُه مازال موجودًا. فبنى برميلًا آخرَ، ووضعَ عليه صورتَه؛ لأنَّ «بوزنتون» كان يركبُ الفِيلةَ، ولا يركبُ الخيلَ. وصار اسمُ المدينةِ مدينةَ «بوزنتون» بدلًا مِن مدينةِ «يانقو بنماديان». وحكمَ «بوزنتون» المدينةَ، والتفَّ حولَه الناسُ، وأمرَ بجمعِ الناسِ حولَه، ومَن لَم يأتِ إليه يأمرُ بإلقائه مِن مكانٍ مرتفعٍ. وكان منهمكًا في الفسقِ والفسادِ.

وغضبَ الحقُّ -جلَّ جلالُه- غضبًا عظيمًا على هؤلاء؛ فأهلكَهم هذه المرَّةَ بالطاعونِ. وخِلالَ انشغالِهم بفسقِهم وشُربِهم الخمرَ هلكَ الجميعُ ولَم يبقَ أحدٌ، وحتى مَن تبقَّى مِنهم تشرَّدَ وهربَ مِن المدينةِ وتركها خاويةً. وبعد ذلك، هلكَ أيضًا «بوزنتون»، وترك ابنًا له يسمَّى «كيرمحال»[2].

وكان ذلك العصرُ هو عصرَ «الإسكندر الرومي». وبعد انتهاءِ عصرِه، وبعد وفاةِ «بوزنتون»، ومُرورِ 970 سنةٍ مِن عصرِه، انتهى عهدُ «الإسكندر الرومي»[3]

---

(1) قبة الصخرة- انظر: آثار التواريخ في بحث بعنوان: بناء صخرة القدس الشريف في حكم عبد الملك 69.

(2) ميخال.

(3) يوجد نقص هنا.

سنةَ 601، وقبلَ 260 عامًا مِن ذلك جاء ابنُ «هلانه»[1] مِن أبناءِ «بوزنتون» وأراد بناءَ المدينةِ؛ فاجتمعَ الناسُ، وزوّج أختَه «آصفية» بـ«قسطنطين»[2].

وبعدَ عِدّةِ أيامٍ تعكّرَ مزاجُه، وطلبَ الخروجَ إلى مكانٍ هواؤه نقيٌّ، فأعجبتْه مدينةُ «بوزنتون». وأمرَ قُسْطَنْطِين- هذه المرّة- الناسَ بتعميرِ هذه المدينةِ[3]، وسمّاها القُسْطَنْطِينيةَ. وامتلأتِ المدينةُ هذه المرّةَ بالاختيار، ثمّ تُوفّيتْ «آصفيه»، وبنوا بأموالها مدينةَ «آياصوفيه»، وجعلوا محرابَها تجاهَ القدسِ الشريفِ؛ لأنَّ «قُسْطَنْطِين» كان على دينِ «حضرةِ سيّدنا «عيسى»- عليه السلام-. ثمّ تُوفّي قُسْطَنْطِين بعد ذلك، وحكمَ ابنُه بعدَه. ولكنْ لم تُقبِلْ عليه الدنيا، وتُوفّي هو أيضًا، وصار ابنُه «مهران» أميرًا، وتُوفّي هو كذلك، وأصبح ابنُه هرقل [عراقيل][4] حاكمًا مكانَه. وكان كريمًا سخيًّا[5]، وكان أميرًا في عهدِ نبوّةِ النبيّ- صلى الله عليه وسلم-. وبعد ذلك، أصبحَ ابنُه «يوركي» سُلْطانًا. ومرّ عصرُ النبيّ- صلى الله عليه وسلم-، ومرّ أيضًا عصرُ الخلفاءِ الأربعةِ الكِرامِ. وفي سنةِ 43 هـ[6] أرسلَ معاويةُ [بنُ أبي سُفيان]

---

(1) اسمه هيلاني أو ايلاني: هو قونستانس الأول من أباطرة الروم- ولقب بقلور يعني صارى- وزوجته الأولى هي والدة قُسْطَنْطِين الأول- فلاويوس والريوس اورليوس قلاوديوس-، وأطلقت التواريخ الإسلامية عليه اسم «هلته» الذي تُوفّي سنة 328م.

(2) آصفيه: فاوسته- فلاويا ماقسيميانا- هي ابنة ماقسيميان وس هركولس وزوجة قُسْطَنْطِين، وتمّ قتلها في الحمّام من طرف زوجها سنة 327م.

(3) سنة 330م.

(4) هرقل أو هراقليوس.

(5) يوجد نقص هنا.

(6) هنا سهو من الناسخ والصحيح هو سنة 43 هـ.

«بشير بن نطاس»[1] بأربعين ألفِ جنديٍّ لغزوِ المدينةِ، وعندما وصلوا المدينةَ قامت حربٌ عظيمةٌ، وبفتحِها سقطَ في أيديهم كثيرٌ مِن الأسرى[2]، وبعد ذلك، جاءوا إلى بلادِ الشام.

ومرّتْ تسعةُ أعوامٍ بعد ذلك، وفي سنةِ 852 هـ[3] جاء «أبو أيوبَ الأنصاريُّ»، وحاصرَ القُسْطَنْطِينيةَ بخمسِ سفنٍ لمدَّةِ ستةِ أشهرٍ[4]. وفي يومِ الجمعةِ رُمي «أبو أيوبَ الأنصاريُّ» بسهمٍ في كبدِه[5] فأوصى قائلًا: «ادفنوني

---

(1) الصحيح هو بسر بن أرطاة- أبو عبد الرحمن-.

(2) يوجد نقص هنا. وجاء في كنه الأخبار لعالي في الجزء غير المطبوع «في البحث بعنوان «قبل فتح السّلطان محمد للقسطنطينية كانت قد حوصرت تسع مرّات من قبل، وكانت هذه المرّة هي المرّة العاشرة لحصار السّلطان جليل القدر ثمّ فتحها». فقال: «ذكرت الكتب النفيسة المعتبرة أنّ: «في زمن حكومة معاوية في سنة 44 هـ أرسل القائد بشر ارطال- بسر بن أرطاة- بمائتين سفينة، وأربعين ألف جندي لفتح استانبول، واكتفوا بأخذ الغنائم ثمّ عادوا دون فتحها. وذكر ابن جرير الطبري- أبو جعفر محمد 224- 310 هـ- في وقائع سنة 43 هـ: «فمن ذلك غزوة بسر بن أبي ارطاة الروم، ومشتاه بأرضهم حتى بلغ القُسْطَنْطِينية فيا زعم الواقدي، وقد أنكر ذلك قوم من أهل الأخبار، فقالوا لم يكن لبسر بأرض الروم مشتى قط».

(3) جاءت في الأصل على هذا النحو، والصحيح هو 52هـ (المترجم).

(4) ذكر عالي أيضًا أنه في سنة 52 هـ، ذهب أبو أيوب الأنصاري مع عبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير بـ 500 سفينة و50 ألف جندي، وحاصروا المدينة لمدّةِ 6 شهور. وفي تاريخ الطبري في وقائع سنة 49 هـ- وفي تاريخ ابن الجوزي- أبو الفرج جمال الدين الحافظ عبد الرحمن بن أبي الحسن علي التيمي 508- 597 هـ- في تاريخه المسمّى بـ(المنتظم في تاريخ الأمم) ذكر أنه: في سنة 49 هـ ذهب ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وأبو أيوب الأنصاري بقيادة يزيد بن معاوية. وفي تاريخ أبي الفداء في بحث «غزوة القُسْطَنْطِينية» وابن الجوزي في وقائع سنة 48 هـ- في المنتظم-، وابن الأثير- أبو الحسن عز الدين علي بن أبي الكرم 555- 638 هـ- في تاريخه (الكامل التواريخ) في وقائع سنة 52 هـ ذكر أنّ: المشار إليهم ذهبوا بقيادة سفيان بن عوف.

(5) جاء عن تاريخ وفاة المشار إليه: في تاريخ أبي الفداء سنة 48 هـ. وفي تاريخ ابن الأثير سنة 52 هـ. وذكر عالي في كتابه سالف الذكر أنه مات متأثرًا بجراحه من سهم زنبرك. وذكر عالي أيضًا

هنا، وأَخْفُوا قبري». ففعلوا ما أوصى به.

وهلك أيضًا «يوركى» في ذلك الوقتِ، وأصبحَ ابنُه «قُسْطَنْطِين» أميرًا مكانَه. فعرف قبر «أبي أيوب» مِن النّورِ الذي يشعُّ مِنه، فأمر ببناءِ قُبَّةٍ عليه، وكانت تَخْرُجُ مياهٌ عذبةٌ مِن أسفلِ القبّةِ، ومِن أَجْلِ الكفارةِ كان الكفارُ يملأون زجاجاتِ مياهٍ مِن هناك ويرسلونها إلى «فرنكستان»، وكانوا يزورون هذه القبرَ المعزَّزَ والمكرَّمَ [1].

وبعد ذلك، مضتْ أربعون سنةً، وفي زمنِ بني أميّةَ غزا «سُليمان بنُ عبدِالملكِ» المدينةَ بثمانين ألفِ جنديٍّ، ووصلَ حتى «استانبول»، واستولَوا على نواحي «قوري» [2].

وأمضى هناك خمسَ سنواتٍ، وفي سنةِ 97 هـ [3] هجمَ «سُليمانُ بنُ عبدِ الملك» مرةً أخرى على القُسْطَنْطِينيةِ بمائةِ ألفِ جنديٍّ، وحاصرَ المدينةَ لمدّةِ تسعةِ

في القسم غير المطبوع: «في بحث بعنوان: «تعمير الجامع والمدرسة والحمام والتربة الخاصّة بأبي أيوب: «ذكر أنه قد ذهب لاستانبول بقيادة يزيد بن معاوية سنة 53 هـ. وذكر ابن الأثير في كتابه «أسد الغابة في معرفة الصحابة» ج2 طبعة بولاق ص89: «تُوفِّي أبو أيوب مجاهدًا سنة خمسين، وقيل سنة إحدى وخمسين، وقيل سنة اثنين وخمسين، وهو الأكثر، وكان في جيش وأمير ذلك الجيش يزيد بن معاوية، فمرض أبو أيوب». وفي حديقة الجوامع ذكر أنه ذهب في سنة 51 هـ تحت قيادة زيد بن شجرة الرهاوي، وتُوفِّي متأثرًا بمرض أصابه.

(1) نظرًا لإفادة حديقة الجوامع أنهم بعد الفتح شرعوا في بناء تربة في الحال، وفي ختام البناء أضافوا للبناء جامعًا. وتوجد كتابة على الجامع وهي: «بنى السّلطان محمد هذا الجامع سنة 863 هـ. وكان هذا الجامع مثل جنات النعيم، يجتمع فيه المتقون.

(2) ذكر عالي في أثره المذكور: «أنه في سنة 92 هـ أرسل سليمان بن عبد الملك ابن أخته عمر بن عبد العزيز بـ 80 ألف جندي لغزو القُسْطَنْطِينية. وإذا قال أنه قد حاصروا المدينة برًّا إلّا أنه لَم نصادف شيئًا من ذلك في تاريخ أبي الفداء وابن جرير في وقائع سنة 92 هـ.

(3) الموافق 715م.

أشهر، وعندما جاء فصلُ الشّتاءِ قضوه في مدينةِ «آيدنجق»[1]. وحاصَروا المدينةَ في فصلِ الصيفِ، وكانت القلعةُ على هذه الصّورةِ: كان الكفارُ يأكلون نجاساتِهم، وكان جيشُ المسلمين يرعى العُشْبَ، فتركوه وذهبوا[2].

وجاء عصرُ «عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ»، وبنى قلعةَ «غلطة»[3]. وكان الكفارُ

(1) اسمها ايدنجق أو ايدنجك، وهي بلدة مركزية ناحية قضاء باندرمة الملحقة بسنجق قره سي في ولاية خداوندكار.

(2) ذكر عالي في كنه الأخبار في نفس المبحث أنه: في سنة 97 هـ إذا كان قد ذكر أنه قد أرسل ابن أخته بمائة وعشرين ألف جندي إلى غزو المدينة، إلّا أنّ هذا الشخص هو أخوه مسلمة بن عبد الملك. وذكر أبو الفداء وابن جرير في أحداث سنة 97 هـ أنّ: سليمان قد أرسل إمدادات عسكرية، ووصل حتى مرج دابق، ومن هناك أرسل لأخيه بألّا يرفع الحصار عن المدينة حتى يقوم بفتحها. وفي سنة 98 أرسله إلى استانبول. وقام المشار إليه بأمر العساكر بنقل الذخيرة الممكنة من عند الأتراك، وقال إنهم أثناء الحصار كانوا يقومون ببعض الغارات على الكفار. وتمّ بناء «جامع العرب» في غلطة في أثناء الحصار. وذكر عالي في كنه الأخبار المطبوع ركن3 ج1 ص107: «في بحث ولي عهده عمر بن عبد العزيز:» أرسل مائة وعشرون ألف جنديّ من طرف يزيد من الموصل وديار بَكْر من أجل فتح القُسْطَنْطِينية، وخرج أيضًا من مصر وأفريقية مائة وعشرون ألف جنديّ آخرون، وخرجت السفن والجند من البحر، وتمّ تنصيب عمر بن هبيرة قائدًا على الجند الموجودة في البحر، وأخيه مسلمة قائدًا على جميع العسكر. وأرسل أيضًا أخاه داود بن سليمان من أجل تقوية الجيش. وذهب الجميع لغزو المدينة».

(3) ذكر عالي في نفس البحث المذكور، وصل عمر بن عبد العزيز بنفسه إلى استانبول، وبنى مدينة غلطه حصارة، وقد سميت بمدينة القهر». وفي كنه الأخبار المطبوع ركن3 ج1 ص115 في بحث وقائع خلافة عمر بن عبد العزيز: «أرسل عمر بن عبد العزيز جيشًا كثيرًا مع خمسمائة رأس من الخيل والجمال والمراكب مع وافر الذخيرة إلى عسكر الإسلام المحاصرون منذ عامين في حصار القُسْطَنْطِينية مع مسلمة وداود، وأمرهم برخصة الرجوع. وأرسل رسائل المدح والثناء الكثيرة للغزاة المجاهدين الأقوياء لتحملهم الغموم والصّعاب والرياح والمتاعب. وعاد الغُزاة إلى أماكنهم فرحين سعداء». ولَم يذكر شيئًا عن مجيء الخليفة بنفسه من أجل حصار استانبول. ولَم يذكر أبو الفداء وابن جرير شيئًا عن ذلك. وكتب ابن الجوزي أبو الفرج كتابًا بعنوان «سيرة العمرين» عن عمر بن عبد العزيز. وأيضًا ذكر عالي في كنه الأخبار ركن3 ص114 ج1: «ذكر أنّ: سفيان الثوري كان يعدّ عمر بن عبد العزيز من خامس الخلفاء الراشدين بعد سيدنا علي بن أبي طالب.

قد حلَّ بهم الضَّعفُ الشَّديدُ. فأعطوا المدينةَ بالصّلحِ على أنْ يدفعوا خراجًا قدرُه خمسون ألفِ فلوري، فتركوا المدينةَ وذهبوا.

وبعدَ مرورِ أربعةٍ وسبعين عامًا هناك، أيْ عند دخولِ سنة 239 هـ [1] في زمنِ الخلفاءِ العبَّاسيين قادَ «يحيى بنُ علي» عشرين ألفِ جنديٍّ، واستولى على «ملاطية» [2]، وحاصر القُسْطَنْطِينيةَ لمدّةِ أحدَ عشر يومًا. ولكنْ لم يستولِ على المدينةِ، ورحلَ [3].

وبعد مرورِ ستة عشر عامًا، وفي سنةِ 255 هـ [4]، تُوفِّي «إليان بك». فجاء «المعتصمُ» بنُ «هارون الرشيدِ» بمائةٍ وثلاثين ألفِ جنديٍّ، وحاصرَ المدينة لمدّةِ أربعةِ أشهرٍ، وهزموا الكفارَ، وفي النهايةِ سلَّموا المدينةَ بصُلحٍ، ورحل «المعتصمُ» بخراجِ عشرةِ أعوامٍ، ثمّ جاء إلى بغداد.

---

(1) الموافق 853م.

(2) ملاطيه: مدينة في تُركيا الآسيوية في الأناضول مركز اللواء الذي يحمل الاسم نفسه في ولاية خربوت. انظر: موستراس: المعجم ص468 (المترجم).

(3) ذكر عالي في المبحث المذكور أنه: في سنة 239هـ ذهب يحيى بن علي أحد خلفاء بني العباس بخمسين ألف جنديّ، فاستولى على ملاطية أولًا، ثمّ ذهب إلى استانبول، وعاد بعد الحرب معها، وإذا كان قد قال ذلك إلّا أنه جاء في كته الأخبار المطبوع ركن3 ج2 ص205 أنه في سنة 239 هـ في وقائع خلافة المتوكّل على الله جعفر بن محمد المعتصم- وقول المتوكل على الله جعفر بن واثق من أثر الذهول-. ونظرًا لصحائف الأخبار أنّ: المشار إليه تاريخ ولادته 205هـ وجلوسه سنة 232 هـ، ووفاته ليلة الأربعاء 3 شوال سنة 247هـ. ولَم أصادف أنا العبد العاجز أيّ تاريخ خاص بمحاصرة استانبول في عصر المشار إليه. ونرى اسم يحيى بن علي هذا جاء في تاريخ ابن جرير في وقائع سنة 246هـ أنه علي بن يحيى الأرميني، واستشهد في عصر المستعين بالله أحمد بن محمد المعتصم- ولادته 221 هـ، وجلوسه 248 هـ، وقتله 254هـ- في الحرب التي وقعت مع الصائفة عندما كان حاكمًا على نواحي اذربيجان سنة 249هـ.

(4) الموافق عام 869م.

وإلى يومنا هذا؛ كان يحكُم «إسطنبول» الفرنجُ تارةً، وتارةً أخرى الرومُ [أورملى] [1].

ولْنعُدْ مرةً أخرى إلى قصّةِ السّلطان محمد: [2]

وبعد أنْ فتحَ السّلطان «محمد» «القُسْطَنْطِينية» وصل إلى منطقةِ «لاز»، وفتحَ قلعةَ «سورى» [3]، واغتنمَ الولايةَ، واغتنمَ أيضًا عِدّةَ قرى مِن هذه الولايةِ. ثمّ استقرَّ في أطرافِ «إسلامبول». وخرجَ أكثرُ الكفّارِ الموجودين في نواحيها، وتوجّهَ السّلطان مِن هناك إلى «بلغراد»؛ ولكنْ لَم يستولِ عليها، وتزامنَ هذا مع استشهادِ أميرِ أمرائه [4]، ثمّ عادَ السّلطان واستقرَّ في «أدرنة». وفي هذا العامِ ظهر نجمان ذوا علامات؛ أحدُهما في المغربِ، والآخَرُ في المشرقِ.

وفي هذا العامِ أيضًا أقام السّلطان «محمد» وليمةً بمناسبةِ حفلِ ختانِ ابنيه السّلطان «بايزيد» والسّلْطانِ «مصطفى». وذلك عام 861 هـ [5]. وبعد

---

(1) انظر: كلمة استانبول في قاموس الأعلام.

(2) يستخدم الكاتب أحيانًا أسلوب الاستطراد حيث يتحدث عن قضية معينة، وعند الانتهاء منها يستخدم جملة مثل: «لنعد ثانية إلى موضوعنا»، «فلنأت إلى قصتنا»، وهذه سمة من سمات أسلوب الكاتب. (المترجم).

(3) جاء في تاج التواريخ ج1 ص449 و466 في شكل قلعة سيوريجه حصار. وفي هامش الصفحة الأولى من طرف الطابع قال: «اليوم ستريجه. وفي الهامش الثاني: «وحاليًا هي معروفة باسم استرويجه». وفي تاج التواريخ ج1 وتاريخ طبعه 1279 هـ. لاس ايلي: صربستان. لاس: هي تخفيف اعلام لازار ولادسلاس.

(4) يوجد نقص هنا. وجاء في تاريخ عاشق باشا زاده ص147 وتاج التواريخ ج1 ص445: «أنه أمير أمراء الروم ايلي طاغي قره جه باشا. وفي صحائف الأخبار ج3 ص372 أنه أمير الأمراء قره جه باشا. وهو صهر السّلطان محمد خان چلبي وأمير أمراء الأناضول. واستشهد في حرب وارنه سنة 847هـ.

(5) الموافق 1456م.

ذلك، عقدَ العزمَ متوجِّهًا إلى المورةِ، وتمكَّنَ مِن فتحِها. وبعد مرورِ سنةٍ ذهبَ إلى «سمندرة» وضربَ عليها الحصارَ، حتى اضطرَّ ملكُ البوسنةِ إلى التنازلِ عنها باختيارِه.

وفي عام 863 هـ[1] عاد السّلطان مرّةً أخرى إلى «المورة» بسببِ خيانةٍ ظهرت فيها، وتمكَّنَ مِن فتحِها. ثمّ عاد مِن هناك واستقرَّ في «أدرنة». وعبرَ إلى الأناضولِ في سنةِ 864هـ[2]. وفتحَ مدينةَ «قسطموني»[3] و«سيناب»[4] والمدنَ التابعةَ لها. وأخذ إسماعيلُ بك- الذي كان أميرًا هناك- أتباعَه وأشياعَه مع كافّةِ جيشِ سباهية ذلك المكان، وذهب بهم إلى الرّوم ايلي، وعيّنَ الحكّامَ هناك. ثمّ عادَ مِن هناك وفتحَ «طربزون»، وأخذ حاكم «طربزون» إلى ولايته[5]، ثمّ جاء واستقرَّ في «أدرنة».

وفي عام 865 هـ[6] غزا ولايةَ الأفلاق، وعبرَ نهرَ «طونة»، ولَم يقابِلْه «طرقلو اوغلو قازقلو»، فأغارَ عليه ليلًا، وعندما لَم يحقِّقْ نصرًا يُذكَر على السّلطان هلكَ جيشُه، وفرَّ هاربًا وحدَه، ووصلَ إلى ولايةِ «أونكروس»، فقبضَ ملكُ «أونكروس» على قازقلو، وشنقَه.

---

(1) الموافق 1458م.

(2) الموافق 1459م.

(3) قسطموني: مدينة في الأناضول مركز الولاية واللواء، يحملان الاسم نفسه، تبعد 15 فرسخًا عن جنوب البحر الأسود. انظر موستراس المعجم ص 399.

(4) سناب: (سينوب)، مدينة في الأناضول في ولاية قسطموني على البحر الأسود. انظر موستراس المعجم ص315.

(5) يوجد نقص هنا، لعله (عبر إلى الروم ايلي). وذكر عاشق زاده في تاريخه وتاج التواريخ وصحائف الأخبار أنه عزم الذهاب إلى استانبول.

(6) الموافق 1460م.

فقام السّلطان محمدٌ بتعيينِ أخي «قزقلو» حاكمًا مكانَه[1]، ثمّ عاد السّلطان إلى «أدرنة»، واستقرَّ بها. بعد ذلك قصدَ جزيرةَ «مدللو»[2] وأرسل السّفنَ محمَّلةً بالمدافعِ مِن ناحيةِ البحرِ، وذهب السّلطان بنفسِه مِن جانبِ البرِّ. وفتحَ قلعةَ «مدللو» وجزيرتَها، وأخذَ حاكمَ الجزيرةِ وذهبَ به إلى الأفلاقِ. وكان فتحُ جزيرةِ «مدللي» سنةَ 866 هـ[3].

وأغارَ كفّارُ الفرنجِ على بلادِ «المورة»، وبنوا فيها قلعةَ «كرميه»[4]. وبينما كانوا يستولون على بعضِ القِلاعِ ذهبَ السّلطان «محمد»، وهجمَ عليهم، وعندما سمِعوا بقدومِ السّلطان «محمد» فرُّوا هاربين. وبعد أنْ ولَّوا الأدبارَ عادَ السّلطان «محمد» وأرسلَ وزيرَه «محمود باشا»، وقام بفتحِ تلك الولاياتِ.

وفي عام 867 هـ[5] ذهبَ السّلطان إلى ولايةِ «البوسنة» وفتحَ قلعةَ «بايجه حصار»[6]. واستولى أيضًا على بعضِ القلاعِ هناك، وفتحَ أماكنَ كثيرةً في ولايةِ «البوسنة». وفتحَ ولايةَ «قواج»[7] و«هرسك»، ثمّ عادَ إلى

---

(1) جاء في تاريخ دولت عثمانية ج1 ص162: هو ابن اقوله ويووده واسمه ولاد، واخيه رادولا.

(2) مدللو: (مدللي)، جزيرة من الجزر العثمانية المنسوبة إلى الأناضول، من جزر البحر الأبيض واصل اسمها اسبوس، أمّا يطلقون على قلعة مديللي اسم قاسترو. انظر ش. سامي: قاموس الأعلام ج6 ص4242 وموستراس: المعجم ص456.

(3) الموافق 1461م.

(4) بنوا كرمه: كرمه حصار: هي القلعة التي أُسست من بعض البروج والحصون بينهما سدٌ في عرض البرزخ قورينت– كوردوس من أجل منع الهجوم من الشمال على المورة.

(5) الموافق 1462م.

(6) ذُكر في تاج التواريخ ج1 ص493 وصحائف الأخبار ج3 ص38 أن اسمها يايجه.

(7) ذُكر في تاج التواريخ ج1 ص496 وصحائف الأخبار ج3 ص380 أنها قواج ايلي، قواج اوغلي.

«القُسطَنطينية» واستقرَّ بها.

وفي سنةِ 868 هـ [1] هجمَ حاكمُ «أونكروس» على قلعةِ «يايجه»، واستولى عليها، وما أنْ وصلَ السّلطان محمدٌ إلى «يايجه» حتى خرج حاكمُ «أونكروس» وحاصرَ قلعةَ «إزنيق»، فوصلَ السّلطان محمدٌ إلى «يايجه» ولكنْ لَم يفتحْها لقوّةِ تحصينِ الكفارِ لها، فعاد إلى «صوفية» واستقرَّ بها.

وأرسلَ الرّسائلَ إلى نواحي العالَم، وبينما كان الكفارُ يحاصرون «أذورنيق»[2]، أرسلَ السّلطان محمد «محمود باشا» لمساعدةِ «أذورنيق». وبينما كان السّلطان عازمًا على الذهابِ خلفَه نزلَ بلاءُ الله- سُبْحانه وتعالى- على الكفارِ ذاتَ ليلة، فذهبَ أهلُ الإسلام ودخلوا القلعةَ، ولاذَ الكفّارُ بالهروبِ مِن هناك، لدرجةِ أنه لَم يبقَ أحدٌ منهم قَطُّ. واغتنمَ أهلُ القلعةِ و«محمود باشا» والغُزاةُ غنائمَ كثيرةً لا توصَفُ. وذهبَ السّلطان محمدٌ إلى «القُسطَنطينيةِ»، ولَم يغزُ في هذا العام.

وفي سنةِ 870 هـ [3] ذهبَ لغزوةِ «بلادِ الأرناؤوطِ»، وفتحَ ولاياتِ «يوان»، وكانت تسمَّى الغزوةَ الكبرى، وغنِمَ غنائمَ لا حصرَ لها، وبنى قلعةً في «بلادِ الأرناؤوطِ». وأطلقَ عليها اسمَ «ايلبصان»[4]، ثمّ عادَ واستقرَّ في «القُسطَنطينيةِ».

---

(1) الموافق 1463م.

(2) اذورنيق: [ازوورنيق]، مدينة في مركز وقضاء ازوورنيق في ولاية البوسنة، تبعد 84 كم عن جنوب شرق البوسنة. انظر ش. سامي: قاموس الأعلام ج2 ص853، موستراس: المعجم ص57.

(3) الموافق عام 1465م.

(4) ايلبصان: البصان، مدينة تقع في وادي لطيف بين بلاد قيفه لق وقوسطه لق وسط بلاد الأرناؤوط. وعدد سكانها 20 ألف نسمة. انظر ش. سامي، قاموس الأعلام: ج2 ص1157، و موستراس: ص130.

وفي عام 874 هـ[1] شنَّ السّلطان حملةً على «آكريبوز»، وذهبَ السّلطان محمدٌ برًّا، بينما ذهبَ وزيرُه «محمود باشا» بحرًا بالسّفنِ إلى قلعةِ «آكريبوز»[2] وحاصَروها. وحدثتْ حربٌ عظيمةٌ، وقصفوا جوانبَ القلعةِ بنيرانِ المدفعيةِ، وبعد ذلك، بنوا جُسورًا مِن الجانبينِ لكي تمرَّ عليها السّفنُ، وحاصَروا القلعةَ مِن كلِّ الجوانبِ.

وجاء «فرنك» الملعونُ ببعضِ السّفنِ مِن نوعِ «قادرغة» و«كوكه لر»[3]، ووصلَ القلعةَ ولكنْ لَم يدخُلْها، فوقفَ أمامَها، وسار الغُزاةُ، وفتحوا القلعةَ أمام أعينِ الكفارِ، وقتلوهم [خوريات الكفار] وأسروا نساءهم وبناتهم، وغنِموا كثيرًا، وفُتِحتْ القلعةُ وتوابعُها، وأعلنوا الطاعةَ للسّلْطانِ، ثمّ عاد السّلطان محمدٌ واستقرَّ في «القُسْطَنْطِينيةِ».

ولَم يغزُ السّلطان في هذا العامِ. وفي عام 876 هـ[4] وبينما كان السّلطان محمدٌ مقيمًا في دولتِه هجمَ «أوزون يوسفجه» بجيشِه[5]...، وضربَ مدينةَ «توقات»، ونهبَها وخرَّبها، ثمّ وصلَ مِن هناك إلى ولايةِ «قرمان»، والتقى بالسّلْطانِ «مصطفى» حاكمِ «قرمان»، وحدثتْ بينهما حربٌ عظيمةٌ، ووقع يوسفجه أسيرًا، فأرسلَه إلى السّلطان «محمد».

---

(1) الموافق عام 1469م.

(2) اكريبوز: آغريبوز، من أكبر جزر البحر، وأصل اسمها (اويبا)، واسم المضيق الموجود أمام مركزها اوريبوس، وتم تحريف الاسم إلى اغريبوز. انظر المرجع السابق ج1 ص229.

(3) قادرغة: سفينة بها 25 مقعد، كلّ مقعد يحمل 4 مقاتلين. كوكه: سفينة حربية ذات طابقين، وهي في شكل القاليون، عليها 6 مؤن حربية.

(4) الموافق عام 1471م.

(5) يوجد نقص هنا. ذُكر في تاج التواريخ ج1 ص522 أنه: بكتاش اوغلى عمر بك وزير اوزون حسن. وطبقًا لإفادة صحائف الأخبار ج3 ص387 أنه: وزيره عمر بك- ونظر للكتابين- أنه عموجه سى زاده سى يوسفجه ميرزا. وتوجد تفصيلات عن هذه الحرب في صحائف الأخبار المذكور.

[هزيمة أوزون حسن][1]

وكان السّلطان «محمد» في ذلك الوقتِ في القُسْطَنْطِينيةِ، وفي عام 877هـ[2] أرسلَ السّلطان محمدٌ الرسائلَ إلى نواحي العالَم، وجاء فيها: «إنّي عازمٌ على تجريدِ حملةٍ ضدَّ «أوزون حسن»، فوحّدَ تحتَ لوائه جيشَ الرّوم ايلي، والمورة، والصّربِ، حتى إنه أخذَ جيشَ السباهية، وجمعَ جيشَ الأناضولِ، وتوجّهَ لمحاربته.

وتوجّه السّلطان صوبَ «أوزون حسن» بجيشٍ مقدارُه مائةُ ألفِ رجُلٍ: عشرةُ آلافٍ من الإنكشاريةِ، وعشرين ألفًا من العزَبِ، وعشرةُ آلافِ فارسٍ من جندِ «القبو خلقى»، وبضعةُ آلافٍ من جُنْدِ الـ «صراخور»، وأخذ معه ابنيه السّلطان «مصطفى» والسّلْطانَ «بايزيد»، وهجمَ الجيشُ العَرَمْرَمُ على ولايةِ العجم كبحرِ عمان.

وعمدَ «أوزون حسن» إلى الحيلةِ والتلبيسِ قبل مواجَهةِ السّلْطانِ، وانفصلَ جيشُ الرومِ ايلي عن السّلطان محمّد، وخرجوا من جيشِه، وهجمَ أميرُ الأمراءِ «خاص مُرادى» بجيشِه، وفجأةً قُبِضَ على «خاص مُرادى»، وتشتّتَ جيشُ الرّوم ايلي. واستشهدَ «خاص مُرادى» هناك.

وبعد ذلك، ذهبَ السّلطان محمدٌ بنفسه إلى «أوزون حسن»، وسار إليه، فأغارَ «أوزون حسن» وجاء لمواجَهةِ السّلْطانِ، ودارتْ حربٌ عظيمةٌ بين الجيشين، وسارَ أميرُ أمراءِ الأناضولِ «داود باشا» ووزيرُه «محمود باشا» وابناه السّلطان «بايزيد» والسّلْطانُ «مصطفى» من أربعِ جهاتٍ، وقطعوا

(1) هذا العنوان من وضع (المترجم).

(2) الموافق 1472م.

رأسَ «زينلك» بن «أوزون حسن»، وأرسلوه إلى السّلطان «محمد».

وشنَّ جيشُ السّلطان الهجومَ على جيشِ «أوزون حسن» مِثلَ الجرادِ، ولمَّا رأى «أوزون حسن» أنَّ جيشَ السّلطان طوَّقه مِن جميعِ الجهاتِ حاولَ أنْ ينقذَ حياتَه وينجوَ بنفسِه؛ فهرب وتفرَّقَ جيشُه. وتتبَّعَ جيشُ السّلطان «محمد» فلولَ جيشِ «أوزون حسن» ولَم يستكينوا، ونهبوا جيشَه، وكانوا قد قبضوا على «عمر بك بن صاروخان بك» مع بعضِ الأمراءِ في الهجومِ الذي شنُّوه على «خاص مُراد» وحبسوهم، ولمَّا وجدوهم في الجيشِ قتلوهم.

وبعد ذلك، عاد السّلطان «محمد» وفتحَ قلعةَ «قره حصار»[1]، وعادَ بالغنائمِ الكثيرةِ، وتوجَّهَ إلى «إسلامبول»، ووقعَ تأريخُ هزيمةِ «أوزون حسن» على حسابِ حروفِ هذه الآيةِ الكريمةِ: «وينصُرَكَ الله نصرًا عزيزًا»[2]، وانهزم

(1) قره حصار: هو اسم لعدَّةِ بلاد تتحدث التُّركية في بلاد الأناضول، مثل قره حصار دولي، وقره حصار شرقي وقره حصار صاحب. انظر: ش. سامي: قاموس الأعلام. ج5 ص 3624.

(2) سورة الفتح آية 3، جاء تاريخ حساب هزيمة» أوزون حسن» في قول» بطلان كيد الخائنين»– ولكن يجب حساب الخائنين بهذا الشكل– وأسندها صاحب كتاب حدائق الشقائق إلى «أخي يوسف بن جنيد التوقاتي» وتاج التواريخ أسندها إلى رئيس الأطباء أخي چلبي– محمد بن كمال–. وأخي يوسف قول «حل لي فتح قريب». ويتضح ذلك من الجدول الآتي:

الحرف	قيمته العددية	الحرف	قيمته العددية
و	6	ل	30
ى	10	ل	30
ن	50	ه	5
ص	90	ن	50
ر	200	ص	90
ك	20	ر	200
ا	1	ا	1

«أوزون حسن» يومَ الأربعاءِ التاسعَ عشر مِن شهرِ ربيعِ الأول سنةَ 878 هـ[1].

وكان «أوزون حسن» لا يتفاءلُ بيومِ الأربعاءِ؛ لأنه في يومِ الأربعاءِ واجهَ «جهان شاه» مع «أبو سعيد» الذي هو سُلْطان الجغتاي وهزمَه. والتقى بالسُّلْطانِ «محمد» أيضًا في هذا اليومِ [الأربعاء]، وحدثَ له كما حدثَ مِن قبلُ؛ هزمه السّلطان «محمد». وفي نهايةِ الأمرِ حزنَ «أوزون حسن» حُزنًا شديدًا بهذه الهزيمةِ، وأصابه التعبُ والمللُ، ومات متأثرًا مِن هذا الحزنِ[2].

واستقرَّ السّلطان محمدٌ في «القُسْطَنْطِينِيةِ»، وأرسل أميرَ الأمراءِ «خادم سُليمان باشا»[3] إلى «إسكندرية»[4]، وحدثتْ حربٌ عظيمةٌ، وهدم ناحية مِن نواحي «إسكندرية»، وقتل كثيرًا مِن الكفارِ الموجودين بداخلِها، ولكنْ في النهايةِ لَم يفتحْها. واستقرَّ السّلطان محمدٌ في «إسلامبول»، واستشهدَ الوزيرُ «محمود باشا»[5] في اليومِ الثالثِ مِن ربيعِ الأولِ.

ع	70	ز	7
ز	7	ا	1
ى	10		

(1) الموافق 13 أغسطس عام 1473م.

(2) بالنظر إلى قول صحائف الأخبار ج3 ص165 أنه: تُوفِّي ليلة العيد سنة 882هـ في تبريز. ودُفن في حديقة مدرسة النصرية التي بناها.

(3) سليمان باشا الخادم: ولد في ملقره، وتُوفِّي في تكير داغ عام 1547م. شغل منصب أمير أمراء مصر لعشر سنوات، وشغل منصب الصدر الأعظم حوالي سنوات في عصر السّلطان سليمان القانوني فيما بين عام (948- 951هـ / 1541-1544م)، وشارك في حرب بلغراد عام 1543م في معية السّلطان سليمان القانوني. الموسوعة الإسلامية التُّركية، مادة: سليمان باشا الخادم، جلد 38 ص 97 (المترجم).

(4) الصحيح هي اشقودره كما جاء في لغات تاريخية وجغرافية.

(5) محمود باشا: هناك روايات عديدة حول حياته ونشأته، البعض يقول إنّه من الروم، والبعض

ومِن جانبٍ آخَرَ لَم يفتحْ «سُليمانُ باشا» «إسكندريةَ»، وعبرَ مِن هناك إلى «قره بغدان»، وكان جيشُ الإسلام قد تعبَ مِن حملةِ «إسكندرية»، فحلَّتْ به الهزيمةُ مِن أثرِ التعبِ والسفرِ. وفي سنةِ 879 هـ[1] كان السّلطان محمدٌ مستقرًّا في «إسلامبول»، وأرسلَ وزيرَه «كدك أحمد باشا»[2] ببِضعةِ آلافٍ مِن الجندِ مِن جانبِ البحرِ إلى «كفة»، فوصلَ هناك وفتحَ «كفة»[3] و«منكوب»، وفتح أيضًا ولايتَها. ودخل جيشُ القريم والدشت تحتَ إمرته. ووقع ذلك سنةَ 880 هـ[4].

وبعد ذلك، خرجَ السّلطان محمدٌ إلى غزوة «قره بغدان»، وجمعَ جيشًا مِن كلِّ نواحي العالَم، ووصلَ بجيشِه «قره بغدان» في شهرِ ربيعٍ الأولِ، وانهزم جيشُ «قره بغدان»، وهلَكَ، وهربَ حاكمُها، فاستولى السّلطان «محمد» على الولايةِ، ثمّ رجعَ.

وغزاها مرةً أخرى في فصلِ الشتاءِ، واستولى على القلعةِ التي بناها المَجَرُ في مكانٍ يسمَّى «قويلوج» على الجانبِ الآخَرِ مِن نهرِ «طونه» في ناحيةِ

الآخر يذكر أنه من الصرب أو البلغار. عين أمير أمراء الأناضول، ثمّ وزيرًا أعظم عام 1454م. وشارك مع السّلطان محمد الفاتح في حملة المورة عام 1460م. وسجنه السّلطان محمد الفاتح في يدى كول، ثمّ أعدمه بعد ذلك عام 1474م بسبب مسألة شهسوار اوغلي حاكم ذو القدر. انظر: الموسوعة الإسلامية التُّركية مادة محمود باشا ج27 ص377.

(1) الموافق 1474م.

(2) كدك أحمد باشا: من الصدور العظام العثمانيين، عيّن في الوزراة العظمى عام 1474م بعد إعدام الصدر الأعظم محمود باشا، وضمّ إمارة القرم إلى الدولة العثمانية عام 1475م، وبسبب فشله في فتح اشقودرة حبس في الروم ايلي عام 1477م، وقتل مسمومًا في أدرنة عام 1482م بسبب الإشاعات حول إخلاصه للسّلطان بايزيد الثاني، ووقوفه في صف جم سلطان. المصدر السابق ج13 ص544.

(3) كفه: شبه جزيرة في بلاد القرم، فتحها السّلطان محمد الفاتح وضمّها إلى الممالك العثمانية، واستولى عليها الروس سنة 1770م. انظر: ش. سامي: قاموس الأعلام، ج5 ص3870.

(4) الموافق عام 1475.

«سمندرة» (1)، وهدمَ القلعةَ وسوَّاها بالترابِ، ونقلَ أحجارَها إلى «طونه»، ثمّ عادَ واستقرَّ في «القُسْطَنْطِينيةِ»، وقام ببناءِ قلعةٍ بجانبِ القصرِ، وأرسل أميرَ الأمراءِ «خادم سليمان باشا» إلى «إينه بختي»، ولكنْ لَم يتمكّنْ مِن الذهابِ... وعبرَ «ميخال بك أوغلى علي باشا» مِن «الأفلاقِ»، وهجمَ على «أونكروس»، ولكنْ لَم يحقّقِ انتصارًا عليها. وذلك سنةَ 882 هـ (2).

وبعد ذلك، ذهبَ السّلطان محمدٌ إلى «إسكندرية»، وشنَّ هجومًا على القلعةِ، وأطلقَ الرّصاصَ والمدافعَ عليها؛ فانهدمتْ ناحيةٌ مِن القلعةِ فاقتحمَها، وبعد استشهادِ كثيرٍ مِن الجنودِ لَم يتمكّنْ مِن فتحِها، فعبرَها، واستخلف عليها «أورنوس بك اوغلى أحمد بك» بحاميةٍ مِن الجيشِ، وبنى قلعةً هناك.

وفي النهايةِ انهارتْ قوى الكفارِ، وانهزموا، وعقدوا صُلحًا؛ على أنْ يأمنوا على أنفسِهم، وذلك سنةَ 883هـ (3). بعد ذلك استقرَّ السّلطان محمدٌ في «إسلامبول»، وعبرَ «ميخال أوغلى علي بك» و«حسين بك أوغلى عيسى بك» و«مالقوج اوغلى بالى بك» ببضعةِ آلافٍ مِن الجنودِ المهاجِين [آقينجى] مِن «الأفلاقِ»، ودخلوا ولايةَ «أونكروس»، واستولَوا على بعضِ المناطقِ هناك، وخرَّبوها.

وعلى غفلةٍ، هجمَ عليهم جيشُ «أونكروس» الذي كان متأهّبًا، ومات «عيسى بك» شهيدًا، وحلّتْ الهزيمةُ بأهلِ الإسلامِ، فعادوا مِن هناك، وذلك سنةَ 884 هـ (4). واستقرَّ السّلطان «محمد» في «القُسْطَنْطِينية»، وأرسلَ وزيرَه

(1) سمندرة: سمندرك، جزيرة في الارخبيل، تقع شمال غرب جزيرة ايمروز وشمال شرق جزيرة ليمنى قريبة من منطقة تراقية في مواجهة مصب نهر مريج، انظر: س. موستراس، المعجم الجغرافي ص306.

(2) الموافق 1477م.

(3) الموافق 1478م.

(4) الموافق 1479م.

«مسيح باشا»[1] مِن جانبِ البحرِ بجيشٍ كثيرٍ إلى قلعةِ «رودس»[2]، ولكنْ لَمْ يتمكَّنْ مِن فتحِها، وعادوا دونَ أنْ يفتحوها.

ومِن جانبٍ آخرَ، فتح «كدك أحمد باشا» ناحيةَ «بولية» في ولايةِ «الفرنك» مِن ناحيةِ البحرِ بالسّفنِ[3]. وفي سنةِ 885 هـ[4] عبرَ السّلطان «محمد» إلى «الأناضول».

وتُوفِّي السّلطان «محمد» يومَ السبتِ في ساعةِ المريخ، وقتَ الظّهرِ، الثالثَ مِن شهرِ ربيعِ الأولِ في مزرعةِ «تكفور» بالقربِ مِن موضعٍ يسمَّى «مال دبة»[5]، ثم عادَ الإنكشاريةُ مِن هناك، ونهبوا مدينةَ القُسْطَنْطِينيةِ، وقتلوا «محمد باشا».

(1) مسيح باشا: شغل منصب الصدر الأعظم لسنتين فيما بين 1499- 1501م، وتُوفِّي في نفس العام. انظر: الموسوعة الإسلامية، مادّة: مسيح باشا ج 29 ص310.

(2) رودس: جزيرة في بلاد الروم، انظر: معجم البلدان.

(3) ذكر تاريخ دولت عثمانية ج1 ص178 أنه تمَّ فتح مدينة اوطرانته الموجودة في ساحل وبحر جزيرة زانطه التابعة لمملكة نابولي.

(4) الموافق 1480م.

(5) ذُكر في تاج التواريخ ج1 ص576، وصحائف الأخبار ج3 ص400 أنه تُوفِّي يوم السبت 4 ربيع الأول سنة 886هـ. ورُوي شعرٌ في وفاته في تاج التواريخ وهو: السّلطان محمد الغازي & ابن السّلطان الغازي مُراد خان & سنة833هـ ذلك التاريخ & ملك العالم من العدم بالخيمة & وفي عام805هـ أصبح سُلْطانًا على قمة عرش العالم & وعند فتح القسطنطنية & هدم أصنام الكفار وكسرها & وفي سنة 886هـ & ذهبت روحه إلى جنة الرضوان& لَم يمت الشّاه محمد بن مُراد & ولكن ذهبت روحه لجنة الرضوان & لأنّ عمله كلّه خير & في هذا التاريخ يدعو له الناس دعاء الخير & ونظم الملا لطفي تاريخ عن وفاته وقال: أفضل الثمان تواريخ & نوّر الله قبره نورًا. وصلّى عليه الشيخ وفا المُتوفّي سنة 896هـ- وطبقًا لحدائق الشقائق هو الشيخ مصلح الدين بن مصطفى الشهير بابن الوفاء، ونظرًا لتوقيع الشيخ نفسه «مصطفى بن أحمد الصدرى القنوى المدعو بوفا»- صلاة الجنازة، وبعد ذلك، أخذ نعشه المبارك السّلطان بايزيد الثاني.

عصرُ السّلطان بايزيد خان الثاني

جاء السّلطان «بايزيد» مِن «أماسية»، وجلسَ على عرشِ السّلْطَنةِ [1]. وجاء أيضًا أخوه «جم سلطان» مِن «قرمان» إلى «بروسة»، وأمرَ بقراءةِ الخُطبةِ، وصكَّ العملةَ باسْمِه[2]، وحكمَ لفترةٍ هناك. وبعد ذلك، قابلَ السّلطان «بايزيد» في «يكي شهر»، ووقعتْ الحربُ بينهما، ولكنّه لَم يتحمّلْ الحربَ، وهربَ إلى ديار العربِ[3]. ووصل هناك وزارَ الكعبةَ- شرّفها الله- ثمّ عادَ مرةً أخرى، وطالبَ بالسّلْطَنةِ.

فجهّزَ السّلطان «بايزيد» حملةً على «قرمان»، وجاء «جم سلطان» مِن الحجازِ، وحاربَ السّلطان «بايزيد» في ولايةِ «قرمان»، وهُزِمَ «جم سلطان» في نهايةِ الحربِ، وهربَ مِن ناحيةِ البحرِ متوجّهًا إلى قلعةِ «نسية» في ولايةِ

(1) نظرًا لإفادة كتاب تاج التواريخ وصحائف الأخبار أنّ: الذي وصل إلى السّلطان هو الشهزادة قورقود- أبو الخير محمد-، وفي صحائف الأخبار أنّ: تاريخ جلوس السّلطان بايزيد كان يوم الأحد 17 ربيع الأول سنة 886هـ.

(2) ذكر إسماعيل غالب بك في أثره تقويم المسكوكات العثمانية: لَم تذكر التواريخ العثمانية أن: المشار إليه قد ضرب عملة باسمه، ولكن ذكرت أنه أمر بقراءة الخطبة باسمه. وحدث ذلك يوم الخامس عشر من ربيع الآخر سنة 886هـ. وبعد أن: قال ذلك بين وجه من العملة. اقجه فضية مكتوب عليها: أنا جم سُلْطَان بن محمد خان، وزنها 3 ونصف ط. وآخرى مكتوب عليها عز نصر برسه ضرب سنة 886 ه وقطرها 12.

(3) جاء في حق المشار إليه معلومات في تاريخ عاشق باشا زاده ص220 وتاج التواريخ ج2 ص8، 15، 25 وصحائف الأخبار ج3 ص403 وذكر أنّ: كان معه دفترداره ونديمه. ويوجد أيضًا أثر باسم واقعات جم لحيدر بك، وتمّ طبعه ونشره في تاريخ عثماني انجمنی مجموعه سی.

«فرنكستان». فعاد السّلطان «بايزيد»، واستقرّ في «القُسْطَنْطِينِيَةِ».

وفي غرةِ شهرِ شوّال ذهبَ إلى «أدرنة»، ودعا وزراءه وأكابرَ أعيانِه ليلةَ السادسِ مِن شهرِ شوال. وفي تلك الليلةِ نفسِها، وفي ساعةِ «الزحل» خلعَ على الأكابرِ خلعًا في «يكى سرأى» في «أدرنة». واتّفق في هذا الوقتِ استشهادُ وزيرِه «كدك أحمد باشا»، وذلك سنةَ 887 هـ[1].

وبعد ذلك، توجّهَ السّلطان «بايزيد» إلى ناحيةِ «صوفية»[2]، وشنَّ حملةً على «بلادِ الأرناؤود»، ثمّ عادَ واستقرَّ في «القُسْطَنْطِينيةِ». واشتعل حريقٌ هائلٌ في «أدرنة» أدّى إلى خرابِ المدينةِ بأكملِها، وذلك ليلةَ الثلاثاء، في اليومِ الحادي والعشرين مِن ربيعِ الأولِ لسنةِ 888هـ[3].

وقام السّلطان بايزيد يومَ السبتِ السادسِ والعشرين مِن ربيعِ الآخِرِ ببناءِ عمارةٍ ومدرسةٍ ومستشفى بالقربِ مِن «تونجه» في «أدرنة»، ثمّ خرجَ مِن هناك وجهّزَ حملةً على «قره بغدان». ووصلَ هناك وفتحَ قلعةَ «كلى»[4] و«آق كرمان»[5]. ثمّ عاد واستقرّ في «أدرنة».

---

(1) الموافق 1482م.

(2) صوفيه: مدينة تقع في بلغارستان، تبعد 485كم عن استانبول. انظر ش. سامي: قاموس الأعلام ج4 ص2974.

(3) الموافق 18 أبريل 1883م.

(4) كلى: (كيليا): مدينة تقع شمال نهر طونة تبعد 40 كم عن قضاء إسماعيل في ولاية بسارابيه التابعة لروسية. انظر ش. سامي: قاموس الأعلام ج5 ص3945.

(5) آق كرمان: الاسم القديم لها (آليا بوليا)، وتعني في اللغة الروسية المدينة البيضاء، تقع على ساحل البحر الأسود جنوب غرب روسية، وهي قضاء لمركز في ولاية بسارابيا. انظر ش. سامي: قاموس الأعلام ج1 ص269.

وفي يومِ الأربعاءِ التاسعِ والعشرينَ مِن شهرِ صفر لسنةِ 890 هـ [1]، حدثَ كسوفُ الشمسِ ما بينَ الظّهرِ والغروبِ، وبقيَ جزءٌ ظاهرٌ مِن نورِها، وخرجَ السّلطان «بايزيد» إلى مرعاه. وجاء سُفراءُ «مصر» و«هندستان» و«أنكروس»، ونُظر في مطالبِهم، ثمّ رحلوا.

وبعد ذلك، ذهبَ أميرُ الأمراءِ «خادم علي باشا» بجيشِ الرّوم إلى وبعضِ جنودِ القبو خلقي، وذهبوا إلى ولايةِ «قره بغدان» بإذنٍ مِن السّلطانِ، وذهبَ ومعه نحوُ ثلاثينَ أو أربعينَ ألفِ جنديٍّ إلى «قره بغدان»، واستولوا عليها، ثمّ عادوا، واستقرّوا بها. وذلك في سنةِ 891 هـ [2].

وعبرَ السّلطان «بايزيد» مِن «أدرنة»، وذهبَ إلى «القُسْطَنْطِينية» واستقرَّ بها. وخرجَ «بالى بك» ابنُ «إسكندر ملقوج» أخو «علي بك» بجيشِ «الأفلاق» إلى «قره بغدان»، وهجمَ عليها مرتينِ أو ثلاثَ مراتٍ، وبفضلِ اللهِ تعالى وعِنايتِه، ومعجزاتِ سيِّدِنا محمدٍ- صلى الله عليه وسلم-، جاء بالغنائمِ والأموالِ والأسرى التي لا حصرَ لها.

[العلاقاتُ العثمانيةُ- المملوكيةُ في عصرِ السلطانِ بايزيد الثاني][3]

ومِن جانبٍ آخرَ، أرسلَ «قايتباي» حاكمُ مصرَ في ديارِ العربِ «ديدار»[4] «أوزبك» و«تيمور بك» بجيشِ «مصر» و«الشام» و«حلب»، فوصلَ هؤلاء،

(1) الموافق 16 مارس عام 1485م.

(2) الموافق 1486م.

(3) هذا العنوان من وضع (المترجم).

(4) دوادار: توجد تفصيلات في تاج التواريخ ج2 ص49، وصحائف الأخبار عن حرب مصر.

وجمعوا جيشَ العربِ مِن ديار «أضنه»[1] و«طرسوس»[2].

ومِن الجانبِ الآخَرِ، قام أميرُ سنجق ذلك المكان «موسى بك» باختيارِ رجالٍ أقوياءَ مِثلَ صِهْرِ السّلطان «فرهاد بك»، ومِن صوباشيةِ الأناضولِ وغيرِهم، وقاموا ببناءِ قلعةٍ في «أضنة» وعسكروا بداخلِها.

وبالاتفاقِ هجمَ جيشُ العربِ، وقطعوا رأسَ «موسى بك»، وقتلوا أيضًا «فرهاد بك»، ولحقتِ الهزيمةُ بالآخَرين هناك. فوصلَ أميرُ أمراءِ الأناضول «خضر بك اوغلي محمد بك» بأمرٍ مِن السّلطان «بايزيد» إلى هناك، ووقعتْ حربٌ عظيمةٌ بينه وبين «أوز بك» و«تيمور بك» على حدودِ «أضنة»، وانهزمَ الجيشُ، وقبضوا على «هرسك اوغلي»[3]، وهربَ مُعظَمُ الأمراءِ بعد أنْ حلّتْ بهم الهزيمةُ.

فما أنْ سمعَ السّلطان «بايزيد» بهذا الخبرِ أرسلَ وزيرَه «داود باشا» على رأسِ جيشٍ قوامُه أربعةُ آلافٍ مِن جندِ الإنكشاريةِ، وبعضِ الجنودِ مِن القبو خلقي وبجيشِ الروم ايلي والأناضولِ، وعقد «خادم علي باشا» الصُّلحَ مِن

(1) تمّ الإعلان الرسمي 16 رجب سنة 1290، لفظ أدرنة وأدنه، والعلامة الفارقة بين الكلمتين فقط حرف را. ويأتي ذلك أحيانًا سهو قلم من بعض المحرّرين أثناء التبييض. وبسبب أهمية المادة العلمية الخاصة بمدينة أدرنة، وأيضًا المادّة الخاصّة بمدينة أدنه، وبسب استلزام المصلحة في كتابة أدرنة بدلًا من أدنه، ومن أجل عدم ظهور هذا السهو مرّة أخرى صارت تكتب ادنة بهذا الشكل اطنه، وتمّ الإعلان بكتابتها بالشكل الجديد.

(2) طرسوس: مدينة في تركية الآسيوية في بلاد الأناضول، في ولاية أضنة. انظر: س. موستراس، المعجم الموسوعي، ص348.

(3) هرسك اوغل أحمد باشا. وتوجد تفصيلات كاملة في أثر خليل أدهم بك بعنوان: «الكتابة الخاصة باسم هرسك اوغلي أحمد باشا في القاهرة». وهي موجودة في تاريخ عثماني انجمني مجموعه سي.

«كليبولي»، ورحلَ.

وبعد ذلك، التقى «داود باشا» بجيشٍ عظيمٍ مع «طولقادر اوغلى على الدولة» [1] في حلبةِ ديارِ العربِ، وهجموا على العربِ، وجاء جيشُ العربِ ثمّ عاد... [2] وجاء أمرٌ مِن السّلطان إلى «داود باشا» قائلًا: «الآن ليس الوقتَ المناسبَ، ائذنْ للجيشِ بالعودةِ مِن هناك وليأتوا إلى هنا». فعادَ «دواد باشا»، وهربَ «طولقادر اوغلى»، واصطلحَ مع أمراءِ «وارسق»، وقبضَ على بعضِهم، وحبَسَهم، وعاد «داود باشا» مِن هناك، وسرَّحَ الجيشَ، وذهبَ هو والتقى بالسّلْطانِ ناحية «ويزه» [3]. ثمّ جاء في شهرِ شوّال واستقرّ في «أدرنة».

وفي أواسطِ شهرِ شوّال جاء سفيرٌ أونكروس [المَجر] الكافرُ المعروفُ باسم «بخشى اوغلى»، والتقى بالسّلْطانِ «بايزيد»، واستقبلَ السّلطان «بخشى بك» المذكورَ بالترحابِ، واستضافَه طبقًا للعادةِ، وخلعَ عليه خلعًا كثيرةً وأموالًا، ثمّ أرسلَه إلى مملكتِه.

وعندما وصلَ [بخشى بك] إلى ناحيةِ «سمندرة»، كان هناك غازٍ يُدعى «دلاور شيرين» في تلك الدّيارِ يريدُ أنْ يقتلَ «بخشى بك»، وبسببِ ما بينهما مِن الحقدِ والضغينةِ هجمَ بحصانِه على السّفيرِ اللّعينِ، وهجمَ عليه ببطولةٍ وشجاعةٍ مِثل «رستم» [4]، وطعنَه بالسّيفِ الحادِّ في رأسِه ووجهِه، وهلك

(1) ذُكر في تاج التواريخ ج2 ص62 أنه ذو القدر اوغلى علاء الدولة بك.

(2) يوجد نقص في النسخة.

(3) ويزه: مدينة في تركية الأوربية، هي مركز لواء ويزه وتكير طاغ، في ولاية «أدرنة»، وهي مقرّ أسقفية يونانية تتبع بطركية القسطنطينية. انظر: س. موستراس، المعجم ص 489.

(4) رستم، أو رستم دستان، أو رستم بن زال: يسمى بالفارسية رستم پسر زال: هو بطل أسطوري فارسي خيالي أبعدهم صيتًا وأبقاهم ذكرًا، وهو حسب الأسطورة الفارسية فارس ومغامر تغنى

«بخشي اوغلي» الكافرُ مِن تلك الطّعناتِ، واستشهدَ أيضًا الغازي في ذلك المكانِ، وذلك سنةَ 891 هـ[1].

وبعد ذلك، أرسلَ السّلطان «بايزيد» الرّسائلَ إلى نواحي العالَمِ، وجمعَ جُندَ العزبِ مِن الروم ايلي والأناضول. وأرسلَ أميرُ أمراءِ الرّوم ايلي «سنان باشا» إلى وزيرِه «خادم علي باشا»، بجيشٍ مكوَّنٍ مِن جندِ الإنكشاريةِ والقبو خلقي. وفي ذلك الحينِ التقى السّلطان «بايزيد» بسفيرِ «أونكروس» في «القُسْطَنْطِينيةِ».

وبعد ذلك، أبحرَ «علي باشا» مِن «إسلامبول»، وعبرَ البحرَ، وذهبَ إلى ولايةِ «قرمان»، وبنى قلعةً جديدةً في ديارِ العربِ. وبعد ذلك، فتحَ سبعَ أو ثمانيَ قلاعٍ هناك، واستقرَّ بها. وبينما كان هناك عبرَ جيشُ العربِ مِن قلعةِ «بقراز»[2]، ووصلوا أمامَ السّفنِ، وعندما أرادوا العبورَ لَم يسمحْ أصحابُ السّفنِ لهم بذلك. وبينما كانوا يتقاتلون هبَّتْ عواصفُ فجأةً بالقضاءِ والقدرِ، فضربتِ السّفنُ بعضُها بعضًا، وهلك بعضُها، وعبرَ جيشُ العربِ مِن هناك، وسبحَ [الجيشان] في المياهِ، وهجموا على «عليٍّ باشا»، وشتَّتوا الجنودَ الموجودةَ في الجناحِ الأيمنِ. وبعد ذلك، سارَ جيشُ العربِ إلى «عليٍّ باشا».

ومِن جانبٍ آخَرَ، حارب «علي باشا» بجيشِ الإنكشاريةِ وخيالةِ الـقبو خلقي مِن ذلك اليومِ حتى الظّهيرةِ. وفي النهايةِ عاد جيشُ العربِ،

به الفردوسي في ملحمته الشاهنامة. ومآثره مستفيضة في القصص الفارسية، واسمه شائع في الشعر القديم والحديث. (المترجم).

(1) الموافق 1486م.

(2) بقراز: (بقراص): بلدة في تركية الآسيوية، في سورية الشمالية، في ولاية حلب. انظر: س. موستراس، المعجم ص 166.

وبينما كانوا في صددِ اللّحاقِ بهم نزلوا في البحرِ، وعبروا إلى الجانبِ الآخَرِ، ووصلوا إلى جيشِهم. ورأوا أنَّ هؤلاء ذهبوا إلى جيوشِهم، وفي ذلك الجانبِ ظنَّ أحدُ الجنودِ الموجودين في جيشِ هؤلاء أنَّ جيشَهم سيواجهُ بعضُه بعضًا مِن الجهةِ الأخرى، فحزنوا كثيرًا وهربوا. ووصلوا إلى حافَّةِ المكانِ الذي وضعوا فيه سُفنَهم بالقربِ مِن «إسكندر بكارى» في أسفلِ «بقراز ايلى». وفي ذلك الوقتِ لَم يكُنْ هناك مكانٌ آخَرَ غيرَ هذا المكان يستطيعون أنْ يعبُروا مِنه، وخرجَ الموجودون على متنِ السُّفنِ منها، وأغاروا على القادمين، ونصبوا كمينًا لهم، وهجموا عليهم. وعندما رأى الشاميّون الذين وصلوا هناك ما حلَّ بجيشِهم اجتمعوا وتشاوروا في الأمرِ بينهم حتى أصابتْهم الحيرةُ، ثمّ استقرَّ رأيُهم على الهربِ.

ومِن الجانبِ الآخَرِ، خرج «عليّ باشا» وجميعُ الأمراءِ، ورأوا أنَّ الرحيلَ هو الصَّوابُ، فلَم يعُدْ أحدٌ مِن الجيشِ، وبسرعةٍ قاموا بخلعِ الخِيمِ والمدافعِ والعرباتِ والأشياءِ الأخرى، وكلُّ ما هو موجودٌ هناك، وقرَّروا الرحيلَ، وتركوا الأسلحةَ والمعدّاتِ في القلعةِ، ثمّ تركوا القلعةَ ورحلوا، ولَم يبقَ أحدٌ مِن جيشِ الرومِ خارجَ القلعةِ في ذلك المكانِ، ثمّ واصلوا السيرَ حتى الصباحِ.

ولم يبقَ جيشُ العربِ في هذه الناحيةِ على ما يُرام، فقدْ تفرّقَ بعضُهم وذهب ناحيةَ الجبلِ، وفجأةً جاء رجُلٌ إلى الجيشِ مِن «وارسق»: «بُشراكم، لقد هربَ الرّومُ، فهيّا لترحَلوا». وعندما سمع الشاميّون هذا الخبرَ امتطَوا خيولَهم حتى الصّباحِ. وعندما حلَّ الصباحُ قالوا لعلّه يريدُ خِداعَنا. وجلسوا في أماكنِهم حتى الضُّحى، وأرسلوا الجواسيسَ في كلِّ مكانٍ ليروا هل عبرَ أحدٌ البحرَ أو لا؟، وذهبوا إلى جيشِ «عليّ باشا»، ودخلوا الخِيامَ، وجلسوا لمدّةٍ

يومين، فلَم يأتِ أحدٌ إليهم، وعلِموا أنَّ العثمانيّين قد هربوا، فخرجوا ونزلوا إلى القلعةِ، وهجموا عليها، ونصبوا المدافعَ، وبدءوا في ضربِ القلعةِ بالمدافع.

وعندما كان هؤلاء يتأهّبون هناك لضربِ القلعةِ كان جيشُ الرّومِ يحاولُ الهربَ مِن الجانبِ الآخرِ، والمصائبُ التي حلّتْ بهم مِن جيشِ «وارسق» لا يمكِنُ وصفُها. وفي النهايةِ خرجوا إلى «أركلو»[1]، واستقرُّوا هناك لفترةٍ مِن الزمانِ. وعزم «عليّ باشا» على الذهابِ إلى «القُسْطَنْطِينيةِ» مع الأمراءِ، بعدَ أنْ رأوا أنَّ الجيشَ قد هُزِم وضَعُفَ، حتى أمرَهم السّلطان قائلًا: «ليأتِ عليٌّ باشا والأمراءُ». وبقي جيشُ الأناضولِ عِدّةَ أيامٍ في «أركلو»، وفي النهايةِ أذِنَ للجيشِ بالرّحيل. ومِن ناحيةٍ أخرى رأى جيشُ العربِ أنَّ «عليّ باشا» قد سرَّح جيشَ الروم، فضيَّقوا الحصارَ على قلعةِ «كاكنجة»، وبعد فترةٍ مِن الزمنِ استولَوا عليها، وذلك سنةَ 892 هـ[2].

وبعد ذلك، أرسلَ السّلطان بايزيد «يوداق بك» إلى «ذو القادرِ اوغلى علاء الدولة»، وأرسلَ معه أميرُ أمراءِ الرّوم ايلى «محمد باشا» بجيشِ الرّوم ايلى، وأعطاه سنجق «قيصرى»[3]، وأرسله إلى «ميخال أوغلى إسكندر بك». فوصلَ الجميعُ هناك، وبينما كان علاءُ الدولةِ غافلًا هجموا عليه، وقبضوا على ابنِ «علي الدولة»، وسملوا عينَه.

---

(1) أركلي: أركلي قرمان: مدينة في تركية الآسيوية في الأناضول، في ولاية قره مان، لواء قونية، فيها حوالي 1000 منزلًا. موستراس: المعجم ص46.

(2) الموافق 1487م.

(3) قيصرى: قيصرية، مدينة في الأناضول، مركز لواء قيصرية، في ولاية بوزاووق، انظر: المرجع السابق ص414.

وعندما علِمَ «علي الدولة» بذلك جمعَ جيشَه وقام بمحاربةِ هؤلاء، وكانت حربًا عظيمة، لَم يتحمَّلْها «بوداق بك» فهرب، وتشتَّتَ أيضًا جيشُه وهربَ. وقبضوا على «إسكندر بك» و«ميخال أوغلي» وأرسلوهم إلى «مصر». وفي هذه الأثناءِ اندحرَ جيشُ الرّوم، وهربَ. بعد ذلك خرجَ «علي الدولة» إلى «قيصر ايلي» [قيصريه]، وأراد أنْ يحرقَها ويهدمَها، ولكنَّه لَم يفعلْ، واستقرَّ في مكانِه.

وفي سنة 901هـ[1]، هرب «أوغرلو أوغلو على كوده أحمد» - الذي كان قد هربَ في سنةِ 894 هـ ولجأ إلى السّلطان «يعقوب» - ولجأ إلى السّلطان «بايزيد»، فاستقبله السّلطان «بايزيد» استقبالًا حسنًا، وزوَّجَه ابنتَه، واتّخذه صِهرًا له[2]. وظلَّ الوضعُ في الرّومِ ايلي على هذا النّحوِ طويلًا.

وفي تلك الأثناءِ، وبتحريضٍ مِن بعض الأشخاصِ هربَ [علي كودة أحمد] مِن الرّوم، وذهب إلى العَجم. وكان يريدُ أنْ يكونَ شاهَ العجم. وبالفعلِ وصلَ هناكَ وأصبحَ سُلْطانًا، ولكِنْ كان في ذلك الزّمانِ سُلْطانَ يُدعى «رستم»[3] مِن أقربائه في بلادِ الشرقِ.

شعر

كـــان في مـــلـــكِ الـــشرقِ سُـلْـطـان

يُـدعـى رسـتـم الـــوليّ بـنـــورِ الإلـــهِ

---

(1) الموافق 1495م.

(2) توجد تفصيلات عن هذا الباب في تاريخ عاشق زاده ص238 و242 و245 و248 و249.

(3) وبالنظر إلى كتاب صحائف الأخبار ج3 ص166 أنه حفيد أوزون حسن، وهو رستم بك بن مقصود بك.

كانت الزهورُ تتفتّح لحُسنِه بالعشقِ
وتـفـوحُ ضـفـيرتُـه بنسيمِ المِسـكِ
عـيونُـه متـوحّشةٌ ورمـوشُـه حـادّةٌ
وروحُــه ونـفـسُـه لا تمـنـحُ الأمــانَ
كانت الشمسُ في وجهِه مِثلَ الغُلام
تخضعُ له بالطاعةِ كـلَّ صُبحٍ ومساء
نـظـرتُـه الـقـاسيـةُ لا تُعطي الأمــانَ
ولكنَّهم يضحُّون بأرواحِهم في عِشقِه
وكــان عدلُه وحُسنُه زائــدًا عن الحدِّ
والناسُ في عهدِه تعيشُ في أمـانٍ وعمارٍ
وكانوا بعيدين عن الظلم والجورِ والفتنةِ
وقَـامتُـه مـرفـوعـةٌ ورأسُــه مـوزونـةٌ

نثر: وذهبَ جميعُ الأشخاصِ الثائرين والمتمرِّدين في تلك النواحي إلى «أوغرلي أوغلي كوده أحمد»، وأعلنوا الطاعةَ والخضوعَ، والتفُّوا حولَه، وفي النهايةِ أعلن جيشُ العجم كلُّه الانقيادَ لصِهرِ سُلْطان الرّوم، وقبضوا على «رستم» وقتلوه، ونصبوا «كوده أحمد» سُلْطانًا على العجم.

وكان مِن جُملةِ المُخالِفين له «أبية سلطان»، وخلال الأشهرِ الستةِ الأخيرةِ في عهدِ [كوده أحمد] وقعتْ بينه وبين «أبيه سلطان» الفتنةُ والحربُ، وقُطعت رأسُ «أوغرلو أوغلي» في هذه الحرب، ونهبوا أموالَه ومتاعَه [1]. وعندما وصلَ الخبرُ إلى السّلطان «بايزيد» غضِبَ كثيرًا. وعندما عرفَ مِن بعضِ

(1) انظر صحائف الأخبار ج3 ص164، فهناك اختلاف بين المؤرخين.

الأكابر أنه رحلَ مِن الرّومِ عزل «داود باشا»، وأحالَه إلى التقاعدِ، وعزلَ أيضًا «علي باشا»، وأعطاه مدينةَ «بروسة».

[خروجُ الشّاه إسماعيل شاه العجم] (1)

وفي تلك الفترة في بلادِ العجم خرجَ «الشاه إسماعيل» بنُ الشيخِ «حيدر» مِن «كيلان»، ووصلَ إلى «أرزنجان»(2)، واستوطنَها. وعندما وصلَ الشّاه «إسماعيل» إلى «أرزنجان» ذهبَ إليه كثيرٌ مِن مُريدي ومحبّي أجدادِه وآبائه الموجودين في ولايةِ الرّومِ، والتقوا به في «أرزنجان». ونقلَ بعضُهم إليه خيلًا وبعضُهم الآخَرُ نقل إليه سلاحًا، فقال الشّاه «إسماعيل» لهم: «لو كان هناك شيءٌ خاصٌّ بي، هل ستساعدونني؟» فقال القادمون وكانوا حوالي ألفين أو ثلاثةَ آلافِ رجُلٍ: «نحن نضحّي بأرواحِنا وأنفُسِنا في خدمةِ ابنِ شيخنا». فقال الشّاه «إسماعيل»: «لقد قتلَ أهالي «شروان» والدي فيها، ولَم يجفَّ دمُه إلى الآن، وأنا أطلبُ دمَه». فقال الجميعُ: سمعًا وطاعةً(3).

شِعْر

سار هؤلاء القومُ السذَّجُ الخائنون
وقتلوا جميعَهم ملكَ شروان

---

(1) هذا العنوان من وضع (المترجم).

(2) أرزنجان: مدينة في بلاد الأناضول، في ولاية ولواء أرضروم بالقرب من الفرات. س. موستراس: المعجم ص 41.

(3) انظر: تاريخ عاشق باشا زاده ص267 وصحائف الأخبار ج3 ص179 عن بحث ملوك صفوية.

وقتلوا كلَّ مَن يقعُ تحتَ أيديهم فأصبحَ شهيدًا

وأطلقوا على ملكِ شروان الرجُلَ السعيدَ

ونهبوا المالَ والرجالَ والمتاعَ

وأخذوا المالَ والعرشَ

وقال أنا السّلطان على مُلكِ شروان

وكلُّ الديارِ أصبحتْ تحت حُكمي

فالذي كان قِطَّةً أصبح هناك أسدًا

وسار الشجاعُ إلى ملكِ تُرْكُمان

وعندما قتل هؤلاء القومَ وأهلكَهم

هدمَ مُلكَ الشرقِ وسوّاه بالأرضِ

وعندما اختار مذهبَ الرافضةِ

أصبحَ سُلْطانًا على المفسِدين والملحِدين

وجمع الجيشَ وساروا فوجًا فوجًا

ونزفَ الدمَ على الأرضِ مثلِ الموجِ

وكلُّ أرضٍ يضعُ يدَه عليها تصبحُ ملكَه

وأطلقوا عليه المهدي صاحبَ العظمةِ

وكلُّ ملحدٍ وزنديقٍ في العالَمِ

إنهم يتبعونه ويشبهونه

هو الذي قال: مُلكي مِن خُراسانَ إلى هرات

ويصلُ حتى نهرِ الفُرات

نثر: ومن جانبٍ آخَرَ وبينما كان السّلطان «بايزيد» يقيمُ في القُسْطَنْطِينيةِ أرسلَ سُلْطان مصر جيشًا للهجوم عليه. وبعد وصوله إلى حدود «قرمان»، أرسل سُلْطان مصر سفيرًا إلى السّلطان بايزيد، ولكن السّلطان «بايزيد» اغترّ استهزاءً بالسفير ولَم يقابله؛ لأن السفير ذهب إلى «إسلامبول» واستقرَّ بها. فسار جيش مصر إلى ولاية «قرمان»، ونهب المملكة وأهلكها. فعلم السّلطان «بايزيد» بذلك، فجمع جيش الروم ايلي، وعبر أيضًا بجيش القبو خلقي، ونزل في «بشكطاش»، وأرسل الرسائل إلى نواحي العالم، بأن يجمعوا الجيش، وأرسل أيضًا الخبر إلى العرب[1]، وقال لهم استعدّوا».

وفي تلك الأثناء، وقبل أن يخرج السّلطان «بايزيد» من «بشك طاش»، حدثت صواعق ذات يوم، وفي الصباح هبّت الرياح ونزلت الأمطار، ونزلت صاعقة في مخزن السلاح الموجود في «كون كورمز»،[2] واشتعلت النّيران في السلاح والباروت[3] الموجود بداخله، ووصل الدخان حتى «حي قبة الكنيسة». واحترقت عدّة أماكن ومناطق هناك.

وفي اليوم الثاني من هذه الواقعة، نزل السّلطان بايزيد في«بشكطاش». واستدعى الأمراء والوزراء وتشاور معهم، فلَم يوافقوا على عبور السّلطان «بايزيد» إلى الأناضول، وقالوا له: «هذا وقتٌ غير مناسب، وذلك المكان به قحط، ولا نستطيع تُوفير الزاد والزواد للجيش هناك».

---

(1) جاءت في الأصل كلمة (عرب): والصواب (عزب). (المترجم).

(2) جاء في صحائف الأخبار ج3 ص415 أنّ الحريق حدث في مخزن الباروت الموجود في مكان يسمّى كون كورمز بالقرب من ات ميداني.

(3) طوب اوتي: نظرًا للقاموس التركي بمعنى قوري صيقى، ولكن في هذه العبارة فهو بمعنى الباروت.

وفي تلك الأثناء، كان جيش العرب قد قفل راجعًا. فخرج السّلطان «بايزيد» إلى المصيف، ثمّ خرج من المصيف وذهب إلى «أدرنة»، ولَم يستقرّ السّلطان في مكان، وذهب إلى «أبصاليه»، بسبب انتشار الطّاعون في تلك المناطق، واحتفل بعيد الحجيج [الأضحى] هناك، ثمّ عاد مرّة أخرى إلى أدرنة، واستقرّ بها لَمدّةِ أسبوع، وبعد ذلك، عزم الذهاب إلى «القُسْطَنْطِينية»، ووصل «القُسْطَنْطِينية»، واستقرّ بها فترة طويلة. وبعد ذلك، فتح قلعة «اينه بختى»، وذلك سنة 905هـ [1]. وبعدها فتح قلعة «متون» [2] في سنة 906هـ. وبينما كان السّلطان بايزيد يفتح قلعة «متون»، جاء أمير«قرمان» من «مصر»، ودخل «إيج إيلى»، وخرج من «إيج إيلى» إلى «لارنده» و«قونيه» ونواحيها، وقام بأعمال التخريب والفساد والعنف في تلك المناطق. ثمّ عاد واستقرّ في«إيج إيلى».

فسمع السّلطان «بايزيد» بذلك، فخرج إلى«إسلامبول»، وأرسل وزيره «مسيح باشا» ببضعة آلاف من جند الإنكشارية، وجند «القبو خلقى»، فذهبوا إلى هناك، وهرب أمير «قرمان» إلى مصر. وبعد ذلك، استقرّ السّلطان «بايزيد» لفترة طويلة في «القُسْطَنْطِينية».

وبينما كان السّلطان في «القُسْطَنْطِينية» جاءه خبر وفاة الشهزادة «سلطان علم شاه» فجأة، وذلك سنة 909هـ [3]. ثمّ بعدها جاءه خبر وفاة

(1) الموافق 1499م.

(2) الموافق 1500م.

(3) نظرًا لإفادة بليغ في اثره كلدسته أن: تاريخ ولادته سنة 871هـ وتُوفِّي عندما كان والي صاروخان سنة 908هـ. أمّا لامعى فذكر تاريخًا في وفاته، وقال: «لأنّه سقطت قامة الألف على مكان الشاه، وقال دلّ وفي تاريخه مات علمشاه بك». ودفن في مُرادية في بروسة0 وجاء في كتاب صحائف الأخبار أن: تاريخ وفاته 918هـ.

السّلطان «محمد» سنة 910هـ[1]. فمرض السّلطان بايزيد بعدها، وجلس في «القُسطَنْطِينية».

وفي سنة 913هـ تُوفِّي أيضًا ابنه السّلطان «محمود»[2]. وبعد عام 913هـ هجم الشّاه «إسماعيل» من ولاية الشرق على «على الدولة». ونزل بالقرب من «قيصرى»، وفي الحقيقة لَم يتعرض هو بأي وجهٍ إلى دولة السّلطان بايزيد، أو ما يحكمه السّلْطان، ولَم يدخل أيضًا في أملاكه، وإنما جاء فقط إلى «علي الدولة» لبعض الأشياء والمصالح الخاصة.

[بدايةُ الأحداث التي عاصرها لطفي باشا][3]

وعندما سمع السّلطان «بايزيد» هذا الخبرَ أرسلَ وزيرَه «يحيى باشا» ببضعةِ الآفِ مِن «القبو خلقى» والإنكشاريةِ إلى قلعةِ «أنكورى». وأرسلَ معه جيشَ الأناضولِ وقرمان، فوصلَ الجميعُ إلى «أنكورى»، واجتمعوا هناك، وبقَوا فيها إلى أنْ يعودَ الشّاه «إسماعيل». ولَم ينتصرْ الشّاه «إسماعيل» في حربِه مع «علاء الدولة»، ولكنَّه أخذ اثنين أو ثلاثةً مِن أبنائه [4]، وعبرَ مِن

---

(1) كان أمير بكشهرى ثمّ والي كفة، وتُوفِّي هناك سنة 913هـ ونقل نعشه إلى بروسة، ودفن في تربة خداوندكار خان.

(2) ولادته سنة 880هـ. وأصبح في البداية واليًا على قسطمونى سنة 910 ه، ثمّ صاروخان سنة 913 هـ وتُوفِّي في مغنسيا، ودفن في بروسة في تربة مُراد خان الثاني. وذكر لامعى في وفاته قائلًا: «خرج محمود خان من دار الفناء، وذهب لتاريخ وفاته «ليرحمه الحقّ تعالى». وفي صحائف الأخبار ج3 ص444 ذكر المصراع الثاني لـ لامعى ليرحمه الحقّ تعالى. وكان من الشعراء نجاتي وموقعى- نشانجيسى- وذاتي ونديمى.

(3) هذا العنوان من وضع (المترجم).

(4) يوجد نقص هنا: ذكر عالي في كنه الأخبار المطبوع: ركن4 ج3 ص43 أن:« أخذوا ابن علاء الدولة واسمه شاهرخ أعمى، وقبضوا على بعض أولاده في المعركة.

هناكَ نهرَ الفُراتِ، واستولى على «دِيار بَكْر» بأكملِها.

وبينما كان السّلطان «بايزيد» في «القُسْطَنْطِينية» سنةَ 915 هـ [1]، حدثَ فجأةً زلزالٌ عظيمٌ، وخرّب بعضَ الأماكنِ هناك، وسقطتْ أكثرُ أسوارِ مدينةِ «القُسْطَنْطِينية» وقلاعِها، واستمّرت الزّلازلُ فترةً مِن الزّمنِ؛ فرأى السّلطان «بايزيد» أنَّ الجلوسَ في «القُسْطَنْطِينية» خطرٌ عليه، ولَم يجِدْ ما يفعلُه فعبرَ إلى «أدرنة»، واستقرَّ بها في فصلِ الشتاءِ. وأمر بتعميرِ الأماكنِ التي خربتْ وهُدمت مِن قِلاعِ القُسْطَنطينيةِ وغيرِها. وفي سنةِ 916هـ [2] ذهبَ السّلطان «بايزيد» إلى قريةِ «جلمكلو» [3]. وقضى موسمَ الصيف بها، وفي الشتاءِ عاد إلى «أدرنة»، واستقرَّ بها.

[خروجُ شيطان قولي] [4]

وفي سنةِ 917 هـ [5] خرجَ «شيطان قولي» مِن ولايةِ «تكه» [6]، وقام بتخريبِ مُعظَمِ مناطقِ ولايةِ الأناضول، وقتل أميرَ أمراءِ الأناضولِ «قره كوز باشا». وعند وصولِ الخبرِ إلى السّلطان «بايزيد» أرسل «خادم علي باشا» بجيشِ «القبو خلقى».

---

(1) الموافق 1509م.

(2) الموافق 1510م.

(3) تصحيح هذه الكلمة هو جوملك.

(4) هذا العنوان من وضع (المترجم).

(5) الموافق 1511م.

(6) تكة: لواء في الأناضول، في ولاية قرمان، مركزه مدينة أطاليه، واللواء هو موقع منطقة بامفيلية القديمة. موستراس، المعجم ص220.

[المعركةُ التي وقعتْ بينَ السّلطانِ بايزيد الثاني وابنِه سليم الأول][1]

وبينما كان السّلطان في «أدرنة»، في تلك الأثناءِ عبرَ السّلطان سليم مِن «طربزون» إلى «كفه»، ومِن «كفه» إلى «آق كرمان» إلى أنْ وصل «كيلي». وعندما وصل الخبرُ إلى السّلطان «بايزيد» جمعَ الجيشَ في موقعٍ يسمّى «آدا» بالقربِ مِن «أدرنة»[2]. وبعد ذلك، عبرَ السّلطان مِن «آدا»، ووصلَ إلى مكانٍ يسمّى «جقر جايرى» [3]، ونزلَ السّلطان سليم في مكانٍ يسمّى «آق بيكار»، فأرسلَ السّلطان «بايزيد» خبرًا إلى السّلطان سليم يقولُ له: «لماذا أتيتَ؟، وماذا تريدُ؟». فردَّ السّلطان سليم عليه قائلًا: «أتيتُ لزيارة والدي، وأتشرّفُ بتقبيلِ يدِه الشريفةِ». وعندما قال ذلك أرسلَ له السّلطان بايزيد قائلًا: «سنرى إن كنتُ تريدُ شيئًا آخرَ أمْ لا؟» وعندما قال ذلك أرسلَ السّلطان سليم لأبيه قائلًا: «لقد غضضتَ الطّرفَ عن الدّفاع عن الدينِ الإسلاميّ، ومنذ فترةٍ لَم تحاربِ الكفارَ الأشرارَ، وعطّلتَ باب الجهاد، والآن إذا لَم تقبلْ زيارتي لك سأهجمُ على الكفارِ الأشرارِ في الرومِ ايلي، ولْتعطِ لي سنجق وإمارةَ «طربزون» الموجودةَ في حدودِهم، بدلًا مِن السّنجق الذي أعطيتَه لي لأقاتلَ الكفارَ وأجاهدَهم».

فقبلَ السّلطان «بايزيد» كلامَه، وترك له عِدّةَ سناجق في الرّوم ايلي بدلًا مِن «سمندرة»، وكتب منشورًا للسّلطان «سليم»، وأرسلَه إليه. فعزمَ

(1) هذا العنوان من وضع (المترجم).

(2) يوجد نقص هنا.

(3) جاء في كتاب صحائف الأخبار ج3 ص434 أنه جقور جاير بالقرب من «أدرنة».

السّلطان «سليم» الذهابَ إلى سنجقه، وعند وصوله إلى «فلبه»[1] عبرَ السّلطان «بايزيد» بجيشِه مِن «أدرنة» إلى «إستانبول». ونقل الجاسوسُ الخبرَ إلى السّلطان سليم قائلًا: «ذهب والدُك إلى «إسلامبول»، لكَي يُعيِّنَ السّلطان «أحمد» بدلًا عنك على العرشِ، ثمّ يرسلَه لمحاربتك». وعندما سمعَ السّلطان «سليم» ذلك هبَّ مسرعًا وعبرَ مِن «فلبه»، وسار ليلًا ونهارًا يريدُ اللّحاقَ بوالدِه. وخرجَ مِن «جورلو» إلى «إيكارو» حتى لحِقَ بوالدِه في «صرت كويي» الذي هو مشهورٌ الآن باسْم «صواش كويي». وبينما كان في صددِ إرسالِ رسولٍ إلى أبيه يخبرُه بمجيئِه اصطفَّ الجيشان على الجانبين، ووقعتْ حربٌ عظيمةٌ؛ راحَ ضحيتَها كثيرٌ مِن الناسِ. وحلّتْ الهزيمةُ بالسّلْطانِ «سليم»، وهربَ إلى «آخيولي» في جانبِ «قره دكز»، وكانت السّفنُ الموجودةُ في «آخيولي» راسيةً، فركِبَها بسرعةٍ، وذهب إلى «كفه» مباشرةً.

وأقامَ هناك فترةً مِن الزّمان، والتفَّ حولَه النّاسُ الموجودون هناك، وذهبَ السّلطان «بايزيد» إلى «القُسْطَنْطِينية»، وجاءه خبرُ هزيمةِ «علي باشا» ومقتلِه في ولايةِ الأناضولِ على يدِ «شيطان قولي»، فتكدَّر صفوُ السّلطان «بايزيد» بشِدَّة. وبعد ذلك، أعطى السّلطان «بايزيد» الإذنَ لجيشِه بالرّاحةِ، وأقامَ في «إسلامبول»، وقضى موسمَ الشتاءِ بها.

وفي سنةِ 918 هـ[2] أحضرَ السّلطان «بايزيد» ابنَه السّلطان «سليم» بإعزازٍ واحترامٍ وإكرامٍ إلى «إسلامبول»، وعفا عن ذنبِه، وتنازلَ له عن

(1) فلبة: مدينة في تركية الأوربية، في منطقة تراقية، مركز لواء فلبة في «أدرنة»، دخلها الأتراك سنة 1360م. موستراس، المعجم ص 376.

(2) الموافق 1512م.

السَّلْطَةِ بطِيبِ خاطرٍ؛ وأوصاه قائلًا: «لتنتقم للعثمانيّين مِن المصريّين، ولأهلِ الإسْلامِ مِن القزلباش، ولتعاملَ إخوتَك بحُسنِ العشرةِ كلَّما جاءوا إليك».

وآثرَ السّلطان التنحّي [عن السّلطة]، وبعد ذلك، عبرَ مِن «إسلامبول»، وعندما وصل إلى ناحيةِ «ديمتوقة»، تُوفِّي بالقربِ مِن قريةٍ تسمَّى «عيالر»[1] بالقربِ مِن «حفصه». وانتقل إلى رحمةِ الله تعالى. رحمةُ الله عليه رحمة واسعة[2]، حكمَ اثنين وثلاثين عامًا، ثمّ تُوفِّي، فأخذوا جُثَّتَه، ودفنوها في العمارةِ التي بناها لنفسِه في «إسلامبول».

(1) هكذا في النسخة: ذُكر في تاج التواريخ: ج2 ص207 وصحائف الأخبار ج3 ص443 أنه: تُوفِّي في موضع يسمى سكوطلى دره بجوار «أدرنة». وبالنظر إلى ما جاء في تاج التواريخ فإن: يوم ارتحاله هو: 10 ربيع الأول سنة 918هـ.

(2) ذُكر في تاج التواريخ شعر في ذلك: شمس طرف العزة سُلْطان الملك والدين & نخل روضة محمد خان السّلطان بايزيد & طلع من برج الشرف سنة 851هـ & في أفضل الساعات من الأيام التي كانت عيدًا & وجلس على عرش الروم سنة 886هـ & وشرب شراب نهر الكوثر من الساقي سنة 918هـ.

عصرُ السّلطان سليم خان الأولِ

[صراعُ الإخوةِ على العرش][1]

بينما كان السّلطان سليم[2] يعملُ على تنفيذِ وصيةِ والدِه جاءه خبرٌ مِن «بروسة» أنّ: السّلطان «علاء الدِين»[3] بنَ السّلطان «أحمد» قد جاء إلى «بروسة»، واستولى عليها، وقتلَ صوباشي «بروسة»، وأكثرَ التابعين للسّلطَان «سليم»، واستولى على كلِّ أموالِ خزينةِ الدولةِ المتعلّقة بالميرى، وأخذ أيضًا أموالًا ومتاعًا مِن أهالي المدينةِ، وأمر بقراءةِ الخُطبةِ باسمِ والدِه

(1) هذا العنوان من وضع (المترجم).

(2) نظرًا لكتاب تاج التواريخ ج2 ص222 أن: جلوس الخاقان المشار إليه كان يوم 8 صفر سنة 918هـ. ونظرًا لكتاب صحائف الأخبار أنه: يوم الجمعة 7 صفر 918هـ. وبعد أن ذكر سعد الدين أفندي آيه «أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأمرِ مِنْكُمْ» الآية 59 سورة النساء، فإنّ الآية الكريمة تتفق مع سنة 918هـ وقال شعرًا:

وأطيعوا الرسول ... عندما قال الله لنا أطيعوا الله
إن كنتم تؤمنون بالله ... وأولي الأمر الثالث
ويقرا كلام الرب المجيد ... من يسمع البشارة من الله وقت السحر
ولآل عثمان بشرة خير ... فإن هناك إشارة بثلاثة أوامر
أهني القاء السّلطان سليم ... فمن هذا النسل خادم الحرمين
وهي بشارة لاقبال عام حكمه ... والثلاثة أوامر هي بشارة لمن
إشارة لإقبال العام الذي حكم فيه ... والثلاثة أوامر إشارة لمن
وكانت مصيبة الثلاث أوامر في عصره ... لأنه كان من نصيب السّلطان سليم

(3) ذكر سجل عثماني أنه بعد قتل والده ذهب إلى مصر، وتُوفِّي هناك سنة 920هـ.

السّلطان أحمَد. وبناءً عليه قام السّلطان «سليم» بجمعِ عسكرِ القبو خلقى وعسكرِ الروم ايلى، وعزمَ على التوجُّهَ إلى ولايةِ «الأناضول» لمواجَهةِ أخيه السّلطان «أحمد».

◀◀ شِعْر

قــال الحــاكــمُ لأعـيــانِ الــروم
لَم أحــاربْ مِــن أجْــلِ الـعـداوةِ
ولكِنْ بسببِ صراعِ إخوتي على العرشِ
نقضتُ عهدي، وإلّا كنتُ صادقًا في وعدي
وكانت وصيةُ الشّاه [السّلْطان] عند وفاتِه
عـنـد حُـكـمِـه لا يـعـادى إخوتـه
وأنـا لا زلـتُ على العهدِ والوعدِ تمامًا
ولَم آتِ لـلانـتـقـامِ مِــن إخــوتي
ويــوجــد في قلبي الــوفــاءُ بعهدي
وإنْ لَم يكُنْ فالصدقُ والصفاءُ في قلبي
وبــالــضرورةِ إنهـم نـقـضـوا عهدي
وجـــازَوا إحــســاني بــالــسُّــوءِ
وبعد هذا الكلامِ كان أحـقَّ بالسُّلطةِ
ولَم يـتـكـلَّـفْ، وعــبرَ مِــن البحرِ

نثر: وبعد ذلك، لَم يحارِبِ السّلطان «سليم» أخاه السّلطان «أحمد»، وذهبَ إلى «دارنده»[1] في ولايةِ العرب، وهجمَ السّلطان «سليم» في ذلك الشتاءِ على

(1) جاءت في الكتاب على هذا الشكل (درنده).

أخيه السّلطان «قورقود» في «مغنسيا»، وهربَ السّلطان «قورقود» مِن يدِه، فعاد السّلطان «سليم» إلى «بروسة» واستقرَّ بها. وفي النهايةِ خضعَ السّلطان «قورقود» له، ووافَتْه المنيّةُ [1]. وبعد ذلك، جاء السّلطان «أحمد» مِن «درنده» إلى «أماسية» وقضى فصلَ الشتاءِ بها. وفي عام 919هـ [2] عبرَ السّلطان «أحمد» مِن «أماسيه»، ووصل إلى «يكي شهر»، فعبرَ السّلطان «سليم» مِن «بروسة»، والتقى بالسّلْطانِ «أحمد» في «يكي شهر»، ووقعتْ الحربُ بينهما.

وفي النهايةِ هُزِم السّلطان أحمدُ، وتركَه جيشُه، وقُبِض عليه وقُتل، وأُرسِل إلى «بروسة»، ودُفِن بها [3]، وبعد ذلك، قبضَ السّلطان «سليم» على إخوتِه وأبناءِ إخوتِه وقتلَهم، ثمّ جلسَ على سريرِ مُلكِ آلِ عثمانَ، ونصبَ نفسَه سُلْطانًا.

شعر

عندما وصلَ سليم خان للسُّلْطةِ
عظُمتْ شوكةُ الدولةِ به

(1) نظرًا للكتابة الموجودة على ظهر نسخة الأثر المسمّى بـ «حلّ إشكال الأفكار في حلّ أموال الكفّار» في الفقه للمشار إليه: أنّ: اسمه محمد، وكنيته أبو الخير، وبسبب أنه قام بحج البيت الحرام فكان مخلصه حريمي. ولادته سنة 872هـ أو 874هـ. وعين واليًا على صاروخان، ومن بعدها تكه، وقتل سنة 918ه في تكه. وتوجد تفصيلات عنه في تاج التواريخ ج2 ص230. وبخلاف الأثر المذكور أعلى للمشار إليه فله أثر آخر يسمّى «فتاوأي قورقود خانيه». ونظرًا لقول سهي فاسمه «فتاوأي قورقوديه». وذكر بليغ أفندي أن: له حواشي لشرح المواقف للجرجاني. وتعلم الموسيقى من شيخ حمد الله. ونظرًا لقول بليغ أفندي أنه أخذ الموسيقى عن شخص يسمّى زين العابدين من إيران، وتعلم منه الموسيقى أيضًا. وتوجد له ترجمة في تذكرة قنالي زاده. ودفن في تربة السّلطان أورخان في بروسة.

(2) الموافق 1513م.

(3) انظر تاج التواريخ ج2 ص234.

وأصبح حاكمَ الزمانِ وسُلطانَه

ولَمْ يكُنْ هناك أحدٌ مِثلُه في المُلكِ

وكان ذا هيبةٍ في نظرِ العالَمِ

وكلُّ العالَمِ كان يخشى سَطْوتَه

نثر: وبعد ذلك، ذهبَ السّلطان «سليم» إلى «كليبولى»، وشاهدَ قلعةَ «بوغاز حصار» التي كانت معروفةً باسْمِ «كليد البحر». وعزمَ من هناك على الذهابِ إلى «إسلامبول». وقام «هرسك اوغلى أحمد باشا» الذي كان وزيرًا أعظمَ في ذلك الوقتِ باستضافةِ السّلطان «سليم» وسائرِ الوزراءِ والأكابرِ في المزرعةِ التي كانت في قريةِ «لورس» [1]، وأعطاهم هدايا وخلعًا كثيرةً جدًّا. وبعد ذلك، ذهبَ [السّلْطانُ] إلى «إسلامبول»، وبعد أنْ أقام فترةً مِن الزمنِ هناك، خرجَ للصيدِ إلى جانبِ «أدرنة»، وقضى موسمَ الشتاءِ بها.

شِعْر

ولَم تمُرَّ أيامٌ كثيرةٌ وهو على هذا الحالِ

ذهبتْ شهورُ الشتاءِ وجاء الربيعُ

وكانت الرياحُ في هذا الفصلِ الجميلِ

منتظِمةً مِثْلَ حديقةِ وردٍ مرتَّبةٍ لذلك الزمانِ

ثم جلسَ سُلْطانُ الدولةِ على العرشِ

في غرةِ الشهرِ بالحظِّ السعيدِ

(1) يلاحظ أن: الكلمة هي يورورس، وهي قضاء لمركز بكقوز. وقام بتأسيسها هرسك باشا بالقرب من قره مرسل.

النصيبُ الذي لا أعرفُه ليس باقيًا له

والزمنُ [العصر] لا يخدمُه طوالَ الوقتِ

لا تثقْ في الزمنِ فهو غدَّارٌ

فأين السّلطان كيقباد الذي رحلَ عن الدنيا[1]

نثر: وبعد ذلك، جمعَ السّلطان «سليم» أركانَ دولتِه، وقال لهم: «يا رجالي المخلصين، لديَّ كلامٌ كثيرٌ لكم، فانتبهوا لي بنظرِكم وسمعِكم، كلمتي هي: «بالإضافةِ إلى جوهرِ الشجاعةِ التي جُبلنا عليها، لتكُنْ غايتُنا الحربَ، وتضييقَ الحِصارِ على العدوِّ. وكلمتي الأخرى هي: «وآسَفا على هذا القدرِ من المالِ والمنالِ والأسبابِ، وهذا العددِ من العسكرِ إذا خلا من هذه الصفاتِ».

شعر

مَن يملكُ العسكرَ يملكُ القوةَ ومَن يملكُ المُلكَ يملكُ القوةَ

وآسفا على فريدون الذي ذهبَ كنتُ أجِلُّه وأحترمُه

ولديَّ كلمةٌ أخرى هي: «لأنني أخذتُ لقبَ ظلِّ الله وسُلطانِ أهلِ الإسلام، لماذا لا أكونُ مُعينًا وحاميًا لأهلِ الإسلام؟»، وكلمتي لكم أيضًا: «إنَّ الشّاه «إسماعيل» السّفّاكَ للدماءِ الظالمَ قد قتلَ السّلطان «مُراد بنَ السّلطان أحمد» الذي وصلَ إليه من أجلِ الاختفاءِ عنده[2].

والنهايةُ والمُرادُ من القولِ إنَّ: «الشاه «إسماعيل» بنَ الشيخ حيدر حاكم العجم قد اعتنقَ مذهبَ الرافضةِ، واستحلَّ هو وأتباعُه الشياطينُ قتلَ أهلِ

(1) كيقباد الأول هو: علاء الدين كيقباد بن كيكاوس، وهو سُلطان سلاجقة الروم في الفترة ما بين 1220 و1237. (المترجم).

(2) جاء في سجل عثماني أن: المشار إليه تُوفِّي في إيران سنة 927هـ.

السُّنَّةِ، وهدمَ مساجدِهم ومدارسِهم، ونشرَ الكفرِ في كلِّ مكانٍ، واحتقر الدينَ الإسلاميَّ أيّما احتقارٍ.

⏮ شِعْر

لقد عزمتُ الآن على الذهابِ لتبريز
وتصدَّيتُ بصدقٍ لهذا الخنزيرِ الظالمِ
لو وافقني الدليلُ
سأملأُ البحرَ بدمِ أصحابِ الرؤوسِ الحُمرِ
سواءٌ قبضتُ على ابنِ أردبيل(1)
أو بقيتُ داخلَ الربعِ المسكونِ
سأستولي على أرضِ المغربِ بالحربِ
وأمسكَ هذا الملكَ بالسيفِ والضربِ
وأفتحُ بلادَ الشرقِ بجيشِ الروم ايلي
وكانَ الحُكمُ قبلي قد وصلَ الهندَ
فأنا حاكمُ المغربِ والمشرقِ
وأنا قمرُ أفلاكِ السَّلْطَنةِ
وفتحتُ بلادَ الشرقِ والروم ايلي
وسخَّرتُ هذه البلادَ بحدِّ السيفِ
ومحوتُ الظُّلمَ تمامًا من هذه البلادِ
وماتَ عدوُّ الدينِ والسلام

(1) يقصد الشاه إسماعيل الصفوي؛ نسبه إلى جده صفي الدين الاردبيلي نسبة إلى مدينة اردبيل. (المترجم).

نثر: وبعد ذلك، أمر السّلطان «سليم» وزراءه قائلًا: «إذا كان» حسن دراز قد جاء بعسكرٍ كبيرٍ قاصدًا جدّي السّلطان محمدًا، فلماذا لا تبدءون أنتم بذلك». وخرج السّلطان «سليم» يوم 22 مِن شهر محرّم سنةَ 920 هـ[1] مِن «أدرنة»، ووصل «إسلامبول» في الموضع العاشرِ، وأرسل الرّسائلَ إلى نواحي العالَمِ، وأمرهم قائلًا: «ليستعدَّ كلُّ شخصٍ بالعدَّةِ والعتادِ، ويعبرْ إلينا إلى الجانبِ الآخرِ».

وأقام السّلطان اثنين وعشرين يومًا في مكانٍ يسمَّى «فيل جايرى» بالقربِ مِن «إسلامبول»، وجمع الجيشَ مِن هناك، وجاء إليه الخبرُ أنَّ: [الجيش] قد عبرَ مِن البحرِ، فعبرَ السّلطان «سليم» بجندِ «القبو خلقى» و«الإنكشاريةِ» إلى الجانبِ الآخرِ، وأرسل الرّسائلَ إلى الشّاه «إسماعيل» يقولُ فيها: «ها أنا قد جئتُ إليك، فلتستعدَّ، وما قدَّره الله في علمِه سيكونُ، فلا تقلْ: إنّي كنتُ غافلًا عن ذلك، وليس لديَّ قدرةٌ لجمعِ الجيشِ».

[رسائلُ السّلطان سليم الأولِ إلى الشّاه إسماعيلَ الصّفويّ][2]

صورةُ إحدى الرّسائلِ التي أرسلَها السّلطان سليم إلى الشّاه إسماعيل:[3]

الرّسالةُ الأولى: «بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ، قال اللهُ الملِكُ العلّامُ: ﴿إِنَّ

(1) الموافق 18 مارس 1514م.

(2) هذا العنوان من وضع (المترجم).

(3) ذكر فريدون بك في منشآت السلاطين أن: هذه الرسالة الهمايونية من إنشاء نشانجي تاجي زاده- جعفر چلبي-، وتمت المقارنة بين الرسالة التي جاءت في تاج التواريخ ج2 ص246 ومنشآت السلاطين ج1 ص379، فوجدنا أنهما متشابهتان.

الدين عِندَ اللهِ الإسلامُ)[1]، (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنه وَهُوَ في الآخرة مِنَ الخَاسِرِينَ)، (فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)[2]». اللهمّ اجعلنا مِن الهادين المُهتدِين غيرِ المضلِّين ولا الضالِّين، وصلَّى[3] الله على سيدِ العالَمِين محمدٍ المصطفى النبيّ الأمين، وآلِه وصحبِه أجمعين، [أمّا بعدُ]: «لقد أرسَلنا نحنُ مِن مآبنا الخلافةِ، قاتلُ الكفرةِ والمشركين، قامعُ أعداءِ الدينِ، مُرغِمُ أنوفِ الفراعينِ، معفِّرُ تيجانِ الخواقينِ، سُلْطانُ الغُزاةِ والمجاهدين، مَن له مكانةُ الإسكندرِ في العدلِ والإنصافِ، الفتى أصيلُ النَّسبِ السّلطان سليم شاه ابنُ السّلطان «بايزيد» ابنِ السّلطان «محمد» بنِ «مُراد خان»، هذا الخطابَ المُستطابَ إليك أيّها الأميرُ «إسماعيل» حاكمُ العجمِ الأعظمِ، والقائدُ المعظَّمُ ضحّاكُ الزّمانِ؛ لتعلمَ أنّ فِعل فعّالِ الحقّ سُبْحانه وتعالى، ووضعَ الجوادِ المطلقِ لَم يكُنْ هباءً، بل له مِن الحِكم والمصالح ما لا تُحصى ولا تُعدُّ، كما وردَ في الكتابِ المبينِ (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ)[4]. فإنّ حكمةَ خلقِ الإنسانِ أنْ يكونَ خيرةَ أخيارِ الدنيا، وخُلاصةَ الأكوانِ كما قال عزَّ وعلا: «وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الأَرْضِ»[5].

لهذا فإنّ مَن يملكُ مِن أفرادِ هذا النوعِ [بني الإنسانِ] القابليةَ للشفافيةِ، والبعدَ عن الجسمانيةِ، ويسعى لإقامةِ الشريعةِ النبويةِ- على صاحبِها أفضلُ

---

(1) سورة آل عمران رقم الآية 19.

(2) البقرة آية 275.

(3) جاءت في الأصل: صل.

(4) الأنبياء رقم 16 (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ).

(5) الأنعام: آية 165.

الصلواتِ وأكملُ التحياتِ- لا بُدَّ أنْ يفوزَ بسعادةِ الدارينِ والمغفرةِ الأبديةِ، وكلُّ مَن يحيدُ عن الأحكامِ الإلهيةِ، ويبتعدُ عن دائرةِ تنفيذِ الأوامرِ والنواهي، ويهتكُ ستائرَ الدِّينِ، ويهدمُ الشرعَ المتينَ، لِزامًا على كافَّةِ المسلمين عامَّةً، وسلاطينِ العدلِ خاصَّةً أنْ يُلبُّوا نداءَ الحقِّ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ» (6)، وأنْ يبذُلوا كلَّ غالٍ ورخيصٍ في دفعِ مكائدِ المفسدِ، ورفعِ مفاسدِه بحسبِ الاستطاعةِ والإمكانِ، وإنَّ هذا راجع إلى ما قمتَ به، فقدْ فرَّقتَ الجماعةَ البابندرية [البايندرية]، وذلك بقول:

نظم: إذا خلتْ الغابةُ مِن الأسدِ الشجاعِ [ذكر الأسد] ... نزلَ الثعلبُ بصوتِ الشجاعِ.

واعتديتَ على إماراتِ البلادِ الشرقيةِ، وفتحتَ أبوابَ الظلمِ والجورِ بطريقِ المسلمين، وفرجتَ الزندقةَ بالإلحادِ، وأشعلتَ الفتنةَ والفسادَ، وحكمتَ بدواعي النفسِ والأهواءِ، وحللتَ قيودَ الشريعةِ، وأطلقتَ قبائحَ أفعالِك، ومساويَ أحوالِك، مِن نواميسِ الدِّينِ؛ كإباحةِ الفروجِ المحرَّمةِ، وإراقةِ الدِّماءِ المكرَّمةِ، وتخريبِ المساجدِ والمنابرِ، وإحراقِ المراقدِ والمقابرِ، وإهانةِ العلماءِ والسَّاداتِ، وإلقاءِ المصاحفِ الكريمةِ في القاذوراتِ، وسببتَ الشيخينِ الكريمينِ؛ [أبا بكرٍ وعمرَ رضي اللهُ عنهما]؛ لهذا أفتى أئمةُ الدِّينِ والعلماءُ المهتدون- رضوانُ اللهِ عليهم أجمعين- بكفرِك وارتدادِك أنت وأتباعِك بحدِّ التواترِ، واتفقوا في الكلامِ والأقلامِ، وأعلنوا على رؤوسِ الأشهادِ أنَّ جزاءَ هذا كلِّه القتلُ.

وبناءً عليه عقدنا العزمَ على تقويةِ الدِّين، وإعانةِ المظلومين، وإغاثةِ

(6) الصف 14.

الملهوفين، وإطاعةِ الأوامرِ الإلهيةِ، وإقامةِ مراسم ناموسِ الحُكم. وأخرجتُ- بعنايةِ اللهِ وحُسنِ توفيقِه- الألويةَ التي دثارُها الظفرُ، والجندَ التي شعارُها النصرُ، وأُسد ميدانِ القتالِ، وأبطال الحروب، سيوفُها من غمد الغضب، وأزمعوا أمرَهم على أنْ يقضُوا على دابرِ العدوِّ المدبِرِ، ولأنَّ سِهامَهم غدتْ في أقواسِ الحقدِ؛ فقدْ أصبحَ سهمُ موتِ الخصمِ ببرجِ القوسِ.

وقد أمرنا في شهرِ صفر- خُتم بالخيرِ والظفر- بعبورِ البحرِ، ولتعلمْ أنَّ: النيةَ قد انعقدتْ على أنْ نقطعَ يدَ ظُلمِك، ونقتلعَ زرعَ جبروتِك، بتأييد الباري- عزَّ وجلَّ- ونرفعَ مفاسدَ شرِّك وشرورِك مِن فوقِ رؤوسِ العجزةِ والمساكين، ونخلِّصَهم مِن ألمِ النارِ التي وقودُها الخوفُ والهلعُ؛ فمَن زرعَ الإحَنَ حصدَ المِحَنَ، وقبلَ السَّيف هناك تكليف الإسلام وحكم مِن شريعةِ المصطفى عليه السلام، وقد كتبتُ هذه الرِّسالةَ وسطرتُها، لتبيِّنَ أنَّ طبائعَ النفوسِ الآدميةِ متفاوتةٌ، «فالناسُ معادنُ كالذهبِ والفضةِ»، فإنَّ هناك ملكاتٍ متردِّيةً [رديئة] عند البعضِ، وهي غيرُ قابلةٍ للزوالِ، وعادية عند البعضِ الآخرِ، وهي تنشأ مِن اتِّباعِ النفسِ للشهواتِ، والإتيانِ بكلِّ خسيسٍ، وعدمِ ترويضِ النَّفسِ، وهذه يمكنُ إزالتُها مِن النَّفسِ، والخلاصةُ مِن هذا أنَّ: على الأشرارِ أنْ يتأدَّبوا ويتعلَّموا مِن أقوالِ الأخيارِ؛ لهذا إذا انخرطتُ في زُمرةِ: «وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ»(1). وتذكَّرتُ في كلِّ الأحوالِ ربِّي- سُبحانَه وتعالى-، وندمتُ على الأعمالِ السَّيئةِ والأفعالِ الخاطئةِ، وابتعدتُ عن الطريقِ المُعوَجِّ، وتبتُ توبةً نصوحًا، واستغفرتُ اللهَ، وابتعدتُ عن تلك القلاعِ والبقاعِ،

(1) آل عمران آية 135.

التي لَطالَمَا كانت تابعةً لنا منذ القِدم، وتعتبرها من مُلحَقاتِ الممالكِ العثمانيةِ، فسيكونُ لك منّا كلُّ صنوفِ السَعادةِ، ولن ترى مِن قِبَلِنا غيرَ كلِّ طيبٍ وجميلٍ وعاطفةٍ صادقةٍ.

⏮ شِعْر:

كـلُّ مَـن كـان طبعُه سيِّئًا   يظلُّ معه ولا يفارقُه حتى موته

ولكنْ إذا أصررتَ على هذه الأعمالِ القبيحةِ والأفعالِ الذميمةِ؛ فستصبحُ إنْ شاء الله [المُعِزُّ] ساحةُ هذه المملكةِ التي استوليتَ عليها، معسكرًا لجنودِ جيشِنا الذي دأبُه النصرُ والظفرُ.

⏮ بيت:

تعالَ كالرجالِ إلى ميدانِ الرجالِ   ليظهرَ كلُّ ما أخفَتْه ستائرُ القدرِ

«والأمرُ يومئذٍ لله»، والسّلامُ على مَن اتَّبعَ الهُدى. [1]

الرّسالةُ الثانيةُ: «إسماعيل بهادر [الشّجاع] أصلحَ اللهُ شأنَه، عندما يصِلُك هذا الخطابُ لازمْ الامتثالَ؛ ليكُنْ معلومُك أنَّ [2]: «ما قمتَ به مِن هتكٍ لبُرْدةِ [ستائر] الإسلامِ، وهدمِ شريعةِ سيدِ الأنامِ عليه الصّلاةُ والسّلامُ، قد بلغَ حدَّ التواتُرِ، ولأنه مِن واجباتِ المسلمين عامَّةً، والسّلاطينِ أولي الأمرِ،

(1) حُرر في شهر صفر المظفر سنة عشرين وتسعماية بـ ارزنكميد.

(2) نظرًا لكتاب تاج التواريخ أنَّ: هذه الرسالة حررت سنة 920 هـ الموافق يوم 25 جمادى الأول. توجّه الجيش الهمايوني إلى أرزنجان، وعند وصوله إلى «يصي جمن»، جاء سفير من الشّاه «إسماعيل» - شاه قولي اقاتاك -، وأحضر جواب من الشّاه إلى السُّلْطان، وإذا كان هذا جاء في كلام تاج التواريخ، ولكن هذه الرسالة ليست جوابًا على الشاه، وإنما جوابها موجود في منشآت السلاطين المطبوع ج1 ص357 في بحث بعنوان: «صورة الرسالة الهمايونية الرابعة المرسلة إلى الشّاه إسماعيل».

والخواقين أولي القدرةِ خاصَّةً، محوَ نقطةِ طينة الصورِ الموجودةِ في مركزِ دائرةِ الفتنةِ والفسادِ الموجودِ في صفحةِ العالَمِ. وبناءً على إجماعِ الأئمةِ والعلماءِ؛ زادَ اللهُ مِن أمثالِهم إلى يومِ الحِساب، ولإحياءِ مراسمِ الدينِ المحمديِّ، وإقامةِ ناموسِ الشرائعِ الأحمديةِ، فقدْ توجَّهنا بجندٍ لا تُحصى ولا تُعدُّ إلى البلادِ الشرقيةِ للقضاءِ على العدوِّ الذي هو أنتَ. وعندما تسعدُ النواحي والأراضي الواقعةُ تحتَ سيطرتك بآياتِ راياتِ فتحنا التي ظلُّها الظليلُ السعادةُ، فإذا كنتَ رجُلًا فلْتظهرْ على الملأِ. وكنّا قد قلنا إنّه إذا كانت النيّةُ قد علّقتْ بمشيئةِ الحقِّ- سُبْحانه وتعالى- وإرادته؛ فإنك وبلا شكٍّ ستظهرُ. والغرضُ مِن ذلك ألّا تختلقَ المعاذيرَ قائلًا: (إني كنتُ غافلًا)؛ بينما أنتَ تستعدُّ منذ عدّةِ أشهرٍ، وأنَّ الأيامَ لَم تساعِدْني لأجمعَ كلَّ جنودي. لقد مرّتْ أزمانٌ وأزمانٌ ضاقتْ بها الدّنيا مِن مزاحمةِ النّفوسِ الكثيرةِ بعضِها بعضًا، وضاقَ الهواءُ مِن مصادمةِ السيوفِ [السّلاح] والسّنانِ وانتحب قرصُ الأرضِ تحتَ نعالِ المطايا. ورغم هذا كلّه لَم يظهرْ مِنك ما يدلُّ على جرأتك سواءً سرًّا كان أمْ جهرًا، خيرًا كانَ أمْ شرًّا، خاصّةً في ما نحنُ فيه مِن الأمرِ، فبينما امتلأتْ تلالُ «آذربايجان» وجبالُها بالأهلّةِ مِن حوافرِ دوابِّ جيشِنا المنصورِ لَم يظهرْ أيُّ أثرٍ يدلُّ على وجودِك. وأنت على هذه الحالةِ مختفٍ، ووجودُك يستوي مع عدمِك، ومَن يسعونَ دائمًا للهروبِ مِن البلاءِ، ويحاولون النّجاةَ برؤوسِهم مِن حدِّ السيفِ لا يفارقُهم الهمُّ والخوفُ للحظةٍ.

شِعْر:

عروسُ الإنسانِ الملكِ لتدخُلْ في حافَّةٍ

وتحمي نفسَها مِن شدّةِ السيفِ القاطعِ

وإنّه لَمِنَ الخطأ إطلاقَ أسماءِ الرجالِ على مَن يختفُون بُغيةَ السلامةِ، ولا يحِقُّ لمَن يخشى الموتَ حملُ السلاحِ وامتطاءُ الخيلِ.

◀◀ شِعْر:

الـرجُـلُ الـذي يـطـرُقُ بـابَ المـوتِ

فلْيركبْ سرجَ حصانِه ويتحرَّكْ مِن مكانِه

وأغلبُ الظنِّ أنَّ سببَ اختفائك هذا، وانزوائك في زاويةِ الخمولِ؛ هو الخوفُ والرعبُ مِن الجنودِ التي لا تُحصى ولا تُعَدُّ. فإذا كان الأمرُ كذلك ولا يبعدُ ذلك عن ذهنِك، فقدْ تمَّ استبعادُ أربعين ألفِ جنديٍّ مِن جنودِنا حيثُ أُمروا بالإقامةِ فيما بين «قيصرية» و«سيواس». فإذا كان عندك بعضٌ مِن غيرةٍ وحميَّةٍ فتعالَ وقابِلِ الجنودَ التي حليفُها النصرُ. ولْيظهرْ ما كان قد كُتب في الأزلِ «إنْ شاء الله»، والسّلامُ على مَن اتبعَ الهُدى [حُرِّر في أواخرِ أُولى الجمادين سنةَ 920 هـ[1]] بـ«يورت أرزنجان».

الرّسالةُ الثالثةُ: «إسماعيل»[2] بهادر [الشّجاع] أصلحَ اللهُ شأنَه؛ عندما يصِلُك التوقيعُ الرّفيعُ المُطاعُ في الأرضِ والحكمُ الشريفُ واجبُ الانقيادِ والاتّباعِ؛ ليكُنْ معلومًا لديكم أنه قد أُرسل إلى سُدّتِنا التي هي سُدّةُ السعادةِ خطابٌ كانت كلماتُه تدلُّ على جرأةٍ. وأُرسِل فيه أيضًا السببُ الذي أدّى لهذه الجرأةِ؛ وهو أنكم تُسرِعون في المجيءِ صوبَنا، وأنتم تعلمون كما سبقَ أننا سألناكم أنْ تخلّصونا مِن الانتظارِ، أمّا الآن فسيظهرُ ما في أنفُسِنا مِن قوةٍ وما

---

(1) الموافق 24 مارس 1514م. (المترجم).

(2) هذه هي الرسالة الهمايونية التي ذكرها خوجه سعد الدين أفندي في تاج التواريخ ج2 ص252 على أنها الرسالة الثالثة. وفي منشآت السلاطين جاءت على أنها الرسالة الرابعة.

جُبلنا عليه مِن جرأة. فقدْ جئنا مِن مسافةٍ بعيدةٍ، قاطعين المراحلَ والمنازلَ بجندٍ لا تُحصى ولا تُعَدُّ، وراياتٍ فتح آياتُها النّصرُ، قاصدين إيّاك. ودخلْنا البلادَ التابعةَ لحُكمِك، وإنه لَفي عُرفِ السلاطينِ أولي الأمرِ، ومذهبِ الخواقينِ ذوي القدرةِ؛ تكونُ البلدةُ التي يحكمُها أيٌّ مِن السلاطينِ بمثابةِ زوجتِه؛ وأنّ الشخصَ الذي يكونُ لديه بعضٌ مِن حَمِيّةٍ ورجولةٍ لا يستطيعُ أنْ يحتمِّلَ تعرُّضَ أحدٍ غيرِه لها. وإذا كان الأمرُ هكذا فجنودُنا التي حليفُها النّصرُ قد سعِدتْ بالدّخولِ إلى أرضِك، ورغمَ هذا لَمْ يظهرْ حتى الآنِ لكَ أثرٌ!! وفي اختفائك على هذا النّحوِ تستوي حياتُك ومماتُك.

شِعْر: مِن العيبِ على كبارِ القومِ ومَن يحملُ التاجَ ... أنْ يقِفوا خلفَ الجيشِ ويتحدّثوا

وظاهرُ الأمرِ نرى بكلِّ وضوحٍ أنكم في أمسِّ الحاجةِ إلى اكتسابِ الجرأةِ، ولكنْ ما حدثَ أنه لَمْ يظهرْ منكَ حتى الآن أيُّ أثرٍ يدلُّ على وجودِك حتى يستشَفَّ منه رجولتُك وجرأتُك، والظّاهرُ على مسرحِ الأحداثِ الآنَ ما هو إلّا ثمرةٌ مِن ثمارِ المكرِ والخديعةِ. وليس هناكَ مِن شكٍّ في أنّ أثرَ الجرأةِ العارضةِ ما هو إلّا تلبيسٌ وتدليسٌ، وليس غيرَ ذلك في شيءٍ. خاصّةً أنك تعلَمُ دواءَ الألمِ الذي ابتُليتَ به. وإنِ اتبعتَ هذا القولَ ستدبُّ القوةُ في قلبِك كما يجبُ عليك أنْ تستخدمَ كلَّ خبرتِك حتى تكونَ باعثًا على جرأتِك لمقابلتنا، وأنت تعلمُ أيضًا أنَّ عطفَنا عليك كان فوقَ الحدِّ، وحتى تزيلَ ما في قلبِك مِن جُبنٍ وضعفٍ سحبْنا أربعين ألفَ جنديٍّ مِن جيشِنا، وأمرْنا ببقائهم بين «قيصرية» و«سيواس»، ويكفي هذا القدرُ مِن إنصافِ الخَصْمِ، ولن يكونَ هناك مزيدٌ. فإنِ انزويتَ كما كنتَ بعد ذلك في زاويةِ الرعبِ والهلعِ فحرامٌ

أن تُعَدَّ رجُلًا. وعليك أنْ تختارَ الحجابَ بدلًا مِن السّيفِ، وعباءَةَ النساءِ بدلًا مِن الدرعِ، ودَعْكَ مِن السّلطةِ. والسلامُ على مَن اتَّبعَ الهدى. [تحريرًا في أواخرِ شهرِ جُمادى الآخرةِ سنةَ عشرين وتسعمائة][1].

[موقعةُ چالدران][2]

عندما وصلتْ هذه الأخبارُ إلى الشّاه «إسماعيل» في ذلك الوقتِ ازدادَ خوفُه ورعبُه ولكِنْ لَم يُبدِ ذلك، فأخفاه في صدرِه. وقال للعسكرِ الذين شِيمتُهم الضّلالُ: «لقد جاءتْ قافلةٌ مِن الرومِ، وأحضرتُ لكم كثيرًا مِن المالِ والشبابِ، والخوفُ والتكاسلُ مِن أنَّ الأئمّةَ يُعطوا لنا هؤلاء، والآنَ جاء اثنا عشر إمامًا مع الجيشِ، ونصبوا الأعلامَ هناك، وهُم الآن معنا». ونادى بجمع جميعِ العسكرِ الخاضعين تحتَ حُكمِه إلى جانبِه، فجاء الجميعُ إليه، وعندما جاء جميعُ الجيشِ إلى الشّاه «إسماعيل» خرجَ بهم مِن «تبريز»، وسار مِن مكانٍ لمكانٍ حتى وصلَ مباشرةً إلى وادي «چالدران»[3]، الذي يُطلَقُ عليه الآن «صوفي قران». فأقام هناك منتظرًا مجيءَ السّلطان سليم.

ومِن الجانبِ الآخرِ تحرّكَ السّلطان «سليم»، وسارَ مِن مكانٍ لمكانٍ، وفي النهايةِ بعدَ وقتٍ قليلٍ نزل في مكانٍ فوقَ وادي «چالدران»، وكان الشّاه

---

(1) تحريرًا في أواخر شهر جمادى الآخرة سنة عشرين وتسعمائة. نظرًا لما جاء في تاج التواريخ فإن: هذه الرسالة الهمايونية تمّ إرسالها توديعًا إلى اثنين من الإيرانيين التي أرسلها بالى وبوروده عند وصول الجيش الهمايوني إلى منزل جورموك. الموافق 19 أغسطس 1514م.

(2) هذا العنوان من وضع (المترجم).

(3) جاء في الكتاب هذا اللفظ هكذا (جلدوران) چالدران: هي وادي طويل في شرق ولاية وان مع سنجاق بايزيد في الجهة الشمالية الغربية من اذربيجان.

الضّالُّ قد نزلَ وأقامَ في هذا المكانِ، واستعدَّ الجيشان للحربِ، واصطفَّتِ الصفوفُ مِن الجانبين، وانتظروا طُلوعَ الصّبحِ الصادقِ.

وعندما حلَّ الصّباحُ نهضَ السّلطان «سليم»، وتوضّأ وضوءه الطاهر، وتوجَّهَ بقلبِه ورُوحِه إلى اللهِ تعالى، وصلَّى صلاةَ الصّبحِ، ودعا اللهَ تعالى بالفتحِ والنصرِ، وتوكَّلَ على اللهِ أولًا، وركبَ الحصانَ، ولا يمكنُ شرحُ ذلك باللسانِ.

وعندما رأى فرسانُ الرّوم ايلي السّلطان «سليم» يمتطي حصانَه قام جميعُهم ولبسوا لأمَةَ الحربِ، وانتظروا الأمرَ مِن السّلْطانِ. ورأى السّلطان «سليم» قوةَ وشجاعةَ عساكرِ وفرسانِ الرّوم ايلي، فاستبشرَ خيرًا وفرحَ كثيرًا. وأحضرَ هؤلاء الفرسانَ الشّجعانَ لجانبِه، وقال لهم: «سوف ننزلُ بعساكرِ الرّوم ايلي هذا اليومَ مِن هذا المكانِ المرتفعِ إلى الصّحراءِ التي بها شاه الشرقِ، مَن يمكنُه ربطُ شاه العجم وأسْرُه». وهو يقولُ ذلك رتَّبَ الجيشَ صفوفًا وجماعاتٍ، وتوجَّه بهم إلى الصحراءِ الموجودُ بها الشّاه «إسماعيل» شاه العجم.

⏮ شِعْر

ملكَ الرومُ [المسلمون] الأرضَ جميعَها

وداستْ أقدامُ خيولِهم الأماكنَ الخربةَ التي تؤوي البومَ

وسيطروا على الجبالِ والصحاري والفيافي

وكان ذلك مثلَ نفخِ إسرافيلَ في الصور

وامتلأتْ السماءُ بالأعلام الحمراءِ والبيضاء

واسودَّتْ السماءُ بعد أنْ كانت زرقاءَ

نثر: وعلى الجانبِ الآخَرِ كان الشّاه «إسماعيل» شاه العجم يشربُ الخمرَ حتى الصباحِ واغترَّ بنفسِه، ولَمْ يخَفْ مِن اللهِ قطُّ. ولَمْ يتوضَّأ أو يصلِّ، ورفعَ عَلَمَه، ونظّمَ الجناحَ الأيمنَ والأيسرَ، وعيّنَ على الجناحِ الأيسرِ «أوستجعلو أوغلى محمد خان»[1] ومعه بعضُ الأنجاسِ والملحِدينَ أمثالُه، وفي الجناحِ الأيمنِ عيّنَ «علي خليفة» مع بضعةِ آلافٍ مِن الفدائيّين والمريدين، وفي القلبِ وقف الشّاه «إسماعيل» ابنُ حيدر[2].

شِعْر

نزل الفارسُ السريعُ بتاجه الأحمرِ إلى وادي
چالدران مِثلَ حديقةِ زهرةِ اللالا
وصُبغ الوادي تمامًا باللونِ الأحمرِ
بعضه أحمرُ وبعضُه أخضرُ وبعضُه بَنَفْسَجيٌّ
ونزَلَ الجنودُ الميدانَ مِن أجْلِ الرضا وكانوا
يشبهون حقلَ الخيزرانِ مِن الرماحِ

نثر: صفَّ شاه العجم «إسماعيل» بن حيدر الجيشَ بهذه الصورةِ، وانتظرَ متأهِّبًا ومستعدًّا لقدومِ السّلطان «سليم» سُلْطانِ الرّوم. وبناءً على أمرِ السّلطان- ملجأِ العالَمِ- كان قد نزلَ بعضُ الجندِ مِن جيشِ السّلطان «سليم» مِن المكانِ المرتفعِ، وبدأ فرسانُ الرّوم ايلى وعساكرُهم النزولَ جماعاتٍ

(1) في تاج التواريخ اسمه استاجلو محمد خان، ومنشات السلاطين ذكرت اوستاجه اوغلى محمد، وصحائف الأخبار محمد خان استاجلو.

(2) نظرًا لما جاء في تاج التواريخ وصحائف الأخبار أن: في ميمنة الجيش كان اوستاجلو محمد خان وفي القلب كان يوجد سيد نعمة الله اوغلى ميرعبد الباقي المعروف باسم نجم ثاني مع سيد شريفي من أحفاد السيد الشريف الجرجاني. وبقي الشّاه بنفسه في الميسرة.

وأفواجًا إلى الصحراءِ.

قال الشّاه «إسماعيل» الخبيثُ لرجالِه الأنجاسِ: «هل هناك أحدٌ يعرفُ قاعدةَ العثمانيّين، ويخبرنا بأوضاعِ الرّوم، ويعرف راياتِ الجيشِ وأسماءَ المجموعاتِ ووصفَها، ويستطيعُ الإجابةَ على الأشياءِ التي نسألُه عنها؟».

وفي اليوم الثاني، أخذوا «مالقوچ حاجيسى قره ولد» مِن الروم، وأحضروه إلى الشاه؛ فسأله الشّاه قائلًا: «لقد أحضروك إليَّ لتتحدّثَ عن كلِّ ما تعرفُه في حياتك، ولِتجيبَ عمّا أسألُك عنه، أولًا عن قاعدةِ ونظامِ حُكمِ العثمانيّين». ومهما كان فقد أحضروه إلى الشّاه الضّالِّ. وسأل «الشّاه» «مالقوچ اوغلى حاجى» قائلًا: «هل تعرف قانونَ وعادةِ العثمانيّين؟». فردَّ على الشّاه قائلًا: «أعرفُ أسماءَ جيشِ الرّوم وأوصافَهم فردًا فردًا». فقال الشّاه إلى «حاجى»: «قلْ لنسمعَ، وبناءً عليه نتحرّكُ ونعملُ».

شِعْر

أخبِرْني بأحوالِ جيشِ الرومِ وأوصافِهم
إنْ كُنتَ تعرفُها جيّدًا

فأنا لا أعرفُ جيشَ آلِ عثمانَ
ولا أعرفُ شكلَهم وطريقتَهم

فقد جاءوا بجيشٍ فريدٍ
فبيِّنْ لي مَن هؤلاء جميعًا

نثر: والآنَ نزلَ هؤلاء مِن المكانِ المرتفعِ الوعرِ إلى الصحراءِ، وأنا أعرفُهم جميعًا. وعندما سمعَ الشّاه هذا الكلامَ ظنَّ أنّهم جيشٌ كثيفٌ أسقطَ في يدِه. وكان مِن بينِ الجيشِ راياتٌ حمراء، ولا توجدُ نهاية لهذه الرّاياتِ الحمراءِ،

فسأل الشّاه قائلًا: «لمَن هذا الجيشُ ومَن هو قائدُهم؟».

فأجاب الرّوميُّ قائلًا: «هذا الجيشُ جيشُ «نيكه بولى» في ولايةِ الروم، وقائدُهم «ميخال أوغلى محمد بك»».

شِعْر

قـــائـــدُهـــم هـــو ابـــنُ مـــيـــخـــال
والجـنـدُ يـفْـدون آلَ عثمانَ بأرواحِهم
وهـــؤلاء هُـــم أهـــالي «لارتـــا»
وكان لهم صداقةٌ ثابتةٌ منذُ عهدِ عثمانَ
وهـذا هو «ميخال اوغـلى محمد بك»
لا مـثـلَ لـه في الـشـجـاعـةِ والإقـدامِ

وفي الوقتِ نفسِه كان هناك جنودٌ ذوو أعلامٍ خضراءَ، وجميعُهم يرتدي ملابسَ بيضاءَ، ولكنْ لا نهايةَ لكثرتِهم وعددِهم. فسأله الشّاه قائلًا: «مِن أيِّ مكانٍ ودولةٍ جاء هذا الجيشُ العَرَمْرَمُ؟ ولِمَن هذه الرايةُ الخضراءُ؟ ولماذا هذه الراياتِ كلُّها خضراءُ اللونِ؟».

فأجاب الروميُّ قائلًا: «هذه الرايةُ لـ «إسفنديار اوغلى ميرزا بك». وجاءوا مِن «قسطمونى» و «بولى» [1]، وهُم أتباعُ آلِ عثمانَ وجنودهم جدًّا عن جدٍّ. وهاتان الفِرقتان طليعةُ جيشِ العثمانيّين. وبعد الآنَ ستظهرُ قوةُ الجيشِ، وعملُهم الناجحُ، ويقضُون على فتنةِ آخرِ الزمانِ».

(1) بولى: مدينة في الأناضول، مركز لواء بولى، في ولاية قسطمونى على نهر بولى صو. س. موستراس: المعجم صـ 180.

عندما قال الرّوميُّ هذا الكلامَ سرح الشّاه في ظلمةِ الدّارِ والدّيارِ. وفي النّهايةِ رأى جيشًا كثيفًا وعظيمًا وسطَ الغبارِ قادمًا، ولا نهايةَ لكثرتهم وعددِهم؛ وظنَّ مِن ملابسِهم الحمراءَ أنَّ البحرَ قد غلى مِن الدّماءِ. وتوجدُ أعلامٌ كثيرةٌ ومختلفةٌ بينهم. فسأل الشّاه الروميَّ قائلًا: «مَن هؤلاء الجنودُ الغفيرةُ؟».

شعر

قال الروميُّ أيُّها الشّاه صاحبَ السّلْطةِ

لتظفرْ بما ترجوه مِن اللهِ

وأنت الآن ترى مَن أرسلَ هذا الجيشَ الكثيفَ

مِن الدم الذي تراه في اليمِّ

نثر: «إنَّ جميعَ الجيشِ الذي تراه قادمًا إليك هو مِن فصيلةِ جيشِ المُشاةِ. وقد أطلقَ عليه الرومُ اسمَ «العزب». وكانوا هُم أتباعَ العثمانيّين جدًّا عن جدٍّ. وبعد ذلك، ظهرَ جيشٌ آخرُ لا حصرَ له. وعندما رأى الشّاه سيّئُ الطباعُ شُعلةَ الدروعِ والسّيوفِ تنهّدَ وأصابته الدّهشةُ والحيرةُ. وداخلَ هذا الجيشِ يوجدُ أيضًا راياتٌ كثيرةٌ على رأسِها الذّهب. ويوجدُ تحتَ كلِّ رايةٍ أميرٌ شُجاعٌ. فسأل الشّاه الروميَّ قائلًا: «هل يوجدُ السّلطان «سليم» داخلَ هذا الجيشِ بين الجنودِ الكثيرةِ، وهذا القدرِ من الزّينةِ؟».

شعر

قال الروميُّ أيُّها الشّاه فريدُ العصرِ

هذا هو الجيشُ الذي يشبهُك

وهؤلاء الجنودُ هُم جنودُ السّلْطانِ

ومُعظَمُهم عبيدُ البلاطِ

وكـــلُّ هــذا الجيــشِ العظيم جميعُه

تــابــعٌ لــلـــروم في دولـــةِ الأنــاضــول

ويطلقون على أميرِ الأمراءِ لهذا الجيشِ القويِّ

«سنان باشا» ذلـك الأمـيرُ الشّجاعُ

نثر: وبعدَ ذلك، عرفَ مِن كثرةِ الغبارِ أنَّ: هذا الجيشَ لا مثيلَ له في الهيبةِ والقوةِ والعددِ مِن الغبارِ، وعلِم أنه جيشٌ عظيمٌ لا يمكنُ وصفُه. وعندما رأى الشّاه «إسماعيل» هذا الجيشَ العظيمَ سأل الرّوميَّ قائلًا: «ممّا لا شكَّ فيه أنَّ هذا الجيشَ هو جيشُ السّلطان «سليم»، ولِمَن تكونُ هذه الشّوكةُ والزّينةُ والقوةُ غيره». فقال الرجُل الرّوميُّ: «هذا الجيشُ الذي رأيتَه هو جيشُ ولايةِ «قرمان»، وأميرُ أمرائه عبدٌ للسّلطان «سليم».

شِعْر

هـــو خـــــادمٌ لابـــنِ عـثـمانَ

هـــو أمـــيرٌ وخــــادمٌ لابـــنِ الخـــان

وهــذا السّنجقُ العظيمُ الـواضحُ له

وكــلُّ هـذه الجنـودِ الغفيرةِ تابعةٌ له

عندما سـمعَ الـشّـاه هــذا التقريرَ

نـسِيَ الأمــرَ مِــن تِــلْــقــاءِ نفسه

نثر: وبعدَ ذلك، كان يعرفُ أنَّ هذا الغبارَ ليس له علاقةٌ بالغبارِ الآخَرِ والجيشِ الآخَرِ، وكان يعلمُ أنَّ هذا الجيشَ العظيمَ المهيبَ سينفصلُ فجأةً، ولا يوصفُ بالألسنةِ ولا يقاسُ بأيِّ شيءٍ في الكثرةِ والمهابةِ. وملأ الجيشُ الجبالَ والقفارَ والأنهارَ والوِديانَ ونزلَ إلى الصحراءِ. وبعد ذلك، سألَ الشّاه

الرّوميّ قائلًا: «إذا كان السّلطان «سليم» موجودًا بين هذا الجيش فإنه يعَدُّ شجاعًا لا يخشى الموتَ». فقال الرّوميُّ: «مولايَ الشّاه؛ إنّ الجيشَ الذي تراه هو جيشُ ولايةِ الروم؛ يعني جيشَ أميرِ أمراءِ «سيواس» و«أماسية» التي كانت مُلْكًا للسّلطَان أحدَ سابقًا. والآن هي تحتَ حُكمِ أميرِ أمراءِ «سيواس» و«أماسية» أيضًا.

عندما سمعَ الشّاه الضّالُّ هذا الكلامَ مِن الرّوميّ، وبينما كان الرّوميُّ يقولُ هذا الكلامَ للشّاه الضّالِّ ظهرَ فجأةً غبارٌ ملأ الدنيا بأجمعِها. وأصبحَ النهارُ المنيرُ مِثلَ الليلِ المظلمِ. وأظلمَ الجوُّ وضاقَ الأفقُ.

◄◄ شِعْر

امتلأتْ الدنيا الدنيّةُ بالظلماتِ
وانكسرتْ زينةُ حجرِ الـ «لاجوردي»
واسودّتْ القبّةُ المُضيئةُ مِثلَ الليلِ
والشمسُ والقمرُ اسودّلونُهما من التّرابِ والدُخانِ
وهجمَ ذلك الجيشُ الكثيفُ الذي قال
عنه الشّاه جاء الجيشُ بخَيله ورَكْبِه
ونزلَ كلُّ الجيشِ بهيبتِه مِن الجبلِ
ودكَّ الجبلُ الخاصَّ والعامَّ
ظنوا أنَّ الشمسَ قد طلعتْ مِن ضوءِ الدروعِ
وواصلوا السيرَ على الأرضِ بذلك الضوءِ
قال الشّاه جاء الرومُ الأقوياءُ بعظمتِهم
وبدءوا في الهجومِ علينا

قـــال الـــرومـــيُّ يـــا فـــريـــدَ الـعـصـر
نـــجّـــاك اللهُ مِـــن مـــصـــائـــبِ الـــدهـــر

نثر: وبعدَ ذلك، وصلَ الجيشُ الكثيفُ بنورِ الأسنَّةِ والسيوفِ، وخرجوا بأعلامِهم الكثيرةِ مِن البحرِ، وقد جاءوا مِن ولايةِ «الرّوم ايلى». وكانوا يقاتلون الكفارَ هناك ليلًا ونهارًا، وأميرُ أمراءِ هؤلاء «حسن باشا». وقد رأى الشّاه جميعَ هؤلاءِ الجُندِ الكثيرةِ بعينِه. وعندما عرضَ الرجُلُ الرّوميُّ القصّةَ كاملةً على الشّاه الضّالِّ أخذ الشّاه مِن هذه القصّةِ عبرًا كثيرةً، ووضع إصبعَه في فمِه مِن الدّهشةِ.

ثمّ تأوّه بعد ذلك وتنهّد، وقال: «خان محمد» يبعدُ اللهُ عنك الملَلَ، لأنك كنتَ سببًا في إصابتي بالألمِ والتّعبِ، وفي إفسادِ نظامي وحياتي بهذا القدرِ، وكنت سببًا في ضياعِ دنيانا وإصابتِنا بالمللِ، وكنت سببًا في أنْ جعلتَني حيرانَ، ورفيقًا للسّلطان لهذا النسلِ. وهكذا لم يوجدْ أيُّ جريحٍ أمامَهم في أماكنِ الرّبعِ المسكونِ، وشعرَ الشّاه الضالُّ الملحدُ بالغمِّ والتأسّفِ، وبينما كان الشّاه الضّالُّ يتجرّعُ مِن كأسِ الألمِ والحُزنِ والتأسّفِ ظهرَ فجأةً غبارٌ كثيفٌ لا نهايةَ له. وخرجَ مِن هذا الغبارِ رعدٌ وبرقٌ وصلَ صداه وتأثيرُه إلى السّماءِ، والبعضُ صُمَّ مِن تأثيرِ صدى صوتِ هجوم الحرباتِ وصوتِ طبولِ الحربِ والسّيوفِ، وهيجانِ كثرةِ الرجالِ، فانعكسَ صداه على الدنيا بأسرِها.

شعر

جُنْدٌ مِثلَ يأجُوجَ ومأجُوجَ في الكثرة
وتدفّق داخل النار مِثلَ حيوانِ «سمندر»

وســـــارت الجـنـــودُ مِـثـلَ الجـــرادِ
وفي تلك اللحظةِ وقـعـتْ الحـربُ
ونزل الجيشُ من الجبلِ والصحراءِ فوجًا فوجًا
واهـتــزَّ الجـبــلُ عـنـد قـدومِـه
وعندما رأى الشّاه هذا العددَ مِن الجُنْد
ذهـــبَ عـقـلُـه وتجـمَّـــدَ دمُـه
وقـــال يـا «سـلـيـم» الـشـجـاع
ألّا تحـترزْ مِـن دخـولِ الـنـارِ هكذا
وأعجب عندما رأى دخولَه في بحرِ النارِ
وعند ذكـره يـذكـرُ تأسيسَ التكيةِ
قـال الـرومـيُّ يـا سُـلْـطـانَ الـعـصرِ
أعـنـي الـشّـاه الـشـجـاعَ ابـنَ حيدر
لا يـوجـدُ «سـلـيـم» في هــذا الجيشِ
لا تحـتْـرِ ولا تـنـدهِـشْ ولا تخـجَـلْ

نثر: وهذا الجيشُ الكثيفُ الذي رأيته يطلقون عليه عسكرَ «الإنكشارية». وجميعُهم جندُ المُشاةِ، ولا يخافون أو يتعبون مِن السّيرِ على الأقدام، وعملُهم في الليلِ والنهارِ هو إطلاقُ المدافعِ والرّصاصِ والزنبرك، ولعبتُهم المفضّلةُ هي استخدامُ السّيفِ ورميُ السهامِ والمطرقةِ؛ يعني أنهم يعرفون كلّ شيءٍ عن الحربِ ولهم في كلّ فنٍّ. وهؤلاء في الحربِ غيرُ مأموني الجانبِ، فإذا التقَوا بالعدوّ والخَصْمِ فإنهم يكونون مِثل يأجوجَ ومأجوجَ في الهجومِ عليه، وهذه الرايةُ الحمراءُ هي سنجق «صارو» وهي تابعةٌ لهم. ويوجد بين هذا

الجيشِ الأغواتُ والمشاةُ وأمراؤهم، وأغواتُ المجموعاتِ، وبهم أيضًا الفرسانُ الذين لا حصرَ لهم. وهؤلاء هُم الإنكشاريةُ الذين يتمُّ بهم الفتحُ.

شعر

عندما سمعَ شاه الشرقِ هذا الكلامَ
انزوى لِرُكْنٍ وانتابَه الخوفُ والفزعُ
وأصبحَ قلِقًا وفزِعًا لمدَّةِ أيامٍ
وطارَ عقلُه وفكرُه مِن رأسِه
وانتابَ الشّاه القلقُ والاضطرابُ بداخله
وشعرَ فجأةً أنّ مُلْكَ العالَمِ اسودَّ في وجهِه
بعد أنْ كان يحكُمُ الشرقَ والغربَ
شعرَ أنَّ مُلكَه سيضيعُ ونظرَ للسماءِ
ولَم يلاحظْ الوقتَ بين النهارِ والليلِ
وأظلمَ الجوُّ في وجهه ولَم يعُدْ ملِكَ الشرقِ

نثر: وفي المكانِ الذي أظلمَ بهذه الدرجةِ، تضرَّعتْ الملائكةُ الموجودةُ في السماءِ إلى اللهِ تعالى، ودعتْ قائلةً: «يا ربَّنا أذهِبْ هذه الظّلماتِ مِن الدنيا، وحقِّقْ لنا السعادةَ فقدْ قصَّرنا في طاعتِك وعبادتِك». فاستجاب الحقُّ- عزَّ وجلَّ- دعاءَ الملائكةِ، وهبَّتْ الريحُ وخرجَ الغبارُ، وظهرَ مِن داخلِ [الغبارِ] الجيشُ، والذي كان واحدًا ممَّن خرجَ مِن الجهاتِ الستَّةِ. وهو خارجٌ عن الفهمِ والقياسِ في الكثرةِ والعددِ. وابتعد الجيشُ عن طريقِ الوحوشِ والطيورِ والسِباعِ، وأدهشَ هذا الجيشُ كلَّ شيءٍ. وكانت الأعلامُ والراياتُ الحمراءُ في الطرفِ الأيمنِ مِن هذا الجيشِ العَرَمْرَمِ، والجانبُ الأيسرُ كان مِن

نصيبِ الرّاياتِ الصفراءِ. ويوجد وسطُ هذه الراياتِ اثنان مِن السناجقِ، والأعلامُ أحدُهما أحمرُ والآخرُ أبيضُ.

وعندما رأى الشّاه الضالُّ هذه الراياتِ والأعلام، وهذه العظمةِ والمهابةِ للجُندِ، وأنهم يتدفّقون مِثلَ البحرِ، سأل الروميَّ قائلًا: «لمَن هذه الراياتُ والأعلامُ؟».

قال الروميُّ: أيُّها الشّاه سعيدُ الفألِ ... هذا هو السّلطان جميلُ الخصالِ

والعَلَمُ الأبيضُ والأحمرُ تابعان له ... وهذه الأعلامُ هي للأميرِ سُليمانَ

وأسفلُ هذا العَلَمِ يوجدُ السّلطان سليمٌ ... الذي جلب السرورَ للعالَمِ وتميّزَ على غيرِه

وتوجدُ لهم أيضًا أعلامٌ حمراءُ ... وجميعُها لِفرقةِ السباهيةِ كثيرةِ العددِ

ويوجدُ أيضًا أصحابُ الراياتِ الصُّفْرِ ... وهُم زُمْرةُ الخيّالةِ الشُّجعانِ وأميرُهم شهسوار

ونزل حاكمُ العصرِ بهذه الزينةِ ... [بالجيشِ] إلى الصحراءِ والقفارِ

نثر: وبعدَ ذلك، نزلَ السّلطان «سليم» سُلْطانُ الرّوم بهذا الترتيبِ إلى الصحراءِ. وواجه الشّاه «إسماعيل»، ونصبَ الرّاياتِ يمينًا ويسارًا، ونظمَ الصّفوفَ للجيشِ طِبقًا للعادةِ العثمانيةِ القديمةِ، وقاعدةِ الحربِ السّلْطانيةِ السابقةِ؛ فعيّنَ على الجناحِ الأيمنِ «سنان باشا» أميرَ أمراءِ الأناضولِ، ومعه

جيشُ الأناضولِ ومُلْحقاتُه وجيشُ قرمان. وعيَّنَ على الجناحِ الأيسرِ أميرَ أمراءِ الرومِ ايلي «حسن باشا»، ومعه فرسانُ الرومِ ايلي، وعساكرُ الإنكشاريةِ في هذا الصفِّ، وأوقفَ جماعةَ جندِ العزبِ أمامَ الإنكشاريةِ من الجانبين، ففي الجانبِ الأيمنِ عيَّنَ جندَ عزبِ الأناضولِ، وفي الجانبِ الأيسرِ عيَّنَ عزبَ الرومِ ايلي، وأقام أمامَ هؤلاء الجنودِ جميعًا خمسمائة عربةِ مدفعِ «ضربزن» كسدٍّ حائطٍ للجنودِ. وبقيتْ أفواهُ المدافعِ موجَّهةً للعدوِّ (1). ورأى الشّاه الضالُّ كثرةَ هؤلاء الجنودِ والأعلامِ والراياتِ التي ترفرفُ.

شعر

عندما رأى الشّاه موجَ البحرِ
وفوجَ العساكرِ في الجبالِ والصحاري
شعرَ بالخيبةِ واليأسِ تمامًا
وقال في نفسه لا فائدةَ، ويئسَ من النصرِ
وهل تفعلُ قطرةُ الماءِ شيئًا للبحرِ
وهل ينفعُ الترابُ وحدَه أمامَ العساكرِ الغبراء
وأنا الآنَ سأكونُ في الجبلِ
سأذهبُ الآنَ وأخبرُ الشّاه الخبرَ
وفي ذلك اليومِ رأى الشّاه السُّلْطانَ
وكأنه في العظمةِ مثلَ أسطورةِ «إسفنديار»
وعرف الشّاه أنه من أحفادِ «عثمان»
وافترى علينا باسمِ السَّلْطَنةِ

(1) انظر: تاج التواريخ ج2 ص265، وصحائف الأخبار ج3 ص453.

وَمَن يحـاربُ هذا السّلطان عالي الشأنِ
وَمَــن يمكِنُه أنْ يضيِّقَ عليه الدنيا
وعـنـد نــزولِ السّلطان إلى المـيـدانِ
مَن يحمي نفسَه مِن ضربةِ سيفِه البتّارِ
وخـنـجـرُه يـشـتـاقُ إلى الـدمـاءِ
فلْنتركْ الخِـداعَ ، ولْنقاتلْ في الحـربِ
وعندما جاء السّلطان بقدمِ التعذيبِ
تـنـاثـرتْ الأرواحُ عـنـد قـدومِـه
لـكـنَّ الـعـاقـلَ لا يـذهـبُ إلى البحرِ
ولو نظرتَ للعقلِ فلا أحدَ يُولَدُ بعقلِه

نثر: وبعدَ ذلك، انتبهَ الشّاه «إسماعيل»، وجمعَ «أوستجللو أوغلى محمد خان» و «كور أميري» و«نورعلى و«جبان سلطان» وبعضُ الأنجاس الذين يشبهونه وقال لهم: «هل رأيتم؟، لقد جاء السّلطان «سليم» سُلْطانُ الروم، بعظمتِه وبجيشِه الكثيرِ؛ لكي يواجهَنا ويحاربَنا، والشخصُ العاقلُ لو قاتلَه لا ينتصرُ عليه بالكثرة، وكلُ مَن يحبُّني يجبُ أنْ يتبعَني، ولْيشربْ الخمرَ، ويسكرْ حتى ننتصرَ عليه».

وأمر الشّاه الضالُّ الملحِدُ؛ فأحضروا الشّرابَ والخمرَ، وفي لحظةٍ جاء الشرابُ ووضعَ في الكئوسِ، وشربَ الشّاه أولًا ثم بعد ذلك أعطى الخمرَ لباقي المُنافقين والأنجاسِ. وشربَ جميعُ العسكرِ وسكِروا حتى الثّمالة. وطيَّرتْ الخمرُ رؤوسَهم جميعًا، وكان الشّاه الضالُّ سعيدًا بما فعلتْه الخمرُ فيهم.

شعر

شرِبَ القزلباشُ[1] وسكروا
واستعدُّوا للحربِ بإقدامٍ
ودخل الجنودُ الميدانَ وهُم سُكارى
وفي يدِهم السيوفُ وفي رأسِهم الخمرُ
وأخرجوا السيفَ الهنديَّ مِن غِمْدِه
واصطفُّوا واستعدُّوا للحربِ
ورأى شاه الشرقِ في الميدانِ
الخيولَ والجنودَ الكثيرةَ داخلَ الحربِ

نثر: وبينما كان الشّاه سيِّئ الطِّباعِ وعساكرُه الشّياطينُ سُكارى حيارى في الميدانِ قسمَ جيشَه إلى مجموعتين؛ عيَّن على المجموعةِ الأولى أميرَ أمراء دِيار بَكْر «أوستجعللو أوغلى محمد خان» قائدًا، وأرسلَه إلى الجناحِ الأيمنِ على جيشِ الأناضولِ، وسار [الشاه] مع باقي الجندِ إلى الجناحِ الأيسرِ على جيشِ الرّومِ ايلي. وبدأ القتالُ مِن الجانبين[2].

شعر

أحدُهم القلزم والآخَرُ بحرُ الروم
ولا حسابَ لَهم بل ولا علومَ

---

(1) أصحاب الرؤوس الحمر.

(2) بالنظر إلى ما جاء في روزنامه حيدر چلبى أن: المعركة حدثت يوم الأربعاء غرة رجب سنة 920هـ الموافق 21 أغسطس 1514م.

ورتّب صفوفَ الأمامِ والقلبِ والجناحِ والخلفِ
وطـريـقُ الـشّـاه صـعـبـةٌ ويـابـسـةٌ
واصطفَّ الجندُ في الميدانِ يمينًا ويسارًا
وتطايرتْ الأرواحُ والأنفسُ في الميدانِ
ونُـظِّـمـت رسـم وعـادة الحـربِ
وتأهّبتْ الأسـودُ للقتالِ في الميدانِ

نثر: وبعدَ ذلك، قسمَ الشّاه «إسماعيل» جيشَه إلى مجموعتين، وأرسلَ المجموعةَ الأولى على جناحِ الأناضول، وذهبَ بنفسِه ضدَّ عساكرِ «الروم ايلي». وعند وصولِه إلى مكانِ مدافعِ الضربزن أُطلقتْ مدافعُ الضربزن، فامتلأتْ الدّنيا بالدخانِ والظّلمةِ، ثمّ انقطعَ صوتُ ضربِ المدافعِ، وطارت عقولُ بعضِ الجنودِ مِن رؤوسِهم. وشعر القزلباش والجنودُ السُّكارى القادمون بالنّدم، وأصبحوا في حالةٍ سيّئةٍ. وفزعَ أتباعُ الشّاه «إسماعيل» مِن صدى أصواتِ المدافعِ وهذه الهيبةِ والعظمةِ، فطارتْ عقولُهم.

وبعد فترةٍ ذهبَ تأثيرُ الغبارِ والدّخانِ، فعادوا إلى وعيِهم وعقولِهم، ورتبتْ الصفوفُ والجماعاتُ التي اصطفّتْ، ثمّ ساروا إلى الرّوم. وبسرعةٍ التقى الجيشان وهجموا مثلَ الوحوشِ والحملان، ونزلوا مثلَ الجبالِ عليهم وتصارعوا مثلَ الأسودِ، وتدفّقوا عليهم مثلَ الأنهارِ، وقدّموا لبعضِهم البعضِ كأسَ الأجَلِ. واختفى الرجالُ والخيولُ وسطَ الغبارِ، واقتتلوا على هذا النّحوِ لفترةٍ طويلةٍ مِن الزمانِ، وفي النهايةِ حاربَ الجيشان مِن مطلَعِ الفجرِ حتى آخِرِ وقتِ الظهيرةِ، وقُتل خلقٌ كثيرٌ مِن الفرسانِ والأبطالِ الشجعانِ، فسقطوا قتلى على الأرضِ.

ومِن جانبِ السّلطان «سليم» جُرح أميرُ أمراءِ الروم ايلي «حسن باشا»، ونال الشهادةَ. ومِن بعده استُشهِد أميرُ المورة «حسن أغا»، و«مالقوچ اوغلى حسن بك» وأخوه «نور علي بك»[1] و«سليمان بك» أمير «برزرين» و«وز بش أوغلى»[2] «إسكندر بك» أمير «نيكده»، و«قارلو أوغلى سنان بك»[3] أمير «بك شهرى»، وبالإضافةِ إلى هؤلاء استشهدَ أيضًا بعضُ الأمراءِ والفرسانِ الشّجعانِ، ونال جميعُهم الشهادةَ.

ومِن جانب القزلباش سيِّءِ الطِباعِ والمعاشِ، مِن الذين ذاقوا طعمَ السيفِ وهلكوا وقُتلوا قاضي العسكر «شريف صدري» ووكيلُ السّلْطَنةِ «عبد الباقي» و«خلف بك» حاكمُ بغدادَ و«لاله بك» حاكم «خراسان» و«تكلى بكان بك» حاكمُ «همدان»، و«سُلْطان علي بك» و«قوزجى باشى» و«اشهد على» نقيب الأشراف و«على آستانه سى»[4] محمد نرلى» و«أرزوار بك» حاكم مغان و«سزوار بك» حاكم «كنجه» و«برده». وبالإضافةِ إلى هؤلاء قُتل أيضًا جماعةٌ مِن فِرقةِ الأشقياءِ وبعضِ الأمراءِ أمثالهم[5]. وهلك

---

(1) ذكر حيدر چلبي في الروزنامه أنه: مالقوچ اوغلى بك أمير سنجق صوفية وأخوه طورعلي بك أمير سلستره.

(2) يوجد هنا أيضًا يوريش اوغلى.

(3) انظر: تاج التواريخ ج2 ص266، 268 وصحائف الأخبار ج3 ص453.

(4) هكذا في النسخة. يوجد نقص هنا.

(5) جاء في روزنامة حيدر چلبي: قاضي العسكر شريف الصدر، ووكيل السّلْطَنة عبد الباقي، وحاكم بغداد خلفًا بك، وحاكم هرات وخراسان لالا بك، وحاكم همدان تكيه لو بكان بكلك اوغلى، وسلطان علي بك، وكوسه حمزه بك، وقورچى باشى صارو بيرى، ومشهد على نقيب الأشراف، وحاكم روماهية محمد كمونا، وحاكم موغان أخو اغزى واريك، وسرداربك حاكم كنجه وبرده. انظر تاج التواريخ ج2 ص265.

مُعظَمُ أمراءِ القزلباش وحكّامُهم الشجعانُ، وسالت الدماءُ بكثرةٍ مثلَ البحارِ في الميدانِ، وضاقت الدّنيا بها وحُبِسَتْ من أفعالِ الشّاه القبيحةِ، واضطربتْ، ولَمْ يأذنِ الشّاه لجنودِه الضالّين بالتحرُّك دون أنْ يصلوا إلى الجنودِ العثمانيّين ويهزموهم، وضيّقَ الخناقَ عليهم، وأوقفَ مجموعاتٍ أمامَهم، وبدأ القتال، ولكنَّ الشّاه الضّالَّ رأى أنَّ طالعَه سيّئٌ وعرفَ أنَّ ستارةَ عرشِه ستزولُ فلَم يعُدْ يقاومُ، واستسلم.

شعر

ندمَ القزلباشُ الأشقياءُ
وانهزمتْ إمارةُ الأشقياءِ
جُرح اثنانِ مِن قادةِ الرومِ
ومِن حُسنِ حظِّهم نجَوا بأرواحِهم
نجَوا مِن الموتِ لحُسنِ حظِّهم
وعادتْ لهم الروحُ وبقيَ العرشُ والسُّلطةُ
وعند صحراءِ چالدران وصلَ للشاه
اثنانِ مِن النمورِ الشُّجعانِ
وأسقطوا الشّاه الضالَّ مِن فوقِ حصانِه
ووقعَ على الأرضِ الشّاه والعرشُ
هربَ أصحابُ الرؤوسِ الحُمرِ هنا وهناك
وهربوا ونجَوا بأنفسِهم مِن الموتِ

هجمَ سنان باشا مِن الجناحِ الأيمنِ
فهربَ مِنه جيشُ اوستجعللو[1]
فانتهزَ الجنودُ الشجعانُ الفرصةَ
ولكنْ هربَ مِنهم جنودٌ لا حصرَ لهم
وامتلأتْ الصحراءُ بالدماءِ في كلِّ مكانٍ
ولَم ينجُ أحدٌ بروحِه مِن المعركةِ
ونجا الشّاه مع بعضِ اللئام
وسقطَ التاجُ الأحمرُ تحتَ الأقدامِ
وعندئذٍ هربَ الشّاه المهزومُ
ونظرَ مِن ذلك الجبلِ للرومِ
فرأى جماعةً مِن الكتائبِ ثابتةً
لَم تنهزمْ وهي في الميدانِ ثابتةٌ
فبقى الشّاه حيرانَ مِن جيشِ السُلْطانِ
ومِن الحكومةِ ومِن الجيشِ الشجاعِ
ومع كثرةِ الحربِ والصراعِ والنزاعِ
إلّا أنَّ الجيشَ صفوفُه ثابتةٌ جميعُها
ولَم يظهرْ أنه يتحدّثُ عن الحربِ
وقطعًا لَم يكُنْ على عِلم بالحربِ

نثر: وبعد ذلك، عندما رأى الشّاه «إسماعيلُ» هذا الوضعَ، علِمَ أنَّ أفضلَ شيءٍ هو النجاةُ وإنقاذُ حياتِه، فكتبَ هذه الأبياتَ مِن أجلِ الترويحِ عن نفسِه.

(1) هكذا وردت في الأصل.

شِعر

إذا كانت سلامةُ الإنسانِ فوقَ العِزَّة
فإنه يسرعُ في النصرِ والعِزَّة
وضع السهم في القوسِ في الحالِ
قائلًا عن الاثني عشرَ إمامًا
وسمِعَ جيشُه صوتَ الفِراقِ
ونجى بنفسه وهربَ إلى العراقِ
ومَن يهربْ مِن الميدانِ لا يُعَدُّ رجُلا
فما فائدةُ الجسدِ إذا خلا مِن الروحِ
ومَن يدعُ للدماءِ في هذا العالَمِ
مِن الشام والرومِ إلى اليمنِ والهندِ
وقالوا عن ذلك أنا تمام
وهذا اليومَ أكونُ إمامَ البنينِ للدينِ الإسلاميِّ
قال ذلك وانهزمَ الآن
وخسرَ المالَ والشبابَ والمُلكَ
وحلَّ بالشاه هذا الوضعُ
وحلَّ بالجيشِ أيضًا ما أصابَ الشاه

وبعد ذلك، هربَ الشّاه مِن الميدانِ.

شِعر

تركَ الخيلَ والجيشَ والدرعَ وراحَ
وأطلقَ العنانَ والعزمَ للذهابِ لتبريز

وفي منتصَفِ ذلك اليوم هـربَ الشاه

ودخل مسرعًا إلى تبريز مع ثمانيةِ أشخاصٍ(1)

نثر: وبخلافِ ذلك تفرَّقَ الجيشُ [جيشُ الشاه]، وقام جيشُ السّلطان «سليم» بالقتلِ فيهم وتتبُّعهم، وأسروا بعضًا مِنهم ونهبوا بعضَهم الآخرَ، وأحضروا الخيلَ والرجالَ والأسرى، وعرضوهم على السّلطان «سليم»، فأمرَ السّلطان «سليم» بأنْ يُضربَ كلُّ صاحبِ أسيرٍ رأسَ أسيرِه، ولْتكُنْ لهم الغنائمُ. ولَم يأخُذْ السّلطانُ شيئًا لنفسِه. ووهبَ الغنائمَ لجنودِه، واستراحَ ثلاثةَ أيامٍ في ميدانِ الحربِ.(2)

وبعدها قامَ السّلطان «سليم» بزيارةٍ لمشاهدةِ قتلى وجرحى جيشِ الشّاه «إسماعيل» الأشقياءِ وزعمائهم، وزيارةٍ لأماكنِهم التي هلكوا فيها، ورأى الأسرى والأموالَ والغنائمَ التي نهبوها، واستولوا عليها، وقال عِدَّةَ أبياتٍ باللغةِ الفارسيةِ مناسبةً لشجاعتِه في هذا المقامِ. وهذه هي الأبياتُ(3):

---

(1) جاء في كتاب صحائف الأخبار ج3 ص454: "عندما وصل الشّاه إلى تبريز دفع صورت وضوضاه امرأة كانت تحت يده، وأعطاها بطيخة كان خيرًا تبديل نيته. وكانت عاقبة تبديل نيته خيرًا".

(2) اوتراق: تعني المكوث والاستراحة في مكان يكون على الطريق في أثناء السفر والسير.

(3) هذا الغزل الهمايوني، وديوان الخاقان المشار إليه توجد نسختين منه في مكتبة عاطف أفندي- طبقًا لقاموس الأعلام هو مصطفى الاستانبولي الذي كان دفتردار استانبول ثلاث مرات، ونظرًا للسجل العثماني هو محمد أمين عاطف أفندي الذي تُوفِّي في 22 جمادى الأولى سنة 1155هـ ودفن بجانب حيدر باشا، ولا توجد نسخة مخطوطة منه في مكتبة عثمانية. وتوجد في مكتبة الأمة نسخة مخطوطة موجودة في المتحف الهمايوني، وهي النسخة التي كتبت من طرف فتوحى عثمان سنة 1904م، وبعد الترتيب والتصحيح والمقابلة من طرف هرباول هورن معلم الألسنة الشرقية في دار الفنون في استراسبورغ طبعت في استانبول سنة 1306هـ. وتمّ مقارنة النسخة الأولى بهذه النسخة، وتمّ أخذ إشارات منهم ومن طبعات برلين.

شِعْر

جاء الجيشُ مِن استانبول يغزو ناحيةَ إيرانَ
وتركنا القزلباش والرؤوس الحمرَ ملطَّخين بالدماءِ
وقد ظلمَ والِي مصرَ كثيرًا واستعبدَ الناسَ
وقد رفعنا لواءَ خسرو مِن الأفلاكِ التسعةِ
ونُقلت البشرى مِن أهلِ العراقِ لأهلِ الحجازِ
ونقلْنا بشرى النصرِ في المعركةِ لكلِّ مكانٍ
وامتلأتْ بلادُ ما وراءَ النهرِ بالدماء مِن أثرِ سيفي
وكحّلْنا عينَ العدوِّ من كُحلِ أصفهانَ
ووصلْنا إلى الخصمِ فقسدَ مِن رأسِه
وعندما نظرْنا إليهم تصبَّبوا عرقًا مِن شدّةِ الخوفِ
لو سمعَ الشاه نصيحةَ جيشِنا الحكيم عندموتِ الفيلِ
وعندما خسرَ بساطَ المُلكِ في لعبةِ الشطرنجِ
يا سليمى أصبحَ اسمي مشهورًا في بلاطِ المُلكِ
وقد انتهت الصداقةُ والحبُّ اللذان كانا بيننا

نثر: وبعد ذلك، عبرَ السّلطان سليم بعساكرِه التي شِعارُها النصرُ، وبالغنائم والأموالِ والأسرى التي لا حصرَ لها إلى ناحيةِ «تبريز»، وقطعَ المنازلَ والقفارَ حتى وصلَ «تبريز» في المنزلِ التاسع، وعند وصوله «تبريز» خرجَ أهالي «تبريز» لاستقبالِه، وطلبوا الأمانَ مِنه[1].

---

(1) بالنظر إلى إفادة حيدر چلبي أنّ: وصل حضرة السّلطان بجيشه الهمايوني يوم الأربعاء 15 رجب سنة 920هـ إلى مكان يسمّى اجي صو ومكان آخر يسمى سرخاب واستقبله الأهالي هناك، وفي

شعر

قالوا يا نصيرَ دينِ الإسلام وقائدَه

وأفضلَ سلاطينِ هذا الزمانِ

أنت حامي الدِينِ ونصيرُه مِثلَ سدِّ الإسكندر

فانصُرْ جميعَ أهلِ الدِينِ

سنحذفُ جُملةَ «يا ولي»

ونعشقُ أبا بكرٍ وعمرَ وعثمانَ وعليًّا

لتشفقْ على أهلِ تبريز أيُّها الملكُ السعيدُ

ولْيدُمْ عمرُ دولتِك ويزدْ

ملِكُ الشرقِ يخشى مِن سيفِك القتلَ

ويخافُ أهالي تبريز مِن غضبِك الحرقَ

وبقي صوتُ صياحِ العفاريتِ وعويلِها

الأمانَ أيُّها الملِكُ العادلُ الأمانَ

عندما رآك أهلُ تبريز أيُّها الملِكُ العزيزُ[1]

قالوا نطوي سِجِلَّ الظلمِ بيدِ الرحمةِ

التبيان النافع: سرخاب: على وزن مرغاب، وهي اسم جبل متصل بالمدينة في جنوب تبريز، وبه تربة أهل الإسلام ومرقد الأولياء الكرام. ولا توجد هذه الكلمة في أثر «ايرانك جغرافي وتاريخي وأدبي لغاتي» للكاتب «باربيه دومينارك».

(1) نظرًا لإفادة التبيان النافع هي بمعنى السلطان الأعظم والشهنشاه، وفي العربية تعني ملك الملوك. ويوجد كثير منها في التُّركية.

ولْتغفِرْ وتسامحْ هؤلاء جميعًا

ولْتغفِرْ لكلِّ أهالي أذربيجان والسلام[1]

نثر: أعطى السّلطان «سليم» أهالي تبريز الأمانَ، ونبَّهَ وأكَّدَ على جيشِه قائلًا: «لا يتعرَّضْ أحدُكم بأذًى أو ضررٍ لأهلِ «تبريز»، فهُم في أسوأ حالٍ».
وفي اليومِ الذي وصلَ فيه السّلطان «سليم» بسعادةٍ إلى «تبريز»، جاءت جماعةٌ مِن مشايخِ تبريز واستقبلوه بحفاوةٍ بالغةٍ. ولكنَّهم كانوا يعظِّمون رجلًا فيما بينهم ويَرْعونه ويبجِّلونه أيَّما تبجيلٍ. وعندما نظرَ السّلطان «سليم» إليهم بدقَّةٍ قال: «ليس كلُّكم مِن الدراويشِ، مَن هذا الشابُّ الذي بينكم وتحبُّونه هكذا؟».

شِعر

سأل السّلطان بشوقٍ هذا الجمعَ سؤالا

فردَّ الجميعُ بشوقٍ على السُّلطانِ

فقالوا أيُّها الشّاه السعيدُ

خسرو الزمانِ حاكمُ العالَمِ

هؤلاء هُم جماعةُ الدراويشِ

وهُم الرجالُ الذين يحقِرون العالَمَ

والآن هُم أتباعُ حضرةِ السّلطان

حسين بايقرا بسلام[2]

---

(1) في التبيان النافع كلمة آدر مُرادف لكلمة آذر. وكانوا يطلقون كلمة آذربايجان على مدينة تبريز، وآذربايجان هي معربة لكلمة آذربايكان.

(2) حسين بايقرا: ميرزا سُلْطان حسين بايقرا: هو ابن ميرزا منصور حفيد الشيخ معز الدين عمر من أولاد تيمور. أصبح سُلْطان خراسان سنة 875هـ. وتُوفِّيَ سنة 911هـ. ودفن في هرات. وله أثر باسم مجالس العشاق.

ويــقــال أنَّ اســمَــه بــديــعُ الــزمــانِ
عندما كان ملِكًا كان دوريشًا عظيما

وهــو الآنَ على عــرشِ هــرات سُلطان
وهــو أيــضًــا سُــلْــطــانُ دولــةِ خُــراســانَ

وعندمادخلَ القزلباش واليشيل باش الحربَ
الــتــقــى الــنــمِــران بعضُها ببعضٍ

تصارعوا بــالــرمــاحِ في تلك المهالكِ
ووقــعــتْ الــخــســارةُ في ساحةِ المعركةِ

نثر: وبعد ذلك، حكوا للسّلطَان «سليم» سُلْطانِ الرومِ قائلين: «قام الشّاه «إسماعيل» بالاستيلاءِ على مُلكِ «خُراسان» مِن يدِ «بديع الزمان»[1] بن «حسين بايقرا »، وعاملَه بذِلّةٍ ومهانةٍ، وأخذه معه إلى تبريز. وأعطى له مكانَ «كنبدن» مِن «شام غزان» وهذا كان يُعَدُّ ممنوعًا. وكان لا يستطيعُ ركوبَ الحِصانِ أو البغلِ أو الجملِ أو الحمارِ، وكان يمشي على قدميه، وليس معه أحدٌ مِن الحُرّاسِ أو الجيشِ.

عرف السّلطان «سليم» حالةَ «بديع الزمان» فقام برعايتِه جيّدًا، وأنعمَ عليه كثيرًا، وأرسلَ إليه المعادنَ الذهبيةَ والدررَ البحريةَ والخيولَ الأصيلةَ، وأعطاه شتّى أنواعِ اللِباسِ، وأحضرَه معه إلى ولايةِ الروم، ووعدَه قائلًا: «إذا أبقاني الله حيًّا سوفَ أجعلُك سُلْطانًا على العرشِ». ولكِنّ «بديع الزمان»

(1) بديع الزمان ميرزا: بعد وفاة والده وبعد أن استمر سنة في حكم خراسان مع أخيه الصغير مظفر حسين ميرزا هزم من الأوزبك وفرّ إلى العراق والتجأ إلى الشّاه «إسماعيل» الصفوي. وبعد أن بقي مدّة في استانبول تُوفّي بمرض الطاعون، ودفن بجوار حضرة خالد.

عاشَ فترةً قصيرةً في الرومِ، وتُوفِّي.

فأمرَ السّلطان «سليم» وزراءه قائلًا: «كانت توجدُ لـ «جهان شاه»[1] و«أبي سعيد» [2] و«أوزون حسن» و«السّلْطان يعقوب بك» [3] لهؤلاء السّلاطينِ الذين ذكرتُهم خزائنُ كثيرةٌ جدًّا لا نهايةَ لها، وبالتأكيدِ كلُّ هذه الخزائنِ موجودةٌ تحت يدِ «ابن أردبيل»، ويجبُ البحثُ عنها وإحضارُها».

شِعر

والآنَ فإنَّ الدفينةَ والكنوزَ لا محالةَ هـــي
عند ابـنِ أردبيل ودَعِ القيلَ والقالَ
وهـــذه التحفُ العجيبةُ والغريبةُ
والجواهرُ تـزدادُ قيمتُها يومًا بعد يوم

نثر: وبناءً على ما أمرَ به السّلطان «سليم» قام وزراؤه بالبحثِ عن التحفِ والجواهرِ التي قال عنها [السّلْطان] في «تبريز» في آنٍ واحدٍ، ووجدوها وسلّموها إلى الخزينةِ، وأخذوا معهم مائتين مِن التّجارِ وأهلِ الصّناعاتِ، وأرسلوهم إلى «إسلامبول»، وكانوا قد أسروا إحدى زوجاتِ

---

(1) ميرزا جهان شاه: هو الحاكم الثالث لدولة الاق قويونلي، وهو ابن قره يوسف، ولقبه شيره. وعين حاكمًا على اذربايجان سنة 841هـ. واستمرّت حكومته 30 عامًا. وإذا كان قد هجم على ديار بَكْر سنة 872هـ وهزمه «اوزون حسن»، وبينما كان عائدًا إلى تبريز قتل في الطريق من قبل «اوزون حسن» الذي تعقبه.

(2) أبو سعيد ميرزا: ابن ميرزا محمد أميران شاه بن تيمور: بعد وفاة اولغ بك جلس على عرش سمرقند سنة 855هـ وقام بفتح بلاد ما وراء النهر وخراسان وغزنه وكابل وسيستان والعراق. وقتل من طرف «اوزون حسن» في حدود قره باغ سنة 873هـ.

(3) يعقوب بك: هو ثالث حكام دولة اق قويونلي وابن «اوزون حسن». وصل لمقام الحكومة سنة 844هـ وتُوفِّي سنة 896هـ.

الشّاه «إسماعيل» في يومِ المعركةِ فأرسَلوها إلى السّلطان «سليم».

كان السّلطان «سليم» يعرفُ الشريعةَ الإسلاميةَ جيِّدًا، ويعلمُ أنَّ الشّاه «إسماعيل» وكلَّ أتباعِه وأشياعِه في منزلةِ المرتدِّين؛ وأنَّ زوجتَه الآنَ في حُكم المطلَّقةِ، فزوَّجَ زوجةَ الشّاه [1] إلى «نيشانجى تاجى زاده» [2]، ثمّ أقام تسعةَ أيام في «تبريز»، وصلَّى في جامعِ «أوزون حسن» [3]، ثمّ خرجَ مِن هناك وزارَ قبرَ «غازان خان» في الشام [4]. ثمّ خرجَ مِن «تبريز»، وكان ينوي قضاءَ موسم الشّتاءِ في «قره باغ» [5]، وأقام هناك إلى أنْ حلَّ فصلُ الربيعِ، وإذا كان يقصدُ

(1) طبقًا لما جاء في صحائف الأخبار ومشاهير النساء وقاموس الأعلام أنها: «بهروزه». وانظر تاج التواريخ ج2 ص272.

(2) تاجى زاده جعفر چلبى: قاضي عسكر الأناضول. وقتل في سنة «واه كيتدى لو جهان دن جعفر 920ه». ودفن في حظيرة المسجد- اسكى نشان جى جامعى- الذي بناه بجوار السّلطان «سليم». وبالإضافة إلى ديوانه له أثر منظوم باسم هوسنامه.

(3) طبقًا لإفادة حيدر چلبى في الروزنامه أنه يوم الجمعة 17 رجب سنة 920هـ.

(4) غازان خان: بن ارغون بن هولاكو بن تولى بن جنكيز. وهو سابع ملوك الإلخانية الذين حكموا في إيران. وأصبح والي خراسان وهو في عمر 12 عامًا. وأعلن إسلامه على يد الشيخ إبراهيم حموي/ بتلقين الشيخ له. واختار اسم محمود خان. وجلس على العرش في السنة المذكورة، وتُوفِّي سنة 703هـ وعمره 33 عامًا في حدود قزوين. وتمّ نقل نعشه إلى تبريز ودفن في التربة التي أنشأها. وتربته معروفة باسم «شنب غازان». وفي التبيان النافع: شنب على وزن ذنب، وهي بمعنى كنبد أي قبة أو سماء. والآن في ولاية اذربايجان تمّ إطلاق اسم شنب غازان على القبة العالية التي بناها غازان خان. ويغلط الناس في إطلاق اسم شام قزان. ونظرًا لإفادة أثر فرهنك انجمن ارأي ناصرى أنّ: ارتفاع القبة 120، وقطرها 60 ذراعًا. وفي تاريخ بجوى ج1 ص180: «هي التربة الشريفة التي بنيت من أجل غازان خان الذي هو من نسل جنكيز خان، والذي تشرّف بالدخول في عزة الإسلام، وهي مشهورة الآن بـ«شنب غازان». وكانت معمورة بالمال الكثير وكانت قلعة متينة، وانتقل إليها جماعة من الجنود وبعض الأمراء مثل ميرزا محمد من نسل اوران شاه. وانظر صحائف الأخبار ج3 ص490 في البحث بعنوان: «حامى آمدى».

(5) قره باغ: مدينة بين نهر آراس وكور في قفقاسية، أخذها الروس من إيران منذ عام 1813م.

السيرَ إلى الشّاه «إسماعيل» مرّةً أخرى، وتبعه في ذلك بعضُ جندِ الرّوم؛ إلا أنّ طائفةَ الإنكشاريةِ لَم ترضَ بذلك.

شعر

قالوا يا راكبَ حِصانِ حيدر[سيِّدنا علي]

لقد اجتباكَ الملكُ وأسعدَ طالعَك

هـذا الجيشُ الكثيفُ جيشُ مِن؟

هو جيشُ السّلطان صاحبِ الدولةِ بلا عدو

ولا يسمحُ بالذهابِ إلى قره باغ أو إلى اق باغ

ولا إلى الصحراءِ ولا إلى الجبلِ أو أيِّ مكانٍ

أيـن يجِـدُ الـزادَ والـزوادَ والـقوتَ

مَن يعرفُ كيف تبقى الغاباتُ بلا ماء

نثر: وبعدَ ذلك، قالت طائفةُ الإنكشاريةِ للسّلطانِ: «أيُّها الملكُ الجليلُ، كيف سنوفِّرُ ونجدُ الزّادَ والقوتَ لهذا الجيشِ الكبيرِ، لنرجعْ إلى ولايةِ «الرومِ»؛ يعني إلى «أماسية»، فهذه الأماكنُ بها المعيشةُ، ونقضي موسمَ الشّتاءِ هناك، وفي أولِ صيفٍ نرجعُ مرةً أخرى إلى هنا».

وكان مِن الضّروريِّ أنْ يوافقَ السّلطان «سليم» على ذلك، فعزمَ على الذهابِ إلى الرّومِ[1]، واستولى في طريقِه على قلعةِ «بايبورد»[2]. وفي الطريقِ

انظر: ش.سامي، قاموس الأعلام، ج5 صـ 3621.

(1) نظرًا لما جاء في روزنامه حيدر جلبي أنه تحرك من تبريز يوم الجمعة 24 من رجب سنة 920هـ. وذُكر في تاج التواريخ أنه يوم 25 ولَم يذكر اليوم.

(2) بايبورد: مدينة في بلاد الأناضول، في ولاية ولاء أرضروم على نهر جورك صو، فيها آثار يونانية

أيضًا عزلَ ثلاثةً مِن وزرائه [1]، وعيَّنَ «بيرى باشا» [2] الذي كان دفتردارًا وزيرًا. ثمّ خرجَ وقضى الشتاءَ في «أماسية» [3].

وبعد فترةٍ مِن وصولِ السّلطان «سليم» إلى «أماسية» أرسلَ الشّاه «إسماعيل» إليه قاضيًا سفيرًا، وأرسل معه كثيرًا مِن الهدايا ورسائلِ التّضرُّع إلى السّلطان «سليم»، وطلبَ مِنه بعضَ الأشياءِ. نعم، فقدْ أخذَ السّلطان «سليم» الهدايا، ولكنْ لَم يرُدَّ على رسالتِه، وحبسَ سفيرَه، وأرسلَه إلى الرومِ [4]. وقضى السّلطان «سليم» موسمَ الشتاءِ في «أماسية».

[فتحُ قلعةِ «كماخ»] [5]

وفي ربيعِ عامَ 921 هـ [6] جمع السّلطان «سليم» جيشَه مرةً أخرى، وعزمَ

جيلة. س. موستراس، المعجم ص 144.

(1) نظرًا لكتاب صحائف الأخبار ج3 ص456 أنه: «هرسك اوغلى أحمد باشا ودوقه كين زاده أحمد باشا ومصطفى باشا».

(2) توجد ترجمته في تذكرة سهي ولطيفي وأن: مخلصه رمزى وهو بيرى محمد باشا من الوزراء العلماء، وأصبح صدرًا أعظم، وتُوفِّي سنة 939هـ ودفن في حظيرة مسجده في سلورى.

(3) طبقًا لما ذكره حيدر چلبي في الروزنامه أنه وصل في اليوم السادس من شوال سنة 920هـ.

(4) نظرًا لإفادة تاج التواريخ أنه قاضي إسحق من نسل الأمير عبد الوهاب صاحب الحاوى من أشراف وسادات وعلماء تبريز، وكان مشهورًا بقاضي باشا. وحبس شكر الله مخانى – في التبيان النافع: «مخان هي اسم ولاية في اذربايجان. وهي كرسي لمملكة موغان– وحمزة خليفة من خلفاء الحيدرية من طرف السّلطان في ديمتوقه، وقام السّلطان بحبس سيد عبد الوهاب وقاضي باشا في يكى حصار الموجودة في ثغر استانبول. وتوجد تضرعنامه هذه في منشآت السلاطين «مير نور السيادة ونور الدين عبد الوهاب: مآب الامارة ونصاب الرفعة كمال الدين حسين بك وعمدة الأعاظم بيرام أغا. وصاحب الحاوى: أبو بكر الرازي– محمد بن زكريا– وأثره مكوّن من 30 مجلدًا يجمع كافة العلوم الطبية.

(5) هذا العنوان من وضع (المترجم).

(6) الموافق عام 1515م.

على فتحِ قلعةِ «كماخ»[1]، وكانتْ «كماخ» قلعةً حصينةً، عجزَ عن فتحِها السلاطينُ القدماءُ، والحكّامُ الأقوياءُ، وبقوا حيارى وعاجزين عن فتحِها. وقد وصفَها الشاعرُ قائلًا:

شِعر

هناك قلعةٌ موجودةٌ على قمّةِ الجبلِ
تعانقُ عنانَ السماءِ في العلوِّ
خندقُها هو نهرُ الفُراتِ
مِثلَ نهرِ الكوثرِ في اللذةِ وتنبتُ النباتَ
يقال لو أنَّ في الدنيا قصرًا قديمًا
فيسمّى في كلِّ اللغاتِ حِصنَ كماخ
فسار السّلطان في البدايةِ إليها
حتى سقطتْ في يدِه
عندما رأى السّلطان أحوالَ القلعةِ
وهبَ أموالَها إلى الجُندِ
وأقاموا للسّلطان خيمةً وأوتاقًا[2]
وكانت غنائمُ هذه القلعةِ لا تُحصى

نثر: وبعد ذلك، فتحَ السّلطان «سليم» قلعةَ «كماخ»، وفي ذلك الوقتِ كانت عاصمتُها «دِيار بَكْر». فقام بإرسالِ عددٍ مِن الجنودِ لفتحِها، وذهبَ

(1) كماخ: مدينة في بلاد الأناضول، في ولاية خربوت، قريبة من الفرات. س. موستراس، المعجم، صـ 426.

(2) اوتاق: كلمة تركية بمعنى خيمة عظيمة للسُّلْطان. (المترجم)

مِن هناك إلى «سيواس». وجاءه الخبرُ بأنَّ جيشَ «علاء الدولة» هجمَ مِن بعدِه على قلعةِ «كماخ» ببضعةِ آلافٍ مِن الجمالِ. وعندما تأكَّدَ مِن صِحَّةِ هذا الخبرِ شكرَ الله تعالى كثيرًا، وقال: «لَمْ يصدُرْ مِنِّي حتى الآنَ قتالُ المسلمين ولا رفعُ السِّلاحِ على المسلمين»، وذهبَ لصدِّ هجوم «علاء الدولة». وعند وصولِه «سيواس» عيَّنَ «خادم سنان باشا» وزيرًا أعظَمَ. وأرسلَه مع بعضِ الجنودِ لمقابلةِ «علاء الدولة»، وسارَ السّلطان مِن خلفِه، وفي النهايةِ قبضوا على «علاء الدولة»، وقطعوا رأسَه، وشتَّتوا جيشَه[1].

شعر

رحلَ عن الدنيا دونَ أنْ يحقِّقَ مُـرادَه

وهل هناك أحدٌ محظوظٌ حقَّقَ مُـرادَه!

واستولى [السّلْطان] تمامًا على «مملكةِ ذو القادر»، وعيَّنَ «شهسوار أوغلي علي بك» الذي كان ابنَ أخي «علاء الدولة» على المملكةِ، ثمّ تركَها وذهبَ. وخرجَ مِن هناك إلى «قيصرية»، وأنعمَ كثيرًا على جيشِه بالهدايا والعطايا، وأذِنَ لهم بالراحةِ. وذهبَ السّلطانُ مِن «قيصرية» إلى «إسلامبول»، وبعد ثلاثةَ عشرَ يومًا دخلَ السّلطان «إسلامبول» وجلسَ على عرشِها[2].

ومِن جانبِ العجمِ وصلتْ الأخبارُ إلى الشّاه «إسماعيل» حاكمِ القزلباش بأنَّ: «السّلطان سليم قتلَ «علاء الدولة»، وفتحَ مدينةَ «كماخ».

(1) انظر: تاج التواريخ ج2 ص293 وكنه الأخبار المطبوع ركن 3 ج3 ص42، وصحائف الأخبار ج3 ص169 و457.

(2) نظرًا لإفادة حيدر چلبي في روزنامته أنه وصل يوم 29 جمادى الأولى سنة 921 هـ.

شعر

مَن يقِفُ على جيشِ ملكِ الروم
ويعرفُ أنه فتحَ القلعةَ بالحربِ
وأصبحتْ الدولةُ لملِكِ الرومِ لا محالةَ
وألقى بكثيرٍ مِن التيجانِ السابقةِ
وكان حاكمُها هو «محمد بك بيقلو»
وهو الذي منحَ النظامَ لهذا المكانِ
واغتاظَ شاه الشرقِ مِن هذا الفتحِ واغتمّْ
وجمعَ جيشًا لا حصرَ له وأصرّْ

نثر: وعندما علِمَ الشاه سيئُ الأحوالِ والطباعِ بهذه الأحوالِ صرفَ كلَّ جهدِه، وأرسلَ شخصًا يُدعى «طور على بن ملجم» بثلاثةِ آلافٍ مِن عسكرِ القزلباش سيئِ المعاشِ على «أرزنجان» و «بايبرد» و«قلاشا»، التي كانت تابعةً إلى شخصٍ يُدعى «يوسف» حاكمِ قلعةِ «كماخ». وكان «بيقلو محمد بك» جاهزًا ومستعِدًا لمواجهتِه، وعندما علِمَ الخبرَ وصلَ بالجنودِ الشُّجعانِ الموجودين معه إلى صحراءِ «جشكز» لمواجهةِ «تورعلى» اللعينِ الملحدِ، والتقاه هناك، وفي الحالِ هجمَ عليهم بالسيفِ، وقتلَ بعضَهم وأسرَ بعضَهم الآخرَ، وقطعَ رأسَ «تور على» المذكورِ، وهربَ سائرُ جندِه وتشتّتَ.

وبعد ذلك، أُرسِلتْ رأسُ «تور على»، وبعضُ الرؤوسِ الأخرى المقطوعةِ بسعادةٍ إلى «الآستانة» السعيدةِ. ووصلتْ هناك، وفي ذلك الوقتِ أيضًا كانت قد وصلتْ رأسُ «علاء الدولة»، وجاء خبرُ هزيمةِ جيشِه، فوضعَ السّلطان «سليم» رأسَ هذا الخبيثِ في صندوقٍ، وأرسله إلى السّلطان

«الغوري» في مصرَ. وكتب بجانبِ الصندوقِ خطابًا قال فيه [1]: «هذا قد تمّتْ مُجازاتُه، والدورُ سيأتي عليك، فلا تكُنْ غافلًا».

[العلاقاتُ المصريةُ الصفويةُ في عصرِ السّلطانِ سليم الأول][2]

عندما قُطعت رأسُ «علاء الدولة» ووصلَ الخبرُ إلى سُلْطانِ مصرَ تكدَّرَ كثيرًا، وجلسَ لفترةٍ طويلةٍ لا يدري ماذا يفعلُ. وفي نهايةِ الأمرِ أرسلَ خطابًا إلى الشّاه «إسماعيل» يقولُ فيه: «تعالَ أتفقْ معك، ونسيرُ إلى ولايةِ الرّوم، ونخرجُ السّلطان «سليم» مِن هناك، وليكُنْ لك مُلكُ الرّومِ، وأنا لا أريدُ شيئًا».

ففرحَ الشّاه «إسماعيل» كثيرًا عند سماعِ هذا الخبرِ، وقامَ بتسليمِ الجيشِ إلى أميرِ أمرائه الذي يسمَّى «قره خان»، وأرسلَه [3] لمواجهةِ الجيشِ الذي أرسلَه السّلطان «سليم» إلى «قره حميد» [قره آمد] [4]. وأرسلَ [الشاه إسماعيل] الوعودَ والأماني إلى سُلْطانِ مصرَ، وقال له: «كلُّ مَن معك مِن السلاطينِ يأتي إلى «حلب»، ويعسكرُ هناك ونحنُ في ذلك الوقتِ نتقابلُ

---

(1) توجد هذه الرسالة في منشات السلاطين، وأنها أُرسلت هذه الرسالة الهمايونية بسفارة ووساطة سيف الدين بك يوم الثلاثاء الرابع عشر من شهر جمادى الأولى سنة 921هـ إلى قيصرية».

(2) هذا العنوان من وضع (المترجم).

(3) انظر: تاج التواريخ ج22 ص313.

(4) قره آمد: جاء في قاموس الأعلام أنه: كان الاسم الحقيقي لديار بَكْر هو آمد، وبسبب أن أحجارها كانت مبنية من الطوب الحجري الأسود والمبنى يظهر منظر أسود أطلق عليها «قره آمد». وانظر تاريخ عثماني انجمنى مجموعه سى لخليل أدهم بك في جزء السنة الأولى ص365 في مقالة بعنوان «ببليوغرافيا آميدا». وفي ترجمة القاموس: الآمد: تعني الغاية والنهاية، والآمد على وزن جامد، وتطلق على الشخص الذي يحوي بداخله الخير والمنفعة أو الشر والمضرة، والقرية هي اسم لبلد عربية على حدود العراق في ثغور آمد. والآن هي قاعدة لولاية ديار بَكْر. وباعث التسمية أنها تقع في نهاية الحدود».

في «قره حيد»، وأرسلَ إليه هذا الخبرَ. وعند تلقّي المصريين الخبرَ مِن الشّاه «إسماعيل» خرجوا بسرعةٍ مِن مصرَ وذهبوا إلى مكانٍ يسمَّى «الريدانية»[1]، ونصبوا الخيامَ وعسكروا بها.

شِعر

تـفـرّقَ جيـشُ مـصرَ في الـصحـراءِ
مِثلَ الذهبِ وجميعُهم يملأهم الضعفُ
وتـصـبـوا الخـيـامَ والـقـيـودَ هناك
لـيـصـطـادَ الأسـدُ الـثـعـلـبـيـن

نثر: اغترَّ سُلْطانُ مصرَ بهذا النوعِ مِن أخبارِ الشّاه إسماعيل، وخرجَ مِن مصرَ، ونقلَ معه خزائنَ مصرَ، وعندما وصلَ إلى «حلب» وضعَ الخزائنَ وتركَها عند ابنِ أختٍ له يسمَّى «طومان باي»، ورحلَ.

شِعر

جـاء سُلْطانُ مـصرَ على وجـهِ السرعةِ
ولـنـبـيّنْ نحنُ أحـوالَ تلك المنطقةِ
في ذلك الوقتِ كان السّلطان سليمٌ بعيدَ النظرِ
فـأسرعَ بـجـنـدِه إلى تلك الناحيةِ
ووصـلَ هـنـاك قـبـل وصـولهـا
وكان هدفُه أنْ يأخُذَ الرأسَ مِن الأسدِ

نثر: وصل «بيقلو محمد خان»[2] إلى قلعةِ «آمد»، وأعلنَ أهلُها الطاعةَ

(1) ريدانية بالقرب من القاهرة.

(2) بيقلو محمد خان: وهذا هو الاسم الذي أطلقه الإيرانيون على بيقلو محمد باشا.

له، وفتحوا بابَ القلعة، وفي النهايةِ استولى على قلعةِ «ماردين» [1] و«ديار بَكْر»، وبعضِ القلاعِ الأخرى في وقتٍ قصيرٍ، واستقرَّ في قلعةِ «آمد». وفجأةً ذاتَ يومٍ جاء خبرٌ إلى [بيقلو محمد خان] أنّه: «جاء أميرُ أمراءَ يُدعى «قره خان» مِنْ طرفِ الشّاه «إسماعيلَ» بجيشٍ كثيرٍ، فلا تتأخَّرْ في اللحاقِ به».

شِعر

ذهـــبَ هــذا الأمــيرُ إلى جيـشِ الشاه
ووصلَ معه ثمانيةَ عشرَ ألفًا مِن الشُجعانِ
وجـــاء الجــنـــودُ ووقـــفـــوا أمـــامَـــه
وقـــدَّمَ نفسَه إلى خدمةِ الـشّـاه بعينيه

نثر: وعندما وصلَ إلى «بيقلو محمد خان» هذا الخبرُ، لَم يفهمْه في الحالِ؛ فقام بعرضِه على السّلطان «سليم»، وأخبرَه عن طريقِ الرسولِ. وكان السّلطان «سليم» موجودًا في مقرِّ مملكتِه في «أدرنة»، وقد كان في العدلِ والسعادةِ والعيشِ والصيدِ والقنصِ:

شِعر

بينما كان السّلطان سليمٌ في بحرِ العِشرةِ
هبَّتْ على الشّاه ريحٌ مخالفةٌ مِن الصحراءِ
فـقـدْ وصـــلَ مِـــن محمد خـــان رســـولٌ
وصلَ وحنى رأسَه أمامَ السّلطان سليم

(1) ماردين: في ترجمة القاموس ماردون: هي اسم قلعة معروفة في جزيرة ابن عمر. ومعربة بالحروف العربية، وفي حالة النصب والجر تكون ماردين والقلعة المذكورة تكتب في لغتنا الآن «مردين».

وقـــال جعلَ اللهُ مُلكَك قـويًّـا دائـمًـا

لقد جاء يومُ تركِ الشرابِ ولبسِ الدرعِ

وســـار الـشّـــاه مــع سُــلْـطـانِ مـصرَ

ومَـــن يـا تـــرى سيقضي عـلى دولـتِـه

وعـقـدَ الاثـنـان مـع بعضِهما اتّفاقًا

وجـلــسـا في مـــكـــانٍ بـــلا نـفـاقٍ

عــنـدمـا وصـــل الـسّــلـطـان الخــبرُ

فرحَ وشكرَ اللهَ السّلطان صاحبُ التاجِ

وقـــال لقد ظـهـرتْ شـمـسُ دولتي

وسـأمـلـكُ الـــشرقَ والـــشـامَ بقوّتي

نثر: ثمّ استشارَ وزراءه وأعيانَه وأنصارَه، وتحدّثوا في الأمرِ جيّدًا، وفي النهايةِ قال السّلطان «سليم» لهم: « فلْنستعدَّ لـ «قره خان»، ثمّ نتحرّكُ إلى السّلطان الغُوريِّ والشاه «إسماعيل»، ثمّ أمر قائلًا: «ليستعدَّ ألفانِ مِن جنودِ «القبو خلقى»، وألفانِ مِن جندِ «السپاهية»، وألفٌ مِن جندِ «السلحدارية». واستعدَّ الجميعُ خلالَ ثلاثةِ أيامٍ، وأرسلَهم بأمرائهم وأغواتهم إلى «قره آمد».

فذهبَ جندُ «القبو خلقى» إلى «قره آمد»، وخرجَ «قره خان» مِن «ماردين»، وحاصرَ قلعةَ «آمد» لبضعةِ أيام. وفي النهايةِ خرجَ «قره خان»، وبينما كان يريدُ الذهابَ إلى «ماردين» هجمَ عليه فجأةً بعضٌ مِن جيشِ «محمد خان»، وكان القزلباش على عِلم بذلك، ونصبوا كمينًا للجيشِ، وقتلوا كلَّ الجنودِ التي جاءت خلفَهم، والباقي أغرقوه في نهرِ «آمد». وقطعوا رؤوسَ أغلبِ الجيشِ المنهزِمِ، وأرسلوها إلى سُلْطانِ مصرَ. وعندما سمعَ سُلْطانُ

مصرَ بذلك قام بالإنعام على «قره خان» بوافرِ الإنعامِ والعطايا، وأرسلَ له ما يريدُ، وقال في خطابِه له: «بالتأكيدِ لَم تُرِدْ أنْ تأتي إلى ناحيةِ شاه الروم، ولكِنْ أنا الآنَ سأذهبُ إلى الشام».

ولكِنَّ حكايتَنا نحنُ هي أنَّ: «الألفين مِن الجنودِ الذين أرسلَهم السّلطان «سليم» مِن «أدرنة» ساروا ليلًا ونهارًا حتى وصلوا إلى «آمد»، ورأوا أنَّ «قره خان» قد قتلَ جنودًا كثيرةً مِن عسكرِ «بيقلو محمد خان»، وأغلقوا القلعةَ على «محمد خان»، ثمّ ذهبَ «قره خان» إلى «مردين»، وقتلَ جنودَ «القبو خلقى» وقطعَ رؤوسَهم، فأرسلوا الخبرَ إلى «محمد خان» أنْ: «فتحْنا القلعةَ وخرجْنا وتعالَ، لنتفقْ سويًّا، ونحاربْ العدوَّ، ونقتلْ جيشَه، ثمّ نغلقْ القلعةَ، وألحُّوا عليه في ذلك، وفي النهايةِ وافقَ «محمد خان»على ذلك.

شِعر

خــرجَ مـــسرعًــا مِـــن قــلــعــةِ آمِــد
وخـــرجَ ذلــك الأســـدُ خلفَ قـــره خان
هــجـمَ الــشـجـاعُ بـقــوةٍ عـلى الـعــدوِّ
وعادَ سويًّا الأسدان مع بعضِهم البعض
والتقى [الجيشان] هناك ووقعتْ الحربُ
وضيّقوا الأرضَ على بعضِهم البعض
ومـــلأ الـــترابُ أقـــدامَ الخـيــلِ
ومِن الغبارِ لَم يعرفْ أحدٌ نهارًا مِن ليلٍ
وبهذا القدرِ كان الوضعُ سيئًا في الحربِ
وكـان المـيـتُ ينظرُ للرُمحِ متحسّرًا

وغـــضَّ عنـه الـطـرفُ الجيـشـان

وقـالـوا لـه شـعـاعُ الـقـلـبِ الأسـد

وانـتـصـرَ بفضلِ اللهِ جيـشُ الـروم

وســارَ عـلى الأعـــداءِ الـضـالِّـين

وقُــتـل هـنـالِـك خـلـقٌ كـثـيرٌ

حتى «قـره خـان» صـاحـبُ الـتـاج

نثر: وقُطعتْ رأسُ «قره خان» في ذلك المكانِ، وقُطعت أيضًا بعضُ رؤوسِ الأمراءِ والفرسانِ الموجودين معه، وأرسلوا إلى السّلطان «سليم». وبعد أنْ أرسلَ السّلطان «سليم» جندَ «القبو خلقى» إلى «قره خان» ذهبَ بنفسِه إلى الغُوريّ سُلْطانِ مصرَ، وإلى الشّاه إسماعيلَ. وخرجَ مِن «أدرنة» إلى «إستانبول» وبعدَ أنْ وصلَ «إسلامبول» عام 922هـ أرسلَ «خادم سنان باشا» ببعضِ الجنودِ الذين شِعارُهم النصرُ [1]، وجمعَ جيشَ «القبو خلقى» و«الروم ايلى» و«الأناضول» وعبرَ بهم مِن بحرِ «أسكدار» [2]، وعزمَ على الذهابِ إلى ولايةِ «قرمان»، وعند وصولِه إلى «قرمان» عُرضتْ عليه رؤوسِ «قره خان» وسائرِ الأمراءِ والفرسانِ المقطوعةِ.

◄◄◄ شِعر

جاءت رأسُ «قره خان» والأسرى والمالُ

وعُرضت على السّلطان بوصفِ الحالِ

---

(1) نظرًا لما جاء في روزنامه كاتب الديوان حيدر چلبي - وموجود ذلك أيضًا في منشات السلاطين- أنّ: السّلطان تحرّك من استانبول 25 ربيع الأول سنة 922هـ.

(2) اسكدار: وبالنظر إلى كتاب تاج التواريخ وصحائف الأخبار أنه عبر يوم الخميس 4 جمادى الأول سنة 922هـ وذكر حيدر چلبي أنه اليوم الثالث.

نثر: ولكنَّ السّلطان الغُوريَّ قد سمعَ أنَّ: «قره خان» قد قُتِل وقُطعتْ رأسُه، وهُزم جيشُه وتشتَّتَ ولَم يفِ الشّاه «إسماعيل» بوعدِه، فلَم يأتِ إلى «قره حميد»، كما زعمَ مِن قبلُ، وأنَّ جيشَ السّلطان «سليم» قد هجمَ عليه مرةً أخرى [1].

⏮ شِعر

وصــلَ الخـــبرُ إلى الـــغُـــوريّ
فـــاغــتـــمَّ قــلــبُـــه وحــــــزِنَ كــثــيرًا
وارتعشَ مِن داخلِه وخارجِه وخافَ
واغـتــمَّ وأمـــسـكَ بـالـحـجـرِ الـمـصريِّ
وبـقـيَ حـيـرانَ لا يـدري مـاذا يفعلُ
هــل يـذهــبُ أمْ يـبـقـى في مـكـانـه

نثر: وفي نهايةِ الأمرِ رأى الغُوريُّ أنْ يذهبَ ويستقرَّ في «حلب» فترةً ما، واتّخذَ التفتيشَ في البلدةِ والدولةِ حُجّةً، ثمّ بعدَها عادَ إلى مصرَ. وذهبَ إلى الشامِ، ونصبَ الخيامَ في حلب، وجلسَ بها وفتّشَ في البلدِ. فعلِمَ السّلطان

(1) جاء في منشات السلاطين أنه: أرسل رأس قره خان المقطوعة إلى السّلطان الغوري بواسطة السلحدار حسن بك، ونرى في المبحث الذي كتب عن آقشهر أنه «في أواخر شهر رمضان المبارك سنة 921هـ ويلاحظ أنّ هذا التاريخ ربما سهو في الترتيب. وفي جواب هذه الرسالة الهمايونية التي تحوي هذا التاريخ- أن- تمّ إرسالها بواسطة أحد أقرباء السّلطان الغوري وهو جمال الدين يوسف القبطان. وفي تاج التواريخ ج2 ص229 هـ وصحائف الأخبار ج3 ص462 قال: بعد أن وصل الجيش الهمايوني إلى قونية يوم 25 من جمادى الأولى سنة 922هـ وصلت الرؤوس المقطوعة إلى السّلطان، ولَم يذكروا شيئًا عن إرسالها إلى السّلطان الغوري. أمّا في روزنامه حيدر چلبي لا يوجد شيء عن ذلك قط. وأُرسلت الرؤوس المقطوعة إلى الجيش الهمايوني بواسطة ايزنيقلي علي الذي كان كتخدا موجودًا في محافظة ديار بَكر أثناء الحرب مع بيقلي محمد باشا.

«سليم» ما فعله الغُوريُّ. ولحِقَ السّلطان بالجنودِ الذين أرسلَهم مع «سنان باشا»، وجاء جميعُ جيشِه، ونزلوا في جزيرةِ «ملاطية». وكانت «ملاطية» في ذلك الوقتِ تحتَ حُكمِ «الجركس».

◀◀ شعر

كانت تلك الديارُ المشهورةُ تابعةً لمصرَ
وقد أُخذتْ غنيمةً مِن «يلدرم خان»[1]
وقد فتحَها هذا السُّلْطانُ
وجلسَ فيها وأسّسَ الحُكمَ

نثر: وأرسلَ خبرًا إلى «محمد خان» [2] أنْ: «على وجهِ السرعةِ اذهبْ إلى جيشِ «دِيار بَكْر» وجندِ «القبو خلقى» الموجودين هناك، والحقْ بهم»، فامتثلَ «محمد خان» لهذا الأمرِ، ولَم يتأخَّرْ لحظةً ولحِقَ بالجيشِ.

◀◀ شعر

صدرَ الأمرُ لهذا الأميرِ باللحاقِ بالجيشِ
فقدَّمَ فروضَ الطاعةِ ولحِقَ به
وأعطاه السّلطان الخلعةَ والعطايا
وله أيضًا المُلكُ والسُّلْطان

(1) نظرًا لقول عاشق باشا زاده أنه تمَّ فتح ملاطية سنة 798هـ وفي صحائف الأخبار سنة 800هـ من قبل السّلطان يلدرم بايزيد. وبعد حربه مع تيمور خان نقلت إلى سلطنة مصر مرة أخرى.

(2) بيقلو محمد باشا.

الرسائلُ المتبادَلةُ بينَ السّلطانِ سليمٍ والسّلطانِ الغُوريّ[1]

نثر: وبعد ذلك، قصدَ السّلطان سليم إرسالَ خبرٍ إلى الغوريّ قائلًا: «اجلسْ في مصرَ، فأنت بمثابةِ والدي، ولا تنسَنا مِن صالحِ دعائك، وأنا سأذهبُ إلى الشّاه «إسماعيل». وعند وصولِ هذا الخبرِ إلى السّلطان الغوريّ لَمْ ينتظرْ، وأرسل للسّلطَان سليم قائلًا: «هذه مملكتي، ولن أذهبَ عنها، وأرسلَ السّلطان «سليم» رسالةً أخرى[2] له قائلًا: «هل هذا هو قصدُك، فأنتَ كنتَ العدوَّ الحقيقيَّ لنا، والشاه «إسماعيل» غيرُ موجودٍ، وبقاؤك في حَلَب ليس خيرًا لي ولا لجيشي ودولتي. وعندما تجلسُ وأنت ترى عدوَّك بعينِك أذهبُ أنا إلى العدوِّ المجهولِ، وأنا لا أتركُك خلفي وأذهبُ للعدوِّ». وخرجَ السّلطان «سليم» مِن «ملاطية» وسارَ قاصدًا «حَلَب».

شِعر

قـطـعَ المـنـازلَ وسـارَ مـسرعًـا
حتى وصـلَ إلى الغُوريِّ في «عينتاب»
عندما علِـمَ الـغُـوريُّ الطيِّبُ الخبرَ
رأى بعينِه أنـه وصـلَ إلى الـشـامِ
وعـرفَ مَـن هو رستم حاكمُ الـروم
وعـرفَ أنَّ شجرةَ عمرِه مـأوى البُومِ

---

(1) هذا العنوان من وضع (المترجم).

(2) يوجد نقص هنا. أرسلت رسالة همايونية إليه. وصل الجيش الهمايوني يوم 11 رجب سنة 922 هـ إلى مكان يسمّى «توجان دره بوغازي»، وكتب الرسالة إلى السّلطان الغوري، وتوجد الرسالة الهمايونية في منشآت السلاطين، وأنها تحوي تاريخ «أواسط رجب سنة 922 هـ في ماكن بيورت توجان دره بوغازي».

لتغِزْ على دولتِك بدلَ العارِ

ولْتمحُ مِن الوجودِ أثرَ النارِ

لو عندك رجولةٌ فلْتغزْ مثلَ الرجالِ

وتحمِلْ العصا والسيفَ والمدفعَ على كتفِك

والدنيا والآخرةُ عبارةٌ عن السُّلطةِ

فلْتعطِ [السّلطة] وتحافظْ على الروحِ والجسدِ

عندما يحدثُ المقدَّرُ فلا جَدْوى لك

ولا يمنعُ حذرٌ مِن قدرٍ

وتقولُ ياليتَ عندما تقيَّدُ مِن يديك وقدمِك

وتترُكُ السيفَ مِن يدِك لقومِك في الميدانِ

وحتى إذا قلتَ زالتْ شُهرتي حتى يوم القيامةِ

فهذا سيكونُ بعيدًا عنك بُعْدَ القمرِ عن الأرضِ

الرجُلُ يُذكَرُ دائماً اسمُه في الميدانِ

ويمنحُ روحَه وجسدَه في الحربِ

ويجبُ أنْ تكونَ عندك غيرةٌ وحميَّةٌ

وتتركَ حبَّ النفسِ والروحِ

وتخرجَ وتواجِهَ الملِكَ الشُّجاعَ

فهو كالشمسِ والقمرِ المنيرِ

[موقعة مرج دابق] (1)

نثر: وبعد ذلك، عبرَ السّلطان «الغُوريُّ» مِن «حَلَب»، وتقابلَ الجيشان في «مرج دابق» (2)، وهجموا على البعضِ مِثلَ البحرين، والتحموا مع بعضِهم البعضِ (3)، وهجموا على المَيْمنةِ والمَيْسرةِ والقلبِ والجناحِ (4).

شِعر

نــزلَ جُندُ السّلطان مِن كـلِّ جانبِ
وهلكتْ الأرواحُ والأجسامُ في الوسطِ
عــنـدهـا عـــزفَ الــقــدرُ ألحــانَــه
ومع أولِ لحنٍ طارتْ الأرواحُ في الهواء

---

(1) هذا العنوان من وضع (المترجم).

(2) مرج دابق: في ترجمة القاموس، مرج: تعني اخضرار، دابق: اسم قرية في قضاء حلب. وفي الأصل هي اسم نهر، وسميت هذه القرية باسمه. دابق: نظرًا لإفادة معجم البلدان: هي مدينة تبعد أربعة فراسخ عن حلب.

(3) نظرًا لكتاب تاج التواريخ أنه كان يوم السبت 26 رجب سنة 922هـ ونظرًا لصحائف الأخبار أنه 5 رجب- يوجد ترتيب سهو هنا- يوم الأحد، ونظرًا لروزنامه حيدر چلبي أنه يوم 25.

(4) طبقًا لتاج التواريخ أنه: كان في ميمنة الجيش الهمايوني أمير أمراء الأناضول زينل باشا، وأمير أمراء قرمان خسرو باشا وذو القدر اوغلى شهسوار زاده علي بك، ورمضان اوغلى محمد بك بجنوده، وفي القلب حضرة السّلطان سليم خان مع جند الانكشارية، وفي ميسرة الجيش يوجد أمير أمراء الروم ايلي بيقلى محمد باشا مع عساكر الروم ايلي. أمّا جيش الغوري فيوجد الغوري في قلب الجيش، وفي ميمنة جيشه يوجد أمير أمراء حلب خيربايء وفي الميسرة أمير أمراء الشام سيبايء والميمنة تعني برانقار، والميسرة تعني جوانغار. وتأتي أيضًا كلمة جوانقل في اللغة الجغتائية والتُّركية العثمانية بمعنى ميسرة، وفي تاج التواريخ ج1 ص169 قال: «واشتهر تعبير جوانغار وبرانغار للتعبير عن الميمنة والميسرة».

وكانَ الرجُلُ سكرانَ في الميدانِ مِن الفزعِ
وعندما سارَ تدافعتْ عليه الجنودُ باليدِ
يا مرحبًا بالرجالِ في الميدانِ فـقـدْ ظـهـرَ
تـفـوُّقُ البعضِ وغلبتُه عـلى الآخَـرِ
وألقيتْ المـدافـعُ والسيوفُ والعصا
فمَن رأى الملوكَ حينئذٍ يشعُرُ بالندمِ
فـقـدْ قـتـلَ ابـنُ آدمَ أخـاه في الدنيا
فـلا ينبغي أنْ تخـافَ ولـو في الخفاءِ
وقـد ضربَ جندُ الـروم والآخَـريـن
بالسَيفِ والـرُمْـحِ وكـان لهم الفضلُ
وسقطتْ الأرواحُ على الأرضِ كـجبل بقراس(1)
ونـزلـتْ الخـيـولُ والجـنـودُ مِـن التلِّ

(1) في ترجمة القاموس "بغراس" بفتح الباء: اسم بلدة أسفل جبل لكام في ديار الشام، ويوجد أيضًا جبل اللكام: على وزن غراب، ورمان: هو جبل في الشام بين حما وشيزر وأفاميه، ويمتد حتى مدن صهيون وشغر وبكاس، وينتهي في قضاء أنطاكية". جبل لكام: اسمه القديم هو آمانوس في الجهة الشمالية من منطقة سوريا، وقريب من ساحل البحر الموجود في ولاية حلب، ويطلق عليه جبل الماء الجبل الكبير الذي يربط بين سلسلة جبال طاروروس الجبل اللبناني. وأكبر ارتفاع له 1500 مترًا. ويفهم من هذا الكلام أنّ قسمًا من جبل الما يطلق عليه بقراص. وحاز جبل بقراص على أهمية في محاربة أهل الصليب، ويبعد مسافة أربعة فراسخ عن مدينتين بين أنطاكية واسكندرون. والآن: هو عبارة عن قرية صغيرة باسم بقراص، والتي كانت من قبل قلعة متينة. وذكر قاموس الأعلام أن: القلعة الآن خربة. وذكر أبو العباس أحمد بن يوسف الدمشقي – وفاته 1019 هـ في كتابه أخبار الدول وآثار الأول "تاريخ تأليفه 1007 هـ أن: "بقراص: بلدة على قلعة جبل بها عين ماء بارد، وهي على ثلاثة مراحل من حلب، كان قد بناها أحمد بن أبي داود،

أهلُ المماتِ كانوا يقبِضون على الدنيا

عندما سالتْ الدماءُ مِثلَ نهرِ الفُراتِ

لَم يرَوا مِثلَ فريدون أو الضحاك العجوز

ولَم يشبِهْهم أحدٌ في الكَرّ والفرّ

ياليتَ لي مِثلَ صبرِ وجهدِ الجنودِ

فقاتلَ جند الرومِ في الوسطِ

وجاء وقاتلوا ضدَّ الشاه

مِثلَ القمرِ الذي يأتي على وجهِ الثُّريّا

هاجَمَ اثنا عشرَ ألفًا وقاتلوا

وأربعمائة يدُقّون الطبولَ أمامَ الملكِ

وأشارَ السّلطان لهم بأنْ استعِدُّوا

بإشعال من أرواحهم النار على الشاه

وظهروا فجأةً على الأرضِ

وامتلأ العالَمُ بالرعدِ والبرقِ والدخانِ

وخربت وهي على قارعة الطريق، وبقيت دهرًا طويلًا خرابًا ومأوى لقطاع الطرق إلى أن عمّرها الملك المجاهد السّلطان سليمان بن سليم العثماني، وبنى بها جامعًا صغيرًا، وخانًا كبيرًا، وعين للواردين إليها طعامًا". قارعة الطريق: تعني بداية لأربعة طرق. انظر خليل أدهم بك في تاريخ عثماني انجمني مجموعه سنده في بحث بعنوان: "كتابه موجودة في القاهرة عن أسر هرسك اوغلى أحمد باشا" ص216. وفي معجم البلدان: بغراز، بغراس، وفي لغات تاريخية وجغرافية بقراص. وفي ممالك عثمانيه نك تاريخ وجغرافيه لغاتي "بغراص" أو بقراص وفي لهجه عثماني بقراص. وعن كلمة بكاس في ترجمة القاموس على وزن شداد، وهي قلعة حصينة بالقرب من أنطاكية. انظر معجم البلدان.

وعمِيتْ العيونُ وامتـلأتْ الآذانُ[1]

وانقلبَ الجنودُ في الميدانِ رأسًا على عقِبِ

وكانوا مِثلَ الطيرِ الأبابيل فجعلوهم سِجِّيلِ

وهــجَمَ جيــشُ مــصرَ عليهم

عندها تعرفُ مَن سيُحشرُ يومَ الصُورِ

مِثلَ ظلمةِ المحشرِ أمْ يكونُ في النورِ

وشتَّتَ جيشُ السّلطان جيشَ مصرَ

وبقي سُلْطانُ مصرَ خاضعًا وذليلا

ولَم يُـعـرفْ مــاذا يفعلُ في الـظـلام

وهــربَ لا يُــدرى إلى أيِّ مـكـانِ[2]

نثر: وبعد ذلك، رأى السّلطان أنه صارَ وحيدًا، ليس معه رفيقٌ؛ فالبعضُ قد قُتل والبعضُ الآخَرُ هربَ، وكان سُلْطانُ مصرَ رجلًا مُسِنًّا لا يستطيعُ الهروبَ، وبينما كان يفكِّرُ في شيءٍ ما شربَ سُمًّا وماتَ[3].

---

(1) في التبيان النافع: كر بالكاف العربية، وفي لهجة اللغات بالكاف الفارسية، وعلى وزن سر، وتعني أخرس وأصم.

(2) إلى أي طرف سيذهب.

(3) انظر: تاج التواريخ ج2 ص335، وصحائف الأخبار ج3 ص462. وذكر خليل أدهم بك في أثره بعنوان: «كتابة في القاهرة عن أسارة هرسك اوغل أحمد باشا»، وتوجد في تاريخ انجمني مجموعه سي- أن: «انهزم جيش مصر، وكان السّلطان الغوري طاعنًا في السنّ، ومرض هناك ومات». وفي استطراد هذا المبحث «إذا كانت هناك عدّة روايات عن وفاته إلّا أنّ أصحّها ما ذكرته».

شعر

شربَ السُّمَّ وأهلكَ نفسَه
فانظرْ ماذا تفعلُ الدنيا بأهلِها

وقد كان منعَّمًا في حياتِه
على عرشِ السَّلْطَنةِ بالإعزازِ والنعيمِ

وقتلَ نفسَه وأزهقَ رُوحَه
وهجمَ الجنودُ على سائرِ نُدمائه

نثر: وبينما كان فلولُ جيشِ مصرَ المهزومِ يحاولون الفرارَ هربًا تتبَّعهم بعضُ جنودِ الرومِ، فقتلوا بعضَهم وأسروا بعضَهم الآخرَ، ورجعوا بالغنائمِ والأموالِ، وهجمَ «يونس باشا» بعساكرِ الرومِ ايلي، وأرجعَ أميرُ الجركس «خير بك» مِن «حما»، وجاء بحُسنِ اختيارِه، وأعلنَ الانقيادَ والطَّاعةَ للسّلطَان «سليم». فاستقبلَه السّلطان «سليم» بحفاوةٍ، ووعدَه وعودًا حسنةً، وفي نهايةِ الأمرِ عيَّنَه نائبًا على مصرَ، وبقي نائبًا عليها حتى وفاتِه، ولكنَّ الدنيا لا تُبقي على أحدٍ. وفي عصرِ السّلطان «سليم» تُوفِّي وهو نائبٌ للسّلطَان على ولايةِ مصرَ[1]. وبعد ذلك، أطلقَ السّلطان «سليم» سراحَ أسرى جيشِ الجركسِ الذي قبضَ عليهم في الحربِ، وأقامَ ثلاثةَ أيامٍ في ميدانِ المعركةِ، وفجأةً رأى موضعَ مُشِعًّا [يه نور] بالقربِ مِن «مرج دابق».

---

(1) نظرًا لما ذكره حيدر چلبي في روزنامته أنه: أصبح واليًا على مصر يوم 13 شعبان سنة 923هـ، وفي سجل عثماني أنه تُوفِّي في ذي القعدة سنة 928هـ أمَّا في قاموس الأعلام فذكر أنه تُوفِّي سنة 928هـ- وكان موجودًا على الختم السّلطاني لحضرة السّلطان سليم بالفضة في تربيعته جملة «توكلي على خالقي»، وفي الوسط سُلْطان سليم شاه. وتاريخ ارتحاله نظرًا لتاج التواريخ في ليلة التاسع من شعبان سنة 926هـ. وذكر أنه تُوفِّي في عصر السّلطان سليمان القانوني.

شعر

قال لَمَن هذه الروضةُ التي يشعُّ منها النورُ

فـالـروحُ والـنـفـسُ مبتهجةٌ بها

فـقـالـوا: هـذه روضـةُ سيِّدنا داودَ

روضـةُ سرور والـد سيِّدنا سُليمان

فـوصـلَ لأذنـه نغمةُ سيِّـدِنا داودَ

فـأضـاءت لـه السـعادةُ وأُعجِـب بها

فـقـال: سـأذهـبُ لـزيـارةِ قـبره

وأستـعـينُ بـالله لـزيـارتـه

نثر: وبعد أنْ زارَ السّلطان «سليم» قبرَ سيِّدنا «داود»- عليه الصلاةُ والسلامُ- المنوَّرَ والمشهورَ المعظَّمَ عبرَ ناحيةَ «حلب»؛ فخرجَ أهالي حلب لاستقبالِه، وطلبوا الأمانَ منه.

شعر

عندما رأى أهـلُ حلب السّلطان

خـرجـوا وطـلـبـوا مِـنـه الأمـانَ

وجـاءوا لـبـلاطِ السّلطان متبسِّمين

ووقـفـوا يـستقبلونَ السُلْطانَ

وقـالـوا يـا شمسَ المُلكِ والـدينِ

جـعـلَ الله لـك هـذا الـيـومَ اليقينَ

نثر: فأشفقَ السّلطان «سليم» على أهلِ «حلب»، وأهدى بعضَهم، وهشَّ وجهُه للبعضِ الآخَرِ، وأرسلَ مأمورَ المحافظةِ إلى «مدينةِ حلب». وعيَّنه على

مدينةِ حلب حاكمًا. بعد ذلك وصلَ السّلطان «سليم» إلى مدينةِ «حلب» بعدَ ثلاثةِ أيام [1]، وأخذَ أموالَ سُلْطانِ مصرَ ومتاعَه الذي وضعه مِن قبلُ في قلعةِ «حلَب»، وأنعمَ بها على بعضِ الجنودِ. بعد ذلك عبرَ السّلطان إلى ناحيةِ الشام، وأقام هناك شهرَين مِن أجْلِ فتحِ الشامِ الشريفِ [2]. وجاء مِن مصرَ سفيرٌ كان يتوقَّعُ مجيئه، وبيَّنَ أعذارَه وعيوبَه، وكان السّلطان «سليم» يريدُ الرجوعَ إلى ناحيةِ الرومِ. نعم، كان ذلك خِلافَ ما يتوقَّعُه.

وفي تلك الأثناءِ، وفي يوم مِن الأيامِ، جاء جاسوس مِن ناحيةِ «غَزّة»، وأخبرَ السّلطان قائلًا: «ولّى المِصريون «طُومان باي» حاكمًا عليهم، وأعطى «طُومان باي» بِضعةَ آلافٍ مِن الجنودِ إلى «جانبردى الغزالي»، وخرجَ بهم مِن مصرَ وجاء ناحيةَ «غَزّة».

فعندما سمعَ السّلطان «سليم» هذا الخبرَ أرسلَ وزيرَه «خادم سنان باشا» ببضعةِ آلافٍ مِن الجندِ إلى ناحيةِ غَزّة لمواجهةِ «جانبردى الغزالي»، ولَم يسترِحِ السّلطان «سليم» وقرَّرَ الذهابَ خلفَه، ولَم يذهبْ السّلطان «سليم» صوبَ مصرَ مباشرةً، ولكنْ خرجَ «سنان باشا» بالجنودِ مِن الشامِ مسرعًا، وقطعَ الليلَ والنهارَ في سيرِه حتى وصلَ «غزة». وفي الصباحِ التقى بعساكرِ «جانبردي»، وحاربَ بشجاعةٍ باسلةٍ.

---

(1) نظرًا لما جاء في روزنامه حيدر چلبي أن: السّلطان أقام في خيمة همايونية داخل مكان سُلْطان مصر في ميدان كوك أمام حلب يوم 29 رجب سنة 922هـ.

(2) تحرك في السنة المذكورة يوم 17 شعبان من حلب، ووصل المدينة المذكورة يوم 29 من الشهر المذكور، ثم واصل سيره إلى الشام، وأقام في مكان يسمى «سلطان مصطبه سي» أمام ولاية الشام.

شعر

سـارَ الجيـشـانِ مـع بعضِهم البعض
وَمَحَـوا الـغـبـارَ مِـن فـوقِ السيوفِ
وهجمَ الجيشان مِثلَ السحابِ جماعاتٍ
ونـزلـوا الـبـحـرَ فـامـتـلأ بـالـدمـاءِ
وامـتـلأتْ الأرضُ بـالـدمـاءِ
وكلُّ الدماءِ أصبحتْ على الأرضِ حمراءَ
وأصبحتْ الأرضُ كالتلالِ مِن القتلى
وكانت الملائكةُ هي التي تكتبُ جُرْمنا
وذهـبَ جميعُهم إلى الـسماءِ مسرعين
وقال جميعُهم يا مستعانُ مَن في الأرضِ
لـيـنـصرْ اللهُ بـعـدلِـه ولُـطـفِـه
ويـقـهـرْ بـحـكـمـتِـه الـظـالمَ
وتـضرَّعـتْ الملائكةُ التي لا حَصر لها
وذهبتْ إلى جانبِ الحَّقِ تطلبُ المددَ

نثر: وبعد ذلك، سارَ جنودُ سباهيةِ الرومِ بعظمةٍ وشجاعةٍ، وقتلوا مُعظَمَ عساكرِ مصرَ، وفرَّ الجنودُ الباقون مع «جانبردى» نفسِه، وهربوا ناحيةَ مصرَ، فأغار عساكرُ الرومِ على أمتعتِهم وأموالِهم، ورجعَ «سنان باشا» مِن هناك ونزلَ مدينةَ «غزة». وكتبَ للسّلطان خبراً وأرسلَه إليه.

ومِن جانبٍ آخَرَ، خرجَ السّلطان «سليم» عقِبَ «سنان باشا» الذي أرسلَه إلى غَزَّةَ لمواجهةِ «جانبردى الغزالي»، وسارَ ليلًا ونهارًا، وقطعَ المنازلَ

وطوى المراحلَ حتى وصل إلى مدينةِ «رملة»[1]. وجاءت رسالةُ خبرِ الفتحِ والفتوحِ التي أرسلَها «سنان باشا» إلى السّلطان «سليم»، فعندما قرأ السّلطان «سليم» خبرَ البشارةِ شكرَ الحقَّ سُبْحانَه وتعالى كثيرًا.

شِعر

وسجدَ شُكرًا لله عزَّ وجلَّ
وذكرَ باسْمِهِ الفتَّاحَ الكريمَ
سارَ جيشُه مسرعًا إلى غَزَّةَ
وكان مُكوّنًا مِن خمسةِ آلافِ جنديٍّ
وذهبَ لزيارةِ الأماكنِ المقدّسةِ والقُدْسِ
وقامَ برعايةِ أهالي هذه الديارِ
وتصدَّقَ عليهم بالذهبِ والفضةِ
واحتفلَ أهلُ القدسِ بنشوةِ النصرِ
ودخلَ السّلطان الصخرةَ وصلى
وتضرّعَ إلى الخالقِ جَلَّ عُلاه في الدعاءِ
وأصابَ النورُ بدنَ السّلطان ورُوحَه
ووصلَ السرورُ إلى روحِ السّلطان وجسمِه
وسقطتْ على عينه روضةُ القدسِ
وامتلأتْ رُوحُه بأنوارِ القدسِ

(1) رملة: بلدة في فلسطين، على الطريق بين يافا والقدس، على بعد ثلاث ساعات عن الأولى، وتسع ساعات عن الأخيرة. موستراس، المعجم صـ 281.

ونظرَ إلى روحِ هذا الأمين

فرأى منزلًا به قمامةٌ هناك

هو منزلٌ للنجاسةِ وللسياسةِ

ودائمًا كان منزلًا للجورِ والظلمِ

دام للشعبِ الذي يؤسّسُ جاه الدولة

وهجمَ على الشّاه ووضعَ على رأسِه رُخامًا

والخبزَ الذي قدَّمه له لا تظنَّ أنه غذاءٌ للجسدِ

فهو سامٌّ يُعطى لمَن يأخذُ رُوحَه

لا تظنَّ أنهم يطعِمونك فريًّا أفضلُ مِن ذلك

أنهم يعزلون عنك طعمَ المُرِّ

وتظنَّ أنَّ العلبةَ التي أمامك مِن الجوهرِ

ولكنَّها هي الدمُ الذي تشربُه لغذاءِ الروحِ

والترابُ الذي يوضَعُ بأجزاءِ النظرِ

يكونُ هلاكًا وضررًا للخدِّ والعينِ

يصبحُ ترابًا ممزوجًا بالخمرِ

وهناك فرقٌ بين الترابِ والنورِ الطاهر

وكلُّ ذرّةٍ في الوجودِ

تسجدُ لعزّةِ الخالقِ المعبودِ

نثر: بعدَ ذلك قام بعدّةِ زياراتٍ هناك، ثمّ عادَ وذهبَ إلى «رملة»، وعبرَ مِن «رملة» ووصلَ إلى «غزّة» واستقبلَه «سنان باشا»، وبعضُ الأمراءِ والفرسانِ الموجودون هناك، وقبّلوا يدَه كما تقضي المراسمُ، ثمّ أحضروا له

رؤوسَ الجيشِ المهزومِ مِن الجركسِ، ففرحَ كثيرًا لذلك.

وقصدَ السّلطان «سليم» مِن «غزّة» زيارةَ خليلِ الرحمنِ، وأخذَ معه «يونس باشا» و«حسام باشا» مع ألفِ جنديٍّ مِن «الإنكشارية»، وألفٍ مِن جندِ «القبو خلقى». وتركَ «سنان باشا» مع الجيشِ في «غزّة»، وخرجَ السّلطان مِن هناك، ووصلَ إلى قبرِ خليلِ الرحمنِ- عليه الصلاةُ والسلامُ - وزاره [1]. ثمّ زارَ أيضًا قبرَ سيّدِنا «يعقوب» وسيّدنا «إسحاق»، وتضرّعَ لله- عزّ وجلّ، ودعا عند كلّ تُربةٍ مِنهما، وتصدّقَ على الفقراء المجاورين لهذا المكانِ كثيرًا، وأغناهم جميعًا، ثمّ رجعَ مِن هناك وذهبَ إلى «غزّة»، واستراحَ فيها ثلاثةَ أيام، ثمّ سارَ مِن مكانٍ لمكانٍ، وقال: إنّه يريدُ الذهابَ إلى الديارِ المصريةِ.

شعر

رأى الديارَ العامرةَ العظيمةَ
التي لا يوجدُ مِثلُها ولا نظيرَ لها في العالَمِ
عندما تمرضُ النفسُ الطيّبةُ
تذهبُ إلى هذا المكانِ لتسعدَ وتفرحَ
هناك الخُلدُ والربيعُ بلا خريفٍ
وتهزُّ الرياحُ والهواءُ أوراقَ الربيع

(1) يوجد مكان يسمّى «خليل الرحمن» في منطقة حبرون- واسمها القديم هو آربا»-، والذي يحوي قبر عمّ حضرة إبراهيم الخليل. وفي ترجمة القاموس في لفظ الخليل: يطلقون عليه أيضًا بيت حبرون. وعندما كان متداولًا تعبير مدينة الخليل بعد زمن تمّ إسقاط لفظ مدينة، وأصبح في اللغة لفظ الخليل فقط. واليوم متعارف باسم خليل الرحمن. أحيانًا ينسبونه ويقولون خليلي.

يوجد مـــاءُ الحـيـــاةِ في كـــلِّ النواحي
وناتُ السكَّرِ هو مِثلَ لذَّةِ نهرِ الكوثرِ
عندما تضِيقُ بك الحياةُ اذهـــبْ هناك
تجدْ الصفاءَ والبهجةَ للروحِ والجسدِ
اســـتراحَ السّلطان هناك ثـلاثـةَ أيـام
واســــتراحَ أيـضًـــا الجـيـــشُ والحـيـــوانُ

نثر: وبعدَ ذلك، أخذَ السّلطان «سليم» رؤوسَ الجركس التي كانت معه، ولَم يكُنْ قدْ قرّر إلى أيِّ مكانٍ ينوي الذهابَ، ولَم يوافقْ القدرُ تدبيرَه. فإذا كانت هناك أعمالٌ سيفعلُها. نعم، لتصغِ أنتَ إليَّ الآن؛ لكي أخبرك بأحوالِ الجراكسةِ مع «طُومان باي».

[أحوالُ الجراكسةِ مع طُومان باي][1]

بعد أنْ هُزم «جانبردى الغزالي» في «غَـزّة» هربَ مِن هناك، وكان «طُومان باي» ينتظرُ معرفةَ ما حدثَ، ولَم يذهبْ السّلطان «سليم» لمكانٍ، وعلم الجيشُ الذي وصلَ «غزّة» أنّ: جانبردى قد هُزِم وهربَ، وفجأةً جاء فارسٌ على جملٍ هجينٍ[2]، ونزلَ على الأرضِ أمامَ «طُومان باي» وأخبره قائلًا: «يا سُلطانَ الزمانِ، جميعُ الجيشِ الذي أرسلتَه إلى «غزَّة» قد هُزِم، ونجا «جانبردى» بقوَّتِه، فقدْ دخلَ هذه الحربَ وهو سيِّئُ الطالعِ ولَم تُطعْه الأسودُ، وكان «جانبردى» مثلَ الأسدِ، والآن هو أسوأُ مِن «سجانَ». والآنَ سيصلُ إليك [جيش السّلطان]، فلا تكُنْ غافلًا».

---

(1) هذا العنوان من وضع (المترجم).

(2) هجين: تعني الجمل القوي الشجاع الذي يقف أمام الماء، ويعني المهارة التي تستخدم في الجري، وأيضًا لا تعني الجمل الذي لا يحمل الأثقال.

[موقعة الريدانية] (1)

وعندما سمعَ «طُومان باي» والجنودُ بهزيمةِ «جانبردي الغزالي» وإخفاقِه، وأنَّ السّلطان «سليم» سوف يأتي إليه عمّا قريب، جمعَ رجالَه وتشاوروا في الأمرِ، وأخذوا العقدَ والمِيثاقَ فيما بينهم واتّفقوا على أنْ يجعلوا السّلطان «سليم» خلفَهم في المدينةِ، ويحاربوه. ويطلِقون على المنطقةِ التي أمامَ المدينةِ «الريدانية». وكان يوجدُ بينهم رجُلٌ كبيرٌ، قام بحفرِ خندقٍ، وأخرجَ المدافعَ، ونظموا له ميدانَ المعركةِ، ووقفَ ينتظرُ مجيءَ السّلطان «سليم» (2).

وعرف السّلطان «سليم» أنهم حفروا خندقًا، وكذلك عرف أمرَ المدافعِ، فتركَ هذه الناحيةَ وذهبَ بجيشِه مِن طرفِ الجبلِ مِن ناحيةِ مصرَ العُليا، ونزلَ مِن جانبِ راياتِ الجراكسةِ، وأبطلَ هذه الخنادقَ والمدافعَ، وابتعدَ عن مكانِ الخنادقِ والمدافعِ.

شِعر

بَطُلَ عملُ الخنادقِ والمدافعِ
وواصلَ الجيشُ سيرَه نحوَ العدوِّ
ورأى السّلطان الجيشَ مِن الخلفِ
وذهبتْ الدولةُ مِن الرأسِ والصفاءِ مِن القلبِ

نثر: وبعد ذلك، يئسَ «طُومان باي»، وفقدَ الأملَ في المدافعِ والخنادقِ؛

---

(1) هذا العنوان من وضع (المترجم).

(2) نظرًا لما جاء في تاج التواريخ ج1 ص353، وصحائف الأخبار ج3 ص464 ويوجد أيضًا الفتحنامه الهمايونية في منشآت السلاطين أنه في مكان يسمّى «عادلية»، ونظرًا لحيدر چلبي «ريدانية».

فأعلنَ الحربَ بدقّ طبولِ الحرب. وواجهَ جيشَ السّلطان «سليم». والتقى الجيشان ببعضِهما بشكلٍ غراميٍّ، وانتقموا مِن بعضِهم البعض كما يجبُ. وصعدتْ أصواتُ الصياحِ والضجيجِ لعنانِ السماءِ، وسقطتْ معظَمُ الزهورِ مِن على الأشجارِ.

شِعر

تبارزَ الرجالُ في وسطِ الميدانِ
وسقطتْ الأرواحُ والأجسادُ في الميدانِ
وسقطتْ الدماءُ مِثلَ البحرِ والنيلِ
وغرقَ في الدماءِ العسكرُ والخيلُ والفيلُ
هذه دارَ الكهنةِ وقتُ الحربِ
كتبتْ وسطَ القتلى المبعثَرةِ

نثر: رأى «طُومان باي» أنّ طالعه منحوسٌ، فقدْ انهزمَ جيشُه في يدِ العدوِّ؛ فلَم يجدْ حيلةً فاغتمّ وحزِنَ لذلك، وأخبرَ عساكرَه بضرورةِ الفرارِ مِن المعركةِ، فهربَ مع بعضِ جنودِه، ولَم يدخُلْ المدينةَ، وذهبَ ناحيةَ قلعةِ مصرَ، ولَم يجلسْ بها وفرّ على حدودِ النيلِ، وهربَ ناحيةَ «سعيد ايلي» [1]. ولكنّ «جانبردى الغزالي» ذهبَ مع بعضِ الجنودِ الأقوياءِ إلى السّلطان «سليم»، وأعلنَ الطاعةَ والانقيادَ إليه، وأصبحَ تابعًا له، وانتصرَ السّلطان «سليم» على المصريين، وهزمَ جيشَهم.

---

(1) صعيد ايلي: بلاد الصعيد. تطلق على القسم الأعظم الذي يمتد من القاهرة والمنطقة المصرية وحتى حدود النوبة.

شعر

اعـوجَّ السيفُ مِن قتلِ هـؤلاء القوم
وكان كمثلِ إغراقِ موسى فرعونَ في البحرِ
وهـكـذا دائـما حـالَ الـدنـيـا
تـلـعبُ وتحـرِّكُ في أهـلِ الـدنـيـا
الـعـزيـزُ فـيـهـا يـصـبـحُ ذلـيـلا
ويـومَ فرحِه يكونُ له مأتمًا وعويلًا
احـذرْ أنْ تـأمَـنَ الـدنـيـا
فـأعـطِـهـا حـقَّـهـا دون أنْ تـريـدَ
لا تـفـرحْ لـعـطـاءِ الـدنـيـا لك
ففي يوم ستتخلَّى عنك وتخرِجك مِنها
والـعـاقـلُ مَـن لا يـأمنُـهـا
وبـعـد ذلـك، يـعـمـلُ قـلـبـه لها
ويتَّقي اللهَ ولا يثِقُ في مكرِ الدهرِ
ففي النهايةِ سيهزمُ بالجبرِ والقهرِ
ثمرةُ الصحَّةِ مِثلَ زهـرةِ الـروحِ تُعطى
وقـهـرُ الإنـسـانِ يـكـونُ لجـاهِ الـدولـةِ
ولـو كـان الإنـسـانُ يخلدُ في الـدولـةِ
لَـكـانَ المصطفى باقيًا بـيـنَ الأحـيـاءِ
وكـلُّ مَـن في الـوجـودِ طِـفـلا
والشمسُ والقمرُ تابعةٌ لنجمِ الإنسانِ

ولـذلـك خُـلـقـتْ مِـن أجْـلِـه الدنيا

والإنسُ والجِنُّ والقمرُ واليومُ في الكونِ والمكانِ

نثر: وبعدَ ذلك، نصبَ السّلطان «سليم» خيمةً في المكانِ الذي انتصرَ فيه على المصريين، واستراحَ فيه لمدَّةِ يوم، وعبرَ منه في اليومِ الثاني، ومرَّ مِن داخلِ مصرَ، ونصبَ الخيامَ والشوادرَ في موضعٍ يسمَّى «بولاق» (1) على حافَّةِ النيلِ، وجلس على عرشِه هناك (2).

وقام جيشُ العثمانيّين بنهبِ ثكناتِ جيشِ مصر، ولكنَّهم لَمْ يتعرَّضوا لأهالي المدينةِ بأذًى، وعيَّنَ السّلطان «صوباشية» ومحافظين على مصرَ، وأعطى الأمانَ للأهالي وقال: «كلُّ إنسانٍ مؤمَّنٌ على حياتِه، ولْتفتحوا متاجرَكم ودكاكينكم ولْتبيعوا وتشتروا». وأمرَ الديوانَ بتنفيذِ ذلك، وأصبحَ أهالي المدينةِ في أمانٍ كما كانوا مِن قبلُ، وفتحوا محلَّاتِهم وباعوا في أسواقِهم،

(1) بولاق: هي مدينة في شمال ساحل نهر النيل تبعد 2 كيلو عن شمال غرب القاهرة، وهي بمثابة ميناء للقاهرة. وفي معجم البلدان: بلاق: بالكسر وآخرها قاف. قال: بلد في آخر عمل الصعيد وأول بلاد النوبة كالحدّ بينهما.

(2) جاء في روزنامه حيدر چلبي عن هذا الباب، فقال: أنه يوم 3 محرم سنة 923 هـ «نصبت الخيام والستائر العظيمة للسُّلْطانِ بالقرب من بولاق في مكان معروف يسمّى (جزيرة السُّلْطان) بالقرب من النيل، وطبقًا للعادة كان كلّ شخص يستريح من العيد. وفي فتحنامه همايونية سالفة الذكر «أقام في المنزل المبارك المذكور لمدّةِ أربعة أيام، ونهض مِنه في اليوم الخامس بسعادة، ونزل بإجلال وسعادة في جزيرة موجودة على ضفاف النيل تسمّى بولاق أو جزيرة بولاق. وفي تاج التواريخ «ونزل في مكان على ضفاف النيل معروف باسم الجزيرة الوسطانية. وفي صحائف الأخبار: «وقع النزول الهمايوني على جزيرة وسطانية على ضفاف النيل، ونزلت العساكر المنصورة في بولاق». وفي معجم البلدان «جزيرة مصر: وهي محلة من محال الفسطاط، وإنّما سمّيت جزيرة لأنّ النيل إذا فاض أحاط بها الماء وحال بينها وبين معظم الفسطاط واستقلت بنفسها، وبها أسواق وجامع ومنبر، وهي من متنزهات مصر فيها بساتين».

ورأى السّلطان «سليم» مصرَ؛ فقال: لا توجدُ مدينةٌ مِثلُها قَطّ.

شعر

رأى مصرَ مِن جانبِ البحرِ
وكانت مدينةً غايةً في الاستحكامِ
فهي رفيقةُ السماءِ في العلوِّ
ومِن أعجبِ بلادِ العالَمِ
منازِلُها مِثلَ الفلكِ
ومرتبطةٌ بالحُورِ والملكِ
وحدائقُها مِثلَ الجنانِ الثمانِ
ومتَّصِلةٌ بنهرِ الكوثرِ
ولو نظرت الولدان على متانتِها
لاحتارتْ مِنها الحُورُ والغِلمانُ
ولا يدركُ العقلُ بفكرِه نعيمَها
ولا يستطيعُ اللسانُ العاجزُ وصفَها

نثر: أمّا سُلْطانُ مصرَ فقدْ هربَ وفرَّ، وسارَ لمدّةِ يومين ببضعةِ آلافٍ مِن الجنودِ الموجودين حولَه، وبعد ذلك، قالوا بعضُهم لبعضٍ: «كيف سنهربُ بهذه الصورةِ وهذا الوضع وما سيحدثُ لنا؟ فلْنرجِعْ؛ نحن لا نخافُ مِن الموتِ، [حتى لا نكونَ] مِثلَ الغُرابِ يتجوّلُ مِن خرابةٍ إلى خرابةٍ ثمّ يعودُ. ولْنهجمْ على غريمِنا، فإمّا أنْ يقتلَنا أو نقتلَه»، وقرّروا ذلك، ولبسوا لأمةَ الحربِ، وساروا مثلَ سيلِ النيلِ على جيشِ الرومِ وهجموا عليهم. نعم، كان بين هؤلاء بعضُ

الجنودِ جواسيسُ، ذهبوا إلى السّلطان «سليم»، وأخبروه بذلك [1]. فأحضرَ السّلطان «سليم» هؤلاء الجنودَ، وسألَهم عن الخبرِ، وقال لهم:

شِعر

قــالــوا سِرْ عــلى بــركــةِ اللهِ
ولْـيـنـصُرْكَ اللهُ دائـمـاً في حُكمِك
ويهـزِم اللهُ دائـمًا العُصاةَ والمتمرّدين
ولْـتـحضِرْ سِـهـامَ خـسرو وخـاقـان
أيُّها الـنورُ الطاهرُ السّلطان سليمٌ
فليَسقُطْ العُصاةُ تحت سيفِك مهزومين
لتستعدَّ يـا شمسَ المُـلـكِ والـدِيـنِ
ولْـيـبدأ الجـيـشُ مـعـك في الهـجـومِ
وهــذه كـانـت ليلةَ هـجوم الجـنـودِ
لــذلــك أتـيـنـا نـحـنُ لـعـمـلِ بـيـانٍ
لأنه كان معلومًا سيذهبُ ذلك الأسدُ
إلى الشّاه ويهجم كالخُفّاشِ في الليلِ

نثر: وبعد ذلك، سمعَ السّلطان هذا الخبرَ؛ فأمرَ عساكرَه قائلًا: «ليستعدَّ كلُّ شخصٍ في مكانه، ولا يغفلْ أو يتهاونْ». ولَم يستطعْ جيشُ سُلْطانِ مصرَ

(1) جاء في الروزنامه التي حرّرت في صورة بحث مختصر عن حرب مصر: في مساء يوم الثلاثاء ليلة الأربعاء الرابع من محرم سنة 923هـ-: «دخل سُلْطان مصر المدينة ليلًا»، وذات ليلة قال له جندي يدعى «غور بغا»- وربما هذه الليلة- وجاء الجندي مع رفيقه، وكان جميع الجند في غفلة فأخبره، وفي تلك الليلة أطلقت المدافع والرصاص حتى الصباح.

أنْ يأتي على جيشِ السّلطان «سليم» فتفرّقَ كلُّ شخصٍ إلى بيتِه، وإذا كانوا قد وجدوا بعضًا مِن عساكرِ الرومِ في منازِلهم، ضربوهم بالسيفِ، وقتلوا بعضَهم، وأذاقوا بعضَهم الآخَرَ شتّى أنواعِ العذابِ، وحلّتْ خسارةٌ كبيرةٌ بجنودِ الرومِ.

وبعد ذلك، ذهبَ [جيشُ الرومِ] إلى القلعةِ، وكانوا يريدون دخولَها واقتحامَها، وكان المصريون قد سمِعوا أنَّ السّلطان «سليم» قد هزمَ الجراكسةَ، فتركوا رجالًا أقوياء بداخلِها، وأحكموا ضبطَ القلعةِ. ولذلك وجدوا أبوابَها محكَمةً، وجمعَ الجراكسةُ الرجالَ الموجودين داخلَ القلعةِ، وأخبروهم بما حدثَ، فيئسَ جيشُ السّلطان مِن القلعةِ، ثمّ ذهبَ إلى «اولو جامع»، وتجوّلَ في نواحيه، واستعدَّ الجيشُ للحربِ، وانتظرَ السّلطان «سليم» مع عساكرِ الرومِ حتى الصباحِ، وجاءه الخبرُ أنَّ الجراكسةَ هجموا على المنازلِ، وقتلوا كلَّ الرومِ الموجودين بداخلِها؛ فأمر وزراءه قائلًا: «اذهبوا بالجيشِ، وحارِبوا المصريين، ولْيخرُجْ تعبُنا مِن مصرَ [فلْتُنهِ أمرَ مصرَ]».

وعندما وصلَ جيشُ الرومِ هناك ضربهم بعضُ الجراكسةِ بالسهامِ مِن أعلى السطحِ، وبعضِ نوافذِ منازِلهم ومِن بعضِ الشُّرفاتِ. ولَم يستطعْ الرومُ المقاومةَ، وحاربوا كثيرًا، وجُرِحَ خلقٌ كثيرٌ مِن جنودِ العثمانيّين، ولكنّهم لَم يهربوا. وعندما حلَّ المساءُ جاء جيشُ الرومِ إلى السّلطان «سليم»: البعضُ مجروحٌ، والبعضُ مُصابٌ، وأخبروه بما حلَّ بهم، وأنهم هُزموا هذه المرةَ، فعندما عرفَ السّلطان «سليم» الخبرَ لَم يتأثّرْ أو يغضبْ، وروّحَ عن جيشِه قائلًا: «هذا حالُ الدنيا، لا تُعطي مكانًا ولا تأخُذُ سُلْطانًا؛ فلا تعجَبوا مِنها».

وفي الصباحِ أرسلَ الجيشَ، ووقعتْ حربٌ عظيمةٌ مع عساكرِ مصرَ، واقتتلوا

مِن الصباحِ حتى المساءِ. والحاصلُ استمرّتْ الحربُ ثلاثةَ أيامٍ على الدوامِ دونَ تحقيقِ أيِّ نصرٍ يُذكَرُ.

وفي نهايةِ الأمرِ، خرجَ السّلطان «سليم» بنفسِه [1] وغضِبَ على جنودِه، فأذاقوا جندَ الچراكسةِ طعمَ السّيفِ، وقتلوا مُعظَمَهم، فهربَ السّلطان «طُومان باي» مع حواليّ مائتين أو ثلاثمائة جنديٍّ مِن مصرَ، وعبرَ نهرَ النيلِ، وفرَّ ناحيةَ بلادِ الصعيدِ.

وأمرَ السّلطان «سليم» بعدِّ رجالِ الچراكسةِ الباقين في مصرَ، وأمرَ بالبحثِ عنهم في كلِّ مكانٍ، وأُحضِر الباقون ورُبِطوا ونُقلوا إلى السّلطان «سليم»، وأحضروا حواليّ أربعةِ آلافٍ وثمانمائةِ جنديٍّ، فأمرَ السّلطان «سليم» بضربِ رؤوسِهم وقتلِهم جميعًا، وتمَّ قتلُهم جميعًا وإلقاءُ جُثثِهم في النيلِ.

[نهايةُ دولةِ المماليكِ الجراكسةِ] [2]

وفي أوائلِ سنةِ 923هـ [3] استقرَّ السّلطان «سليم» في مِصْرَ، وعيَّن

---

(1) ذكر حيدر چلبي في الروزنامه: «سار في الحال السُّلْطان، ولبس الطيالس الحمراء، وصنع درع سيدنا داود في الميدان بالذهب، ووصل إلى أمام القلعة. وفي العشاء وقعت حرب عظيمة، واستمرت سبعة أيام، وكان السّلطان متقلدًا لأمة الحرب حتى اليوم السابع منتصف النهار، وسار مع الخيالة والمشاة حتى وصل ميدان «رميلة» ما بين القلعة وجامع السّلطان حسن. وجاء في تاج التواريخ: «وصل الجيش إلى مصر، ودخلوا من أسواق عمارات السّلطان حسن وشيخونية. وفي صحائف الأخبار: «في النهاية تحرك حضرة السّلطان بنفسه، وسار أمامه طائفة الانكشارية والمشاة، ووجد طريقًا بين عمارات الشيخ حسن والشيخونية، ودخل بداخل المحلات، ونقل المدافع الصغيرة، وقام بهدم المحلات التي يتحصن بها المصريون». وفي ترجمة القاموس: رميلة: على وزن جهينة، وهي اسم ثلاثة مواضع، وانظر كلمة رميلة في معجم البلدان.

(2) هذا العنوان مِن وضع (المترجم).

(3) الموافق عام 1517م.

للحُجّاج أميرًا للحجِّ، وأرسلَ كسوةً إلى الكعبةِ المشرّفةِ شرّفها اللهُ تعالى، ثمّ بعد ذلك أرسلَ رسولًا إلى «طُومان باي» قائلًا: «أطِعْ أولي الأمرِ، وأطِعْني، ولا تكُنْ عنيدًا، وسوفَ أقرِّرُ لكَ ما تحتَ يدِكَ ومملكتِكَ». وكان في التقديرِ الإلهيِّ أنّ هذا العملَ كان هو نهايةَ دولةِ الجراكسةِ؛ فلَم يهتمّ «طُومان باي» أو يلتفتْ إلى هذا الخبرِ والرسالةِ، وقتلَ رسولَ السّلطان «سليم»، ووصلَ خبرُ مَقْتَلِ الرسولِ إلى السّلطان «سليم»، ففي الحالِ خرجَ بجيشِه من مِصْرَ وعبرَ النيلَ، وسمعَ «طُومان باي» -وكان يومئذٍ في بلادِ الصعيدِ- أنَّ السّلطان «سليم» جمعَ جيشًا جرّارًا وعبرَ نهرَ النيلِ يقصدُه، فنهضَ مِن بلادِ الصعيد، وهربَ إلى ناحيةِ العربِ.

وقصدَ ناحيةَ «إسكندرية»، فهجمَ السّلطان «سليم»، وتتبّعَ أثرَه. وبعدَ مرورِ يومٍ وليلةٍ أدركَ السّلطان «طُومان باي»، وقتلَ جيشَه، فاستطاعَ «طُومان باي» الفرارَ مع بعضِ فُلولِ جنودِه الباقين إلى مملكةِ شيخِ العربِ بجانبِ «إسكندرية» التابعةِ لِمصرَ. وقامَ شيخُ العربِ بخدمةِ السّلطان «طُومان باي» وإعزازِه وإكرامِه وتبجيلِه على الوجهِ اللائقِ، ثمّ أرسلَ رسالةً إلى السّلطان «سليم» قال فيها [1]: «بالفِعلِ «طُومان باي» موجودٌ في حِمايتي؛ فماذا تأمرُ؟».

(١) عندما قامَ كاتب الجراكسة يوسف بتحويل أثر الملا شكري المنظوم- سليم نامه- إلى النثر بعدَ أنْ قال عبارة «راوي قولنجه» طبقًا لقول الراوي، قال: عبر طُومان باي إلى ناحية الغربية، ورجع إلى الشيخ حسن ابن مرعي شيخ عربان العطايا، وقال له الشيخ: جُنْد الروم مثلَ النار الطاغية، فلنقف ضدّهم ونتّفق سويًا. ونحن قادرين على إخفائك وحمايتك. ولدينا غابة في لبّ البحر، ونحن فقط من نعرفها، وداخلها مكان واسع، وإذا اتّفقت معنا نرسلك إلى تلك الجزيرة، وبعدَ أنْ فكر طُومان باي وشاور أمراء الجراكسة الموجودين معه، وقال لهم: ليرَ كلّ واحدٍ منكم حيلة يخلص بها نفسه». بعدَ أنْ قال ذلك دخل مع بعض خواصه إلى الغابة، ونصب خيمة في مكان واسع وجلس فيها.

فهجمَ السّلطان «سليم» على «طُومان باي»، وقتلَ مُعظَم جنودِه، وبعد ذلك، أرسلَ بِضعةَ آلافٍ مِن العساكرِ، والتقى العساكرُ الذين وصلوا هناك بـ «الخبرجية» الذين جاءوا مِن العربِ، ثمّ ساروا إلى «طُومان باي».

⏮ شِعْر

تــعــالَ وانــظُــرْ لِـقِـصَّـةِ الـسّـلـطـان
ومـا فعلَه به الـدهـرُ مِـن ذلّـةٍ وهــوانٍ
كــان يـقـيـمُ مــسـتـريحًـا خــالِيَ الـبـالِ
وفجأةً أظلَمَ عليه بجانبِ مِصْر الحالُ
وسـار ثلاثين يومًا مِن الشامِ للمشرقِ
وفــتــحَ الــعــالَمَ في آنٍ واحــدٍ
وخــرجَ هــذا الغُبارُ وفي وسطِه سيلٌ
وامــتــلأتْ الــديــارُ بعساكرِ الــرومِ
وكان جُنْدُ السّلطان وهُم ألفُ شخصٍ
يـضِـلُّـونـه مـع أنـهـم كــانــوا رُفـقــاءه
وعــنــدمــا عــجــزَ الــسّــلــطــان وشكى
جاءه نفيرٌ مِن جيشِ الـرومِ وكلُّه يسيرٌ
وقبضوا على سُلْطانِ مِصر وقيدوه
وأركــبـــوه عـــلى جمـــل عـــالي

نثر: ولَم يسترِحْ جُنْدُ الرومِ ايلى، وذهبوا إلى السّلطان «سليم»، وعرضوا عليه الأسرى الموجودين معهم وأخبروه بأحوالهم. وعبرَ السّلطان «سليم»

مِن هناك، ووصلَ مِصْرَ، ونزلَ بمكانٍ في مقابلِ مِصْرَ يسمَّى «الجيزة»[1]، ثمّ أمرَ بإرسالِ «طُومان باي» إلى مِصْرَ، وصلبَه على بابِ زويلة بسببِ قتلِه سفيرِ السّلطان «سليم». وأمرَ السّلطان ببناءِ قصرٍ له في مكانٍ يسمَّى «أمّ القياس»[2]. وعدلَ بين الرعايا. وشاهدَ عجائبَ مِصْرَ وغرائبَها، ثمّ ذهبَ

---

(1) جيزة: ذكر حيدر چلبي في الروزنامه في وقائع ربيع الآخر: في اليوم السادس حل السّلطان صاحب الدولة بالطبل في المكان المذكور- أمّ القياس-، وعبر منها، وعبر من نهر النيل، ودخل الروضة ونصب الخيام الحمراء والمظلات بجوار النيل، وجلس بإجلال فيها، وجاء العساكر والوزراء والناس بالقُرْبِ مِن قرية تسمَّى جيزة بمقابل الروضة، وجلسوا بها ونزلوا بها». وفي ترجمة القاموس: الجيزة: تعني منطقة، وهي بكسر الجيم. وتطلق الجيزة على جانب النهر، وهي اسم قرية في ولاية مِصْرَ. انظر معجم البلدان. بالقُرْبِ مِن القاهرة، وفي مُواجهة الفسطاط في غرب ساحل النيل، وهي من أفضل المناطق في مِصْرَ.

(2) جاء في تاج التواريخ المطبوع ج2 ص374: هو مكان مشهور باسْمِ مقياس بين الناس في مقسم النيل وبنى قصرًا عاليًا، ووضع أساس بناء قصرٍ عالٍ. وفي صحائف الأخبار المطبوع ج3 ص468: صدر الفرمان ببناء قصر في أمّ القياس، وعند إتمامه أمر بكتابة بيتين من الشّعْر السّلْطاني على الحائط:

الملك لله من يظفر بنيل غنى	يردّه قسرًا ويضمن نفسه الدركا
لو كان لي أو لغيري قدر انملة	فوق التراب لكان أمر مشتركا

وكتب تحت البيتين «خادم الفقراء سليم. وهذه الأبيات باقية إلى الآن. وجاءت هذه الأبيات في أوراق بريشان، طبعة 1301 ص375، على هذا النحو:

الملك لله من يظفر بنيل منى	يردده قسرا ويضمن نفسه الدركا
لو كان لي أو لغيري قدر انملة	فوق التراب لكان أمرا مشتركا

وفي جامع الدول المكتبة العمومية رقم 5020 ج2 ص997:

الملك لله من يظفر بنيل منى	يردده قسرا ويضمن نفسه الدركا
لو كان لي أو لغيري قدر انملة	فوق التراب لكان أمرا مشتركا

وتوجد هذه الأبيات أيضًا في تاريخ عطا ج4 ص12: توجد في مبحث بعنوان «الخطاب الهمايوني للعلماء والوجهاء الذين حضروا إلى مقرّ الخلافة مِن أجْلِ التهنئة بفتح مِصْرَ». وفي مختصر الروزنامه في وقائع جُمادى الأولى سنة 923ه: وصل السّلطان صاحب السعادة يوم 22 جُمادى الأول من

إلى جبالِ «الهرمان» (١)، ونظر إليها وقال لوزرائه: «ما هذا؟، لو أنَّ هناك أحدًا مِن أهلِ المعرفةِ والخِبرةِ؛ فلْيخبِرْنا خبرَ هذه القبابِ وما هي؟»، عندما قال السُّلطان «سليم» ذلك؛ وجدوا في الحالِ فيلسوفَ العالَمِ الذي هو غايةٌ في الحكمةِ وماهرٌ وخالٍ وطاهرٌ مِن عيوبِ الدنيا.

شِعْر

أحــــضروه بــعِــزَّةٍ إلى الــسُّــلْـطـانِ

وأخــبروه بكلِّ شيءٍ وما يريدونه مِنه

فــرأى السّلطان شيخًا عـجـوزًا فطِنًا

وعــرفَ أنَّ في عقلِه علمًا وفنًّا كثيرًا

واستقبلَه حضرةُ السّلطان السعيدِ بإجلالٍ

وهــو مِـثـلَ نــورِ زحــلٍ في العظمةِ

فقال له السُّلْطانُ: قل لي أيُّها الحكيمُ

مَـن الـذي بنى هـذه الـعـمـاراتِ العاليةَ

سيره من الإسكندرية، ونزل بمكان يسمَّى أمّ القياس، وأمر ببناء قصر منيف في أم القياس. وفي قاموس الأعلام: روضة: هي جزيرة تقع بالقُرْبِ مِن الفسطاط، وملحقة بالجيزة في أسفل مِصْرَ، وكان يرتكز بها مقياس من النيل في الناحية الجنوبية في زمنِ الخلفاء العباسيّين. وعند فتح ياوز سليم خان مِصْرَ بنى على هذا المقياس قبة أو أعلى القبة قامَ ببناء قصر، ويقوم المصريون الآن بالبيع والشراء هناك. والمقياس والقبة موجودان الآن. وفي خطط المقريزى المطبوع ج1 ص57 انظر البحث بعنوان «ذكر مقاييس النيل وزيادته». وفي نوادر الآثار طبعة بولاق ص98 سالك: إذا كانت أم الدنيا فتطلق على الرجل، ولا تظن أن مقياس على قياس هذا جفاء لمصر.

(١) جبال الهرمان: في ترجمة القاموس: الهرمان: بفتح الهاء والراء هي تثنية لكلمة هرم. وتطلق على هرمين قديمين في مِصْرَ..... إلخ. انظر كلمة أهرام في لغات تاريخية وجغرافية.

مـــا أصـلُـهـا ومَـــن الـــذي بناها

احـــكِ لـنـا قـصَّـتَـهـا ومَـــن بناها

فـقـال يـا سُـلْـطـانُ هـذه الأرض

ويا حبيبَ أحـدَ[2] في القانونِ والشرع

أيُّها السّلطان صاحبُ السعادةِ والاحترام

هـذه المباني اسمُها أهـرام [هـرام][3]

وتـوجـدُ كـثـيرٌ مِـن الحـكـايـاتِ

عـنـهـا أيُّهـا الـسّـلـطـان سليمٌ

ولـكِـنَّ حقيقةَ ذلـك أيُّهـا السُّلْطانُ

واضـحـةٌ لا تخـفـى عـلى أحـدٍ

ولا أحــدَ يـعـرفُ شيـئًـا عـن ذلـك

ولَم يـصِـلْ أحـدٌ لـسرِّ هـذه الأهـرام

نثر: ومدينةُ مِصْرَ الموجودةُ الآنَ ليستْ هي مِصْرَ، والذي بنى مِصْرَ أطلقَ عليها اسمَ القاهرةِ. ومصرُ القديمة كانت هي بلادَ الصعيدِ، وقامَ بهدمِها «بُخْت نَصّر»، وبُنيتْ هذه بعد ذلك[4] وبعد ذلك، سألَ السّلطان سليمٌ ذلك الرجُلَ العجوزَ عن نهرِ النيلِ وأصلِه وفرعِه؛ فقال الرجُلُ: «يا سُلْطانَ العالَمِ،

---

(2) يقصد هنا يا حبيب سيدنا محمد، وذكر اسمه أحمد والنبي - صلَّى الله عليه وسلم - اسمه أحمد ومحمد ومحمود، وجاء في أحاديث صحيحة أنّ له أسماء عدّة، حيث قال: (إن لي أَسْمَاءً: أنا مُحَمَّدٌ، وَأنا أحْمَدُ، وَأنا المَاحِي الَّذي يَمْحُو اللهُ بِيَ الكُفْرَ، وَأنا الحَاشِرُ الَّذي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمَيَّ، وَأنا العَاقِبُ الَّذي لَيْسَ بَعْدَهُ أَحَدٌ)، البخاري (4896)، ومسلم (2354). (المترجم).

(3) هرام: هي جمع لكلمة هرم.

(4) انظر: كلمة مِصْرَ في لغات تاريخية وجغرافية، وقاموس الأعلام.

كانت توجدُ ولايةٌ يطلِقون عليها الحبش، يبدأ مِنها نهرُ النيلِ، ويطلِقون على الجبلِ الذي يخرُجُ مِن تلك البلادِ جبلَ القمرِ، ومِن بدايةِ شهرِ حزيران وحتى نهايةِ شهرِ أغسطس في تلك الأشهرِ الثلاثةِ تمطِرُ الأمطارُ متواصلةً في تلك الولاياتِ ليلًا ونهارًا، وتصبحُ سيولًا، وهي التي يُطلَقُ عليها نيلُ «باران». وعندما يمتلئُ نهرُ النيلِ مِن هذه الأمطارِ، وفي خلالِ شهرين مِن فضلاتِ النيلِ وزيادتِه يأتي إلى جانبِ مصْرَ، ويستقِرُّ بها، ولا يوجدُ ذلك في بلادِ الرومِ. وحياةُ أهلِ مِصْرَ متعلِّقةٌ بهذا النيلِ؛ فهو شُريانُ الحياةِ لأهلِ مِصْرَ. وإذا لَم يفِضِ النيلُ في أي سنةٍ يصبحُ أهلُ مِصْرَ فقراءَ أذِلَّاءَ، وإذا نقصَ النيلُ لمُدَّةِ سنتينِ فكلُّ شيءٍ يخربُ في مِصْرَ[1].

شِعْر

سمعَ السلطان كلامَ الشيخ
فقال له لتكُنْ دائمَ السعادةِ يا شيخَ الزمانِ
ليكُنْ أهلُ العلمِ العظماءُ دائمًا في سعادةٍ
ولا يقدِّرُ اللهُ لكم في الدنيا الشقاءَ
مَن عندَه مخزنُ أسرارٍ مِن اللهِ
يسعدُ دائمًا ويسعدُ كلُّ مَن يعرفُ مِنه

نثر: وبعد ذلك، أنعمَ السلطان «سليم» على هذا الشيخِ أيَّما إنعام وعطايا. وعندما انتهى السلطان «سليم» مِن أمرِ مِصْرَ كان ينوي الذهابَ إلى الرومِ.

(1) انظر كلمة (نيل) في لغات تاريخية وجغرافية، وقاموس الأعلام، وانظر بحث بعنوان «ذكر مخرج النيل وانبعاثه» ص51 ج1 في خطط المقريزي المطبوع. وذكر نابي: ينفع غيره كلما ترقى نحن إنما & بقينا مثلَ التراب ومثل النيل لنا.

وقد مرَّت قضيةُ «خير بك»[1] فيما سبقَ، وذلك أنَّ السّلطان «سليم» قد تجاوزَ عن خطئه، واختارَه نائبًا على مِصْرَ. وكانَ «خير بك» مِن الجراكسةِ.. نعم، ويعرفُ كلَّ شيءٍ عنهم، وكان السّلطان «سليم» يعاملُه جيِّدًا، واعتبرَه مِن أحبابِه ونُدمائه، ونصحَه السّلطان «سليم» كثيرًا.

شِعْر

نصحَه بالنُّصْحِ والموعِظةِ الحسنةِ
وأنعمَ عليه بحُكْمِ ولايةِ مِصْرَ
فأصبحَ أميرًا على تلكَ البلادِ
وجلسَ الإمامُ على عرشِ مِصْرَ

نثر: وأحضرَ [السّلْطانُ سليم] أيضًا أعيانَ مِصْرَ وشُرفاءها، ونصحَ لهم كثيرًا، ووعظَهم قائلًا:

(1) ذكر حيدر جلبي في الروزنامه في وقائع ربيع الأول سنة 923 هـ: «عقد الديوان في اليوم السادس عشر، وتمَّ جعل يونس باشا أميرًا على مِصْرَ». وفي اليوم الثامن عشر عقد الديوان، وقبّل يونس باشا يدَ السّلطان المباركة، وأصبحَ أميرًا على مِصْرَ، وبقي في مِصْر». وفي وقائع شهر شعبان: تمَّ إحضار خيره بك إلى الديوان في اليوم العاشر، وتمَّ منحه إمارة مِصْر. وفي اليوم الثالث عشر تمَّ التصديق في الديوان بولاية مِصْرَ إلى خيره بك، وذهبَ الحاجب وهنأه بذلك. وفي اليوم الثامن عشر بقي خير بك مع الأمراء في مِصْرَ، وجاؤوا وقبّلوا يدَه». وفي صحائف الأخبار: «بعد وافر التفكير في اختيار حاكم على ولاية مِصْرَ تمَّ اختيار الوزير يونس باشا وتفويض الحكم له. ولكن تمَّ التجسس على أحواله، فوجدوا أنه صادر حريم أمراء الجراكسة الذين قتلوا، وسلم مشايخ العربان إلى الجراكسة، وارتكب بعض الجرائم، وفعل بعض الأفعال غير المناسبة، فعرف السّلطان كل هذه الأشياء، فقام بعزله يوم 27 شعبان سنة 923 هـ، ونقل ولاية مِصْرَ إلى الأمير خير بك الجَرْكَسي، وبذلك يكون السّلطان قد أصاب مرتبة الكرامة.

شِعْر

قال لأهلِ مِصْرَ اعرفوا هذا الفلكَ
ويكونُ هذا المكانُ في صُورة سريرِ المُلكِ
وصنعَ مِن الشمسِ تاجًا على الرؤوسِ
وتحتاجُ إلى إصلاحِ الولاياتِ وقلبِها
وامتلأتْ تلك الأماكنُ بالروضةِ
وعاشوا بنعمةٍ في الحديقةِ والبستانِ
ويلفحُ الشتاءُ في الأغصانِ بالجبلِ
وأصبحتْ الحديقةُ والبستانُ مأوى للغُرابِ
فالصِحّةُ هي نعمةُ العيشِ والصفا
والمرضُ هو الذلّةُ والقحطُ والجفاءُ
لتعلموا أنّ هذه هي أحوالُ الدنيا
ولتشكروا دائماً هذه اللحظةَ
وأيُّ عملٍ فإنّ نهايتَه الموتُ
ولكنْ لا تمّحُ مِن الجسمِ الحياةُ

نثر: وقال لهم: «لتعملوا بالشرعِ والقانونِ، ولْتطيعوا إمامَكم الذي عيَّنتُه، وتنقادوا إليه، ولْتكونوا تحتَ أمرِه، ولا تخرجوا عن طوعِه. ويجبُ أنْ يسعى الإنسانُ بيدِه وقلبِه، ولا تتدخَّلوا في السياسةِ. هل رأيتم طائرَ الطوطى الذي حبسَه لسانُه؟، لولا لسانُه لَكان حُرًا يمشي مِثلَ سائرِ الطيورِ. الشريعةُ هي طريقُكم المستقيمُ، ومَن لا يتبعُ الشريعةَ يصبحُ رفيقًا للمفسِدين. ولا تمشوا في طريقِ الضلالةِ، ولا تكونوا عونًا للمفسِدين».

وبعدَ أنْ أقامَ السّلطان «سليم» تسعةَ أشهرٍ في مِصْرَ مِن أولِ محرَّم وحتى أوائلِ شهرِ رمضانَ خرجَ مِن مِصْرَ في أوائلِ شهرِ رمضانَ وتوجَّهَ ناحيةَ الشام. ووصلَ إلى الشام في أيامِ الشّتاء، وقامَ بتعيينِ «جانبردي الغزالي» أميرًا على الشامِ وتوابعِها حتى «غزّة». وعاملَه بلُطفٍ، فمتى يوجدُ الإسكندرُ يوجدُ العمل.

شِعْر

سلكَ شاه الرومِ طريقَ الإسكندرِ
وكلُّ مكانٍ ينزلُه يصبحُ مأوًى له
وحيى شعوبَ كلِّ الممالكِ
وأحسنَ إليهم ولَم يؤذِ أحدًا

نثر: وفي سنةِ 924 هـ[1] عبرَ السّلطان «سليم» مِن الشامِ إلى ناحيةِ الروم[2] ووصلَ «حلب»، وتركَ خيولَه في المرعى[3]، ثمّ خرجَ مِن هناك، وفتّشَ كلَّ منزلٍ ومكانٍ ينزلُ به حتى وصلَ «إسلامبول»[4]، ولَم يجلسْ في «إسلامبول»،

---

(1) الموافق عام 1518م.

(2) نظرًا لروزنامه حيدر چلبي: تحرك متوجهًا إلى حلب يوم 11 صفر سنة 924 هـ ولَم يذكر كل من تاج التواريخ وصحائف الأخبار شيئًا عن ذلك.

(3) كوك الدرمق: إخراج الحيوانات للمرعى. نظرًا لإفادة حيدر چلبي أنه وصل إلى مصطبة حلب يوم 22 صفر سنة 24»، وفي تاج التواريخ وصحائف الأخبار: «نزل في 22 من شهر صفر إلى مدينة حلب».

(4) نظرًا لحيدر چلبي تحرك من مصطبة حلب يوم 25 ربيع الآخر سنة 924 »، ويؤيد ذلك تاج التواريخ وصحائف الأخبار، وعن وصوله استانبول ذكر حيدر چلبي: سار السّلطان وسط الصيد والقنص والتفتيش وقطع منزل بمنزل يسير ببط حتى وصل بروسة ثمّ استانبول، ثمّ وصل أدرنة. وفي مختصر الروزنامه: «وصل حضرة السّلطان وقت أذان العشاء بالسفينة يوم

وتوجَّهَ إلى «أدرنة» [1]. وجلسَ في «أدرنة»، وأرسلَ إلى ابنه «سُليمان» الذي كان يتفقَّدُ ويضبطُ الرومَ ايلي أنْ يحضرَ إليه. فعبرَ «سُليمان» مِن «أدرنة»، ونزلَ في مكانٍ بالقُرْبِ مِن «قرق كليسا» [2]، وقبَّلَ يدَ والدِه بالهدايا الكثيرةِ، وجلسَ أمامَه وقامَ بخدمةِ والدِه [3]. وعندما رأى السّلطان «سليم» ابنَه اعتدلَ في مجلسِه، وأعجبَ بشكلِه وهيبتِه وشمائلِه وخصالِه؛ فقال:

شِعْر

عندما رأى السّلطان جمالَ الشهنشاه
قـال بـارَكَ اللهُ هـذا صُـنْـعُ الإلـهِ
تـليـقُ بـكَ الـسَّـلْـطَـنَـةُ في الـدنـيـا
والتاجُ والعرشُ والمالُ والمُلْكُ والدولةُ

الاثنين 17 رجب المرجب سنة 924 هـ وعبر إلى استانبول، وتشرّف بالنزول في السراى العامرة». وفي تاج التواريخ: في يوم 17 من رجب المرجب نزل دار الخلافة في اسلامبول مقرّ عزه». ويؤيد ذلك صحائف الأخبار. وبالنظر إلى ما جاء في كتاب (لهجة عثماني) و(القاموس التركي): أنّ كلمة ياب ياب: تعني آهسته آهسته: رويدًا رويدًا، فذكر اندرونى واصف عثمان بك: جاء موسم الربيع اين انت يا احباب & هل ذهبتم للحدائق تدريجيًا اين انتم.

(1) ذُكر في تاج التواريخ ج2 ص381 أن: السّلطان وصل يوم 27 رجب إلى ماء أدرنة. وفي يوم 20 شعبان وصل مدينة أدرنة إلى مقر المسرة والسعادة مع رجال ميمنته. وفي صحائف الأخبار ذكر أنه وصل يوم 17 رجب استانبول ويوم 27 وصل أدرنة.

(2) ذكر حيدر جلبي في الروزنامه أنه: عندما وصل إلى أدرنة استقبله ابنه الشهزادة سُليمان مَلْجأ العالَم، وقابله في مكان يسمَّى سارزه. وبعد ذلك، دخل صاحب الدولة أدرنة. وفي تاج التواريخ ذكر أن: يوم 6 شعبان استعجل الشهزادة في مراسم الاستقبال، وتشرف بتقبيل يد السُّلْطان، ورقى السّلطان 500 ألف من جُنْد العثمانيين إلى خواص عثماني، وتوجَّه بعد الإذن السُّلْطاني مع والده الماجد إلى ولاية صاروخان. ويؤيد ذلك صحائف الأخبار.

(3) قارشوده طورمق: الاطاعة والتعظي والقيام بالخدمة.

لا تَـدَعْ أحـدًا يأخُذُ مِنك هـذا المُلكَ
ولا تجعلْ أحـدا يغلبُك في الـدولـةِ[1]
فأنت ستكونُ صاحبَ العظمةِ في الدنيا
وكلُّ شيءٍ يكونُ تحتَ أمرِك وطوعِك
وأعـطـى «مغنسيا» إلى الـشـهـزادة
وتـركـه مِـن أجْـلِ تحـصـيـلِ العلم

نثر: وبعد ذلك، أنعمَ السّلطان «سليم» على ابنِه بوافرِ العطايا والإحسانِ والإنعام، وعندما جاءَ فصلُ الخريفِ أرسلَه إلى «مغنسيا»[2]. وجلسَ السّلطانَ في مرعى الدولةِ يصطادُ، ثمّ عادَ في فصلِ الخريفِ وجلسَ. وبعد ذلك، ذهبَ إلى «أدرنة» في فصلِ الخريفِ وجلسَ فترةً ما هناك، وبعد ذلك، ذهبَ للصيدِ في فصلِ الخريف مرتديًا معطفَه، وتفرّجَ على العالَمِ.

وفي سنةِ 925 هـ[3] بينما كان [السّلطانُ] يجلسُ في وادي «قره صو يكيجه» يصطادُ، جاءت سفنُ الكفارِ مِن جانبِ البحرِ تريدُ القضاءَ على المالكِ العثمانيةِ، فأمرَ السّلطان «سليم» في الحالِ أنْ يخرجَ عددُ اثنين مِن القواربِ،[4] وينصِبوا كمينًا لسفنِ الكفارِ عند مجيئِها في موضعِ «طاش يوزى»[5]، وعندما تأتي السفنُ لهذا المكانِ ينقضُّون عليها فجأةً. وفعلًا

(1) اوتمق: جاء في سجل عثماني بمعنى الفوز في اللعب، وفي قاموس تركي: اوتمق أو اوتمك: الانتصار في اللعبة الخزيمة.

(2) انظر: استطراد صفحة 281، رقم 2.

(3) الموافق 1519م.

(4) يوجد نقص هنا.

(5) جاء في قاموس الأعلام: طاسوس أو طاشوز، تاسو أو طاشو: من جزر البحر الأبيض في

عندما رأى الكفارُ القاربَيْن قادمَيْن قالوا: «هؤلاء ليسوا بمفردِهم، لا شكَّ أنَّ خلفَهم سُفُنٌ قادمةٌ». فتزلوا جميعًا إلى البرّ، وعندما نزلَ القاربان إلى البرِّ كان الكفارُ قد نزلوا مِن سُفنِهم؛ فهربَ بعضُهم إلى الجبلِ، وأخذَ بعضُهم الآخَرُ قاربَه الصغيرَ الموجودَ في القرى، وفرَّ هاربًا.

وبعدَ أنْ قبضَ رؤساءُ [قباطنة] القواربَ العثمانيةَ على سفنِ الكفارِ رجعوا وأخبروا حضرةَ السّلطان «سليم» بكلِّ ما حدثَ، فأرسلَ السّلطان «سليم» بعضَ الجنودِ الأقوياءِ، فعبروا البحرَ، وبينما كانوا في صددِ البحثِ عن الكفارِ الموجودين في الجزيرةِ؛ نزلَ في تلك الليلةِ بالحكمةِ الإلهيةِ مطرٌ شديدٌ، وأمطرتْ السماءُ ثلجًا، وحدثَ طُوفانٌ لا يمكنُ شرحُه بلسانٍ؛ فماتَ بعضُ الكفارِ مِن شِدَّةِ البردِ، وهربَ بعضُهم إلى بعضِ القرى، وقبضوا على ثمانيةٍ وسبعين مِن الكفارِ، ونقلوهم إلى السّلطان «سليم»؛ فأمرَ بقتلِهم جميعًا[1].

بعد ذلك ذهبَ السّلطان إلى «أدرنة»، وقضى هذا الصيفَ موسمَ الوردِ والزهورِ في«أدرنة»، وقامَ ببناءِ سراي «مامق» وحديقتِها، حيث كانَ ذلك المكانُ تكيةً مِن قبلُ، وقامَ بتعميرِها[2].

جنوب شرق مضيق قواله بالقُرْبِ مِن ساحل الروم ايلي. وفي لهجة عثماني: طاسوز: اسم جزيرة في بيغا، وفي الرومية اسمها طاش اوزي.

(1) لم يذكر كل من حيدر چلبي وتاج التواريخ وصحائف الأخبار شيئًا عن هذه الواقعة.

(2) ذكر حيدر چلبي في الروزنامه في وقائع شعبان سنة 921 هـ: أثناء تواجد حضرة السّلطان في أدرنة: «في اليوم العاشر أمر السّلطان ببناء سراى مماق بيكارى من جديد». وفي اليوم الثامن عشر تمَّ الابتداء في بناء سراى مماق بيكاري. وفي وقائع سنة 924 هـ: كان السّلطان يصطاد ويتنزه في السير، وكان يتسامر حول قصر مماق بيكاري». وذكر حبري چلبي في أنيس المسامرين في الفصل الثاني: توجد سراى في ساحل نهر تونجة مشهورة باسْم «مق سرايي». وقد بناها حضرة السُّلْطان» سليم خان الثاني». وانظر كتاب «أدرنة» رهنماسي، طبعة 1336 هـ ص91،

وبعد ذلك، خرجَ السّلطان إلى جبلٍ يسمّى «تكفور طاغى» بين «كليبولى» و«إسلامبول» لقضاءِ المصيفِ هناك[1]. ومِن هناك ذهبَ إلى «ملغرة» وإلى «أبصالة»، ثمّ خرجَ إلى المصيفِ بالقُرْبِ مِن مكانٍ يسمّى «أسنلو» بالقُرْبِ مِن «ديمتوقة». وصلّى صلاةَ عِيدِ الفِطرِ هناك، ثمّ خرجَ مِن هناك ومكثَ مِقدارَ شهرين في «ديمتوقة»، ثمّ خرجَ مِن هناك إلى «أدرنة». وأقام فترةً ما في «أدرنة»، وذهبَ في أيامِ الشتاءِ إلى وادي «قلبه»، وصلّى صلاةَ عيدِ الأضحى هناك، ثمّ ذهبَ إلى «أدرنة».

[قمعُ ثورةِ الجلالي][2]

وفي سنةِ 926هـ[3] خرجَ في ولايةِ ذو القادرِ المفسدِ «جلالى»[4] الذي يسمّى «شاه ولى»[5]. وقامَ في هذه الولاياتِ بأعمالِ الفتنةِ والفسادِ والتخريبِ، وعندما عُرِضَ ذلك على السّلطان «سليم» أرسلَ السّلطان وزيرَه «فرهاد باشا» مع بعضِ عساكرِ «الإنكشارية» و«القبو خلقى» إلى هناك.

وسياحتنامه لاوليا چلبي ج3 ص45.

(1) في لهجة عثماني ياى: يعني فصل الصيف، وفي قاموس تركي: يايلامق: قضاء الصيف.

(2) هذا العنوان من وضع (المترجم).

(3) الموافق 1520م.

(4) ذكر حيدر چلبي في الروزنامه: كان معروفًا باسْمِ جلالى من قلعة ترحال الموجودة بالقُرْبِ مِن اماسية. وانظر: تاج التواريخ ج2 ص384: بحث بعنوان: «خروج الجلالى وهزيمته»، وصحائف الأخبار ج3 ص471.

(5) جاء في تاريخ دولت عثمانية ج1 ص220: «خرجَ مفسد يسمّى جلال من أشقياء بوزاوق، وادعى المهدية في نواحي طوقات، واجتمع حوله حوالَي عشرين ألف من الأوغاد. وهزم شهسوار اوغلى علي بك هذه الجماعة كلها، وقضى عليها، وبعد ذلك، استخدم تعبير الجلالى على الأشقياء الذين يظهرون في الأناضول.

وذهبَ السّلطان «سليم» إلى «إسلامبول»، وجلسَ على العرشِ (1). فذهبَ «فرهاد باشا» بجُنْدِ القبو خلقي إلى هناك، وكان قد سبقَه حاكمُ «ذو القادر علي بك» (2)، وأميرُ أمراءِ قرمان «خسرو باشا»، وأميرُ أمراءِ سيواس «شاد باشا»، وذهبَ هؤلاء الثلاثةُ إلى هذا الخارجيِّ، وحاربوه في معركةٍ عظيمةٍ، وفي النهايةِ هزموا أكثرَ هؤلاء البُغاةِ، وقطعوا رأسَ أميرِهم الخبيثِ، وأرسلوه إلى السّلطان «سليم»(3).

[وفاةُ السّلطان سليم الأول] (4)

قضى السّلطان «سليم» فصلَ الصيفِ في «إسلامبول»، وقامَ ببناءِ قصرٍ يُعرَفُ باسْمِ «مرمر كوشك» بالقُرْبِ مِن البحرِ(5). وقبلَ أنْ يتمَّ بناؤه جاءَ فصلُ الخريفِ، فعبرَ مِن «إسلامبول»، وقصدَ ناحيةَ «ديمتوقة»(6). وعندما

---

(1) اتفق كلٌّ من حيدر چلبي في الروزنامه وتاج التواريخ وصحائف الأخبار على تاريخ ذهاب السّلطان سليم إلى اسلامبول.

(2) هو ذو القدر اوغلو شهسوار زاده علي بك.

(3) نظرًا لما جاء في أثر حيدر چلبي في الروزنامه، وتاج التواريخ، وصحائف الأخبار أنه: قامَ شهسوار اوغلو علي بك بجنوده بمحاربة جلال في نواحي اق شهر، وانهزم الخبيث، وقطع رأسه، وأرسلها إلى الركاب الهمايوني.

(4) هذا العنوان من وضع (المترجم).

(5) في تاريخ عطا ج1 ص312: لا يوجد معلومات عن هذا القصر في مبحث بعنوان القصور السّلطانية التي كانت من مشتملات طوبقبو سراى. وفي سليم نامه التي طبعت كذيل لتاج التواريخ التي دونت من قبل خواجه سعد الدين أفندي: «ذات يوم أمر السّلطان سليم ببناء قصر المعروف باسْمِ قصر السّلطان سليم على حافة البحر. ونزل السّلطان إلى الحديقة، وبدأ ينظر إلى القصر.

(6) نظرًا لما جاء في تاج التواريخ، وصحائف الأخبار أنه يوم 21 شعبان من السنة المذكورة 926هـ، وطبقًا لبيان حيدر چلبي في الروزنامه أنه تحرك من استانبول 21 شعبان من السنة المذكورة.

خرجَ مِن «إسلامبول» ظهرَ له شيءٌ عارضٌ في ظهرِه مِثلَ الدُّمَّلُ[1] [الخُراجُ]، وكان مِثلَ الجمرةِ[2]. وعجزَ الأطباءُ عن علاجِه، وكلَّ يوم كان يزدادُ المرضُ، ووصلَ إلى المكانِ الذي حاربَ فيه والدَه [السُّلطان بايزيد] وهو «صرت كويى»[3] بالقُرْبِ مِن «جورلي»، ومكثَ فيه حوالَي 47 يومًا[4]. ولَم يستطِعْ الخروجَ مِن هناك لشِدَّةِ مرضِه، وفي أوائلِ شهرِ شوَّال وصلَ له نداءُ الحقِّ، وانتقلَ إلى رحمةِ الحقِّ تعالى، وقد حكمَ ثمانيةَ أعوام وثمانيةَ أشهر. وبعد ذلك، أخفَوا خبرَ وفاتِه، وأرسلوا الخبرَ إلى ابنِه السُّلطانِ «سُليمان» أنْ: «تعالَ مُسرِعًا إلى إسلامبول، فخرجَ مِن «مغنسيا» في أواسطِ شهرِ شوَّال إلى «إسلامبول»، وجلسَ على عرشِ والدِه. وبعد ذلك، نقلوا نعشَ السُّلطان «سليم» إلى «إسلامبول».

شِعْر

نُـقِـلَ نـعـشُـه بالتكبيرِ والتهليلِ
وخلعَ مِن العالَمِ بعدَ حدوثِ ضجَّةٍ عاليةٍ
وقـالـوا أيُّهـا الـسُّـلـطـان السعيدُ
الذي حكمَ الشامَ والشرقَ بسيفِه وبالحديدِ

---

(1) ذكر حيدر چلبي: ظهر شيء مِثلَ الدمل/ الخراج في الجانب الأيمن من كتف حضرة السُّلطان سليم.

(2) في قاموس تركي: يانى قره أصلها يانيق قره: نوع من الدمل، الجمرة يعني دمل ملتهب، وفي لهجة عثماني: يانى قره: جمرة طاعون دمل ملتهب.

(3) هكذا في تاج التواريخ. أمَّا في روزنامة حيدر چلبي: ذكر أنه نزل في مكان معروف عند ألسنة الأنام باسْمِ چورلى، وفي صحائف الأخبار: نزل في مكان يسمَّى اوغراش دره بالقُرْبِ مِن چورلى.

(4) ذكر حيدر چلبي أنه مكث 51 يومًا. وتاج التواريخ ذكر أنه مكث شهرين.

نــــورْتَ بـيـضــةَ الإســــلام ومُـلـكَــه
وكـــدَّرْتَ الكفرَ والعصيانَ البغيضَ
والآنَ أيُّها السّلطان تركتَ الحُزنَ إلى النورِ
ومَــــن سـيـقــودُ ويـنـقـلُ نـعـشَـه
إلى أي مكانٍ[1] تذهبُ يا سُلْطانَ العالمِ
وتـدخـلُ التابوتَ وتختفي عن العالَمَ
في ذلــك الـيــومِ الــذي كـنـتَ
تمـتـطـي فـيـه «قــره بــولــوت»[2]
مَن الآنَ يركبُ الحصانُ ويهزمُ الكفارَ
والخــلافُ في مَــن سيمتطي الحصانَ
فــهــذا أمـــرٌ ربّـــانيٌّ لـيـس بـكــافٍ

نثر: ثمّ دفنوه [3] هناك، ووارَوا جسدَه في التراب، وعانَوا الحسراتِ وتجرّعوا الآلامَ. وكلُّ شخصٍ كان يقدّمُ لنفسِه النصيحةَ والموعظةَ، وذهبَ السّلطان «سُليمان» إلى هناك لإقامةِ مراسمِ عزاءِ والدِه، وهنّأوه بالسّلْطَنةِ،

---

(1) قنجرو: هذه الكلمة تركية بمعنى إلى أين/إلى أي جانب.

(2) قره بولوت: اسم حصان السّلطان سليم، ومعناه: السحاب الأسود. (المترجم).

(3) جاء في صحائف الأخبار في المبحث الخاصّ بالسّلْطان «سُليمان»: جلس على سرير السّلْطَنة يوم 17 شوّال سنة 946 هـ وفي رواية: يوم 21 يوم الأحد، وفي اليوم التالي وصل نعش والده السّلطان مكانه الجنة، وصلوا عليه في مسجد السّلطان محمد الشريف، ودفن في مكان يسمّى «سراي ميرزا». وبعد فترة من الزمان بنى السّلطان «سُليمان» في المكان الذي دفن فيه حضرة السّلطان «سليم» جامع شريف وعمارة وقبة على مرقده باسْم السّلطان سليم. وتوجد أيضًا مكتبة وحمام هناك. وتاريخ إتمام البناء نظرًا لحديقة الجوامع المطبوع: أنه في شهر محرم الحرام لسنة تسع وعشرين وتسعمائة 929 هـ.

ودَعَوا الله أنْ يحفظَ دولتَه مِن الجدالِ والحربِ، ثمّ جلسَ على العرشِ بلا مُنازعٍ أو عناءٍ. ويُقال أنَّ السّلطان «سليم» قد عانى في هذه الدنيا مِن أجْلِ السّلْطَةِ، وأذهبَ عن الدولةِ التّعبَ والمشقّةَ، حتى جعلَها ميسّرةً مِثلَ الحديقةِ والبستانِ وتركَها للسّلطَان «سُليمان» دونَ تعبٍ أو مشقّةٍ منه؛ فصار السّلطان «سُليمان» يقطفُ ثمارَ تلك الحديقةِ والبستانِ بدونِ مشقّةٍ أو تعب.

شِعْر

تحـدَّثْ أيُّهـا الهـدهـدُ بعيدُ النظرِ
واعـرفْ من سُليمان خسرو العالَمِ الخبرِ
قـل إنَّ هـذه الكلمةَ هـي مـاءُ الحياةِ
مِثلَ نبـاتِ السكَّرِ لـروحِ الطوطي
حكمَ الشّـاه سليمٌ دولـتَـه بالعدلِ
وأسّسَ في هذا العالَمِ العِزَّ والجاهَ والعظمةَ
ورفـعـةُ هـذا الـكـريـمِ لَمْ تـزلْ
وبـقـي لـه الـتـقـديـرُ في الأزلِ
وأعـطـى صـاحـبُ العظمةِ للعالَمِ
الـدولـةَ والحـظَّ لـلشـاهِ السعيدِ
ووضـعَ تـاجَ الـسّـلْـطَـنةِ على رأسِـه
وحـمى الـدنـيـا لـطـولِ حيـاتِـه
ومَـن مِثلُ السّلطان سُليمانَ بنِ سليم
حكمَ الدولةَ وحالَفَه الحظُّ والسعادةُ

عصرُ السّلطانِ سليمانَ خانَ الأولِ

[عِصيانُ جانبردى الغزالي في الشام] (1)

جلسَ السّلطان «سُليمان» على عرشِ والدِه واستقرَّ. وكان السّلطان «سليم» قد عيَّنَ مِنْ قبلَ أحدَ الجراكسةِ- ويسمَّى «جانبردى»- نائبًا على الشام؛ فعندما سمعَ بوفاةِ السّلطان «سليم» نقضَ عهدَه وأعلنَ عِصيانَه (2)؛ وجمعَ جيوشَ تلك البلادِ وجاء إلى «حلب»، ونصبَ المدافعَ وحاصَرَها لفترةٍ طويلةٍ، فأرسلَ «قره جه باشا» حاكمُ «حلب» رسالةً إلى السّلطان «سُليمان» قال فيها: «أعلنَ «جانبردى» العِصيانَ، وجاء إلى «حلب» وحاصَرَها، وهكذا فإنْ لَم يأتِ إلينا عسكر كمددٍ مِن السّلطان فسنكونُ عاجزين عن مقاومتِه، ويقومُ هو بالاستيلاءِ على هذه الديارِ».

وعندما سمعَ السّلطان «سُليمان» هذا الخبرَ أرسلَ وزيرَه «فرهاد باشا» بعشرةِ آلافٍ مِن العسكرِ إلى بلادِ «حلب» (3)، وأرسلَ رسالةً إلى «شهسوار

---

(1) هذا العنوان من وضع (المترجم).

(2) جاء في مختصر الروزنامه في وقائع صفر سنة 924 هـ: «منح جان بردى حكم سنجق الشام في 4 صفر سنة 924 هـ يوم الإثنين. وفي تاج التواريخ: «ثمّ منح ايالة الشام وتوابعها ولواحقها حتى غزّة ورملة إلى جانبرد الغزالي، وامتاز بتلطيف ومزيد الاحترام من السّلطان. وفي صحائف الأخبار: تمّ منح ولاية الشام إلى جانباردى الغزالي. وذكر رضوان باشا زاده في تاريخه: «في 3 شعبان سنة 923 هـ أنعم السّلطان في حياته بولاية مِصْرَ إلى خيره بك والشام جنة المشام إلى جانبرد الغزالي».

(3) اون بيك: جاء في كتاب صحائف الأخبار: أعلن جانبرد الغزالي العصيان، وادعى الاستقلال، وجمع خمسة عشر ألف جندي، وذهبَ لمحاصرة حلب؛ فذهب إليه الوزير الثالث فرهاد

اوغلي علي بك» الذي كان أميرًا في مملكةِ ذو القادرِ يقولُ فيها: «لْتلحقْ أنت بـ«فرهاد باشا»، وتتَّحِدْ معه، وتقضُوا على هذا الخائنِ الجَرْكَسِيِّ الملعونِ».

وعندما وصلَ الخبرُ إلى «جانبردي» أنَّ «السّلْطانَ «سُليمان» أصبحَ على العرشِ مكانَ والدِه، وأرسلَ جنودًا كثيرةً إليك، ندِمَ على ما ارتكبَه مِن عملٍ، وخرجَ مِن «حلب»، وعادَ مرةً ثانيةً إلى ناحيةِ الشام. فجاءَ إلى الشام وبدأ يستعِدُّ، وسارَ «فرهاد باشا» بجيشِه ليلًا ونهارًا حتى وصلَ «حلب»، وعلِمَ الحالَ هناك، ثمّ تعقَّبَ «جانبردي». وفي الوقتِ الذي وصلَ فيه الشامَ في الصباحِ كان «جانبردي» قد استعدَّ للحربِ وهيَّأ نفسَه وسطَ الميدانِ أمامَ الشامِ.

شِعْر

سترون الجيشان مع بعضِهم في الميدانِ
وسـارَ عليهم جيـشُ السّـلْطـانِ
وجــهَّــزوا مــيـدانَ الحــربِ
فلَم يـرَوا الريحَ فهو غيرُ مناسبٍ لها

باشا بجيش الأناضول وقرمان والروم ايلي وذو القدر وعسكر السلحدار، وأربعة آلاف من الإنكشارية مما جعله يضطر لترك الحصار، وذهبَ إلى الشام، وقبل أن يأتي فرهاد باشا ذهب إليه شهسوار اوغلي- في تاريخ دولت عثمانية: أمير أمراء مرعش- علي بك، واتحد مع قره جه باشا والي حلب، وتعقبوا جانبردى في حما وحمص، وظفروا بغنائم كثيرة مِنه، ثمّ لحق بهم فرهاد باشا، وبالرجوع إلى روزنامه حيدر جلبي في 20 صفر سنة 927 هـ وقعت الحرب بينهم في مكان يسمّى مصطبة بجوار الشام من الصبح حتى وقت الظهر، وانهزم جانبردى في الحرب، وقتل هو وجميع أعيانه وأتباعه، وقطعت رؤوسهم وأرسلت إلى الركاب الهمايوني بواسطة فرهاد باشا، وتمّ تنصيب أمير أمراء الأناضول الياس باشا واليًا على ايالة الشام. وتمّ تعيين أمير مستقل على كلٍّ من غَزَّة ورملة وصفد. وفي تاريخ بجوى إبراهيم أفندي: «ذكر الواقع في 7 صفر سنة 927».

وسقطَ السيفُ القاطعُ على أجسامِهم

وفصلَ أرواحَهم عن أجسادِهم

وحاربَ الجيش للمرةِ الثانيةِ

مِثلَ تلاقي الشمسِ والقمرِ في السماءِ

وقطعَ السيفُ أجسادَهم فسالتْ الدماءُ

ونزعَ رُوحَهم وسقطوا مِن فوقِ الحصانِ

وقلبوهم على الأرضِ مِثلَ الموس

وطارَ طائرُ الروح وربطَ في القفصِ

وترى ما حدثَ لهم في هذه الدنيا

اسودّتْ وجوهُهم فجأةً

وقطعَ السيفُ رأسَه [جانبردى]

وعلمَ على وجهِه اللعب والفن

لا تظنَّ أنه خائنٌ فقط بل هو حقيرٌ

فلتقطَعْ رأسَه أو تصلُبْه

نثر: وبعد ذلك، أرسلَ «فرهاد باشا» رأس «جانبردى» ورسالةَ فتحِ الفتوحِ إلى السلطان «سُليمان»، وعيَّنَ رجلًا على الشام، وجلسَ هو مع جُنْدِ القرمانِ [قرمانلو]، والأناضول في مرعى بمكانٍ يسمَّى «أكه جك» في قرمان، وقضى المصيفَ هناك، ثمّ أرسلَ جُنْدَ القبو خلقى الموجودين تحتَ إمرتِه إلى السلطان «سُليمان»[1].

---

(1) جاء في صحائف الأخبار أنه: أرسل الأمر الهمايوني إلى فرهاد باشا أن: يرسل عساكر القبوقولي الموجودين معه إلى الاستانة، وسائر العسكر يمكثوا معه نواحي قيسارية ويحرسوا ويحفظوا

وفي سنةِ 927هـ[1] نقضَ ملكُ «بلادِ المَجَر» عهدَه الذي كان قد قطعَه مع السّلطان «سليم»، وأعلنَ العِصيانَ[2]. وعندما سمعَ السّلطان «سُليمان» هذا الخبرَ أمرَ وزراءه على الفورِ قائلًا: «ليُجمَعْ الجيشُ، ولتستعِدُّوا للجهادِ في سبيلِ الله، فاجتمعَ جيشُ الرومِ في «صوفية»، واجتمعَ بِضعةُ آلافٍ مِن عسكر «آقنجى» بالقُرْبِ مِن «سمندرة»، وصاروا في حال الاستعدادِ.

وعندما اجتمعَ الجيشُ أرسلوا الخبرَ إلى السّلطان «سُليمان» أنَّ الجيشَ قد استعدَّ واجتمعَ؛ فخرجَ السّلطان بعساكرِ «القبو خلقى» والإنكشاريةِ مِن «إسلامبول»[3]، وأخرجَ أيضًا بعضَ القواربِ مِن «إسلامبول»، وأرسلَها إلى «طونة» مِن جانبِ البحرِ[4].

الثغور المنصورة من مكر الشّاه الضال.

(1) الموافق 1521م.

(2) في لغات تاريخية وجغرافية: في كلمة هون: يظن البعض أنها من نسل هون المَجَر الذين يقطنون الآن في مجارستان. ولكنّ الهون كانت تسمّى في ذلك الوقت «هيونغ نو» أو «هونغوريوس». وانكروس خطأ من يقول إنّها من هونغوريوس. وفي كلمة أنكروس هي غلط من هونغوروس. وفي كلمة مجارستان: مجار: في اللغة المجرية تعني هبة وجهاز. وفي صحائف الأخبار: تجاوز حاكم المَجَر لاوش حد العصيان، وتمّ تجريد حملة عليه. وفي تاريخ دولت عثمانية: مِن أجْلِ تذويق أركان الدولة لذة الفتوحات إلى حضرة السّلطان سُليمان خان، لَم يسارعوا إلى التبريك على جلوسه، بل سارعوا إلى طريق الغزو والجهاد وأعلنوا الحرب على حاكم المجر. وحاكم المَجَر لاوش الذي ذكر أعلى هو لويى الثاني من سلالة جهستان ياكلون الذي كان الثامن من السلاسة التي حكمت المَجَر، وحكم من عام 1516 إلى 1526م.

(3) توجد في منشات السلاطين التي تظمت، وحرّرت بخصوص حملة بلغراد، وفي الروزنامه في وقائع سنة 927 هـ: «خرجَ السّلطان بسعادة إلى حملة بلغراد 11 جُمادى الآخرة سنة 927 هـ يوم السبت 18 مايو، ونزل في مكان يسمّى «حلقه لو بيكار». وفي تاريخ بجوى: «كانت عزيمة السّلطان الهمايونية في 11 جُمادى الآخرة سنة 927 هـ. وفي صحائف الأخبار: «تحرّكت الأعلام المقرونة بالنصر من استانبول يوم 10 جُمادى الآخرة من السنة المذكورة».

(4) في صحائف الأخبار: «سُلمت 50 سفينة صغيرة من مستوفي المهمّات إلى رئيس المهمّات، وإرسالها إلى طونة من البحر الأسود، وتمّ إصدار الأوامر العلية إلى حكام الممالك التي تقع بين

وأمرَ بتحميلِ مدافعِ «الضربزن» على أربعمائةِ عربةٍ، وزينتْ العرباتُ برفقةِ اثنين مِن الفِيَلة [1]. ثمّ وصلوا «صوفيه»، ورأى راياتِ الجيشِ، وأعجبَ السّلطان لتجمُّعِ الجيشِ بهذه الصُّورةِ التي لا يمكِنُ وصفُها بِلِسانٍ.

◄◄ شِعْر

اجتمعَ جيشٌ لَم يرَ الفَلَكُ مثلَهُ
في الكثرةِ ولا الشمسُ ولا والقمرُ
لَم يرَ الإسكندرُ ولا فريدون الشاه
مثلَ هذا العددِ مِن الجيشِ مِن قبلَ
ولبسَ العساكرُ دروعَ «داود»
وتقلّدوا سيفَ سُليمانَ النبيِّ وحِزامَه
وسارَ الجيشُ بهذه القوةِ مع سُلْطانِ العالَمِ
وذهبوا إلى إقليمِ بلادِ المَجَرِ

[فتحُ قلعةِ «بكوردلن»] [2]

نثر: عندما وصلَ الجيشُ إلى قلعةِ «آلاجه حصار» [3] كان هناك طريقان

النهر المذكور ونهر صوه بخصوص إمدادها بـ 400 قارب خيل.

(1) اويلدرمق: تابع توفيق جلب ارفاق.

(2) هذا العنوان من وضع (المترجم).

(3) ذكر كاتب جلبي في جهانيا في القسم غير المطبوع: الاجه حصار: هي مدينة وقصبة على حافة نهر المورة، تبعد عنها 19 يومًا، وبها قلعة محكمة وشهيرة بلواء مشهور بها. ويقع سورها المذكور على جوانب قوزنيك ويراكين واوركوب، ويقع السور المذكور في ولاية لاس- صربستان-، وكان أمير هذه الطائفة هو ابن ويلق، وقد أرسل عليه السّلطان مُراد الثاني أمير أمراء الروم ايلي سنان باشا لفتح وتسخير النواحي المذكورة سنة 830 هـ. وأخذ الأمير المذكور قلعة الاجه حصار

للذهابِ إلى ولايةِ «بلادِ المَجر»، الأول: يؤدِّي إلى «بلغراد»، والثاني: يؤدِّي إلى «بكوردلن»، وهاتان القلعتانِ تقعانِ على حافَّةِ نهرِ «طونة» ونهرِ «صوه». وكانت حدودًا لولايةِ «أنكروس».

وبعد ذلك، أمرَ السّلطان «سُليمان» وزيرَه الأعظمَ «بيرى باشا» [1] قائلًا: «لتتوجَّهْ بالمدافعِ الموجودةِ في «سمندرة» والتي ستُضربُ بها القلعةُ صوبَ «بلغراد»، وأنا سأصلُ إلى «بكوردلن». فأخذَ «بيرى باشا» مدافعَه وتوجَّهَ نحوَ «بلغراد». ولكنَّ السّلطان «سُليمان» وصلَ إلى «بكوردلن» [2]. وعندما وصلَ بالقُرْبِ مِن «بكوردلن» قال لقادةِ الرّومِ ايلي: «كلُّ الأسْرى والأموالِ

قهرًا من يد الحاكم، وجعل أكثر البلاد المجاورة تدخل في الإسلام. وفي قاموس الأعلام: آلاجه حصار: هو الاسم الذي أطلقه العثمانيون في زمن الحكم العثماني على مدينة قروشواج الصربية. وقروشواج: تبعد في جنوب بلغراد بـ 150 مترًا، وفي شمال غرب نيش بـ 54 مترًا، وهي قصبة لمركز سنجق بالقُرْبِ مِن يمين يعني جنوب ساحل موراوه الصربية. ويوجد بها مصنع وكنيسا قديمة وسراي خربة لأمراء الصرب. وكانت مقرًا لملوك الصرب في سنةِ 1389م، وتمّ تخريبها عند عصيان الصرب. ونظرًا لتحويل جدول وستنفلد 1389م= 792هـ. وفي لهجة عثماني: الاجه حصار: هي مدينة لمركز قضاء كرو شاواج في صربستان. كروشواج: هي قضاء في صربستان، ومركزه الاجه حصار.

(1) بيرى محمد باشا: تقلد منصب الصدر الأعظم منذ عام 1518م وحتى عام 1523م، وقد شارك مع كل من السّلطان «سليم» الأول والسّلْطان «سُليمان» القانوني في فتوحاتهم لتوسيع رقعة الدولة العثمانية. انظر: İsmail Hami Danişmend، Osmanlı Devlet Erkanı، Türkiye Yayınevi، İstanbul 1971، S. 15.

(2) في لهجة عثماني: بوكوردلن: هي الطابية والاستحكامات إلى تضرب من الجانب. وهي قلعة لمركز قضاء في الصرب وهو شاباج بوكوردلن. شاباج: قضاء في الصرب، ومركزه بوكوردلن. في قاموس الأعلام: شاباج: هي قصبة لمركز قضاء في مكانٍ يطلّ على نهر صاوه وقامنجيه جاين في غرب بلغراد بـ 90 كم في صربستان. وتمّ تأسيسها من قبل العثمانيين سنة 1470م، وظلت تحت الحكم العثماني حتى عام 1867م. وفي السنة المذكورة نظرًا لتحويل جدول ستنفلد يصادف سنة 879هـ و 1284هـ.

والمتاعِ والغنائمِ الموجودةِ في قلعةِ «بكوردلن» هي لكم»؛ فعندما سمعَ عساكرُ الروم ايلي أمْرَ السّلطان قاموا باقتحام القلعةِ بالسُّلَّم الخشبيِّ والحديدِ والحبالِ والشجرِ بدونِ مدافعَ أو معدَّاتٍ، ونزلوا بها واستولَوا عليها بضربِ السّيفِ[1].

وقام السّلطان «سُليمان» برعايةِ كلِّ شخصٍ مِن عساكرِ الروم ايلي طبقًا للخدمةِ التي قامَ بها في فتحِ القلعةِ، ورفعَهم إلى رُتَبٍ ومناصبَ عاليةٍ. ثمّ جاء السّلطان ونزلَ على ساحلِ النهرِ بالقُرْبِ مِن «بكوردلن». ثمّ جاءت الثلاثمائةُ سفينةٍ التي صُنعتْ في «أزورنيق» ولحِقتْ به[2].

(1) ذكر بجوي في تاريخه ج1 ص68: «عندما عاد السّلطان محمد خان غازي من حصار بلغراد دون فتحها من قبل، وبعد توجيه سنجق سمندرة إلى الأمير اسحقباشا اوغلى عيسى أو إلى الأمير شعبان أمر ببناء القلعة المذكورة مِن أجلِ التضييق على قلعة بلغراد. متن ص184 أن ظره. وظلت في يد المسلمين حوالَيْ خمس سنوات، وبعد ذلك أرسل الملك الضال عسكرًا عليها وحقّق نصرًا فيها. والآن أصبحت تابعة لقلاع المسلمين مرةً أخرى بجهد أحمد باشا أمير أمراء الروم ايلي في ذلك الوقت. وهي مذكورة إلى الآن بالاسم الذي وضعه لها الكفار في لغة كفار «سرم وازرنيق» وهو شاباج. وقد وجدته محرّرًا في تواريخهم، وقد سجّلوا ذلك بقولهم: «وضع هذا الاسم مشتقًّا من اسم الشخص الذي بناها، ويُدعى شعبان». بعدَ أنْ ذكر ذلك بجوى قال إنّ: تاريخ فتحها في غرة شعبان سنة 927هـ. وفي الروزنامه في وقائع جُمادى الآخرة سنة 927هـ: «أمر أحمد باشا بالذهاب إلى قلعة بكوردلان يوم الخميس في 22 منه. ويوم الأحد في 25 منه أرسل مائة نفر من الإنكشارية إلى بكوردلان. وأرسلوا الجميع بالأحمال وبسرعة. ويوم الأحد في 2 شعبان تمَّ فتح قلعة بكوردلان، وجاء الخبر بذلك. ويوم الاثنين في 3 منه وصل السّلطان إلى هناك، وشاهد قلعة بكوردلن. وقال يجبُ تعمير القلعة التي فتحتها، وقامَ بتوسيع القلعة، وبنى قلعة في وسطها، وأمر بأن يسير ماء نهر صاوه إلى خندق القلعة. وذكر كاتب چلبي في جهانيا: حواله: على تلٍّ عالٍ في طريق يبعد 3 ساعات عن بلغراد. ذكر سابقًا- في مبحث بلغراد- هي القلعة التي بناها السّلطان محمد خان، وتبعد 100 يومًا. وهي قضاء لـ قره غوفجه ورودن في جوانب بلغراد.

(2) جاء في جهانيا: ازورنيق: هي قضاء ولواء على الطريق المؤدّي من بلغراد إلى سراى البوسنة. ويبعد 24 يومًا عن استانبول. ويوجد حصن حصين في مكان مرتفع في حافة نهر آقر درين على

ثمّ أخذَ السّفنَ وجيشَ الرّومِ ايلي وعبرَ بهما إلى ناحيةِ «سرم»[1]. وقامَ بأعمالِ نهبٍ وسلبٍ هناك، وأمرَ ببناءِ جسرٍ على النهرِ. وخلالَ اثني عشرَ يومًا تمّ بناءُ الجسرِ، وفجأةً بالقضاءِ السّماويّ نزلتْ الأمطارُ على جبالِ «صوه»[2]، وهطلتِ السّيولُ؛ فلَم تستطعِ السّفنُ المرورَ على هذا الجسرِ الذي تمّ بناؤه. وغطّتِ السّيولُ القواربَ، وجلبَ السّيلُ كثيرًا مِن الطواحينِ الهوائيةِ التي نقلتِ السّفنَ مِن مكانِها، ووضعتْها على الجسرِ المصنوعِ، ثمّ هُدِمَ الجسرُ مِن أساسِه. وعندما رأى السّلطان «سُليمان» هذا الوضعَ أمرَ عساكرَ الرّومِ ايلي

نهر ساوا. وفي قاموس الأعلام: ازوورنيق: جاءت بهذا الشكل هي موقع مستحكم، ولأهميته العسكرية ادعت صربية أنه تابع لها. وتوجد به قلعة متينة على برقيا.

(1) في جهانيا: مملكت سرم: بكسر السين المهملة وفتح الراء، توجد غرب بلغراد ناحية طونا، وطرف مِنها ناحية ساوه، وهي صحراء واسعة، وبها قلاع وبلاد وقرى وضياع وافرة، وهي ولاية معمورة دائمًا بالأزهار والأشجار والخضرة. ولكونها تقع وسط نهرين أطلق عليها «جزيرة السرم». وبعد فتحها جعلت سنجق وألحقت ببودين. وفي لهجة عثماني: سيرم: هي بلاد المَجَر لأهالي الصرب الموجودين أمام قلعة بلغراد.

(2) صاوه: في منطقة قارنيوله، وتابع لسلسلة جبال الألب، ويتشكّل من نهرين ينبعان من شمال غرب وجنوب جبل «ترغلو» الذي يرتفع 2864 متر. وجاء في الروزنامه في وقائع شعبان سنة 927 هـ: «يوم الاثنين في 3 مِنه مِن أجْلِ عبور العساكر المنصورة إلى ولاية أنكروس أمر السّلطان ببناء كوبرى على صاوه، ويوم الثلاثاء في 4 مِنه وصل السّلطان صاحب الدولة إلى الميناء، وجلس في مكان مرتفع حتى بنى له العساكر خيمة سُلْطانية، ثمّ عاد إلى الميناء مرةً أخرى، وجلس في سقيفته وبدأ في بناء الكوبري، وعمل الأغوات والباشوات وجميع الاركان في عمل الكوبري، ووقفوا على أقدامهم، ومكث حضرة السّلطان صاحب الدّولة حتى وقت العشاء في الميناء، ثمّ ذهب بعد ذلك إلى خيمته. ويوم الجمعة في 7 مِنه مكث السّلطان صاحب الدولة في الميناء حتى وقت الظهر، ومن أجْلِ إتمام بناء الكوبري، وباشر أحمد باشا وسكبان باشا بناء الكوبري بأنفسهم من الجانب الآخر. ويوم الخميس في 13 مِنه تمّ بناء الكوبري في هذا اليوم والانتهاء مِنه، وتمّ بناؤه في عشرة أيام. وكان بناء الكوبري لتمرّ السّفن عليه، وقد بنى طبقًا لعدد السّفن التي تمرّ عليه.

بتجهيزِ السّفنِ الموجودةِ معهم، وعبرَ بهم إلى ناحيةِ «سرم». وجاء خبرٌ مِن حاكمِ بلادِ المَجَر أنه لا يستطيعُ المجيءَ إلى الحربِ، ثمّ وصلوا مِن هناك إلى «بلغراد»، وكانت هناك قلعةٌ تسمّى «زمنك» [1] بالقُرْبِ مِن نهرِ طونة في مُواجَهة «بلغراد».

فذهبوا مباشرةً إليها، وقبلَ أنْ تصِلَ عساكرُ ملِكِ «بلاد المَجَر» كانت العسكرُ العثمانيةُ التي وصلت هناك قد استولتْ عليها[2]، ثمّ وصلَ عساكرُ الكفارِ بأمرٍ مِن ملِكِ أونكروس مِن حافّةِ نهرِ «طونة» بالقُرْبِ مِن قلعةِ «زمنك» إلى «بلغراد»، وقطعوا الطريقَ على الجيشِ العثمانيّ. فأرسلَ السّلطان «سُليمان» رسالةً إلى «بيرى باشا» أنْ يسحبَ مدافعَه إلى بلغراد ويبدأَ في دكّ القلعةِ بالمدافعِ.

(1) جاء في الروزنامه وصحائف الأخبار في صورة: زمنك، إمّا في تاريخ بجوى وجهانيا جاءت في صُورة زمون. في اللغة المجرية زموني والصربية زمون، وتسمّى اليوم سملين. وفي جهانيا: زمون: بفتح الزاي المعجمة وضمّ الميم وكسرها، وهي مكان رفيع وسور بديع مقابل بلغراد على حافة نهر طونة. وأثناء محاصرة بلغراد أرسل بيري باشا أمير سنجق سمندرة خسرو بالمدافع وقامَ بفتحها. وهي الآن خرابة وأسفلها مدينة. انظر طبع قنيزه 4 ص193.

(2) جاء في الروزنامه في وقائع شعبان سنة 927 هـ: يوم الجمعة في 7 منه جاء ساعي من بيري باشا وبشر بفتح قلعة زمنيك. ونقل الخبر للسّلطان وكانت القلعة المذكورة أمام بلغراد في ولاية سرم. وكان سلاح بلغراد يأتي من القلعة المذكورة، وكانت تساعد بلغراد في الحرب، وبفتح القلعة تمّ منع الإمدادت إلى بلغراد والسيطرة على السلاح.

[فتحُ قلعةِ بلغراد الحصينةِ] [1]

فبدأ «بيرى باشا» في ضربِ القلعةِ بالمدافعِ؛ وعندما رأى السّلطان «سُليمان» قلعةَ «بلغراد» أُعجِبَ بها أيّما إعجابٍ، وقال: «لَمْ أرَ قلعةً حصينةً منيعةً مِثلَ هذه مِن قبلُ».

شِعْر

رأى السّلطان قلعةً عاليةً
لا يصِلُ النسرُ الطائرُ إليها بضررٍ
لها خندقٌ قعرُه في مقامِ الثرى
ومكانُ القلعةِ ارتفاعُه في الثُّريَّا
تختصُّ القلعةُ بالأبنيةِ الحصينةِ
وجاؤوا إليها وأطلَقوا عليها الرصاصَ
ويوجدُ برجٌ مِن حجرِ الجرانيت
مستقِرٌّ بها منذُ مائتي عامٍ
وخندقُها يُعرَفُ ببُرجِ طونة
ولَمْ يصِلْ إلى مِثلِه شيءٌ في الجمالِ
وجاهدَ كلُّ السّلاطينِ في فتحِها
وعجزوا عن الفتحِ وعقدوا الصُّلْحَ
لَمْ يكُنْ يومٌ آخَرُ في وضعِها
وسلاطينُ العالَمِ لَمْ يجِدوا الطريقَ

(1) هذا العنوان من وضع (المترجم).

وتحـــيَّرَ سُـلْـطـانُ الْمُــدُنِ عندما رآهــا
وأصـــبــحَ يجـــهِّـــزُ في فـتـحِـهـا

نثر: وبعد ذلك، جمعَ السلطان «سُليمان» وزراءه وأمراءه كما جمعَ جيشَه، وتحدَّثا عن إمكانيةِ فتحِ قلعةِ «بلغراد»؛ فأرسلَ نصفَ عساكرِه إلى القلعةِ، فأخذوا المدافعَ ونقلوها إليها. وبعد عِدَّة أيامٍ مِن ضربِها بالمدافعِ استولَوا على خارجِ القلعةِ، وانسحبَ الكفارُ إلى داخلِها، ووقعتْ حربٌ عظيمةٌ بينهما. واستمرَّت الحرب لمُدَّةِ سبعةٍ وعشرين يومًا، وفي نهايةِ الأمرِ ضربوا ذخيرةَ الكفارِ والقلعةَ بالألغامِ، وعجزَ الكفارُ عن المواجَهةِ، وانهدمتْ القلعةُ بالألغامِ، ودوَّى صوتُ الضَّربِ في أنحاءِ العالَمِ، وظنَّ مَن بداخلِها وخارجِها أنهم قسموا الطريقَ وعبروا إليهم.

شِعْر

دوَّى صوتُ المدافعِ في الأرجاءِ
فظنَّ الناسُ أنه صاعقةٌ مِن السماءِ
فهُدِمتْ [القلعة]، وكان مِثلَ المحشرِ بلا شكٍّ

نثر: عندما قذفوا اللغمَ على القلعةِ نزلتْ الأحجارُ الثقيلةُ مِثلَ المطرِ على مَن بالداخلِ والخارجِ، ولحقتْ بكلِّ شخصٍ مِثلَ ما حدثَ لهم في السنةِ الماضيةِ، وغطَّى الغبارُ والدخانُ القلعةَ ولَم يرَ النَّاسُ أمامَهم فترةً مِن الزمنِ، وبعدَ ذهابِ الدُّخانِ والغُبارِ رأوا أنَّ جانبًا مِن القلعةِ قد سقطَ على الأرضِ، وانهدمَ ثمَّ اقتتلوا لفترةٍ طويلةٍ مِن جانبِ الفرجةِ، وقُتلَ خلقٌ كثير.

وفي نهايةِ الأمرِ عجزَ الكفارُ الأشرارُ عن المقاومةِ، وهُزِموا فطلبوا الأمانَ

مِن السّلطانِ، فأعطى لهم السّلطان أمانَ الدّين طبقًا لقانونِ السّلطان في هزيمةِ العدوِّ، وضُبطتْ القلعةُ (1). وتركَ داخلَها كثيرًا مِن الرّجالِ الشُّجعان بغرضِ المصلحةِ، وأمرَ بإعادةِ بناءِ الأماكنِ الخربةِ، وتركَ بها كثيرًا مِن الرجالِ والمعدَّاتِ، وجاء السّلطان إلى «إسلامبول».

وعادَ السّلطان إلى «إسلامبول»، وقضى موسمَ الشتاءِ هناك (2). وبعدَ

(1) جاء في الروزنامه في وقائع شعبان سنة 927 هـ: «يوم الخميس في 27 منه من هذا اليوم بدأت المعركة بين الجانبين. وبعدَ أنْ ذكر ذلك أعطى تفصيلات عن ذلك، ثمّ قال: وفي يوم الخميس 5 رمضان سقطت القلعة، وفي يوم الجمعة 26 رمضان تمّ فتح القلعة تمامًا. وقال: «والحمد لله، تمّ الفتح المبارك سواء في ليلة القدر أو ليلة الجمعة. وذهبَ السّلطان صاحب الدولة بسعادة إلى بلغراد، ومكث بها شهرًا. وفي اليوم الثلاثين فتحت القلعة بالتمام. وفي يوم الجمعة 27 منه عقد الديوان، ثمّ عبر حضرة السّلطان من الكوبري الذي بناه حتّى وصل إلى بلغراد، وصلّى الجمعة بها. وحول الكنائس إلى مساجد. وفي تاريخ بجوي: «تمّ الفتح يوم الخميس في 26 رمضان الشريف سنة 927هـ». وفي صحائف الأخبار: «في يوم 24 شعبان نزل السّلطان إلى قصبة زمون. بعد ذلك شرع على محاضرة القلعة، وبلغت مدة الحصار ثلاثين يومًا. وفي يوم 6 رمضان 927هـ فتحت بطلب الأمان. وذلك سهو في الترتيب، وربما يقصد 26 رمضان. وذكر كاتب چلبي عن فتح بلغراد: فتح حصن بلغراد العظيم، وزينت الدنيا وكأنها عروس، ووصل الطالع العجيب من التاريخ، وفتح باب ملك أنكروس. وبيت آخر: فتحت بلاد أنكروس وآخر: هذا جهاد باهر.

(2) جاء في الروزنامة في وقائع شوال: يوم السبت 12 منه عبر السّلطان صاحب الدولة بجميع الجنود من الكوبري، ونزل في بلغراد. وفي وقائع ذي القعدة: يوم السبت في 17 منه نزل إلى مكان سلوري، وعند وصول السّلطان إلى هذا المكان استراح فترة هناك، ثمّ ركب قاربه وذهبَ إلى مدينة استانبول. ووصل بسعادة إلى السراي العامرة. وفي تاريخ بجوي: «ثمّ صرف 20 ألف نقدًا من الخزينة العامرة مِن أجلِ إصلاح وتعمير بلغراد. وفي مدّة قليلة تمّ تعميرها، ثمّ رجع من هذه الحملة وجلس على عرش الدولة العلية في 17 ذي القعدة سنة 927هـ». وفي صحائف الأخبار: «عبر السّلطان عالي المقدار من الكوبري، ونزل في أواسط شوّال خارج بلغراد، وأذنَ للجند وأحسن إليهم، ثمّ ذهب إلى دار الملك في 17 ذي القعدة.

أنَّ فتحَ السّلطان قلعةَ «بلغراد» في هذا العام؛ كان قد سمعَ قبلَ عبورِهِ منها بخبرِ وفاةِ ابنِه «السّلْطان مُراد» في «إسلامبولَ»[1]. وبعدَ أنْ وصلَ بسعادةٍ إلى «إسلامبول» تُوفِّيَ ابنُه «السُّلْطان محمود»[2].

[الحملةُ الهمايونيةُ على جزيرةِ رودس][3]

وفي سنةِ 928هـ[4] قصدَ السّلطان «سُليمان» غزوَ بلادِ الكفارِ [كافرستان]، فجهّزَ السفنَ في البحرِ، وذهَبَ إلى غزوِ بلادِ الفرنجِ «فرنكستان» التي كان السّلطان «سليم» قد نوى أنْ يغزُوَها مِن قبلُ، وقصدَ غزوَ «رودس» فجمعَ جيشَ الروم ايلي، وعبرَ البحرَ مِن «أوسكدار»[5] وسارَ

---

(1) جاء في تاريخ بجوى ج1 ص19: «تُوفّي السّلطان مُراد والسّلْطان محمود والسّلْطان عبد الله هؤلاء الثلاثة قبلَ أن يصلوا إلى آمالهم توفّوا في ريعان شبابهم، ودفنوا وستروا ككنز مخفي في تربة جدهم العظيم السّلطان سليم خان المغفور له. وفي حديقة الجوامع المطبوع ج1 ص15: وتوجد في هذه التربة أيضًا حفصة سُلْطان والدة السّلطان سُليمان- في سجل عثماني ج1 ص12 ذكر أنها عائشة سُلْطان- ومن أبناء السّلطان «سُليمان» مُراد ومحمود وعبد الله ثلاثة أمراء وامرأة. وفي صحائف الأخبار ج3 ص489: توفيت والدة السّلطان المحترمة في اليوم الرابع من رمضان سنة 940هـ ودفنت في محراب جامع السّلطان سليم الشريف، وتمّ بناء قبة عظيمة على مرقدها. وفي الروزنامه في وقائع شوّال سنة 927هـ: «يوم الاثنين في 21 منه جاء الخبر إلى السّلطان بن السّلطان مُراد تُوفِّي في قرية شولاج، وعقد الديوان، وقبل الأعيان يد السّلْطان. وتحرّك «سُليمان خان» من بلغراد 12 شوّال. وفي المتن أنه قبلَ أن يتحرّك من بلغراد، ونظرًا لما ذكره أن: تاريخ وفاة الشهزادة في شهر رمضان أو شوّال سنة 927هـ.

(2) جاء تاريخ وفاته في السجل العثماني أنه صفر 927هـ، ولكن الصحيح هو 928هـ.

(3) هذا العنوان من وضع (المترجم).

(4) الموافق 1522م.

(5) جاء في الروزنامه التي نظمت بخصوص حملة رودس في وقائع رجب سنة 928هـ: «يوم الاثنين في 21 منه: في هذا اليوم المذكور عبَرَ حضرة السّلطان بسعادة من البحر، ونزل ناحية اسكدار، وفي تاريخ أبي الفاروق ج3 ص34: «تمّ تقييد وتحرير القسم الأعظم من الحملات

جيشُ الأناضولِ مِن البرِّ، ثمّ أرسلَ الوزيرَ «مصطفى باشا» بالسفنِ بحرًا[1].

وصلَ الوزيرُ «مصطفى باشا» قبلَ وصولِ السّلْطانِ، وحاصرَ قلعةَ «رودس»، ونصبَ المدافعَ عليها[2]. وفي هذا العام وبينما كان السّلطان- مَلْجأ العالَمِ- في جزيرةِ «رودس» وُلد له في «إسلامبول» ابنٌ؛ وعندما جاء الخبرُ إلى السّلطانِ- مَلْجأ العالَمِ- سماه الأميرَ «محمد»، وأعطى المُبشّرين الذين زفُّوا له

الهمايونية من جانب السّلطان سُليمان بنفسه. وذكر الأماكن التي نزل بها كلّ مساء ووقائع يومه، وجاء في بجوي وصحائف الأخبار أنه كان في 20 رجب.

(1) جاء في الروزنامه: «في الشهر المذكور- رجب- في اليوم التاسع عبر الوزير مصطفى باشا بالأسطول الهمايوني. وفي بجوي: «في البداية عين الوزير الثاني مصطفى باشا سردارا على الأسطول الهمايوني الذي كان مكلفًا بالتوجّه إلى حملة رودس، وركب سفينة من نوع قادرغة قبلَ السّلطان المنصور والمغفور له بعشرة أيام في يوم 10 رجب من السنة المذكورة، وتوجّه ناحية هدفه المطلوب. وكان قائد كليبولي في ذلك الوقت هو يلاق مصطفى باشا- نظرًا لسجل عثماني يلاق، وهذا اختيار لغة الأرناؤوط، وجاء في خريطة قبودنان أنه بيلان- فعندما اقترب الأسطول الهمايوني من كليبولي التحق المذكور بالسفن التي أحضرها بالعساكر المنصورة. وفي صحائف الأخبار: «عيّن الوزير الثاني مصطفى باشا سردارًا، وكان قائد كليبولي هو يلاق مصطفى باشا- في لهجة عثماني يايالاق: تعني طائرًا كبيرًا يشبه البوم- وكان معه من استانبول وكليبولي 700 سفينة.

(2) جاء في الروزنامه في وقائع شعبان سنة 928هـ: يوم الأربعاء في 14 منه جاء رسول من حضرة مصطفى باشا من جانب رودس إلى مكانه في قرية قواق، ونقل أنه ليس هناك احتمال في تسليم القلعة صلحا». وفي الروزنامه، وصحائف الأخبار، وبجوي لم يذكروا تاريخ ذهاب مصطفى باشا إلى رودس. وفي صحائف الأخبار عندما وصل مصطفى باشا إلى جزيرة رودس، نصب وتد بمحاذاة مكان يسمّى جم باغجه سي. وبعد المشاورة مع القباطنة أصحاب التجربة جاءت كثير من السفن بأمداد إلى العدو، وعين رجلًا للحفاظ على المكان، وتوجّه بنفسه بثلاثمائة سفينة صغيرة إلى القلعة، ونصب المدفع ودخل تحته، ثمّ أرسى السفن في ميناء «اوكوز بورني» الموجود في نهاية جانب القلعة. وذكر أنه خرجَ بالقوارب الصغيرة والعساكر والمدافع.

البُشرى الخلعَ والهدايا[1]. وفي هذا العام أيضًا أرسلَ السّلطان سُليمان «فرهاد باشا» ببعضِ عساكرِ «القبو خلقى» إلى الأناضولِ.

[مقتلُ شهسوار أوغلى علي بك مع أولادِه][2]

قامَ [فرهاد باشا] بعملِ حيلةٍ للقبضِ على «شهسوار أوغلى علي بك» الذي كان قد عيَّنه السّلطان «سليم»[3] أميرًا على ولايةِ «ذو القادر» مِن قبلُ؛ فقامَ بقتلِه هو وأبنائه الثلاثةِ بأمرٍ مِن السّلطان «سُليمان» بسببِ بعضِ الخصوصِ. ومِن الجانبِ الآخرِ سارَ السّلطان «سُليمان» مِن مكانٍ لآخرَ حتى وصلَ إلى سنجق «منتشا»، وأمرَ ببناءِ جسرٍ أمامَ قلعةِ «رودس»، وبعدَ أنْ عبرَ جميعُ عساكرِ الروم ايلي والأناضول عبرَ السّلطان بجُنْدِ القبو خلقى. ووصلتْ سفينةُ السّلطان مِن نوعِ «قادرغة» وقد كان أصلُها مِن خشبِ سيِّدِنا نُوحٍ[4].

---

(1) توجد تفصيلات عنه في بحث وفاته.

(2) هذا العنوان من وضع (المترجم).

(3) جاء في روزنامة حيدر جلبي: «في يوم 29 ربيع الأول سنة 921هـ وبعد قتل علاء الدولة من طرف أمير أمراء الروم ايلي سنان باشا- لقبه بوزقورد- في جبال البستان، تمَّ ضبط وفتح البلاد والأمصار الواقعة في الولاية المذكورة، وتمَّ تفويض حكم الدولة إلى شهسوار اوغلى علي بك».

(4) جاء في الروزنامة في وقائع رمضان سنة 928 هـ: «يوم الاثنين في 4 منه عبر السّلطان صاحب الدولة في هذا اليوم من البحر إلى جزيرة رودس في 22 تموز، وعند وصوله إلى الجزيرة المذكورة وصلت جميع السفن والأسطول، وأطلق الجميع المدافع والضربزن تشريفًا بالسّلطان، بعد هذا اليوم بدأت الحرب. وفي بحث عن عودة السّلطان: «ركب المرحوم رئيس قره محمود سفينته من نوع قدرغة ووصل إلى ميناء مرمروس. وعند عبوره من الميناء المذكور كان الباقي قد ركبوا سفنهم. وفي صحائف الأخبار: «ذكر أنهم وصلوا يوم 4 رمضان إلى الجزيرة وبدأوا في حصارها. وأخذت المتاريس، وكان يوجد في الجانب الأيمن من القلعة الوزير الأعظم بيري باشا، وبجانبه أمير أمراء الأناضول قاسم باشا، وفي الطرف الأيسر الذي كان في غاية الصعوبة يوجد الوزير

شعر

ظهرَ الحظُّ الميمونُ في عهدِ السُّلْطانِ
مقرُّ الكرامةِ وجناحِ الهمايون
والعصا والعرشُ والسيفُ جميعُها مرصّعةٌ بالذهبِ
والملابسُ والجناحُ مِن حريرِ أطلسَ
والملائكةُ تجلسُ على عرشِه
وجميعُ جيشِه مِن الملائكةِ
عندما يمرُّ مِن البحرِ ويعبرُّ
تُصابُ رِيحُ الصَّبا مِنه بالحيرةِ
وتأتي وتخضعُ أمامَ السُّلْطانِ

....

وتقلدَ عليه سُلْطانُ العالَمِ
فسُبحانَ العالِمِ حافظِ هؤلاء جميعًا
وعندما عادَ وشقَّ طريقَه في البحرِ
وكانَ النسيمُ دليلَه وإمامَه
اصطفُّوا وخدَموه كثيرًا
وأوصلوا السّلطان إلى رودس مسرعِين

الثاني مصطفى باشا. وهذا سهو منه والصحيح الوزير الثالث أحمد باشا، ومعه أمير أمراء الروم ايلي أياس باشا وآغا الإنكشارية بالي أغا، وبدأ في حصار القلعة، وبدأ القتال في يوم 5 رمضان».

وأتْبعتْ كلُّ السفنِ السّلطان

وساروا خلفَه واتّبعوه

بهذا التعظيمِ سارَ سعيدَ البختِ

وعبرَ سُلْطانُ العرشِ والتختِ إلى رودس

نثر: وبعد ذلك، بدأ السّلطان «سُليمان» ينظُرُ مِن السفينةِ إلى «رودس» على الوجهِ اللازمِ؛ ولكِنْ لَم يقتنعْ بذلك؛ فركِبَ حصانَه، ونظرَ إليها مِن مكانٍ عالٍ، ورأى داخلَها وخارجَها؛ ورأى أنَّ بداخلِها سبعةَ أبراجٍ ضخمةٍ مِثلَ نارِ جهنَّم، وقد اجتمعَ بها الزّبانيةُ منذُ سبعِ سنينَ، ولا أحدَ يستطيعُ الوصولَ لها، وإذا مرَّ الطّيرُ مِن فوقِها يفقدُ جناحَه ثمّ يمرُّ. وثعابينُها/ وحيّاتُها الخاليةُ مِن السّمومِ التي تفتحُ فاها مِن ناحيةِ مدافعِها. ولمّا رأى سُلْطانُ العالَمِ هذه القلعةَ بهذه الصّورةِ ظلَّ حيرانَ، وطلبَ المددَ والإعانةَ مِن الحقِّ جلَّ وعلا، وأحضرَ وزيرَه «مصطفى باشا» الذي عيّنَه قُبطانًا ورئيسًا[1] على السّفنِ، وسألَه عن أحوالِ «رودس». فأجابَ الوزيرُ قائلًا:

شِعْر

يوجدُ ثعبانٌ نائمٌ له سبعةُ رؤوسٍ

يحذرُ مِن رؤيتِه مَن يراه ولو كان شُجاعًا

تُصابُ الأذنُ بالرعدِ مِن صدى صوتِه المُخيفِ

في يدِه سوطٌ، ويخافُ العقلُ مِن رأسِه

---

(1) في قاموس تركي وطجه عثماني: باش: يعني رئيس أو أمير، عظيم، رئيس. بوغ: من لغة البلغارية: بمعنى: ربّ، أمير. وفي لغة اسلاوجه: رئيس، أمير، قائد، أمير. باش وبوغ: بمعنى قائد، أمير، قائد عساكر غير نظامية.

اذهبْ هناك وانظُرْ إلى بريقِه
فهو أرهبُ الغربِ والشرقِ
لو قستَ طرفًا منه
فإنه مِثلَ الفولاذِ الشديدِ
محيطُه مكوَّنٌ مِن سبعةِ خنادق
وأرضُها عليها سبعةُ أبراجٍ
وبناؤها مُحكَمٌ مِن سبعِ طبقاتٍ
وفناؤها مبنيٌّ منذُ سبعةِ آلافِ عامٍ
وأسفلُ كلِّ برجٍ سبعُ طبقاتٍ
وفي كلِّ الأوقاتِ يوجدُ سبعُ حُرَّاسٍ

نثر: ووُضِعَ في كلِّ عشرةِ أقدامٍ اثنان مِن الآلاتِ المحرِقةِ [1]. وفي كلِّ آلةٍ مِن هذه الآلاتِ يوجدُ ثعبانٌ ضخمٌ يأخذُ لفمِه حجرًا حديديًا، ويلحقُ ضررُه بمَن يأتي مِن بعيدٍ عنه بسبعةِ أميالٍ، وإذا كان هناك بناءٌ مُحكَمٌ آخرُ فإنه مملوءٌ بـ «الشايقة» [قارب ذخيرة صغير] [2]. وفي وسطِه المدافعُ، وليس المكانَ الذي يُنظَرُ إليه بنفسٍ طيّبةٍ، ويوجدُ في أعلاه مدفعُ حربٍ [3] وآلةٌ لـ

(1) روشن: هي آلة من نوع «مرآت الموقدة» التي ظهرت واستعملت مِن أجْلِ الدفاع لقوم أرشميد أو أرخيدس ضدَّ الروم عندما كان يسير حائرًا، ويقول «لا تفسد شكل المسألة» إلى نفر من الروم الذين ضربوا بالسيف بعد قتل الذي كتب حاشية، وشرح متعدد من قبلِ كثير من الأشخاص من علماء الإسلام الذين ترجموا آثاره إلى العربية قبلَ الميلاد 278-212.

(2) شايقة وجايقة: نوع من الذخيرة الصغيرة.

(3) جاقالوز أو جقالوز: هو نوع من المدافع يرمي أحجار الثعلب. وهو مدفع صغير يرمي أحجارًا.

ضربِ الرصاصِ، ويوجدُ كثيرٌ منها في أسفلِ كلِّ قلعةٍ (1). وتمَّ بناءُ برجٍ آخَرَ في داخلِ النهرِ وسمُّوه «سمندرك» (2).

وهذا البرجُ أيضًا مملوءٌ داخلُه بالنارِ المحرقةِ، وبابُ الميناءِ مربوطٌ بكثيرٍ منَ السلاسلِ الضخمةِ، ومنَ الليلِ حتى الصباحِ تضيءُ المشاعلُ في ذلكَ المكانِ، وتأتي السفنُ وتملأُ الميناءَ؛ لأنَّه كانَ يوجدُ في رودس مكان «حاجتخانه» عظيمة لملكِ الفرنجِ. ولأنَّ «صنجوان» (3) مدفونٌ هناكَ فإنَّ النَّصارى يعتقدون أنَّ على كلِّ إنسانٍ عاصٍ ومرتكبٍ خطيئةً في زعمِهم أنْ يأتيَ هذا المكانَ، ويزورَ «صنجوان»، ويطلبَ منه المددَ، ويتضرَّعَ أمامَه حتى يُغفرَ ذنبُه ويُمْحى.

وكانَ رجالُ حاكمِ الفرنجِ والأكابرُ منَ الشيوخِ والشبابِ يذهبون إلى هناكَ ويقومونَ بزيارةِ «صنجوان»، ويطلُبون مَغْفِرَةَ ذنوبِهم. وكانَ داخلَ هذه القلعةِ بضعةُ آلافٍ منْ أسرى المسلمينَ، محبوسينَ هناك، ويُعذَّبون بالليلِ بآلةِ تعذيبٍ في المحبسِ والسجنِ. وفي النهارِ (4) يعملون بحفرِ الخنادقِ، وقد نُقِلَ هذا الخبرُ من طريقِ الأشخاصِ الموثوقِ عليهم، والصحيحُ هو أنه [بعد فتحِ القلعةِ] تمَّ نقلُهم إلى الخدمةِ الشريفةِ»، ودَعَوا للسُّلْطانِ.

وعندما سمعَ السُّلطان هذا الخبرَ قال: «كلُّ مَن هو مريضٌ يتمُّ علاجُه

(1) قلعة ديواري: برج القلعة بارو تأتي في معنى سور.

(2) سمندرك أو سمدرك: هي من الجزر الصغيرة الموجودة في البحر. ويلاحظ أن كلمة مندرك بمعنى ميناء صنعي.

(3) سن زان أو سن جوان.

(4) في ذلك الوقت كان يربط أقدام المجرمين، ويتم تعذيبهم بآلة تعذيب عبارة عن جذع شجرة له فرعين يربط عليه أقدام المجرمين.

على حسبِ حالِه، وعلى وجْهِ الشّرعةِ يجبُ ألّا يُقتلَ أحدٌ أو يموتَ؛ لأنَّ التأنّي في الأمورِ الصعبةِ يجعلُها سهلةً، والعجلةُ في الأمورِ السّهلةِ يصعّبُها».
ولكِنْ مِن الجانبِ الآخرِ عندما رأى كفارُ «رودس» هيبةَ السّلطان «سُليمان» وعظمتَه هو وجيشَه وسُفنَه؛ فقدوا الأملَ في أرواحِهم وقلاعِهم، والتفُّوا حولَ كنيسةِ «صنجوان» وطلَبوا العونَ والمددَ مِنه؛ أنْ يدفعَ عنهم ضررَ المسلمين، وتضرّعوا هناك.

⏮ شِعْر

ولّوا وجوهَهم شَطْرَ الصليبِ العظيم
وتضرّعوا عندَ الكنيسةِ
وقالوا يا أيُّها الصنمُ معبودُنا
أنتَ قَصْدُنا في العالَمِين
أنت مُخلِّصُنا مِن هذا الغازي
أو نسلِّمُ أنفُسَنا وعبيدَك فِداءً له
نطلبُ مِنك المددَ ومِن «صنجوان»
لتُنجيَنا مِن ذلك الشّابِّ
افتحْ بابَ العنايةِ لعبيدِك
ونخضعُ جميعًا في سبيلِك
لتمنحْ لنا هِمّةَ عيسى في هذا اليوم
ولْتمُنَّ علينا بدفعِ العدوِّ
فإنهم سيفتحون السناجقَ
وينصبوا أعلامَهم على القِلاعِ

فقدْ صُلِبَ المسيحُ على قطعةِ خشب
وخــــرجَ لــلآخَـــريــن عــلى الصليبِ
ليخرُجوا مِــن القلعةِ وتُفتح تمامًا
فتطلبُ المــددَ مِـن الصنم والإعـانـةَ

نثر: بعد ذلك أصدرَ السّلطان «سُليمان» فرمانًا أنْ: "تُنصبَ المتاريسُ والمدافعُ، ويتمّ حفرُ خنادقَ عميقةٍ، ويدخلون المتاريسَ بها، وبهذه الصُورةِ تُطلَقُ المدافعُ على القلعةِ مِن طرفِ المسلمين، أو يتحرّكون بفوهةِ المدافعِ، وفجأةً قذفتْ عِدّةُ مدافعَ في آنٍ واحدٍ مِن داخلِ القلعة"[1]. وبهذا الأسلوبِ استمرّتْ الحربُ والجدالُ والقتالُ فترةً طويلةً بين المسلمين مِن الخارجِ والكفارِ مِن الداخلِ بالمدافعِ والأسلحةِ، وسارَ المسلمون إليهم عِدّةَ مراتٍ واستُشهد كثيرٌ مِن المسلمين؛ ولَم يظفَروا بالقلعةِ.

وفي هذا العامِ تُوفّي «خير بك» الذي عيّنه السّلطان سليم خان- عليه الرحمةُ والغُفرانُ- نائبًا على مِصْرَ[2]؛ فأرسلَ السّلطان سُليمان وزيرَه «مصطفى باشا» مكانَه، فوصلَ مِصْرَ وضبطَها وحفظَ الأمنَ بها[3].

(1) جاء في الروزنامه أنّ: «أقدم الكفار كثيرًا في المعركة لدرجة أنهم أطلقوا عِدّة مدافع في الجو، وبسبب أنهم تضرّروا من المدافع التي أطلقوها في الجوّ دقّوا الجرس والناقوس، وبدأوا يهربون إلى باطن الأرض، وسحبوا كثيرًا من المدافع وأمثالهم وأنزلوها إلى المتاريس.

(2) انظر: النص في الكتاب ص274 استطراد رقم 5. في الروزنامه في وقائع ذي الحجة سنة 928 هـ: «يوم الأربعاء في 2 منه جاء مركب من جانب مِصْرَ، وأحضر خبر وفاة خير بك.

(3) في الروزنامه: «يوم الجمعة في 4 منه عقد الديوان، وتمّ صدور فرمان بإرسال مصطفى باشا إلى مِصْرَ مِن أجْلِ الحفاظ عليها. وفي يوم الأحد 6 منه استأذن مصطفى باشا في تقبيل يد السّلْطان، يوم الاثنين 7 منه، ذهب مصطفى باشا بـ 15 سفينة إلى مِصْرَ. وذكر بجوى ذهب ب 10 سفن من نوع قادرغة. وفي صحائف الأخبار: في 22 ذي الحجة أصبح مصطفى باشا الوزير الثاني واليًا على مِصْرَ. وذكر أنه ذهب إلى مِصْرَ بخمسمائة نفرٍ من الانكشارية وعشرة سفن من نوع

وعودةٌ [إلى موضوعنا]؛ فمِن الجانبِ الآخرِ ذاتَ يوم جمعَ السّلطان «سُليمان» وزراءه وشاوَرَهم في الأمر. وفي النهايةِ قرَّروا أنْ يبْنوا جبلًا مِن الطينِ/ الحجارةِ على «رودس»، ويبْنوا طُرقًا كثيرةً، وبدءوا في تنفيذِ ذلك ليلًا ونهارًا.

والحاصلُ أنه قد استمرَّ العملُ لمُدَّة ستةِ أشهرٍ متواصلةٍ، وعملَ مائةُ ألفِ جُنديٍّ في الليلِ والنهارِ، ويحاربون ويقاتلون، ونصبوا الألغامَ في أماكنَ كثيرةٍ، واستُشْهد كثيرٌ مِن المسلمين. وفي نهايةِ الأمرِ أدركتْهم عنايةُ الحقِّ- جلَّ وعلا- وفضلُه، وفُتحتْ القلعةُ بطلبِ الأمان[1]. وركِبَ مُعظَمُ الكفارِ سفنَهم وذهبوا إلى «فرنكستان» بموجِبِ عهدِ الأمانِ مِن السّلْطانِ[2]، وضبطَ المسلمونَ «رودس».

[توليةُ «مصطفى باشا» على إيالةِ مِصْرَ][3]

وفي هذا العامِ عندما وصلَ «مصطفى باشا» [الذي أرسلَه السّلطان سُليمانُ بعدَ وفاةِ خَيرِ بك] إلى مِصْرَ، شرعَ بعضُ طوائفِ الجراكسةِ في نشرِ الفتنةِ والفسادِ، واتفقَ الملاعينُ المعروفون باسْم «قانصو»- رئيس الإسطبلِ الكبيرِ- لخيرِ بك، و«مصربايي»[4] الخازنِ الصغيرِ لـ «خيرِ بك»، و «بوداق»

غراب. غراب: بكسر الغين، سفينة تجارية تستعمل في سواحل الهند.

(1) جاء تاريخ فتح القلعة في الروزنامه أنه يوم الخميس 6 صفر سنة 929 هـ. وفي بچوى وصحائف الأخبار ذكروا أنه 5 صفر.

(2) في صحائف الأخبار ذكر: خرجَ ميخال حاكمِ القلعة، وعندما قدم له هدايا وتحف ولبس الخلعة تمَّ الإحسان إليه وانصرف. وفي تاريخ أبي الفاروق ج3 ص26»: في أثناء وداع رئيس شوالية الكبير- يعني غران متري- وهو «ويليه ردوليل آدان» الفرنسي، وبسبب مراعاته حرمة الشروط تشكر للسّلْطانِ، وخاطب السّلطان إبراهيم آغا رئيس غرفة السّلطان الخاصّة بأن يتركوا هذا الشيخ العجوز يذهب إلى وطنه. ويوجد لجلال زاده صالح أفندي المتوفى سنةِ 973ه في أثره المعروف بـ «فتحنامه رودس»، وتوجد نسخة مِنه في إمبراطورية مكتبة ويانه.

(3) هذا العنوان من وضع (المترجم).

(4) ذكر بچوى: «قانصو رئيس الاسطبل الكبير لخيره بك ومهربايي خازن خير بك.

رئيس فِرقةِ «التفنكجية»- أي صُنَّاع السلاح- على تنصيبِ «قانصو» سُلْطانًا عليهم، وبقَوا في خدمتِه وطوعَ أمرِه، وقاموا بإضلالِ كثيرٍ مِن الناسِ، وكان هدفُهم هو: الهجومَ على «مصطفى باشا» عند جلوسِه في الديوانِ، وقتلَه، وقتلَ سائرِ العثمانيِّين الآخَرين بالسيفِ، والاستيلاءَ على مِصْرَ.

نعم كان معلومًا فِكرُهم الفاسدُ [فساد فِكْرهم] [1]، وقُبِض على كلِّ واحدٍ منهم بطريقةٍ ما، وطُعن بالسِّكِّينِ على مَرْأى مِن الناسِ. وبالإضافةِ إلى ذلك اجتمعَ ثلاثةٌ مِن الجراكسةِ؛ [2] وهُم «جانم كاشف» و«خداوردى كاشف» و«كاشف إينال»، واتفقوا على نشرِ الفتنةِ والفسادِ. وقاموا بأفعالٍ قبيحةٍ وشنيعةٍ وضربوا كثيرًا مِن الولاياتِ والممالكِ. وفي النهايةِ قُبض على كلِّ مَن يسمَّى «كاشف»، ونالوا جزاءهم [تمَّ قتلُهم].

[توليةُ أحمد باشا على إيالة مِصْرَ وخيانتُه] [3]

وفي عامِ 929هـ [4] جاء السّلطان «سُليمان» إلى «إسلامبول» [5]. وعزلَ

(1) ذكر بجوى أنهرتم الأخبار عنهم من داخلهم.

(2) جَرْكَس: ذكر بجوى أن: أحدَ هؤلاء كان أميرًا للحجِّ عِدَّة مرّات، والثاني طنجه كاشفى، والثالث غربية كاشفى. وفي صحائف الأخبار ذكر فقط جانم كاشف. كاشفى: هو الاسم الذي أطلق حينئذ على قائمقام أو مدير في الحكومة المصرية. كاشف: محصل أو مسلم. اينال: في المغولية تعني محرم خاص، أو مستشار أمير شيخ قبيلة حاكم سردار.

(3) هذا العنوان من وضع (المترجم).

(4) الموافق 1522م.

(5) جاء في الروزنامه أنه تمّ تحويل الكنيسة كنيسة زان الموجودة في قلعة رودس إلى مسجد. وفي يوم 14 صفر سنة 929 هـ بعد أداء مفتي الشيخ على إمامة وخطابة صلاة الجمعة- الموجود في الميناء- ركب قره محمود رئيس سفينة من نوع قادرغة، ووصل إلى مرمريس في اليوم الثاني، وفي يوم الأربعاء من ربيع الأول وصل إلى ميناء ديل، وركب المركب، ووصل استانبول يوم الخميس 29 من كانون الثاني المصادف يوم 12 من الشهر المذكور. انظر تاريخ بجوى ج1 ص76. وفي صحائف الأخبار لم يذكر تاريخ وصوله إلى استانبول.

«بيري باشا» مِن الوزارةِ، وأحالَه للتقاعُدِ. وعزلَ «فرهاد باشا» أيضًا مِن الوزارةِ، وأعطاه سنجق «سمندرة»، وقامَ بإرسالِ «أحمد باشا» إلى مِصْرَ مكانَ «مصطفى باشا» وأعطاه إمارةَ مِصْرَ (1). وعندما كان «إبراهيمُ باشا» في وظيفةِ [اوده باشى] «رئيس حجرة» (2) عُزل مِن وظيفتِه، وأُسندتْ إليه الصدارةُ العظمى، وصارَ وزيرًا أعظمَ بعظمةٍ وهيبةٍ بما لا يُوصفُ بالألسنة(3).

وقضى السّلطان ذلك الصيفَ في «إسلامبول»، ولَم يذهبْ لمكانٍ. وعندما وصلَ «أحمد باشا» إلى مِصْرَ أعلنَ العِصيانَ بحُجَّةٍ ما، وأصبحَ أميرًا مستقِلًا، وأعطى الإذنَ لبعضِ عبيدِ السّلطان الموجودين في مِصْرَ، وأرسلَهم إلى «إسلامبول»، فأعلَن الباقون الطاعةَ والانقيادَ له.

وفي سنةِ 930هـ (4) مِن العجيبِ أنَّ «أحمد باشا» الذي تربَّى في كنفِ السّلطان «سُليمان»، ولاقى هذا القدرَ مِن إحسانِ السّلطان وإنعامِه عليه، ومنحِه أعلى المناصبِ؛ حتى رُتبةِ وزيرٍ، نسي كلَّ ذلك، وأظهرَ العِصيانَ، وخانَ السّلْطانَ.

شِعْر

أظهـرَ العصيانَ ضِـدَّ السّـلـطـان(5)

وكـان إيـذانًـا بنقصانِ عمرِ دولتِه

(1) تاريخ تعيينه، وبالنظر إلى كتاب بجوى هو 2 رمضان 929هـ.

(2) ذكر بجوى أنه كان رئيس حجرة في الحرم الهمايوني، ثم وظيفة مربّي الصقور داخل الحرم.

(3) ذكر بجوى أنّ: تعيينه كان يوم 3 شعبان بانضمامه إلى ايالة الروم ايلي. وفي صحائف الأخبار ذكر أنه في 13 شعبان، وجاء عن سبب عزل بيري باشا في صحائف الأخبار وبجوى ج1 ص79.

(4) الموافق 1523م.

(5) ذكر بجوى أنه أمر بصكّ العملة وقراءة الخطبة باسمه.

ووصلَ صبحُ دولتِه إلى الشام
وظنَّ أنه حكَمَ مِصْرَ والشامَ
وجمعَ جيوشَ تلك الديارِ
وانقادَ إليه الأمراءُ والولدانُ
ثم جلسَ على عرشِ مِصْرَ
ومدَّ يدَ الظلمِ على متاعِ الناسِ
وحكمَ بالجبرِ أهلِ مِصْرَ
وأصبحَ سيِّئ السُّمعةِ بين أهلِ المدينةِ

نثر: وتعدَّى على التجَّار وأصحابِ الأموالِ الموجودين في مِصْرَ، وأخذَ أموالَهم، ووضعَها في خزينةٍ كبيرةٍ. وبينما كان «أحمد باشا» يفعلُ ذلك؛ اتفقَ سُلْطانُ العالَمِ مع بعضِ الرجالِ الشجعان المخلصين[1]، فهجموا عليه في الحمَّام، فنجا مِن الحمَّام، ودخل القلعةَ، ولكِنَّه لَم يمكُثْ بها، وهربَ إلى بلادِ العربِ، ولَم يبقَ هناك أيضًا، واتَّجهَ ناحيةَ المغربِ، وبينما كان يعبُرُ النيلَ قطعوا رأسَه، وهذه قِصَّةٌ مشهورةٌ على ألسنةِ السلف الماضين.

شِعْر

لا تظنَّ أنَّ الخائنَ يكونُ ذا حظٍّ
إمَّا أنْ تُقطعَ رأسُه أو يُصلَبَ

(1) ذكر بجوى: «وجعل الأمير محمد الذي كان يلازمه في كلِّ تحركاته وزيرًا له، ولكن محمد بك المذكور كان رجلًا عاقلًا وعالمًا، فلَم يرضَ بالعصيان، وتحيَّن فرصة للقبض عليه. أمَّا كتاب صحائف الأخبار فذكر: «أن مَن قبض عليه هو قاضي زاده محمد بك من الرجال الذي عيَّنهم سليم خان».

نثر: وبعد ذلك، أرسلَ الأميرُ الذي كان أميرًا على عبيدِ مِصْرَ[1] رأسَ «أحمد باشا» إلى السّلطانِ، فأرسلَ السّلطان «قاسم باشا» مكانَه من أجلِ ضبطِ مِصْرَ. فوصلَ «قاسم باشا»، وضبطَ مِصْرَ. وفي هذا العام تُوفّي شاه الشّرقِ الشّاه «إسماعيل» سيّئ الطِباعِ حاكمِ القزلباش، وأصبحَ ابنُه «طهماسب»[2] أميرًا مكانَه، ثمّ أصبحَ سُلْطانًا.

[حفلُ عُرْسِ الصدرِ الأعظمِ «إبراهيم باشا» السعيدِ][3]

وفي سنةِ 930هـ: في هذا العامِ وُلِدَ للسّلطانِ «سُليمان» ابنُه السّلطان «سليم». وفي سنةِ 930هـ أيضًا تزوّجَ الوزيرُ الأعظمُ «إبراهيم باشا»، وأقيمتْ الحفلاتُ والأفراحُ العاليةُ، التي لا يمكنُ تحريرُها بالأقلامِ أو وصفُها باللسانِ[4]. وبعد ذلك، أرسلَ السّلطان «إبراهيم باشا» إلى مِصْرَ، فخرجَ بالسّفنِ مِن جانبِ النهرِ إلى مِصْرَ، وقامَ بالتفتيشِ وتفحّصِ أحوالِ مِصْرَ وإيرادَها؛ هل يفي للخراجِ أمْ لا؛ لأنّه بعد وصولِ «قاسم باشا» إلى مِصْرَ، كان قد أرسلَ خبرًا قائلًا فيه: «محصولُ [إيراد] مِصْرَ لا يكفي لإرسالِه، ويجبُ تعيينُ رجالٍ بقدرِ الحاجةِ مِن أجْلِ حفظِ مِصْرَ، وما عدا ذلك، وكلُّ ما يزيدُ عن الخزينةِ، سيتمُّ إرسالُه إلى «إسلامبول».

---

(1) الأمير المشار إليه هو محمد بك.

(2) جاء في كتب التواريخ الأخرى بهذا الشكل «طهماسب». (المترجم).

(3) هذا العنوان من وضع (المترجم).

(4) ذكر بجوي في تاريخه أنّ: تاريخ حفل العرس هو 18 رجب سنة 930هـ وفي صحائف الأخبار: «تمّ ترتيب حفل العرس من أجْلِ صهره إبراهيم باشا». وذكر سجل عثماني أنّ: إبراهيم باشا تزوّج أخت السّلطان خديجة سُلْطان.

فذهبَ الوزيرُ الأعظمُ «إبراهيم باشا» بالسّفنِ وخرجَ إلى «رودس»، وبالقربِ مِن رودس هبّتْ ريحٌ عظيمةٌ في البحرِ، فلَم يعبُرْ إلى مِصْرَ، ورجعَ مِن «منتشا» إلى ناحيةِ «الأناضول»، ثمّ خرجَ مِن «حلب» إلى «الشام» ومِن «الشام» إلى «مِصْرَ». وعندما وصلَ مِصْرَ، كان هناك بعضُ المتمرّدين؛ فأمرَ بصلبِهم، ونالوا جزاءهم. وبعد ذلك، جعلَ ولايةَ مِصْرَ دارَ أمنٍ بنشرِ الأمنِ والأمانِ فيها. ونفّذَ كلَّ ما طلبَه السّلطان على الوجهِ اللازمِ[1].

ولكنْ في الوقتِ الذي ذهبَ فيه «إبراهيم باشا» إلى مِصْرَ عبرَ السّلطان «سُليمان» مِن «إسلامبول» إلى «أدرنة»[2]. وقضى ذلك الشّتاءَ في «أدرنة»، وتمّ إحضارُ «فرهاد باشا» مِن «سمندرة» وقتله[3]. وعبرَ السّلطان «سُليمان» مِن «أدرنة» إلى «إسلامبول». وعندما وصلَ مدينةَ «إسلامبول» لَم يدخُلْها ووصلَ إلى مكانٍ يسمّى «ياليده ترقوز» في البرِّ في «فيل جايري» في «كاغد خانه»، وجلسَ فيه.

نعم، عندما لَم يدخُلْ السّلطان «سُليمان» المدينةَ بدأتْ طائفةُ «الإنكشارية» في نشرِ الفتنةِ والفسادِ، وهجموا على منازلِ الوزراءِ والأكابرِ[4]، واستولَوا

(1) توجد تفصيلات عن هذا الباب في تاريخ بجوى ج1 ص82.

(2) تحرّك إبراهيم باشا من استانبول متوجّهًا إلى مِصْرَ كما في بجوى في ذي الحجة. وورد في نخبة التواريخ أنه تحرّك في غرة ذي الحجة.

(3) وبالنظر إلى كتاب بجوى أن: تاريخ إعدامه في 4 محرم سنة 932هـ. انظر استطراد صفحة 306 رقم 1، وبجوى ج1 ص82، وصحائف الأخبار ج3 ص481 «وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «بشر القاتل بالقتل»: حديث لا أصل له، ذكر ذلك السخاري في المقاصد الحسنة، دار الكتاب العربي، ص151، رقم الحديث 293. وقيل: احذر من القتل وظلم البشر.

(4) بالنظر إلى كتاب صحائف الأخبار هم: الوزير الثاني اياس باشا، والدفتردار عبد السلام چلبي، وبعض الأشخاص الآخرين.

على أموالِ جميعِ أهالي المدينةِ ومتاعِهم، وقاموا بالنهبِ والإغارةِ. والحاصلُ أنهم قاموا بأعمالٍ سيئةٍ كثيرةٍ؛ واستولَوا على أموالِ الأهالي جبرًا وقهرًا ونهبوها. وعندما سمعَ السّلطان «سُليمان» بذلك ركِبَ مركبًا في الحالِ، وذهبَ إلى «إسلامبول»، وعقدَ الديوانَ، وجمعَ جميعَ عساكرِ «القبو خلقي» و«الإنكشارية» وسألَهم عن أصلِ الفتنةِ وسببِها.

فأكّد الجميعُ أنَّ سببَ الفتنةِ هو: «مصطفى آغا» أغا الإنكشاريةِ [1]، وعندما علمَ السّلطان أنَّ الوضعَ هكذا قام- في الحالِ- بعزلِ «مصطفى آغا» مِن وظيفتِه، وأسندَها لشخصٍ آخرَ، وقتلَ مصطفى آغا[2]. وفي هذا العام أيضًا ضبطَ «إبراهيم باشا» أحوالَ مِصْرَ؛ ثمّ عادَ مرةً أخرى إلى «إسلامبول»[3].

شِعْر

فرحَ بتقديمِ الطاعةِ للسّلطَان وتقبيلِ يدِه
فـنـالَ عـطـفَ الـسّـلـطـان وإحـسـانَـه
ولا أحــدَ يخـالـفُ سُـلْـطـانَ الـدولـةِ
فالناسُ تنقادُ وتطيعُ مَن يلبسُ التاجَ

---

(1) وبالنظر إلى كتاب صحائف الأخبار أنه أغا الإنكشارية، ورئيس الكتاب حيدر أفندي، والكتخدا قيران بالى مصطفى باشا، ولكن هذا الكلام من السهو. وبالنظر إلى كتاب سجل عثماني أنه كتخدا قيزان بالى مصطفى بك. وفي نخبة التواريخ المطبوع ص59: «كتخدا مصطفى باشا وهو قيران بالى».

(2) من الملحوظ أنه شجاع الدين آغا أو قره أحمد أغا الذي ذهب لدعوة إبراهيم باشا من مِصْرَ- عندما كان أغا العزبان- وهو أخو رستم باشا وشهرياري قره أحمد باشا.

(3) نظرًا لإفادة نخبة التواريخ المطبوع ص59 أن: إبراهيم باشا وصل مِصْرَ يوم 8 جُمادى الآخرة سنة 931هـ وأقام فيها شهرين ونصف، وفي 18 ذي القعدة من السنة المذكورة عاد إلى استانبول.

نثر: ورجعَ «إبراهيم باشا» مرةً ثانيةً إلى خدمةِ الوزارةِ، وعرضَ أحوالَ مِصْرَ على السُّلْطانِ؛ فاستحسنَ السّلطان «سُليمان» المصالحَ والتعديلات التي قامَ بها وزيرُه في مِصْرَ[1]، وقامَ بوافرِ الإنعامِ والإحسانِ على «إبراهيم باشا». ولكِنْ في ذلك الوقتِ الذي فتحَ فيه السّلطان «سُليمان» «رودس» وأعطى الأمانَ للفرنجِ الموجودين بها قاموا بالذّهابِ إلى «فرنكستان» بالسفنِ[2]، وقامَ جميعُ الفرنجِ بإقامةِ مأتمٍ وعويلٍ على «رودس» و«صنجوان».

[غزوةُ مُهاج][3]

ولأنّ «رودس» كانت تُعَدُّ ملجأ الفرنجِ وحِصْنَهم، فقدْ قامَ الفرنجُ الذين خرجوا مِن «رودس» بتوبيخِ زعماءِ الفرنجِ الموجودين في «فرنكستان» وعتابِهم أشدَّ العتابِ، وقالوا لهم: «لقد كنتم أشخاصًا جبناءَ؛ لأنكم لَم ترسِلوا جيشًا لنا، ولَم تساعِدونا، وتركتمونا حتى جاء التُّرْكُ، وحقَّروا مِن «صنجوان» ودينِ «عيسى» وأذلّونا، ووقفتم مكتوفِي الأيدِي وتكاسلتُم عن نُصْرتِنا، وأهملتُمونا».

شِعْر

قالوا ألا توجدُ عندكم غيرةٌ للدمِ وعبرةٌ
ولا تـغـاروا حتـى عـلى النـسـاءِ
أليس عندكم خجلٌ مِن عيسى والبرتغال
اخجَلوا مِن الباري صاحبِ أعلى الخصالِ

---

(1) انظر: بجوى ج1 ص84.

(2) انظر: استطراد رقم 2 ص312 من الكتاب.

(3) هذا العنوان من وضع (المترجم).

يـوجـدُ في الـدولـةِ كـافـرٌ مُستبدٌّ
استعبدَ المسلمين طبقًا لقوله (1)
وحـكـمـوا نِـصـفَ الـعـالَمِ بالـتـمام
فـلْـتـمـطُوا الـعَـونَ لـدِيـنِ عيسى
وعـبروا الـبـحـرَ ودخـلـوا الهـندَ
وأدخلوا الدِين إلى الأرواح قبلَ الأجساد
والقصدُ مِن ذلك أنهم يسعَوْن مِن أجْلِ الدِينِ
وقـد دخـلَ عـيـسى «المـزراق»
وصُـلِـبَ مِـن أجْـلِ ذلـك
وأرادوا هـدمَ مـكَّـة المسلمين
ومحـوَ آثـارِهـا مِـن عـلى الأرضِ
فـلْـتـضَـعـوا الـصـلـيـبَ عـلى الجـنـودِ
ولتذهبوا النجدةِ دِين سيِّدنا «عيسى» وروحه
لـو كـانـت هِمَّتُـكـم وصـلـتْ إلينا
لَما كـانـت الـنـصـارى في تـعـبِ الآنَ
ولـو هـدمَ مـلـكُ الـنـصـارى
سيُهدَمُ كـلُّ شيءٍ المُـلـكُ والسُلْطانُ
وأنتم لَم تـسـيروا بنيَّةٍ ولَم تتجمَّعوا
ولَم تسْعَوا أو تخطِّطوا مِن أجْـل الدينِ

(1) يقصد المؤرخ إسبانيا. انظر عن هذا الباب: تاريخ الأندلس وحملة سُليمان باشا إلى الهند وتاريخ البرتغال.

فقد استولَوا بالأمسِ عليها واليومَ على هذه
وغـدًا سيفتحون كـلَّ مُلكِ النصارى
وتـــضرَّعـــوا بـكـلِّ حــسرةٍ وحُــزنٍ
وسكبوا دمعًا مِن عيونِهم مِثلَ بحرِ اليونانِ

نثر: وبعد ذلك، صَدَّقَ الأمراءُ[1] وجميعُ أكابرِ وأصاغرِ الفرنجِ كلامَ القادمينَ مِنْ «رودس»، وقالوا عندكم الحقُّ في ما قلتم، فقدِ استولى التُّرْكُ على «بلغراد»، ومِن بعدِها استولَوا على «رودس»، وبعد ذلك، لو بقِينا هكذا لَمْ نتحرَّكْ فإنهم يستمرُّون في فتوحاتِهم. فاتَّحدوا وعقدوا تحالُفًا أنْ يضحُّوا بأنفسِهم وأرواحِهم مِن أجْلِ دِينِ «عيسى»، وطلبوا مُهلةً لمُدَّةِ ثلاثِ سنواتٍ.

وبعد ذلك، أرسلَ أمراءُ الفرنجِ رسالةً إلى حاكمِ «بلاد المَجر»، وقالوا فيها: «يجبُ أنْ تكونَ حاكمًا علينا، ونتفقَ سويًّا على إزالةِ التُّرْكِ مِن وجهِ الأرضِ، وحتى أنَّ «ريم بابا» [روما][2] اتفقتْ معهم في هذا الشيءِ، وكذلك فرانسة وإسبانية. والحاصلُ أنه ينبغي على جميعِ النصارى أنْ يتفقوا، فالبعضُ يأتي بنفسِه، والبعضُ يرسِلُ مالَه، وبعضُهم الآخَرُ يرسِلُ جيشَه، وتدعوهم للغيرةِ على الدينِ، وأخذَ «صنجوان» مِن يدِ التُّرْكِ».

(1) في لغات تاريخية وجغرافية: بان: في لغة اسقلاوون وبوشناق بمعنى حاكم وأفندي وأمير. ويطلق النمساويون كلمة بان على أفندي. واليوم يستخدم في ممالك اسقلاوونيا في النمسا كلمة بان على محافظي القلعة. وكلمة بان هذه كانت لقب لأمراء البلغار والأفلاق والصرب لفترة ما.

(2) ريم: هو الاسم الذي كان منتشرًا بين العوام على مدينة روما.

شعر

فلْنتفقْ مع بعضِنا البعضِ بمُوجِبِ العهدِ
ولْيكُنْ عيسى والإنجيلُ هو الإيمانَ
ولا يكُنْ نفاقٌ بيننا
ويكونُ الاتفاقُ في كلِّ شيءٍ
وأرسَلوا رسولًا إلى حاكم «بلادِ المَجَر»
وإلى حاكمِ «الأمان» وملِكِ الرّوسِ
وأخبروه بإرسالِ جنودٍ
وأنعموا عليه بالجواهرِ والأموالِ والعبيدِ
لكي ينجوا بأنفسِهم وأرواحِهم
ويأخذوا «صنجوان» مِن يدِ التّرْكِ
ونجعلَ صُورةَ الصليبَ على رايةِ الملكِ
ويعمَّ السرورُ على الجيشِ والشعبِ
وينقادَ الجميعُ لأمرِه ويطيعونَه
ويستعِدّوا بطلبِ النصرِ مِن سيِّدِنا عيسى
ونذهبَ ونفتحَ مُلكَ الروم
ثم نسيرَ بعدَها إلى الشامِ بالهجومِ
ثمّ نذهبَ ونطيرَ إلى القدسِ
ونفتحَ بابَ كنيسةِ القيامةِ (٦)

(٦) قيامه قابوسن: في ترجمة القاموس توجد إيضاحات عن باب القيامة وأيضًا يوجد اختلاف بينها وبين إفادة لغات تاريخية وجغرافية. كنيسة القيامة: سن سه بولقر.

وتضيءَ الشمسُ على بابِها

ويرصَّعَ بابُها بالذهبِ

ويرسموا على وجهِ العالَمِ «نسطور» (1)

ويعمُروا مِن جديدٍ ديرَ مناستر

ويتحقَّقَ وعدُ الرُّهْبانِ العِظام

بأنْ يجمعَ الجَيشُ والطُّغْيان

نثر: بعد ذلك اجتمعتْ جيوشُ الحكام عند ملكِ «بلاد المَجَر». وقامتْ طائفةُ النّصارى أهلُ المدينةِ الذين وصلوا لهذه المرتبةِ، وأكثرُ الرعايا بإعطاءِ نصفِ أموالِهم للجيش. ويُروى أنَّ السيِّداتِ العجائزَ قدْ بِعْنَ حليَّهنَّ وزينتهنَّ، وأعطينَ أموالَهنَّ إلى الغُزاة، وأُعلِنَ النفيرُ العامُّ مِن الجيش الذي لا يُرَ له مثيلٌ في التاريخِ، وأمرَ الملكُ الأمراءَ الذين يأتون مِن سائرِ الأطرافِ ألّا يكونَ أحدٌ في الجيشِ عريانًا، يجبُ أنْ يلبسَ الجميعُ الدرعَ والجُبَّةَ، وكانت جُبَّةُ الملِكِ وبيادتُه وكذلك جيشُه مِن الحديدِ الصلب.

وعندما سمعَ السّلطان «سُليمان» بتجمُّعِ الكفارِ هذا أمرَ وزراءه في الحال أنْ يستعِدُّوا، ويؤكّدوا على جيشِ الروم ايلي والأناضول والقبو خلقي أنَّ لَدَينا غزوةً، ليستعِدُّوا للحملةِ، وفي تلك الأثناءِ جاء رسولٌ مِن «بلغراد» وأخبرَ عن جيشِ الكفارِ وتجمُّعِهم.

(1) هكذا البيت في النسخة. نسطور: تمَّ تعيينه بطريق استانبول في سنةِ 428 م من طرف كنج تودرسيوس وهو الشخص الذي أوجد مذهب النسطورية. انظر: كلمة نسطور في لغات تاريخية وجغرافية.

شِعْر

نَبَّهَ على الجيشِ بالاستعدادِ للغزوِ
ووصلَ فجأةً رسولٌ مِن «بلغراد»
وقال يا شمسَ الممالكِ السبعِ
لقد أنرتَ العالَمَ بنورِ عدلِك
اتفقَ ملوكُ «الفرنج» و«بلادِ المَجَر»
مع ملكِ رُوما «اريم بابا رحاتي»
وعندما اتفقوا مع بعضِهم البعضِ
وجمعوا جيوشَ الرومِ جميعَها
وجاء الملكُ ومعه مائتا ألفِ مسلَّحين
بالدرعِ والسيفِ والرُّمحِ والدبوس على أكتافهم
لا يستوعبُ العقلُ حسابَ عددِهم
....(1)
اتحدَ الرّوسُ مع الإفرنجِ بالسلاحِ والمدافعِ
وساروا في صحراءِ أنكروس
واتفقَ الكفارُ جميعُهم مع بعضِهم
أنْ يزيلوا مِن بينهم البُغْضَ والنِفاقَ
وساروا يلحنون مِثلَ الذئابِ
واتّحدوا في حربِهم ضِدَّ السّلْطانِ

نثر: وعندما جاء الرسولُ مِن «بلغراد» أمرَ السّلطان «سُليمان» بعقدِ

(1) يوجد بيت ناقص في النسخة.

الديوانِ، وقال السّلطان «سُليمان» لوزرائه: «يجبُ أنْ تتّحِدوا وتكُونوا [1] مع الجيشِ على الوجهِ اللازمِ، وتختاروا أفضلَ الجنودِ في الجيشِ، ولا تتقيّدوا بالكثرةِ ولا يزيدُ الجيشُ عن مائتي ألفِ جنديٍّ».

شِعْر

ذهبَ الإسكندرُ بمائتَي ألفِ جنديٍّ
فكدر الشاه «دارا» وهزمه

نثر: وبعد ذلك، عندما سمعَ الوزراءُ هذا الخبرَ مِن السّلطان «سُليمان»، قاموا في الحالِ بتجهيزِ الجيشِ والخدمةِ طبقًا لِما يعرفون، وفي أسرعِ وقتٍ تمّ جمعُ مائتَي ألفٍ مِن الجنودِ الفُرسان الشّجعانِ. ولَم يستغرقوا كثيرًا، وأحضَروا أكثرَ مِن مائةِ قاربٍ، وصدرَ الفرمانُ أنْ: «يذهبوا إلى «قره دكز» [البحر الأسود]، ثمّ مِن هناك إلى نهرِ «طونة»، ثمّ يذهبوا إلى «بلغراد».

شِعْر

عبرتْ مائةُ سفينةٍ بأمرِ السُّلْطانِ
وسارتْ ناحيةَ نهرِ «طونة»
ثم ذهبوا إلى نهر «تراوه» مِن طونة
وساروا على طريقِ جِسْرِ السّلطان
وذهبَ هؤلاء ووصلوا بسلامةٍ
وفتحوا أشرعةَ السفنِ تمامًا

نثر: وحَملوا خمسمائةَ مدفعٍ مِن نوعِ «ضربزن» على العرباتِ، وأخذوا

---

(1) هي من مصدر برازيدن بمعنى إعطاء أسلوب ونظام وإضافة عمل إلى عمل آخر واللحاق بشيء.

أيضًا معهم كثيرًا مِن المدافعِ الثقيلةِ التي تدُكُّ القِلاعَ، بعضُها مِن «سمندرة» وبعضُها الآخَرُ مِن «بلغراد»، ووضعوها في السفنِ. وعند انتهاءِ كلِّ هذه المصالحِ والتجهيزاتِ قامَ الوزراءُ بعرضِها على السّلطان «سُليمان» وقالوا: «نحنُ قُمنا بما أمرتَنا به على الوجهِ اللازمِ، وكلُّ مهمّاتِ الحملةِ ولوازمِها جاهزةٌ؛ فماذا تأمرُ؟».

شِعْر

سمعَ السّلطان «سُليمان» سُلْطانُ العالَمِ بذلك
فأمرَ قائلًا لنخرُجْ مِن الخيامِ ونذهبْ للحربِ
ولتحط السراي الصغيرة بالروم ايلي
وتَرَ النشاطَ الذي وصلَ له الغُزاة
وفُتحت المظلةُ والخيمةُ السّلْطانيةُ
وضربتْ ضربة السّلطان وقتَ السّحَرِ
وفي وقتِ السّحَرِ لبِسَ سُلْطانُ العصرِ
لأمةَ الحربِ مع مائتَي ألفِ فارسٍ
ولبسَ الفولاذ الجيشَ والخيلَ
وصارت الدنيا مُضاءةً مِن شُعاعِهم

نثر: وبعد ذلك، خرجَ السّلطان «سُليمان» بعظمةٍ ومهابةٍ مِن إسلامبول، وسارَ منزلًا بمنزلٍ حتى أصبحَ منزلُه في «بلغراد»[1]. وعند وصولِه إلى «بلغراد» أمرَ ببناءِ جسرٍ على نهرِ «صاوه» أمام «بلغراد»، واستعدَّ للعبورِ إلى

(1) جاء في الروزنامه التي حرّرت مِن أجْلِ حملة مهاج أنه كان يوم 11 رجب سنة 932هـ المصادف 23 نيسان- يوم خضر والياس- يوم الاثنين تحرّك من استانبول، ووصل بلغراد يوم السبت 19 من رمضان.

ناحيةِ «سرم». وبعد ذلك، عبرَ غُزاةُ الرومِ ايلي أفواجًا إلى ناحيةِ «سرم».

وبعد ذلك، عبرَ السّلطان «سُليمان» بجندِ القبو خلقى[1]، ثمّ عبرَ عساكر «آقنجى»، وحملوا الذّخيرةَ والمدافعَ على السفنِ الموجودةِ على نهرِ «طونة»، ولحِقوا بالسفنِ القادمةِ مِن «إسلامبول»، وعزموا على الذّهابِ إلى «بوديم»[2]. وفي طريقِهم كانت توجَدُ قلعةٌ منيعةٌ وعاليةٌ للكفارِ على نهرِ «طونة» كانوا يسمُّونَها «وارادين»[3].

[فتحُ قلعةِ «وارادين» وقلعةِ «ايلوق»][4]

وعندما وصلَ السّلطان– مَلْجأ العالَم– إلى هذه القلعةِ طلبَ مِن الكفارِ تسليمَ القلعةِ، فردَّ حاكمُ القلعةِ بالرّفضِ، وقال له: «إذا أردتَ أنْ تأخُذَها فلتأخُذْها بالسّيفِ»، فأمرَ سُلْطانُ الرومِ في الحالِ بسحبِ المدافعِ، وجمعَ الجيشَ، وبدأ في ضربِ القلعةِ لعِدَّةِ أيام، وفي النهايةِ استولى الغُزاة على قلعةِ «وارادين» بحدِّ السيفِ، وقتلوا مُعظَمَ الكفارِ بالسيفِ، وغنِموا غنائمَ كثيرةً وتركوا جثثَ الكفارِ في نهر«طونة»[5].

وبعد ذلك، عبروا مِن هناك، وعندما وصلوا إلى قلعةِ «الوك»[6] كانت

(1) جاء في الروزنامه أنه يوم الأربعاء 932هـ، وفي بجوى يوم 4 شوال.

(2) بوديم: بودين.

(3) في اللغة المجرية يه تروارادا، وفي الألمانية يه تروارداين.

(4) هذا العنوان من وضع (المترجم).

(5) تاريخ فتحها: جاء في الروزنامه وبجوى أنه يوم الجمعة 17 شوّال.

(6) في جهانيا: ايلوق: هي قلعة حصينة وقضاء في حافة نهر طونة في صحراء سرم. وتبعد 3 أيام عن بلغراد وعندما تذهب إلى بودين فإنها تقع في الجانب الأيمن غرب وارادين. وبينهما مسافة صغيرة وكانت بها مسكن مخصّص للحاكم، وتمّ تسخيرها في 932هـ مع قلعة وارادين. وتاريخ

هذه أيضًا قلعةٌ منيعةٌ، ولكنَّها لَم تستطعْ مقاومةَ سُلْطانِ الإسلام، فسلَّموا القلعةَ؛ فتركَ حاكمًا على المسلمين الموجودين بها، وضُبطت القلعةُ. وعبرَ كفارُ القلعةِ نهرَ «طونة» وذهبوا إلى ملوكِهم. وبعد ذلك، وصلَ السّلطان «سُليمان» إلى قلعة «اوسك»(1)، وكان يوجدُ نهر «آقر دريك» بالقُرْبِ مِن نهرِ «تراوه»، وكان مِن الصعبِ عُبورُه؛ لعدمِ وجودِ جسرٍ هناك. فأمرَ السّلطان «سُليمان» في الحالِ قادةَ الرّومِ بالعبورِ، وبعدهم عبرَ عساكرُ «آقنجي»، ثمّ عبرَ السّلطان بعساكرِ القبو خلقي، وفي النهايةِ عبرَ جيشُ الأناضولِ، وبعد عبورِ جميعِ الجيشِ هُدم الجسرِ، وبذلك تكونُ قد قُطعت علاقتُهم بنهرِ «تراوه»، ولا يستطيعُ أحدٌ عُبوره إليهم(2).

وقبل ذلك كان السّلطان «سُليمان» قد عبرَ مِن «إسلامبول»، وبينما

فتحها: في الروزنامه الثلاثاء 29 وبجوى 28 شوّال 932هـ.

(1) جهانما: اوسك: بضمّ الهمزة وفتح السين: هي بلدة وقضاء بين بلغراد وبودين على نهر دراوه. وتبعد 26 يومًا عنهم. والنهر المذكور مِثلَ ساوه يسيل من الجنوب إلى الشمال ويلحق بنهر طونة وهو نهر عظيم. وعندما تذهب إلى بودين وتعبر من اوسك يوجد في شرق اوسك من ذلك النهر حصن مختصرى وواروش وجامع. وتمّ فتح القعة أيضًا في 932هـ. وتعتبر هي من قلاع السرم وتوجد بحيرة تبعد عن نهر دراوه فرسخين في غرب اوسك. وهي قليلة العمق ويوجد حقل قصب يمنع من المرور من هناك. وتمّ بناء جسر طويل من الخشب بعرض ثلاثة ذراع على لاجرم. ولا يوجد أسهل ممرّ ومعبر مِنه لمرور الراحلة من بلغراد إلى بودين. وفي قاموس الأعلام جاءت في صُورة اسك واسمها القديم مورسيا.

(2) جاء في الروزنامه أنه يوم الأربعاء 6 ذي القعدة سنة 932هـ نزل بطرف دراوه، وبدأ إنشاء جسرٍ بمعرفة نظام الدين، وبنظارة الصدر الأعظم إبراهيم باشا، وتمّ البناء يوم الأحد 10 ذي القعدة، وكان طول الجِسْر 284 ذراعًا، وعرضه ذراعين، وتواجدت السفن عليه، وبدأ المرور عليه يوم الثلاثاء 12 مِنه، ويوم الخميس 14 مِنه تمّ قطع الجِسْر لعبور السفن. وذكر بجوى تمّ تسوية قلعة اوسك بالأرض، وفي داخل المنطقة التي تقع خارج القلعة تمّ تشييد جسر واسع لعبور العساكر من عليه، ونظرًا لبجوى أيضًا تمّ بناء قلعة اوسك من جديد سنة 936هـ.

كان في صددِ جمعِ الجيشِ أرسلَ رسالةً إلى حاكمِ «بلادِ المَجَر» قائلًا: «سيأتي إليكم السّلطان «سُليمان» بجيشٍ لا حصرَ له، فلا تكُنْ غافلًا». وعندما سمع الحاكمُ هذا الخبرَ قامَ بجمعِ الديوانِ الخاصّ والناسَ بسُرعةٍ.

شِعْر

طلبَ جميعَ أمراءِ الفرنجِ
ولهستان وخانات ولايةِ الروس
وبشَّرهم بالبشاراتِ وقال
وصلتْ إلينا وجاءت مِن عيسى الهداية
فلْننفِّذْ العهدَ والمِيثاقَ الذي طلبناه
ولْيأتِ كلُّ إنسانٍ ويضحّي بنفسِه
فلْنذهبْ، ولْنقاتِلْه علنًا
والمكانُ الذي ننتصرُ فيه هو غنيمتُنا
ونقصدُ هدفَنا وعهدَنا
ونذهبُ ونحاربُ على نهرِ «صاوه»
وأينَما توجدُ المصلحةُ نبدأُ العملَ
ونأخُذُ مِن عدوِّنا التاجَ والعرشَ
قالوا تدبيرُ هذا العملِ عليك
ويطيعُكَ الشابُّ والشيخُ

أنـــت مُخـــلِّـصُ طـائـفـةِ الـنـصـارى

وأنـــت مِـفـتـاحُ ديـــارِ الـكـفـرِ

ولـــك مُـــلْـــكُ الـــديـــارِ جميـعًـا

وما تطلبُ مِن شيءٍ يكونُ غنيمةً لك

نثر: وبعد ذلك، قال الملكُ: «ما سيكونُ كالآتي: لو نزلْنا إلى قلعةِ «دوكاوز» ولا نستطيعُ أنْ ندخُلَها، ولو أقمْنا جسرًا على نهر «صاوه» ولا نستطيعُ حمايتَه، فيجبُ أنْ نعبُرَ مِن نهرِ «صوه»، ومِن هناك نعبُرُ نهرَ «تراوه»، وعند عبورِهم [يقصدُ جيشَ السّلطانِ سُليمان] مياهَ «تراوه»؛ نقطعُ طريقَهم، ولا يستطيعُ أحدٌ منهم الهربَ، وعندها ننتقِمُ لأهلِ النصرانيةِ منذ تسعمائةِ سنةٍ».

وعندما سمعَ الأمراءُ خطَّةَ الحاكمِ وتدبيرَه وقفوا جميعًا على الأقدامِ، ووافقوا على تدبيرِ الحاكمِ، وبدءوا في تنفيذِ الخطَّةِ، وتجهيزِ المعدَّاتِ للحربِ، وبدءوا في تجهيزِ المعدَّاتِ لمدَّةِ شهرٍ، وجمعوا مِن الفُرْسانِ والمُشاةِ والسلاحِ والمعدَّاتِ على الوجهِ اللازمِ، واهتمُّوا بذلك كثيرًا. وبعد ذلك، عزموا على الذهابِ مِن «بوديم» إلى موضعٍ يسمَّى «مُهاج»[1].

وجلبوا معهم المعدَّات، وقد اشتملتْ على مقدارِ عشرةِ آلافِ عربةٍ، ماعدا العرباتِ التي تحملُ المدافعَ، وكانت المدافعُ مِن نوعِ «ضربزن»

(1) في جهانيا: مُهاج: بكسر الميم وفتح الحاء: عندما تذهب من بلغراد إلى بودين وبعد عبور جسر اوسك توجد قصبة ولواء وقضاء في طرف صحراء رنده على الطريق هي مُهاج. وبها قلعة مِثلَ اوسك. وتبعد 26 يومًا عنها. وبعدَ أنْ قال ذلك قامَ وحارب السّلْطان «سُليمان» في 27 ذي القعدة سنة 932هـ في هذه الصحراء بجيشه سبعة حكام ومائتين ألف جُنْديٍّ، وذكر أنه قتل حاكم أنكروس لاوش وكثير من عساكره في ساعتين.

و«برانغي» وأنواعِ أسلحةٍ أخرى. ومِن مائتَي ألفِ فارسٍ، وثلاثين ألفًا مِن المُشاةِ الذين يضرِبون السلاحَ، ولا يخطئون أبدًا في نشانِهم، وذهبوا بهذا الشّكلِ مِن سائقي العرباتِ ورُماةِ المدافعِ وسائرِ الخدمِ وغيرِهم ونزلوا وادي «مهاج»، وانتظروا قدومَ سُلطانِ الإسلامِ السّلطان «سُليمان».

وعندما عبرَ السّلطان «سُليمان» على جسرِ نهرِ «تراوه»، وذهبَ صوبَ «مُهاج» مباشرةً، كان يوجد نهرٌ صعبٌ هناك يسمَّى «نهر باباس»، وبعدَ أنْ عانَوا كثيرًا في عبورِه استراحوا لمُدَّةِ يومٍ، وتفرّقَ الجيشُ، ثمّ اجتمعَ مِن جديدٍ(1).

وفي تلك الأثناءِ، وبينما كان يجلسُ حاكمُ «بلادِ المَجَر» مع زعماءِ وأمراءِ الفرنك والرّوسِ ولهستان في سُرورٍ؛ جاءه خبرٌ بأنّه: «قد عبرَ سُلطانُ الإسلامِ السّلطان «سُليمان» نهرَ «تراوه»، وبعدَ عبورِه قُطِعَ الجِسْرُ، وعبرَ أيضًا مِن نهرِ «باباز». واتخذَ منزلًا هناك؛ فوقفَ جميعُ الأمراءِ على أقدامِهم، وقالوا للملِكِ: «ماذا ترى، وبأيِّ وجهٍ ينبغي أنْ نحاربَ مَن يكونُ في المقدّمةِ ومَن يكونُ ساقةَ الجيشِ»(2).

شِعْر

قال الملِكُ ذلك الميدانُ ميداني
واتجوّلُ اليومَ فيه للحربِ
والرياحُ عاتيةٌ والأصواتُ سريعةٌ
وأنا سأتجوّلُ بفرسي وسطَ الجيشِ

---

(1) في الروزنامه: وعانى الجيش كثيرًا من عبور النهر والجسر والصحارى والقرى.

(2) في التبيان النافع: دمدار: يعني ساقة الجيش. وفي تركستان يقولون: «جنداول وفي تلك الأطراف يحرفون كلمة دمدار إلى دوندار. في لهجة عثماني: دوندار: أصغر أخوته الكثيرة.

ونترك بقلبنا الترك الخونة

ونغطي الروح بآلام الرأس

ونقضي عليهم جميعًا ونقهرهم

ونطهر هذا المكان منهم

سنصل غداً إلى «مهاج»

وننصب الخيام هناك والمنزل

هذه هي الفرصة؛ فلنغتنمها

عندما ننزل هناك نسير ونحاربهم

ومن يصغي لتدبير الملك الكافر

يجد الصفا والحظ الوافر

نثر: ومن الجانب الآخر عبر السلطان «سليمان» في الصباح بجيش لا حد له ولا حساب؛ يتقدمه اثنا عشر ألفًا من رماة المدافع، وخمسمائة مدفع من نوع «ضربزن» تحملها العربات، وعندما وصل إلى مكان يمكنه فيه رؤية ملك الكفار جاء الجاسوس بخبر يفيد أنه [1]: «قد قام جميع جيش الكفار بحفر خندق عال؛ طرفه في الجبل والطرف الآخر في نهر «طونة»، وليس هناك مجال للعبور على نهر «طونة».

وعندما سمع السلطان «سليمان» هذا الخبر جمع وزراءه، وسألهم: «ما الذي ينبغي أن نفعله؟»، فقال الوزراء: «أيها السلطان- ملجأ العالم- أنت اليوم نصير للمسلمين وأمل لهم، ولا يوجد جيش سوى جيشك ينصر الإسلام؛ فقبل الذهاب إلى الكفار مباشرة، يجب التأمل والتدبر؛ لأن جيش

(1) نظرًا للروزنامه أنه وصل صحراء مهاج يوم الثلاثاء 19 ذي القعدة.

الكفارِ يتجاوزُ المائةَ ألفٍ، فيهم الفُرْسانُ والمُشاةُ والمدافعُ والأسلحةُ، بالإضافةِ إلى أنهم قاموا بحفرِ خندقٍ هناك، والذهابُ إليهم بدونِ تأمّلٍ أو تدبيرٍ هو التَّهْلُكَةُ، فيجبُ أنْ نفكِّرَ وندبِّرَ لهم، وإنْ شاء الله تعالى سيقدِّرُ الحقُّ - جلَّ وعلا - الخيرَ لنا».

وفي نهايةِ الأمرِ وبعدَ هذه الأفكارِ قرَّرَ الجميعُ أنْ يمكُثوا في أماكنِهم، ويأخُذوا حِذْرَهم تُجاهَ هذا الخندقِ، ونصبوا خيمةَ الحُكمِ هناك، وفكَّروا في كيفيةِ مُواجَهةِ الكفارِ ومحاربتِهم، وبسببِ بُعدِ المسافةِ في ذلك اليوم أمَرَ الجيشُ في الحالِ بنصبِ الخيامِ والبقاءِ بها للراحةِ(1). وقد كان البعضُ يباشِرُ عملَه، وبعضُهم الآخَرُ يرى مصالحَه؛ وبينما كانوا هكذا قال ملِكُ الفرنجِ لأمراءِ «لهستان»: «التُّرْكُ يخافون منَّا، وربما سيطلُبون الأمانَ». واغترَّ بعملِه، وقسَّمَ جيشَه إلى ثلاثِ جماعاتٍ: أرسلَ الجماعةَ الأولى إلى عساكرِ الرومِ ايلي، وأرسلَ الجماعةَ الثانيةَ إلى عساكرِ الأناضولِ، وسارَ الملِكُ في الجماعةِ الثالثةِ بمائةِ ألفِ عسكريٍّ مِن الشياطينِ الذين يلبسونَ الدروعَ الحديديةَ، وقادَهُم ناحيةَ القلبِ إلى السلطان «سُليمان».

⏮ شِعْر

في تلك الأثناءِ وصلَ قائدٌ شجاعٌ

وقال يا شمسَ الممالكِ السبعِ(2)

(1) انظر: بجوى المطبوع ج1 ص90.

(2) ذكر بجوى أنه ظهر الشيخ الشجاع عدل طوجه- خسرو بك أمير أمراء بوسنة- ودرعه خلفه وخوذته فوق رأسه ومخلاقه في مؤخرة سرجه وهو يبدو ذا لحية بيضاء ولكنّ شاربه يبرز إلى خارج خوذته كما لو كان سهماً مستعدًا لإراقة دم العدو. وظنّ خسرو بك أنه جاء بناءً على دعوتها فقال له تعالي يا "عدل طوجه" فقد أمر السلطان صاحب السعادة بعقد مجلس الشّورى، فقال

سـارَ الـكـفـارُ بـالجيش

وعندما وصلوا قالوا نريدُ حربَ السُّلْطانِ

ففي الحالِ قامَ السّلطان الأعظمُ سُليمانُ

وامسكَ في يدِه حربةَ نريمان [جد رستم]

ورتَّـبَ الميمنةَ مِـثـلَ سـدِّ الـيـونـانِ

وكـذلـك المـيـسـرةُ وصـحـنُ المـيـدانِ

سارَ بألفِ مدفعٍ مِن نوعِ ضربزن ضخم

لـدَحْـرِ جيشِ الـكـفـارِ في يـومٍ آخَـرَ

وكان يقفُ أمامَ السّلطان صاحبِ الجلالةِ

اثنا عـشرةَ ألفًا مِـن رُمـاةِ الرصاصِ

وســاروا معه ضـدَّ جـيـشِ الكفارِ

الذي رفيقُهم الشيطانُ الرجيمُ والعِفريتُ

والـتـفَّـتَ الـشـيـاطـينُ حـولَ المـلـكِ

مائتا ألفِ فارسٍ لابسِين دروعَ الحديدِ

مـلأوا الـدنـيـا بـالـدخـانِ والـغُـبـارِ

ونزلتْ على الأرضِ مِن أثرِهم السّحبُ والرعدُ

هل توجد هنا مشاورة غير التشاجر؟لقد أرسلني إليك فوجه الآى بكى؛ لأنه رأى جيش العدوأ وتعاملت معه فرساننا فتعالى! وكنْ متواجدًا داخل سنجاقكم! وأرفع الكسل عن الفرق. وفي الحال يركب جواده ويذهب إلى فرقته. في لهجة عثماني: طفوجه: تعني نفرًا عامًا من الجند. وفي السابق كانت تعني قيزان: المسلحون من الروم ايلى.

كان على يمينه زعماء الفرنج

وخانات الروس وطستان عن يساره

وعشرة آلاف عربة تجر المدافع

لكي يجربوا ملك العالم

ويقف أمام الملك والأمراء

عشرة آلاف من رماة الرصاص

بهذا الشكل نظم الملك الصف

صاحب القلب الأسود واليد الغادرة

وسار بجيشه الذي يلبس دروع الحديد

ووصل صدى طبله للسماء

سار الجيشان بعظمة

لضرب بعضهما بعضا بهيبة

أحدهما يحمل الظلمة والآخر الإيمان

أحدهما جيش الشيطان والآخر جيش الرحمن

مظهر أحدهم جلال القهر

والآخر حظه الأسود وصل للزوال

راية أحدهم نصر من الله

أما الآخر فستدور عليه لعنة الله

أحدهم غاز مقبول من الحق

والآخر كافر مردود مطلق

لـسـانُ أحـدِهـم يـردِّدُ الـتـوحـيدَ
يسبِّحُ ويمجِّدُ مِن قلبه ورُوحِه
فـقـدْ سـحـقَ الـصـلـيـبَ وصـنـجـوان
واستولى على سبعِ ولاياتٍ مِن الكفرِ والضلالِ
بـهـذا الـشـكـلِ سـارَ الجـيشـانِ
وأظـلـمَ الـعـالَمَ مِـن ظـلامِ الدنيا
امتلأَ العالَمُ بمدافعِ هراسانَ [سراسان]
مِـثـلَ الـرعـدِ والـبرقِ وبـركـةِ نيسان
وبـدأ الـصـيـاحُ مِـن الجـانـبـين
وفُتحتْ كافّةُ أفـواهِ المدافعِ الضربزن
ومرقوا صفوفَ العدوِّ مِثلَ صخرِ الجبلِ
ونـزلـوا عـلـيـه مِـثـلَ نـارِ جـهـنّـمَ
ظـنُّـوا أنَّ القيامةَ قـامـت بـلا شكٍّ
وصارت الدنيا مِثلَ النيرانِ التي لا تُعطي الأمانَ
والـتـقـى الجـيـشـانِ مِـثـلَ البحرين
وحمي وطيسُ القتالِ وأطلقتْ النيرانُ بين الطرفين

نثر: لَم يستطِعْ عساكرُ الرّومِ إيلى مقاومةَ الكفارِ المسلَّحين بالحديدِ؛ الذين جاءوا لمحاربتِهم، فانسحبوا مِن أمامِهم، وعندما تركوا لهم الطريقَ قامَ الكفارُ بنهبِ المتاعِ والغنائمِ التي وجدوها أمامَهم، وقتلوا كثيرًا مِن الرجالِ والخدمِ والحشم. ولكنَّ الكفّارَ الذين جاؤوا إلى عساكرِ الأناضولِ انتصرَ البعضُ منهم، ولكنَّ الباقي مِن جُندِ الأناضولِ وغُزاتِه غارَ على دِينِه، فقتلوا أكثرَ

الكفارِ، وأذاقوهم طعمَ السيفِ، فهربَ الكفارُ الباقون، وذهبوا إلى الملِكِ.

وذهبَ الملِكُ أيضًا نحوَ القلبِ إلى السّلطان «سُليمان» ولكنّه لم يستطعِ الوصولَ لوجودِ عربةِ المدفعِ؛ لأنّ عرباتِ المدفعِ توجَدُ أمامَ سُلْطانِ الإسلامِ السّلطان «سُليمان»، ومربوطةً بعضُها البعضَ بالسّلاسلِ، فلَم يستطعِ الملِكُ الوصولَ إليه، وعادَ إلى جيشِه، وكان يقِفُ أمامَه ألفٌ مِن الجنودِ المسلّحين. وعندما سمِعَ بهزيمةِ الجماعةِ التي أرسلَها إلى عساكرِ الأناضول أرسلَ جماعةً أخرى.

شِعْر

وصلَ للملِكِ هذه المرةِ رجُلٌ حقيرٌ
وهو قائدٌ وشجاعٌ ورجُلُ الميدانِ
كان معه خمسون ألفًا يقفون
أمامَ رايتِه وقلبُهم مَليءٌ بالقسوةِ(1)
وعندما رأى الملِكُ أنّ جيشَه سَكْرانَ
أعطى لهم الإذنَ بنُصْرةِ المهزومين

نثر: وبعد ذلك، صرفَ الملِكُ نظرَه عن هذه التجربةِ، وفي تلك الأثناءِ حلّ عساكرُ الأناضولِ الهجومَ عليه، وحارَبوه لفترةٍ طويلةٍ(2)، وهزَمَ عساكرُ الأناضولِ جيشَ الكفارِ، وذهبوا إلى الملِكِ، وكان الملِكُ أيضًا مثلَ السّلطان «سُليمان»؛ تقِفُ أمامَه عرباتُ المدافعِ المربوطةُ بالسلاسلِ، فهجَمَ بعضُ

(1) رين: نظرًا لترجمة القاموس كيرو باس: تعني قلبه أسود وقاس، وهذا معناها المطلق. وربما تكون محرفة من كلمة ريم.

(2) نظرًا لإفادة إبراهيم بجوى في تاريخه: طومرى بال: البعض يطلق عليه برنى، وقتل أثناء الحرب، وقطعت رأسه، وشهر بها بين الجيش الهمايوني. وفي فتحنامه مُهاج في بحث فتح وارادين: جاء اسمه حاكم القلعة بانى تومور باولى اسمه باباس.

الكفارِ على عساكر الأناضولِ، وهبَّتْ الغيرةُ على دِينِ الإسلامِ في قلبِ غُزاةِ الأناضولِ، وحارَبوا الملِكَ سيِّئَ الطِباعِ والأفعالِ حربًا ضَروسًا.

وفي نهايةِ الأمرِ، لحِقتْ بالغُزاة عنايةُ الحقِّ- جلَّ وعلا-، وشملتْهم رعايةُ اللهِ، وتجلَّى فيهم قولُ الحقِّ: «إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا»(1). وظهرتْ لمحةُ معجزاتِ سُرورِ الكائناتِ- عليه أفضلُ الصلاةِ وأكملُ التحيّاتِ-، وانهزمَ الملِكُ الضالُّ والأمراءُ الذين معه، وقُتل بِضعةُ آلافٍ مِن الكفارِ. وتتبّعَ الغُزاة الكفارَ الملاعينَ، وأعملوا فيهم القتلَ كثيرًا حتى وصلوا إلى عرباتِهم. وهذا النصرُ لم يحدُثْ أو يُرَ في أيِّ زمنٍ مِن قبلُ.

وأصبحَ مُعظَمُ أمراءِ الفرنجِ ولهستان وخاناتِ الرُوسِ طُعمًا للسيوفِ، وهلكوا، واختفى أيضًا ملِكُ بلادِ المَجَرِ، قيل أنه قُتل، ولكِنْ لا نعرفُ ذلك(2)، وقامَ الغُزاة بنهبِ عرباتِ الكفارِ، وغنِموا غنائمَ لا حصرَ لها؛ وهذا ما لا يُمكِنُ شرحُه بلسانٍ.

واستراحَ سُلْطانُ الإسلامِ السّلطان «سُليمان» ثلاثةَ أيامٍ في ميدانِ المعركةِ؛ وأمرَ أنْ تُجمَعَ رؤوسُ الكفارِ المقطوعة، ويُبنى ثلاثُ قبابٍ كبيرةٍ بها مِثلَ أهرامِ مِصْرَ. فوضعوا الأعيُنَ والحواجبَ المأخوذةَ مِن الكفارِ على رؤوسِهم وراياتِهم، ونكسوا رؤوسَهم للأسفلِ؛ ليكُونوا عبرةً لسائرِ الكفارِ(3).

---

(1) سورة الفتح آية رقم 1.

(2) نظرًا لما جاء في بجوى أنّ: الملك فرّ من المعركة، ونزل في مكان المستنقع الذي يقع في نهاية الصحراء، والمشهور باسْم قرال كوبروسى، وغرق هناك وفقد حياته، وأخرج من طرف المجريين من المستنقع، ودفن في استونى بلغراد: في مدفن ملوك شتول وايزنبورغ.

(3) وبالنظر إلى كتاب الرزنامه أن: تاريخ وقوع المعركة يوم الأربعاء 20 ذي القعدة 932 هـ يصادف 29 أغسطس. وبدأت المعركة في وقت الظهيرة، وانتهت بالهزيمة في وقت الغروب.

شعر

بـنَـوا ثـلاثَ قِـبـابٍ مُحكـمـةِ البناءِ

في وسـطِ سـاحـةِ الـقـتـالِ بالقياسِ

وبـنـاءً عـلى فـرمـانِ الـسّـلـطـان

وعلى أركـانِـهـا صُـورٌ مُـزيـنـةً

وجـاؤوا إلى القلعةِ بـدونِ خـوفٍ

وواجـهـوا قـلـيـلاً مِـن الـتـعـبِ

نثر: وبعد ذلك، عبرَ السّلطان «سُليمان» مِن هناك، ووصلَ في المنزلِ التاسعِ «بوديم» [1]، وقامَ الغُزاة بسلبِ «بوديم» ونهبِ نواحِيها، ثمّ أشعلوا النيرانَ في كلِّ الأماكنِ، وأحرَقوها؛ ماعدا سراي الملِكِ [2]. وبعد ذلك، أقامَ السّلطان سبعةَ أيام، ثمّ بنى جسرًا في «بوديم» أعلى نهرِ «طونة»، وعبرَ مِنه [3]. وأمرَ بحرقِ تلك الدّيارِ وهدمِها، وغنِموا غنائمَ لا حصرَ لها.

توجد تفصيلات عن المعركة في تاريخ بجوى. ويوجد أثر عن هذه المعركة باسم «مهاج نامه» لكمال باشا زاده. وتمت ترجمته إلى الفرنسية من طرف «باوه دوقورتي» من معاوني بروفسور مكتب السنة شرقية. وطبع في باريس في مطبعة الإمبراطورية سنة 1859م/ 1257هـ مع ترجمته وحواشيه. ويوجد أثر بهذا الاسم لجلال زاده صالح أفندي.

(1) وبالنظر إلى كتاب الروزنامه أنه وصل يوم الأحد 3 ذي الحجة سنة 932 هـ و12 ايلول.

(2) جاء في الروزنامه: «الإحراق ليس من المروءة، لَم يأمر بتحريقها، وتمّ تعيين نوبات من الإنكشارية.

(3) في الروزنامه: «في يوم الخميس 7 ذي الحجة في هذا اليوم تمّ البدء في بناء الجِسْر في سوق أغاج بودين، وتمّ تعيين اسكندر چلبي ونظام الدين وبعض الجنود وأمراء السناجق في البناء. وذكر أن تاريخ إنهاء الجِسْر 11 ذي الحجة يوم الأربعاء.

[عِصيانُ الجلالي وأتباعِه في بلادِ الأناضولِ] (1)

ثمّ خرجَ مِن هناك ووصلَ إلى «وارادين»، وبنى جِسرًا أيضًا على نهرِ طونة وعبرَ مِنه إلى ناحيةِ «سرم» (2). وعندما كان السّلطان «سُليمان» متوجِّهًا في حملةٍ إلى «بلادِ المَجَر»، كان قد ظهرَ في ولايةِ ذو القادر شخصٌ يُعرفُ باسْمِ «جلالي» (3)، قامَ بهزيمةِ جيشِ «قرامان»، وقتلَ أميرَ أمرائها «خرم باشا» وبعضَ الأمراءِ الآخَرين، ومِنها حمل بالهجوم على «حسين باشا» أمير أمراء سيواس، وجُرح المذكور أيضًا وهُزِم جيشه، ثمّ جاء جلالي إلى القزلباش وذهبَ (4). بعد ذلك جاء السّلطان «سُليمان» مِن «سرم» إلى «بلغراد» (5).

---

(1) هذا العنوان من وضع (المترجم).

(2) وبالنظر إلى كتاب الروزنامه أن تاريخ إنشاء الجِسر يوم الثلاثاء 24 ذي الحجة، والانتهاء مِنه في غرة محرم 933، و9 تشرين أول يوم الاثنين.

(3) وبالنظر إلى كتاب بجوى أنه في جُمادى الأولى سنة 932هـ خرجَ ناحية اولاش في سنجق طوكوز اوغلان وطرسوس في إحدى نواحي سنجاق اطنة «يكجه». وقتل من طرف بيري باشا والي اطنة وبعض الأمراء الشجعان. ومن وقائع البوسنة أيضًا خرجَ ولى خليفة من جماعة قره حيسالو التابع إلى آطنة، وسار إلى طرسوس. وعندما حارب أمير أمرائها لحق به بيرى بك وأعمل فيهم السيف جميعًا. وفي صحائف الأخبار خرجَ ولى في سنجق آطنة ويكيجه بك وطلكون اوغلان وقره حيسا في سنجق طرسوس وسار والي اطنة بيرى بك عليهم، وبعد عِدّة حروب ذكر أنه قتلهم جميعًا واستأصلهم. وذكر عالي في كنه الأخبار المطبوع ركن3 ص56– عن رمضان اوغللرى– فقد حكموا آطنة وسيواس واياس وبعض نواحي وارسق.

(4) نظرًا لصحائف الأخبار أنه: بابا ذو النون ظهر في سنجق بوزاوق وقد ذهب إليه أمير أمراء السنجق المذكور مصطفى بك مع القاضي مصلح الدين المأمور بتحرير تلك الأماكن في 12 ذي القعدة 932 هـ ووقعت حرب بينهما في مكان يسمّى قورشونلى بالقُرْبِ مِن قيصرية، وقتل أمير أمراء قرمان خرم باشا، وأمير قيصرية، وتوفي حُسين باشا متأثرًا بجراحه في سيواس، وبعد ذلك، خرجَ خسرو باشا والي دِيار بَكْر عليهم، وقتلهم جميعًا.

(5) وبالنظر إلى كتاب الروزنامه أنه يوم الجمعة 5 محرم 933 هـ الموافق 11 أكتوبر 1526م.

شعر

أرسلَ البشرى إلى كلِّ البلادِ
أنَّ «بلغراد» صارتْ نُزلًا للسّلطان

وكتبَ السّلطان بشرى النصرِ
إلى مِصْر والشامِ والخاصِّ والعامِّ

وكُتبتْ رسائلُ البشرى إلى ملكِ العالَمِ
ووصلتْ إلى كلِّ الأطرافِ[1]

وزُيِّنتْ مِن طونة إلى نهرِ عمان
وزُيِّنتْ جميعُ حدائقِ الرضوانِ

عند قدومِ السّلطان حاكم الممالكِ
ترفَّهَتْ أحوالُ العالَمِ

توجدُ على وجهِ الأرضِ ثنتان وسبعون مِلَّةً
وينبغي شكرُ اللهِ مائةَ ألفِ مرةٍ

وما دامت هذه الدنيا القديمةُ الفانيةُ
يصبحُ سُليمانُ ذلك الشّاه الفاتحَ المنتصرَ

فهو ملجأٌ لأهلِ الإسلام
وصاحبُ التاجِ والعرشِ في العالَمِ

---

(1) جاء في الروزنامه في وقائع ذي القعدة سنة 932 هـ: في يوم الثلاثاء في 26 مِنه تمَّ تعيين رسل لحمل رسائل الفتح إلى الروم ايلي والأناضول ومصر والشام وديار بكر وكردستان والافلاق وقره بغدان. كتبت رسائل الفتحنامه إلى حكام الممالك المحروسة في ختام حلة مُهاج- وهي موجودة في منشآت السلاطين- وذلك في أواخر ذي القعدة.

نثر: وبعد ذلك، عبرَ [السّلْطان] مِن «بلغراد» وتنقّلَ مِن منزلٍ إلى منزلٍ حتى وصلَ إلى «قُسْطَنْطِينية»، واستقرَّ بها[1]. وقضى ذلك الشتاءَ في «إسلامبول»، وعند حلولِ أولِ صيفٍ خرجَ شخصٌ يُدعى «قلندر» مِن أبناءِ «حاجي بكتاش» في الأناضولِ على طاعةِ الدولةِ، ونشرَ الفتنةَ والفسادَ وأسرَ «محمود باشا» أميرَ أمراءِ قرمان، وبعد قيامِه بعددٍ مِن الحوادثِ، وفي نهايةِ الأمرِ أرسلَ السّلطان الوزيرَ الأعظمَ «إبراهيم باشا» بجندٍ مِن جنودِ «القبو» [القبو قولي/ عبيد الباب]؛ فوصلوا هناك، وقبضوا عليه، وقطعوا رأسَه، وقتلوا أغلبَ المفسدين الموجودِين معه[2].

وبينما كان السّلطان «سُليمان» مستقرًّا في «إسلامبول» جاءه خبرٌ مِن ثلاثةِ أمراءَ أنَّ ملِكَ «بج» اللعين «فرندوش» في صددِ جمعِ جيشٍ[3]. فأمرَ السّلطان «سُليمان» بجمعِ عساكرِ الإسلام، فليذهبوا إليه، وإذا كان الخبرُ الواردُ صحيحًا، ولكنَّ الخبرَ الواردَ لَم يكُنْ صحيحًا.

فعادَ السّلطان «سُليمان» واستقرَّ في «إسلامبول»، وأعطى الإذنَ للعساكرِ وأكّدَ عليهم قائلًا: «ليبقَ كلُّ إنسانٍ في محلّه ومكانِه، فلَدَينا حملةٌ عظيمةٌ في الصيفِ القادمِ». ووُلد للسّلطان «سُليمان» السّلطان بايزيد بنُ السّلطان «سُليمان» وامتلأتْ قلوبُ الناسِ بالبهجةِ والسرورِ.

---

(1) وبالنظر إلى كتاب الروزنامه أنه تحرك من بلغراد يوم السبت 6 محرم 933 هـ ووصل أدرنة في 26 من الشهر المذكور يوم الجمعة، وخرج من هناك في 3 صفر يوم الجمعة، ووصل استانبول يوم 7 صفر. وذكر بجوى أنه وصل أدرنة في 22 محرم، واستانبول 8 صفر. وذكر صحائف الأخبار أنه وصل استانبول يوم 22 صفر.

(2) توجد في بجوى تفصيلات عن هذا الباب.

(3) جاء في تاريخ دولت عثمانية ج1 ص233: أنه ملك أسبانيا شارل كان- فرديناند ملك النمسا أخو قارلو الخامس-.

[الحملةُ الهمايونيةُ على بج (فيينا)] (1)

وفي هذا العام جاء ملكُ «بج» بجيشه إلى «بوديم»، وأخذَها مِن يدِ «يانوش» حاكم «أردل»(2)، ومثلما حدثَ عندما وقعتْ الحربُ في «مُهاج»، ولمَّا هلكَ ملكُ بلادِ المَجَرِ «يانوش» وصلَ «يانوش» إلى «بوديم»، فوجدَها خاليةً، فنصبَ نفسَه أميراً عليها. واستقرَّ في «بوديم» عِدَّةَ أشهر، وكان الملكُ «لاوش» صِهْرُ مَلِكِ «بيج» [فيينا](3)، فجاء شخصٌ آخَرُ محلَّ ملكِ «بيج»، وعندما جلسَ على العرشِ، غارَ على دِينِه، وجمعَ جيشَه، وذهبَ إلى «يانوش» وأخرجَه مِن «بوديم»، وتركَ عليها رجُلًا مِن أجْلِ ضبطِها، ثمّ وصلَ مرةً أخرى إلى «بج».

وعندما حدثَ ذلك أرسلَ «يانوش» حاكمُ «أردل» رسالةً إلى السّلطان «سُليمان» قائلًا: سُلْطانَ الإسلام؛ لقد أخرجني مَلِكُ «بج» مِن «بوديم» ولو منحتَني حُكمَ «بوديم» فسأرسِلُ لك كلَّ عام ألفَ قطعةٍ ذهبيةٍ خراجًا عن مملكةِ «المَجَر». فعندما سمعَ السّلطان «سُليمان» خبرَ «يانوش» غضبَ لاستيلاءِ ملِكِ «بيج» على «بوديم» وبناءً عليه أمرَ بجمعِ عساكرِ الإسلامِ.

شِعْر

أصدرَ السّلطان فرمانًا بناءً على تلك النِّيَّة

أنْ يجمعَ الجيشَ والعدَّةَ والزادَ

(1) هذا العنوان من وضع (المترجم).

(2) في تاريخ دولت عثمانية ج1 ص230: عندما قتل حاكم المَجَر لوئي الثاني- في حرب مُهاج- أصبح زان زابولي ابن حاكم اردل حاكماً على المجر- ويسمّى في تاريخنا الملك يان وش.

(3) في تاريخ دولت عثمانية: كان أخو شارل كان فرديناند قد خطب بنت حاكم المَجَر ضدّ الملك يانوش، وبعد قتل فرديناند في ميدان مهاج، فمن حقّ صهر لوئي الثاني حاكم المَجَر وهو فرديناند أن يرث عرش المجر.

ولْتكتُبْ الأقــلامُ حكمَ السُلْطانِ

وترسل الرسائل إلى أطــرافِ العالَمِ

ويـأتي الجيشُ الموجودُ في الـبِّر والبحرِ

ولْيكُنْ ذلك يومًا أسودَ على دارِ الكفرِ

ونُجـــمـــع الجـــيـــوشُ بـــكـــثـــرة

والغربُ والـشرقُ به الأسـودُ الذكورُ

خمسون ألفًا مِن المحاربين الشّجعانِ

في أيـديهـم الحِــرابُ والـسـيـوفُ

ومائةُ ألـفٍ آخَـرون يحملون السيفَ

والرجالُ الشّجعانُ هُم مَن يهزِمون العالَمَ

وبـرزَ مائةُ ألـفٍ مِـن ضـاربي السِهامِ

وفـتـحـوا الـسِـهـامَ والمـدافـعَ

وكانوا يعبُرون مِن الحديدِ والصُلبِ

ويضربون السّهامَ ويهجُمون بأرواحِهم

وكان اثنا عشرَ ألفًا لهم صوتٌ مِثلَ الرعدِ

وكلُّ عبيدِ السّلطان يضربون الرصاصَ

ويـعـلـمُ سُـلْـطـانُ الـعـالَمِ أنَّ هـؤلاء

يضحُّون بأرواحِهم وأجسادِهم مِن أجْلِه

ومـائـةُ ألـفٍ مِـن «الآقـنـجـي» الشّجعانِ

نزلوا كالشؤمِ على أهلِ الكفرِ في الصباحِ

وكان أيضًا مائةُ ألفٍ مع خان التتارِ [1]
بدءوا يضربون هنا وهناك
بخلافِ أربعمائةِ مدفعٍ ضربزن
وكلٌّ واحدٍ مثلَ ثعبانِ جبلِ قاف
وأمرَ السلطان بإحضارِ مائتي مركبٍ
وعلى متنِ كلٍّ منها مائتان مِن الجنودِ
وتحرّكتْ المراكبُ التي تحملُ المدافعَ
الشايق في كلِّ ناحيةٍ
ذهبتْ أولًا إلى الجبلِ والسنجقِ
وعبروا مِن جبلِ «بقراز» إلى «سنكى»
وأغاروا بالعدَّةِ والعتادِ
وعبروا مِن بحرِ «تونيا»
وصاروا في وضعِ الاستعدادِ
وضحّوا بالروحِ والجسدِ في سبيلِ الدينِ
وعبروا مع سُلْطانِ العالَمِ بهذه الشجاعةِ
إلى إقليمِ «أنكروس»

نثر: وبعد ذلك، خرجَ السلطان «سُليمان» مِن «إسلامبول» بنيّةِ الغزوِ[2]، وسارَ مِن منزلٍ لمنزلٍ حتى وصلَ إلى «شوكاد»؛ التي تقعُ في «بلغراد»، وأمرَ

---

(1) وكان أيضًا مائةُ ألفٍ مع خان التتارِ

(2) وبالنظر إلى كتاب الروزنامه التي حررت من أجل حملة وبانة أنها كانت يوم الاثنين 2 رمضان، و10 مايو سنة 925هـ.

ببناءِ جسرٍ على نهرِ «صوه»، ثمّ عبرَ إلى وادي «سرم»[1]. وعبرَ مِن وادي «سرم» إلى «اوسك» مباشرةً دونَ أنْ يمُرَّ مِن على «وارادين» التي تسمّى «لوكه»[2]. وأمرَ السّلطان ببناءِ جسرٍ أيضًا على نهرِ «تراوة» بالقُرْبِ مِن «اوسك»[3]. وعندما ذهبَ إلى طرفِ «بوديم» جاء رسُلُ «يانوش»، وقالوا في رسالتِهم: «ماذا يأمُرُ السّلطانُ؟ جاء «يانوش» بالأمانِ تحتَ أمرِكَ ما الخدمةُ التي تراها له؟».

فاستقبلَ السّلطان الرسُلَ جيّدًا، وردَّ على الرّسالةِ قائلًا: «الآنَ أنا سأذهبُ نحوَ «بوديم» مباشرةً؛ فليعبُرْ «يانوش» نهرَ طونة، وعندما أصِلُ بوديم يأتي إليَّ ويقابلُني»، ثمّ اتجهَ السّلطان «سُليمان» نحو «بوديم»، وذهبَ مِن مكانٍ إلى مكانٍ حتى وصلَ بالقُرْبِ مِن «بوديم»، وجاء يانوش بالعطايا والهدايا الكثيرةِ، وقبّلَ يدَ السّلطان «سُليمان». وأثناء تقبيلِه يدَ السّلطان «سُليمان» سأله السّلطان قائلًا: «دِيني مختلفٌ عن دِينك، ولا توجدُ بيننا صداقةٌ أو محبّةٌ، فما سببُ مجيئك؟».

---

(1) وبالنظر إلى كتاب الروزنامه أنه وصل بلغراد يوم السبت 11 ذي القعدة، وعبر إلى وادي السرم يوم الأحد 12 ذي القعدة.

(2) لَم يذكر في الروزنامه هذا الموضع والمكان.

(3) جاء في الروزنامه في وقائع ذي الحجة سنة 935هـ: «يوم الجمعة في غرته زاد فيضان نهر دراوة وطونة، ولَم تكن هناك فرصة لبناء جسر بالقُرْبِ مِن اوسك، وعبروا إلى مكان أعلى ونزلوا بالقُرْبِ مِن دراوة وبدأوا في بناء الجسر. ويوم السبت 2 مِنه تمّ بناء الجِسْر على نهر دراوة، وكان فيه بعض الفتحات ملأها عساكر الروم ايلي بالأخشاب. وفي يوم الاثنين 4 منه ملئ عساكر الروم ايلي الفتحات المذكورة وتمّ الجسر. ويوم الثلاثاء 5 منه تمّ بناء الجِسْر تمامًا على نهر دراوة، وبني أيضًا خمسة جسور آخرين، وعبروا على الستّة كباري هذه، وعانى جنود الروم ايلي كثيرًا أثناء العبور عناء ليس له مثيل. ويوم الأحد 10 مِنه عبر جميع العسكر من الكوبري إلى الناحية الأخرى لَم يبق أحد، ثمّ هدموا الكباري.

وعندما أخبرَ المترجِمُ «يانوش» بما قاله السّلطان «سُليمان» نظرَ «يانوش» إلى الأرضِ وقال: «أيُّها السّلطان- مَلْجأ العالَم- لا توجدُ نهايةٌ لعبيدِك مِن المسلمين والكفارِ، وأنا أتيتُ اليومَ لكي أنضمّ إلى عبيدِك، ولي طلب وحاجةٌ عند السّلطان إذا أمرتَ أقولُ لك حاجتي». فنقلَ المُترجِمُ إلى السّلطان «سُليمان» ما قاله «يانوش»، فأُعجِبَ السّلطان «سُليمان» بذلك، وقال: «اذكرْ طلبَك، وسنبذلُ أقصى جهدِنا في تنفيذِه لك».

[فتحُ قلعةِ بودين] [1]

فقال «يانوش»: «عرشُ بلادِ المَجَرِ إلى الآنَ خالٍ. وبصفةِ قرابتي لملوكِ «المَجَر» فإنّ لي الحقَّ في مُلكِ «المَجَر» بدلًا مِن مجهولِ النّسبِ. وبناءً على ذلك أرجو مِن السّلطان أنْ يجعلَني حاكمًا على «بوديم» بهذا الشّرطِ، ويُخرِجَ رجالَ فرندنانوش [فرديناند] الموجودين في «بوديم»، ويسلِّمَها لي، ومقابلُ ذلك أُعطي لك كلَّ عامٍ ألفَ قطعةٍ ذهبيةٍ خراجًا، و«بيج» أيضًا قريبةٌ مِن «بوديم»، فرُبّما قريبًا يأتي ويضيّقُ على «بوديم»، والأفضلُ أنْ تستوليَ عليها أيضًا».

فقال السّلطان «سُليمانُ»- مَلْجأُ العالَم-: «سنذهبُ إلى «بوديم» وننظُرُ في المصلحةِ ومُرادِك»، ووجدَ «يانوش» حُسنَ استقبالٍ وضيافةٍ عند السُّلْطانِ، ثمّ ذهبَ بجنودِ السُّلْطانِ، وعبرَ مِن هناك. وفي النهايةِ عندما وصلَ إلى «بوديم» [2]، كان يوجدُ بداخلِها رجالٌ كثيرون مِن طرفِ ملكِ «بيج»، لَم يعلِنوا الطّاعةَ لهم؛ فاقتتلَ الطرفان، وفي النهايةِ نصبوا المدافعَ ودكّوا قلعةَ

(1) هذا العنوان من وضع (المترجم).

(2) وبالنظر إلى كتاب الروزنامه أنه وصل بالقُرْب مِن الحدائق في بودين يوم الجمعة 29 ذي الحجة.

«بوديم»، وانهزمَ العسكرُ الموجودون بداخلِها، وعندما طلبوا الأمانَ [1] أعطَوا لهم الأمانَ، وخرجوا مِن القلعةِ، فقامَ الجنودُ بأعمالِ القتلِ فيهم، ونهبوا متاعَهم، وأسروا بعضَهم، وقتلوا بعضَهم الآخَرَ، وأغلقَ عساكرُ الانكشاريةِ الكنيسةَ على «إبراهيم باشا»، وتصرَّفوا بسُوءِ أدبٍ معه. وقالوا: لقدْ عهِدَ إلينا السّلطان بمنحِنا الغنائمَ والأسرى. ولَم يتكفَّلْ هو [إبراهيم باشا] بمنحِها إيَّاهم؛ فأغلقوا عليه بابَ الكنيسةِ، وفي النهايةِ وعند منحِهم إيَّاها، فتحوا له بابَ الكنيسةِ [2]. وبعدَ فتحِ «بوديم» تركَ سُلْطانُ الإسلامِ حُكمَها إلى الملِكِ «يانوش»، وسلَّمَه إيَّاها[3].

وبعد ذلك، عندما خرجَ السّلطان «سُليمان» إلى ناحيةِ «بيج» وصلَ هناك في المنزِلِ التاسع[4]، ولكنَّ السّفنَ لَم تستطِعِ المرورَ مِن جانبِ «طونة» و «يانق حصار»؛ لأنَّ الكفارَ قاموا بربطِ طريقِ نهرِ طونة بسلاسلَ، ونقلوا مدافعَ مِن السفنِ القادمةِ مِن «بيج»، ووضعوا في كلِّ طريقٍ مدفعًا، واستعدُّوا للضربِ.

---

(1) وبالنظر إلى كتاب الروزنامه أن: فتحها كان يوم الأربعاء 4 محرم 936 هـ.

(2) جاء في الروزنامه أن: طلب الإنكشارية يوم فتحها عطايا، وواجهوا إبراهيم باشا في هذا الخصوص، وتحدثوا معه بكلام غير معقول، وقطعوا رأس سكبان باشا، وضربوا بعض الأكابر بالأحجار، وفعلوا شناعات كثيرة».

(3) جاء في الروزنامه في وقائع محرم سنة 936هـ: «يوم الثلاثاء في 1 منه وفي 14 ايلول أخذ سكبان باشى مع الإنكشارية قرال يانوش، وأجلسوه على عرش بودين. فأنعم الملك على سكبان باشى بألفين قطعة ذهبية وإلى الإنكشارية الموجودين معه بألف قطعة ذهبية.

(4) وبالنظر إلى كتاب الروزنامه أنه يوم الاثنين 27 ايلول و23 محرم سنة 936هـ.

[حفل ختان أبناء السلطان سليمان] (1)

وبدأ ضربُ المدافع لعدّةِ أيام؛ فسقطَتْ الجُدران مِن ضربِ الألغام، ولكنْ عندما حلَّ وقتُ الشّتاءِ، وبسبب ضيقِ الوقتِ ظلَّ الحالُ كما هو عليه؛ فأمرَ السّلطان «سُليمان» سُلطانُ الإسلام ألّا يلحقَ أيّة ضررٍ بالعساكرِ، وقال: «لا أُضحّي برجُلٍ واحدٍ مقابلَ عشرةِ قِلاع». بعد ذلك أمرَ بهدمِ خارجِ القلعةِ، وبعدَ أنْ هُدم خارجُها ونُهبت أطرافُها ونواحيها عبرَ السّلطانَ في اليوم الثاني والعشرين مِن محرَّم الحرام مِن «بيج» (2) ، وجاء إلى «بوديم»، وأمرَ ببناءِ جسرٍ أمامَ بوديم، وعبرَ مباشرةً نحوَ «واراديـن»، وبنى جسرًا أيضًا على نهرِ «طونه» مقابلَ قلعةِ «واراديـن»، وعبرَ إلى ناحيةِ «سرم» (3). وعبرَ مِن هناك إلى بلغراد، وكُتبت رسائلُ البشرى، وأُرسلت إلى نواحي العالَم(4)، ثمّ جاء إلى «إسلامبول» واستقرَّ بها (5). وقصدَ إقامةَ حفلِ ختانِ أبنائه؛ السّلطان «مصطفى»، والسّلْطانِ «محمد»، والسّلْطانِ سليم، وأمرَ السّلطان ببناءِ قصرٍ مُناسبٍ له في ناحيةِ «آت ميداني». وعندما انتهى البناءُ عرضوه

---

(1) هذا العنوان من وضع (المترجم).

(2) وبالنظر إلى كتاب إفادة الروزنامة ويجوى أنه حصار وبانه كان يوم الاثنين 23 محرم سنة 936 هـ- 23 ايلول 1529م- وفي صحائف الأخبار ونخبة التواريخ في 13 صفر 936 هـ السبت- 16 تشرين أول 1529م- تمّت العودة من الحصار.

(3) وبالنظر إلى كتاب الروزنامه وصل بودين في 22 صفر يوم الاثنين، وتمّ استقباله من طرف قرال المَجر يانوش، وتحرّك من بودين يوم الجمعة 26 صفر. وعبر من جسر بتروردين يوم الاثنين 6 ربيع أول.

(4) في الروزنامه: وصل بلغراد يوم الثلاثاء 8 ربيع اول.

(5) في الروزنامه: يوم 14 ربيع آخر 936 هـ و16 كان يوم الخميس.

على السّلطان[1]؛ فطلبَ السّلطان «سُليمان» سُلْطانُ الرومِ حِصانًا مِن أجْلِ مشاهدةِ القصرِ.

شِعْر

رَكِبَ السّلطان العظيمُ في الحالِ الحصانَ
وسارَ به يمينًا ويسارًا وإلى الأمامِ
وذهبَ وأقامَ في ذلك القصرِ العالي
وأحضرَ في ذلك اليومِ الحجابَ والستارَ
وصلَّ الخاصَّةُ والعامَّةُ هناك
واحتفلَ النَّاسُ سبعةَ أيامٍ وليالٍ
وجلسَ جُملةُ الأعيانِ في مقامِ الحُرمةِ
وذهبوا وهُم فرِحون سُعداءُ
وأنشدَ المغنُّونَ ألحانَ داودَ
بلحنِ الحربِ وقانونِ الميدانِ
وامتلأ ذلك الرسمُ الذي هو ملكُ الفلكِ
واستمعَ له الشمسُ والقمرُ كِلاهُما
وامتلأ الميدانُ لقدومِ السّلْطانِ
بجنَّةِ عَدْنٍ والحُورِ والغِلمانِ

نثر: ولا توصفُ أنواعُ المأكولاتِ وكثرتُها، وأنواعُ الحَلْوى النفيسةِ لا

---

(1) نظرًا لصحائف الأخبار أنّ: بداية هذا الحفل الهمايوني كانت 2 شوّال 936 هـ. ويجوى: 21 شوّال، واستمرّ لمُدّة شهر، وفي اليوم الثامن عشر تمّ إجراء الختان في سراى إبراهيم باشا الموجودة في آت ميداني.

يوجدُ مِثلُها في العالَمِ. وأخذوا المأكولاتِ والحَلْوى التي تكفي كلَّ واحدٍ مِنهم طوالَ حياتِه، وقال الشاعرُ في ذلك:

⏮ شِعْر

أجملُ المأكولاتِ طَعْمًا
كانت قد وُضعتْ في الطبقِ الصِينيِّ
وجلس عليه كلُّ فقيرٍ
وأكلَ وشكَرَ اللهَ الواهبَ
وفتحَ السائلُ البابَ مِن أجْلِ الرغيفِ
ولَم تبقَ أطباقٌ مِن الحَلْوى
والعجيبُ أنَّ أصحابَ القوَّةِ
يتركُون اللحمَ والمأكولاتِ للطيرِ
وشربوا مِن الماءِ شرابَ عسلٍ
والجميعُ في ذلك الوقتِ كانوا سُعداءَ

نثر: وبعد ذلك، وُضِع الطعامُ وزُيِّن الميدانُ تمامًا، ودخل اللاعبون وأصحابُ الطرائفِ القادمون مِن أطرافِ العالَمِ إلى الميدانِ، وعرضَ كلُّ واحدٍ مِنهم الفنَّ الذي يعرفُه، ولعبوا بالعصا وأظهَروا ألعابَهم وطرائفَهم أمامَ السُّلْطانِ، وكلُّ واحدٍ مِن هؤلاءِ اللاعبين كانت له صِفةٌ خاصَّةٌ، وقال الشاعرُ في ذلك:

⏮ شِعْر

كانت العصيانُ مرصَّعةً جميعُها بالذهبِ
وبرقتْ مع الجواهرِ ظاهرةَ الململمِ

وانتشرتْ رائحةُ المِسكِ والعنبرِ والديباجِ
وامتلأ العالَمُ بهذه الرائحةِ الجميلةِ
كلُّ واحدٍ منها مِثلَ شجرةِ السرو
العنيدةِ التي تُلقي النارَ في قلبِ العالَمِ
ودخل اللاعبون وتجوَّلوا بالعصا
وبقِيتْ شجرةُ «طوبى» في حيرةٍ منهم
وقلَّدوا بعصيانِهم الهلالَ
ولَمْ تظهرْ الشمسُ في الميدانِ
ومرَّ اليومُ وجمعوا قُوتَهم هناك
وجاء زُهّادُ الصوفيين والكُتّابُ الواعظون
وتركَ الناسُ البيوتَ وذهبوا للميدانِ
وجاؤوا بالعصى إلى الميدانِ
في ذلك اليومِ كان معراجُ أهلِ العِشقِ
وكان تاجُ السعادةِ على رؤوسِهم
وفرحَ الجميعُ بجمالِ السّلطان
وبالصفا والعِشرةِ والنعمةِ للأبدِ

نثر: وبعد ذلك، جاء جميعُ أربابِ الصنائعِ وغيرُهم مِن المشرقِ والمغربِ، ولا نهايةَ لأنواعِ ألعابِهم؛ مِثلَ ضربِ السِهامِ في الخفاءِ والخيالةِ والضربِ على النعلِ بقدمِ الحصانِ. وأظهرَ كلُّ فنّانٍ فنَّه، بعضُهم بالـ «جانباز» [الجمباز]، والبعضُ بالـ «حقه باز»، والبعضُ يلعبُ بالنارِ، وأنعمَ السّلطان على كلِّ واحدٍ منهم، وأحسنَ إليهم، وحقَّقَ لهم مُرادَهم. وقال الشاعرُ عن هذا الميدانِ:

شعر

كـــان يــوجــدُ مــكـــانٌ عـــامـــرٌ وسـعـيـدٌ
يـطـلَـقُ عليه اسـمُ «آت مـيـدانـي»
وهـــو إيــــوانٌ لـــلـقُـسْـطَـنْـطـيـنـيـةِ
ومــــنــــزلٌ ومـــكـــانٌ لمـــلـــكِ الـــرومِ
فـيـه كـــلُّ الـــعـجـائـبِ والـــغـرائـبِ
لـيـس لـــه نـــظـيرٌ في هـــذا الـــعـالَمِ

نثر: وعندما اكتمل حفلُ الختانِ جاء سُلْطانُ العالَم، وجلسَ على العرشِ واستقرَّ. وأنعمَ على كلِّ الموجودين مِن الجيشِ والوزراءِ والأمراءِ وسائرِ الناسِ باللُّطفِ والإحسانِ. وفتحَ قلعةَ «يانبولي» في فصلِ الشتاءِ، ثمَّ قدِمَ إلى «إسلامبول»، وقضى الصيفَ هناك، ولَم يذهبْ إلى أيِّ مكانٍ.

[لجوءُ أولامة بك للعثمانيين] (1)

كان يوجدُ أميرٌ يُدعى «أولامه بك» (2)؛ أعلنَ العِصيانَ على شاه العجم «طهماسب» (3)، ولجأ إلى سُلْطانِ الرّومِ، فاستقبلَه سُلْطانُ الروم بحفاوةٍ وعاملَه جيِّدًا، وأحسنَ عليه بسنجقٍ في «دِيار بَكْر» وأرسلَ السّلطانُ حُكمَه

---

(1) هذا العنوان من وضع (المترجم).

(2) كان اولامة بك قد اتبع العاصي شيطان قولي الذي رفع راية العصيان ضدّ الدولة العثمانية، وترك مقاطعة التيمار التي منحها إياه السّلطان بايزيد الثاني في ولاية تكة، وأصبحَ من القزلباش. وبعد ذلك، تخلى عن القزلباش، وانضمّ إلى الدولة العثمانية. (المترجم).

(3) نظرًا لإفادة بجوى وسجل عثماني أنه من أبناء أحد سباهية تكة. وعندما كان تابعًا لشيطان قولي فرّ إلى إيران بعد المعركة، وبسبب شجاعته في بعض الحروب اشتهر باسْمِ «ياوز اوغلان»، وأصبحَ والي اذربايجان بالاستخدام.

وأمرَه إلى أميرِ أمراءِ ذلك المكانِ قائلًا: «أيُّ شيءٍ يراه «أولامه بك» فلْتتبعْه وتُطعْه، ولا تخرُجْ عن طوْعِه».

وعندما علمَ حاكمُ «بتليس» «شرف بك» - والذي كان على عداءٍ مع العثمانيين - برعايةِ السّلطان - حامي العالَم - لـ «أولامه بك»، وإرساله أوامر إلى أميرِ أمراءِ «ديار بَكْر» بذلك، لم يُعلِنْ تبعيَّته على الوجهِ اللازِم لـ «أولامه بك». فجمعَ «أولامة بك» كثيرًا مِن الجنودِ مِن «ديار بَكْر»، وسارَ إلى «شرف بك»، ووقعتْ بينهم حربٌ عظيمةٌ، وقُطعتْ رأسُ «شرف بك»، واستولى على مُعظَمِ ولايةِ «بتليس» ولكنَّه لم يفتحْ قلعةَ «بتليس»[1].

وفي سنةِ 938هـ [2] أمرَ السّلطان «سُليمان» سُلْطانَ الرومِ وزراءه قائلًا: «ليكُنْ أميرُ أمراءِ «ديار بَكْر» وأميرُ أمراءِ «ذو القادر» بعساكرِهم وأميرُ «حلب» بجيشِ السباهيةِ [بجيشه]، كلُّ هؤلاءِ يتبعون «أولامة بك»،

---

(1) حرّر عن هذا الباب أثر باسْم «شرفنامه» لشرف خان الثاني الذي كان حاكمًا على تبليس سنة 1005هـ وتمّت ترجمته إلى اللّغة التركية من طرف أحمد بك ميرزا اوغلي محمد بك أخو ابدال خان بأمر من شرف خان الثالث الذي كان في الحكومة سنة 1087هـ خادمًا لـ ابدال خان- ترجمته في سياحتنامه اوليا چلبي المطبوع ج4 ص190، 2،230،228،220،207،200،194 ،41،242،255- الذي كان في الحكومة سنة 1068هـ. وأتمّ الترجمة في سلخ ربيع الأول سنة 1080 هـ والمتن الفارسي منها ترجم وكتبت حواشيه إلى اللغة الفرنسية من طرف جرنوف وه ليامينوف سنة 1862 م في بترسبورغ وشارموا. ومتن الأثر طبع في أربعة مجلدات في بترسبورغ سنة 1863- 1875 م. انظر متن الأثر ج1 ص424 في بحث بعنوان: «في بيان استيلاء الأمير شرف على بدليس من طائفة القزلباش وما آل إليه». شرفخان، ومكان الحرب- متن شرفنامه ج1 ص432- ذكر أنه في الطرف الجنوبي من قلعة تاتيك من أعمال بدليس». وتوجد تفصيلات عن هذا الباب في نصرتنامه لعالي. وتوجد ترجمة شرفنامه في مكتبة روان اوطه سي، وإذا كان قد أسندها البعض إلى شمعي، لم أر أنا العبد العاجز هذا الأثر.

(2) الموافق 1531م.

ويتحرَّكون إلى قلعةِ «بتليس»، ويستولون عليها بالقوةِ مِن ذلك المتمرِّدِ، ويضمُّونها إلى حومةِ الحكومةِ».

قام الوزراءُ بتنفيذِ أوامرِ السّلطان حاكمِ العالَمِ، وقاموا بإرسالِ رُسلٍ بالأوامرِ والأحكامِ الشَّريفةِ إلى الأمراءِ، فجمعَ هؤلاءِ الأمراءُ عساكرَهم، وتحرَّكوا صوبَ «بتليس» ونقلوا معهم المدافعَ الثَّقيلةَ، وبدأوا في ضربِ المدينةِ بالمدافع. وفي ذاتِ يوم فجأةً جاء إليهم خبرٌ أنَّ القزلباش الأوباشَ جاؤوا للهجومِ عليكم. وفي الحالِ تشتَّتَ الجيشُ وتفرَّقَ الرجالُ وتركوا مدافعَهم وأسلحتَهم هناك وهربوا.

وفي هذا العام، اعتدى ملِكُ «بيج» «فرندنانوش» على بعضِ ولايةِ المَجَرِ - التي كان قد منحَها السّلطان إلى الملِكِ يانوش مع «بوديم» - واستولى على خراجِها. وعندما سمعَ السّلطان - مَلْجأُ العالَمِ - بذلك؛ جمعَ جيشًا عظيمًا لا حصرَ له، وقصدَ الذهابَ إلى» فرنديانوش»، وعزمَ الذَّهابَ إلى بلغراد[1] ثمّ إلى «اوسك»، ومِن «اوسك» لَم يذهبْ مباشرةً إلى «بوديم»، بل ذهبَ مِن طريقٍ آخَرَ، ودخلَ مملكةَ «آلامان».

وكان مِن الضروريّ أنْ يأتيَ ملِكُ «بيج»[2] في موضعٍ معيَّنٍ مِن أجْلِ الحربِ. وعندما وصلَ سُلْطانُ الأقاليمِ السبعةِ إلى ذلك المكانِ، لَم يجدْ ملِكَ

---

(1) وبالنظر إلى كتاب الروزنامه التي حُرِّرت في هذا الباب أنه في 19 رمضان 25 نيسان 938 هـ ويجوى وصحائف الأخبار ذكرًا أنه: يوم 20 رمضان، وتحرّك من استانبول، وفي يوم الاثنين 21 ذي القعدة وصل بلغراد.

(2) في لهجة عثماني: بج: في المجرية تعني جهاز وهبه وهي اسم مدينة ويانه. في اللاتينية «ويندوبونا» التي تأسست من طرف وندقومي، واتّخذها رودولف الأول هابسبورغلي مقرًّا لحكومته في 1277هـ.

«بيج»، ولَم يظهرْ له أثرٌ ولا لجيشِه، فأمرَ بهدمِ تلك الممالكِ وتخريبِها، وغنمَ الجيشُ غنائمَ لا حصرَ لها. وبعد ذلك، عبروا نهرَ «تراوه» في جبالِ «آلامان». وعندما وصلَ بجيشِه إلى «اوسك» مباشرةً، جاء الرسلُ مِن سواحلِ «أق دكز» يشكُونَ للسّلطَان وقالوا: «جاء كفارُ الفرنك بمائةِ سفينةٍ، واعتدَوا على بلادِنا، وقتلوا رجالَنا وأسروا نساءنا وأبناءنا».

فوصلَ سُلْطانُ الإسلام إلى» بلغراد»، وأمرَ أمراءَ السواحلِ وصوباشية ذلك المكانِ وسباهيته، وأكّدَ على ذلك قائلًا: «على التعجيلِ فَلْيذهبْ كلُّ شخصٍ إلى هناك، ويَحْمِ بلاده، ويدفعْ الكفارَ عن مملكتِه». فوصلَ الأمراءُ إلى بلادِهم، ودفعوا الكفارَ عن بلادِهم بقدرِ الإمكانِ. ولكنَّ ضررَ السّفنِ القادمةِ قد أصابَ ولايةَ المورة. وقد استولَوا على قلعةِ «قرون» ووضعوا بها كثيرًا مِن الكفارِ، ثمّ رحلوا إلى بلادِهم بالسفنِ مرةً أخرى.

ولَم يذهبِ السّلطان «سُليمان» سُلْطانُ الإسلام إلى أيِّ حملةٍ أو حربٍ، وظلَّ في تدارُكِ ذلك الأمرِ. وكان قد قامَ بإرسالِ أسطولٍ عظيمٍ إلى البحرِ، ولكنَّ قائدَ الأسطولِ وقُبطانَه كان مِن أهلِ الضّلالِ والخرابِ، ويشربُ الخمرَ، ولَم يستطعْ حِفظَ السفنِ، وضيّعَ السفنَ بحماقتِه. وكان قد عادَ إلى «إسلامبول» [1]. وبناءً على ذلك وجدَ الكفارُ الميدانَ خاليًا، فارتكبوا تلك الحوادثَ. وهكذا فإنَّ الجنودَ والسّفنَ حين يكُونُ قائدُهم وقُبطانُهم غيرَ صالحٍ ولا خليقٍ لمنصبِه فلا عَجَبَ أنَّ الكفارَ فعلوا ما فعلوه مِن تخريبٍ في الدولَةِ، ولا يبالُون بذلك، بل يهتمون بتخليصِ أرواحِهم وَحْدَها.

وبعد ذلك، عزمَ سُلْطانُ الرومِ، السّلطان «سُليمان»، العبورَ مِن بلغراد،

---

(1) انظر: تحفة الكبار الطبعة 2 ص 39.

وجاء إلى «إسلامبول» واستقرَّ بها [1]. وفي عام 939هـ [2] أمرَ السّلطان- مَلْجأُ العالَم- في ربيع ذلك العام بتجهيزِ أسطولٍ مِن بعضِ السّفنِ، وقامَ بإرسالِه إلى قلعةِ «قرون». وأرسلَ أيضًا بعضَ جنودِ الإنكشاريةِ وبعضَ الأمراءِ مِن البرِّ إلى قلعةِ «قرون». وعندما وصلوا هناك عزموا على أنْ يأخُذوا قلعةَ «قرون» مِن يدِ الكفارِ، ولكنْ لَم يتمكَّنوا مِن فتحِها.

وجاء الكفارُ بالسّفنِ مرةً أخرى، وجاءت مساعداتٌ وذخيرةٌ جديدةٌ إلى الكفارِ الموجودين في «قرون»، وقامت بعضُ السفنِ مِن جانبِ المسلمين بالهجومِ على سفنِ الكفارِ، ولَم يمنعْهم حضرةُ السّلطان- مَلْجأ العالَم-، ولكنْ لَم يحقِّقوا نصرًا عليهم. وتركَ أسطولُ الكفرةِ الفجرةِ ذخيرتَه في قلعةِ «قرون»، ثمّ عادَ إلى ولايتِه مرةً أخرى.

[حملةُ العراقين] [3]

وفي اليومِ العاشرِ مِن شهرِ ربيعِ الأولِ سنةَ 940 هـ [4] توجَّهَ إبراهيمُ باشا مِن «إسلامبول» إلى «حلب» قاصدًا ولايةَ العجمِ، وقضى موسمَ الشتاءِ في «حلب» [5]. وعندَ حُلولِ أولِ صيفٍ وصلَ إلى «ديار بكْر»، وبسببِ

(1) نظرًا للروزنامه أنه وصل «أدرنة» في 14 ربيع الآخر 939 هـ وفي 23 منه و21 تشرين ثاني يوم الخميس وصل إلى دار السعادة. وقامَ بتزيين المدينة والبلاد الثلاثة لمُدّة خمسة أيام بلياليهن، وتجول السّلطان سُليمان خان في الأسواق والبساتين والهواء الطلق ليلًا.

(2) الموافق 1532م.

(3) هذا العنوان من وضع (المترجم).

(4) الموافق 28 سبتمبر 1933م.

(5) نظرًا إلى ما جاء في تاريخ بجوى وصحائف الأخبار أنه تحرك من استانبول يوم 2 ربيع الآخر سنة 940هـ.

غيابِ «طهماسب» ابن الشّاه «إسماعيل» عن «تبْريز» ووجوده في «خُراسان» وبتحريضٍ مِن بعضِ الأشخاصِ؛ طمعَ [إبراهيم باشا] في عرشِ «تبْريز»، وذهبَ ببضعةِ آلافٍ مِن الجنودِ، واستولى على «تبْريز»، وأرسلَ رسالةً إلى السّلطان «سُليمان» يقولُ فيها: «مهْما يكُنْ لقدْ فتحتُ ولايةَ العجمِ وضبطتُها. ولكنْ هناك احتمالٌ في مجيءِ الشّاه مِن «خُراسان»، لتكُنْ عنايتُكم في المجيءِ لهذا الجانبِ». فعندما سمعَ سُلْطانُ الرومِ السّلطان «سُليمان» بهذا الخبرِ خرجَ في الحالِ مِن «إسلامبول» وعزمَ على الذّهابِ نحوَ «تبْريز»[1].

[خيرُ الدينِ بارباروس في خدمةِ الدولةِ العثمانيةِ][2]

وفي هذا العام، جاء «خيرُ الدِين باشا»[3] مِن المغربِ إلى «إسلامبول»، وقبّلَ يدَ سُلْطانِ الإسلامِ، وقدّمَ للسّلطان هدايا كثيرةً، فعيّنَه السّلطان- ملْجأ العالَمِ- في وظيفةِ «قبطان البحار» وأصبحَ اسمُه «خير الدِين باشا» بدلًا مِن «خير الدِين رئيس»، وعادَ بمائةِ سفينةٍ مِن نوعِ قادرغة[4].

(1) بالنظر إلى ما جاء في كتاب الروزنامه التي حررت عن حملة العراقين أنه تحرك من استانبول يوم الخميس 28 ذي القعدة و11 حزيران 940هـ.

(2) هذا العنوان من وضع (المترجم).

(3) باربا روس خير الدين باشا: أشهر البحارة العثمانيين ومن أعاظم الغُزاة المسلمين، ولد في ميدللي عام 878هـ وسلك عمل البحارة مع أخيه الأكبر اوروج. حارب الإسبان وأخذ منهم مدن شرسل والجزائر، وعينه السّلطان سُليمان القانوني قبطان البحار، ولقب بأمير أمراء الجزائر سنة 1533م. وأطلق عليه الغرب باربا روس، لأنّ لحيته كانت حمراء. وتوفي خير الدِين في اسطنبول عام 1544م. ش. سامي: قاموس الأعلام، ج3 ص 2073.

(4) في قاموس بحري: قدرغة: هي نوع من السفن الحربية القديمة التي كانت تدار وتحرك بآلة هواء أو الكوريك، وبسبب أنها سريعة وخفيفة كانت مناسبة لذلك العصر.

وفي أواسطِ ذي القعدةِ مِن السنةِ المذكورةِ[1] أرسلَ إلى البحرِ، وفي هذا العامِ تركَ الكفارُ الموجودون في «قرون» القلعةَ باختيارِهم، وذهبوا إلى بلادِهم. وفي هذا العامِ أيضًا عندما وصلَ «إبراهيم باشا» إلى تبْرِيز جاء إليه «مظفر» حاكمُ «كيلان»، وأعلنَ الانقيادَ والطاعةَ للسُّلْطانِ، وأحبَّه مِن كلِّ قلبِه ورُوحِه.

وفي سنةِ 941هـ[2]، كان ينبغي على «خيرِ الدينِ باشا» الذي أرسلَ إلى البحرِ الانتقامُ مِن أساطيلِ أهلِ الكفرِ التي تعدَّتْ على أهلِ الإسلامِ، وما فعلتْه مِن شناعةٍ في ولاياتِهم، ولكنَّه لم يصِلْ إلى ولايةِ الكفارِ، واستقرَّ في «تُونُس» التي هي في ناحيةِ «المغربِ»، ووصلَ بأسطولِه إلى ميناءِ «تُونُس»، وكانت توجدُ هناك قلعةٌ باسْمِ «حقّ الواد» [حلق الوادي][3] استولى عليها، ووضعَ سفنَه فيها، ونقلَ سفنَه إلى الميناءِ، ثمّ خرجَ بالسفنِ مِن الميناءِ إلى البرِّ، ومِن هناك توجَّهَ إلى «تُونُس» واستولى عليها، وقامَ بإيذاءِ المسلمين وتعذيبِهم هناك، وبعدَ أنْ قتلَ النفوسَ أعلنَ نفسَه أميرًا، وجلسَ على العرشِ في «تُونُس».

وفي هذا العامِ جاء «طهماسب» مِن «خُراسان» إلى «قزوين»، وخرجَ سُلْطانُ الرومِ السّلْطان «سُليمان» إلى تبْرِيز، ومِن تبْرِيز إلى «اوجان»[4]،

---

(1) السنة المذكورة هي عام 940هـ، الموافق 27 مايو 1534م.

(2) الموافق 1535م.

(3) نظرًا لما جاء في معجم قاموس الأعلام أنّ: حلق الوادي، وفي معاني لهجة جاء في صُورة حل الواد، وأطلق عليه الغربيون اسم غولت.

(4) وبالنظر إلى كتاب الروزنامه أن: السّلطان وصل تبْرِيز يوم الاثنين 18 ربيع الأول 28 ايلول، واستقبله أهالي تبْرِيز، وأتحفوه بأقمشة وملابس لا حصرَ لها. واوجان: من بلاد اذربايجان، وفي الوثائق الرسمية القديمة أنها كانت مضافة إلى ولاية مهران رود، وهذا خطأ، وأنها أسست من طرف بيزن حفيد كودرز، وتمّ إعمارها من جانب غازان خان، وتمّ إنشاء حصن وسور على بعد ثلاثة أقدام مِنها، وتمّ تسميتها بمدينة الإسلام. ويوجد ذلك في أثر «ايرانك جغرافى تاريخى ادبى لغاتى» لـ باربيه دومينارك. وذكر في الروزنامه أن: السّلطان اتخذها مأوى ومستقرًا له.

وخرجَ «طهماسب» أيضًا مِن «قزوين» إلى «سُلْطانية». وعندما تأكَّدَ مِن خبرِ قدومِ السّلطان «سُليمان»؛ استقرَّ في «سُلْطانية» [1]. وعزمَ سُلْطانُ الرومِ على الخروجِ مِن «أوجان» إلى «سُلْطانية» فوصلَ «اوجان» في المنزلِ العاشرِ. وعندما وصلَ هناك، لَم يستطعْ «طهماسب» مواجهتَه هناك، ففرَّ بجنودِهِ الشياطينِ إلى الجبالِ الوعرةِ، ثمّ وصلوا إلى موضعٍ يسمّى «دركزين»[2]. وأرسلَ أميرُ أمراءِ أصفهان «ذو القادر اوغلي محمد خان» رسولًا إلى مقرِّ حُكمِ السّلطان الذي مقرُّه السّعادةُ، يعرضُ عليه الخضوعَ والعبوديةَ، وطلبَ الأمانَ فقبِلَ السّلطانَ- حاكمُ العالَمِ- عُذرَه، وتصدَّقَ عليه بإمارةٍ.

وكان «أولامه» أيضًا يحمي جوانبَ «تبْريز» وجزيرةَ «وان»، فصدرَ الأمرُ إليه بحفظِ تلك الأماكنِ ورعايتِها، وأمرَ السّلطان «سُليمان» «مظفَّر» حاكم «كيلان» أنْ يبنيَ قلعةً [سورًا] بجوارِ قبّةِ «شام غزان»، ووُضعتْ المدافعُ الثقيلةُ والكبيرةُ والضربزن بها، وأقامَ بها أيضًا كثيرٌ مِن الإنكشاريةِ و«التفنكجية» مع ثلاثةِ أمراءَ سناجق. وعندما وصلَ السّلطان «سُليمان» إلى «سُلْطانية»، كان الشتاءُ قارسًا لا يمكنُ وصفُه بلسانٍ، وكان الوقتُ هو تحويلَ

(1) جاء في الروزنامه عن «سُلْطانية»: هذه كانت مدينة كبيرة، وعندما حكم إيران القزلباش تمّ تخريب أكثرها، ويوجد بها مزار عظيم للسُلْطانِ «محمد خدابنده» أخو شام غزان الذي دفن في تبري. وتوجد على مزاره قبة عظيمة التي لا تشرح بلسان، وتوجد في جوانبها ثمانية منارات. والآن تهدمت أسوارها وبقت الشرفات فقط. وفي قاموس الأعلام أنه من ملوك الايلخانية، وبعد الإسلام أطلق عليه خدابنده، وتمّ تزينها وتأسيسها من طرف الجايتو خان- الذي سمى خدابنده بعد هدايته- سنة 507 هـ واتخذها مقرًا لحكمه، وتمّ تخريبها من طرف تيمور، وذكر باربيه دوميارك في أثره المذكور أنها أسست من طرف ارغون خان، وتمّ البناء من قبل الجايتو.

(2) توجد معلومات عن دركزين في أثر باربيه دوميارك.

الشمسِ إلى برجِ العقربِ [1]. وأقامَ هناك أربعةَ أيام، وكان «طهماسب» مقيماً في «جبل آشور»، ولم يواجِهِ السُّلطانَ؛ فتوجَّهَ السُّلطان «سُليمان» إلى ناحيةِ «أبهر» ، وخرجَ مِن «أبهر» وسارَ مِن منزلٍ لمنزلٍ، حتى وصلَ «دركزين» في الموضعِ السابعِ [2].

وعندما وصلَ هناك، وسمعَ شاه العجمِ بذلك فرَّ هاربًا مِن «دركزين» إلى «أصفهان» وهربَ إلى جانبِ «امام سهل علي» [3] بجانبِ «أصفهان». ولَمْ تكُنْ لدى السُّلطان رغبةٌ في تعقُّبِه، وخرجَ مِن «دركزين» ووصلَ «همدان» [4]

---

(1) برج العقرب: عقرب هو الشهر الثامن في السنة في التقويم الهجري الشمسي، ويتكوّن من 30 يومًا. يسمّى آبان في تقويم إيران الحالية. يبدأ عقرب (في علم التنجيم) عندما تكون الشمس في برج العقرب فلكيًا. شهر العقرب تطابق: من 23 أكتوبر إلى 21 نوفمبر لتقويم غريغوري الميلادي. (المترجم).

(2) جاء في الروزنامه أنه في يوم الجمعة 8 ربيع آخر وصل إلى ابهر، ويوم الأحد 17 منه وصل إلى دركزين، وذكر أنه لم يمرّ على المدينة. ابهر: هي مدينة توجد بين قزوين وارزنجان وهمدان، وكانت في ذلك الوقت مدينة مستحكمة وعامرة. والآن هي قصبة صغيرة، وعبارة عن خرابة.

(3) مشهد امام علي: مشهد رضوى ومشهد مقدس: هي مدينة مركزية لولاية خُراسان في جنوبها الشرقي، وتبعد 30 كم عن خرابات مدينة طوس، و10 كم عن كشف رود مجرا التابعة إلى هربرود في الناحية من شمال شرق إيران. وتوجد بها تربة رضا الشريفة «امام علي رضا بن موسى» كاظم» الإمام الثامن من الأئمة الاثنى عشرية، وأثناء تواجد الإمام المشار إليه في طوس مع المأمون وبعد قتله مسمومًا في تاريخ 203هـ، دفن في ذلك المكان الذي كان خاليًا وفارغًا، وفي النهاية في أطراف التربة الشريفة تمّ تأسيس وبناء قرية باسم «سناباد»، ومع مرور الزمان عادت المدينة إلى حالتها، ونظرًا لما جاء في قاموس الأعلام، أن: ذكر في كلمة طوس وعن حضرة الإمام أنه استشهد في جوار طوس في زمن الخليفة المأمون، وتمّ دفنه في قرية توقان. وذكر معجم البلدان أن طوس وطابران وتوقان تشتمل على بلدتين.

(4) همدان: تقع في الجهة الشرقية من ايالة كردستان في عراق العجم، شمال كرمان شاه بـ 125 كم، بها مقابر كثير من المشاهير. انظر: ش. سامي، قاموس الأعلام، ج6 صـ 4747.

في المنزلِ الثاني[1]. وعندما وصلَ «همدان» بحثَ عن القزلباش الأوباش، وعندما علِمَ سُلْطانُ الإسلامِ أنه ذهبَ مِن «أصفهان» إلى جانبِ «امام سهل علي» اتجهَ إلى دارِ السلام «بغداد»[2]، وسارَ مِن منزلٍ إلى منزلٍ حتى جاء إلى «تُرْبة شمس عالمدار»[3].

وعندما وصلَ هناك، وبعدَ أنْ علِمَ أميرُ الأمراءِ محمد خان- الذي عيَّنَه القزلباش الأوباش سيِّءِ المعاشِ مِن أجْلِ حفظِ «بغداد»- بتوجّهاتِ حضرةِ السّلطان- صاحبِ السّلْطَنة والاقتدارِ-، قامَ على وجهِ السّرعةِ بإرسالِ «خواجه حُسين بن دانيال»[4] كتخدا الولايةِ المذكورةِ[5] إلى سُدَّةِ

(1) جاء في الروزنامه أنه يوم الخميس 21 من ربيع الآخر نزل في قرية دستكير أمام همدان. وتقع مدينة همدان أسفل جبل الوند. وتوجد به صحراء جميلة ومكان معمور. وفي قاموس الأعلام في اللغة العربية تكتب همذان، وتختلف عن قبيلة همدان. ونظرًا لإفادة ترجمة القاموس أن: همدان هي اسم قبيلة في اليمن، وهي على وزن سلمان. وذكر أيضًا الهمذان بالفتح تطلق على الشيء الجميل واللطيف، واسم بلدة في العجم، وهي متعارفة الآن بالدّال المهملة. وانظر: معجم البلدان في كلمة همذان. وفي فرهنك ناصري في كلمة همدان. واسمها القديم كان ساروه، وتعريبها ساروق. وفي القاموس ساروق: اسم بلدة في ديار الروم. وانظر: معجم البلدان.

(2) جاء في الروزنامه أنه نزل بالقُرْبِ مِن قرية كرشك ربابلر يوم الثلاثاء 12 ربيع الآخر. وفي هذا المنزل فتح باب خيمته الهمايونية على بغداد، وذهبَ إلى ناحية بغداد من هناك. وهذا الموضع قبلَ دركزين.

(3) تربة شمس علمدار: جاء في الروزنامه في يوم الثلاثاء 4 جُمادى الأولى نزل أمام تربة شمس علمدار، وكان المذكور من الصحابة، وكان علمدار رسول الله صلَّى الله عليه وسلم. وأحرقت عربته في هذا المكان، ومائة دانة مدفع، ودفنت مدافع الضربزن. ولا توجد ترجمته في أسد الغابة في معرفة الصحابة.

(4) وبالنظر إلى كتاب التبيان النافع أن: خواجه بمعنى أفندي أغا أو كتخدا أو عزيز ومعظم وحاكم ووالي وصاحب وجمعية وخادم.

(5) في التبيان النافع: كتخدا: في الاصطلاح تطلق على الشخص العزيز والموقر بين قومه، والذي يرعى مصالح الناس ويقدّمها إلى السّلْطان، وتعبير كتخدا تخفيفه هو كدخدا.

الدولةِ السَّنيةِ، ومقرُّ الإقبال على وجهِ السُّرعةِ، ووصلَ المُشارُ إليه إلى مضيقِ جبلِ «حمير»[1] الواقع عند تربةِ «شمس علمدار»، والتقى بالسُّلْطانِ هناك[2]. وتمّت رعايةُ «الكتخدا» المذكورِ على الوجهِ اللازم، وبعدَ عِدَّةِ أيام عبرَ بالجنودِ الذين شِعارُهم النصرُ، وعندما وصلَ إلى النَّهرِ العظيم الذي يسمَّى «شمران»، والذي كان معروفًا آنذاك باسْمِ «طقوز اولوم»[3] جاءه خبرٌ أنَّ «محمد خان» المذكورَ قد هربَ[4]. وخرجَ مِن بغداد إلى «حله» ومِن

(1) دربند جبل حمير: في الروزنامه ذكر أنه عبر نهر خلص ارغى يوم الخميس 20 جُمادى الأولى ونزل بها، وصعد جبل باسْمِ حمير.

(2) في الروزنامه في يوم الاثنين 10 جُمادى الأولى قابله في خان كي – خان قين –، وفي مكتبة النور العثمانية رقم 3135 في تاريخ سُلْطان سُليمان خان ورق 134 قال أنه موضع خان تيكيي. وجاء رسول محمد بك أمير أمراء بغداد، وأعطى سلم بغداد إلى السُّلْطان، وأحضر خبر الطاعة والخضوع للسُّلْطانِ، وجاء أيضًا قاضي المدينة. وفي الثلاثاء 11 منه تمَّ خلع الرسول والقاضي القادمين من طرف محمد بك أمير بغداد والإنعام والإحسان عليهم.

(3) جاء في الروزنامه وبجوى وصحائف الأخبار ونخبة التواريخ اسمها طقوز اولوم. وفي تاريخ سُلْطان «سُليمان» خان ورق 139 في شكل طقوز اويولوم. ولَمْ يذكر اسم شمران. وفي الروزنامه، وفي أثناء عزيمة تحرّكه من بغداد إلى تبْريز نزل في موضع باش جنار، وكان عبارة عن ماء يخرج من عمق جنار، وهو نهر لطقوز اولوم. وفي لهجة عثماني: شمران: شميران، هي سلسلة مرتفعات وتلال في شمال طهران.

(4) في الروزنامه في يوم الأربعاء 12 جُمادى الأولى «نزل في موضع يسمَّى طقوز اولوم بجانب النهر، وهو منزل قريب وطريق قريب. وهو مكان معمور وعامر، وكان محافظ بغداد الذي يطلق عليه قره ولي من تكه هو تابع إلى محمد بك أمير بغداد. وذهبَ وأخرج كل طائفة تكه الموجودة في القلعة مِن أجْلِ محمد بك، وأغلق باب القلعة، وبعدَ أنْ ذهبت طائفة تكة جاء من خلفه المسافرين وأتباعه وبعدَ أنْ ذهبوا جاء محمد بك مع سيد منصور، وخرجوا من القلعة، وذهبوا إلى الشاه، وهكذا أخبرونا بذلك. وذكر صاحب الروزنامه هنا لأنه كان موجودًا خلف جلتيك. وفي تبيان نافع: شمر: على وزن قمر، وهي الحوض الصغير، وتطلق على البركة الصغيرة على موضع الماءِ الصغير. وتطلق على ذلك الحوض الصغير، وتعني أيضًا الدوامة التي تسيل من

«حله» إلى «مشهد علي»[1] وعبرَ مِن هناك نهرًا بين المجتمعين، ثمّ ذهبَ إلى «مشعشعة»[2] ومِن هناك ذهبَ إلى جانبِ «تشتر»[3].

وعندما وصلَ الخبرُ لـ «إبراهيم باشا»، تحرّكَ في الحالِ بعساكرِ الروم ايلي والأناضولِ وأمراءِ « قرمانلو» إلى ناحيةِ «بغداد»[4]. وتوجّهَ سُلطانُ الإسلامِ في عقبِهم. وفي اليوم الحادي والعشرين مِن شهرِ جُمادى الأولى مِن السنةِ المذكورةِ نزلَ سُلطانُ الإسلامِ بيُمنٍ وإقبالٍ بـ «دار السّلام بغداد»[5]. واهتمّ [الجيش]

ماء المطر، وتنزل إلى أسفل عمق الأشجار.

(1) نجف: عرق: بكا وش مزه از كور تا نجف بروم، اكر بهند بخاكم كنند اكر بتتار.

(2) هكذا في النسخة في شرفنامه المطبوع ج2 ص184: ذكر أن محمد شرف الدين اوغلي حسب الإشارة من الشّاه «طهماسب» ترك بغداد خالية، وذهبَ إلى الأهل والعيال والأتباع إلى شوشتر بطرف نشسته. وفي جهانيا ص288. انظر: بحث بعنوان: دولة مشعش في خوزستان.

(3) وبالنظر إلى كتاب فرهنك ناصري شوشتر وتخفيفها شوش، ششتر تعريبها تستر. وفي ترجمة القاموس في لفظ تستر: هي لحن من تعبير ششتر. وفي قاموس الأعلام تستر وشوستر ذكر كل مِنها على حدة. هي مركز لإيالة الاهواز، يعني خوزستان التي تقع في جنوب غرب إيران.

(4) بالنظر إلى كتاب الروزنامه تحرك إبراهيم باشا يوم 17 جُمادى الأولى يوم الاثنين، وفي يوم الجمعة 22 من الشهر المذكور وصل إلى بغداد ودخل القلعة.

(5) في الروزنامه يوم الأحد 23 جُمادى الأولى نزل إلى موضع الشيخ سكران، وأرسل حضرة السر عسكر مفتاح قلعة بغداد مع جعفر بك الذي كان أمير علمه إلى السّلطان، وتمّت العناية به من طرف السّلطان بقفطان و500 فلوري وثلاثة آلاف اقجة وبسنجق ازورنيق. ويوم الاثنين في 24 مِنه وفي 30 تشرين ثاني دخل إلى مدينة بغداد، ونزل في خيمته خارج القلعة. وذهبَ السر عسكر بجنوده إلى حضرة السّلطان، ونزل من فوقِ حصانه، وقبل جميع الأمراء وأمراء الأمراء يد السّلطان لفتح بغداد. وذهبَ حضرة السّلطان إلى زيارة مزار الإمام الأعظم الشريف، ونزل من فوق فرسه وزار المزار، ودعا عنده ثمّ ركب فرسه ونزل إلى خيمته السّلطانية. وأعطى السّلطان قائد الجيش مِن أجلِ فتح بغداد عشرون ألف فلوري وخلع وسيف مرصع، وعشرون ألفًا من محصول مِصْرَ، وعين له راتبًا سنويًا عشرين ألفًا من محصول مِصْرَ. وفي يوم الاثنين غرة جُمادى الآخرة 941هـ دخل السّلطان بسعادة إلى بغداد، وقضى الشتاء بها. وذكر بجوي وصحائف

بأسلحتِه ومعدَّاتِه ولوازمِه في ذلك الشتاءِ، وأشتى سُلْطانُ الإسلامِ مع عساكرِ القبو خلقي هناك، وسرحَ أمراء أمراء قرمان وجنودهم، وأمراء أمراء الروم ايلي وأمراء أمراء ذو القادر، وأرسلَ أمراءَ أمراء الروم ايلي والأناضولِ لقضاءِ موسم الشتاءِ في «الموصل» و«آمِد» و«روحاي»[1]. وأعطى ولايةَ مِصْرَ لـ «خسرو باشا» أميرِ أمراءِ الشامِ وسنجق «حلب» إلى «محمد أغا» أغا الإنكشاريةِ، والقبوجيلرِ، وعيَّنَ الصوباشي «أحمد أغا» على طائفةِ الإنكشاريةِ.

وقام السّلطان في ذلك الشتاءِ بزيارةِ الأضرحةِ الشريفةِ الموجودةِ في «بغداد»، وتصدَّقَ وأحسنَ إلى الفقراءِ كثيرًا، ثمّ عادَ مرةً أخرى إلى «بغداد»[2]. وصُلبَ الدفتردار «اسكندر چلبي» هذا العامَ في بغداد[3]، وضُربَ عُنُقُ قين/ حماه «حسين چلبي»[4]. وجاء الرّسلُ مِن إمارةِ أمراءِ «ديار بكْر» وقالوا: «لَم

الأخبار ونخبة التواريخ أنه في تاريخ 24 جُمادى الأولى.

(1) اسمها القديم اور أو اور الكلدانيين، وبسبب أنها من مشابهات ودين= ادسه=، وبمعناها الجميل المياه الجارية أطلق عليها في اللغة العربية اسم «رها» وعرفت باورفه وقال نابي: «مولد حاكمنا حضرة إبراهيم في مقام نابيا رهاوى نحن مثلهم. وفي معاني اللهجة ذكر عن لفظة اورفه أنها تكتب أيضًا اورها. وذكر سيد حاكم في تاريخه في وقائع شعبان سنة 1071 هـ: «في بحث بعنوان: عزل آغا الإنكشارية تعلبند محمد آغا عالي المقام وتعيين آغا للانكشارية وقالي محمد آغا». وتوجد ترجمة الاثنين في سجل عثماني ج4 ص252 و244. وذكر سبب عزل تعلبند محمد باشا المشار إليه وقال: روحاجنكانه سندن بدتر». وذكر اوليا چلبي في سياحتنامه المطبوعة ج3 ص149 في صُورة روحا وذكر أنه بناها الملك روحاى من قوم ثمود.

(2) في الروزنامه في يوم الاثنين 18 رمضان قامَ حضرة السّلطان وقائد العسكر وسائر البشوات والاغوات بزيارة أضرحة الإمام علي والإمام الحسين رضي الله عنهما. وفي يوم السبت 23 منه رجع السّلطان من الزيارة.

(3) الدفتردار المعزول اسكندر چلبي بالنظر إلى كتاب الروزنامه صلب في ات بازار في بغداد يوم السبت 8 رمضان سنة 941هـ.

(4) في الروزنامه يوم الأحد 24 رمضان تمّ قتل اسكندر چلبي وحسين چلبي. وعن اسكندر چلبي

يمكُثِ الأمراءُ الذين تركَهم شاه القزلباش «طهماسب» في «تبْريز»، وكذلك الإنكشاريةُ، بل هربوا واستولَوا على متاعِ الشّاه «طهماسب» وممتلكاتِه التي تركَها، وأمروا بصَكِّ العُملةِ مِن «الضربزن»، واتّخذوا خراجًا لهم. وبعد ذلك، جاؤوا في قصدِ «أولامه»، فهربَ «أولامه» أيضًا، ودخلَ «وان» وجلسَ بها. وبعد ذلك، بدءوا الحربَ في الداخلِ والخارجِ».

وعندما أخبروا السّلطان- مَلْجأ العالَم- بذلك، وبعدَ أنْ تشاوَرَ سُلْطانُ الرومِ مع وزرائه أمرَ قائلًا: «ليحضرْ عساكرُ الروم ايلي والأناضولِ المتفرِّقون في المَمالكِ المحميةِ إلى موضعِ «كوك تپه» بالقُرْبِ مِن جسرِ «آلتون»، ويلتقُوا ببعضِهم البعض هناك». وصدرَ الأمرُ أيضًا إلى أميرِ أمراءِ «دِيار بَكْر» على هذا النحوِ: «اجمعِ العساكرَ، واذهبْ بهم صوبَ تبْريز».

وبعد ذلك، ذهبَ سُلْطانُ الإسلامِ بالعسكرِ الفُرْسانِ المبارزين الذين هُم مِثلَ النجوم إلى ناحيةِ «كوك تپه» وجسرِ «آلتون»، ووصلَ إلى جسرِ «آلتون» في المنزلِ العاشرِ، وانتظرَ هناك حتى يتمَّ جمعُ قادةِ الروم ايلي وعساكرِ الأناضول، وكتبَ مسوَّدةَ الرسالةِ والحُكمِ الشريفِ التي أرسلَها إلى «طهماسب» الملحدِ الذي لا دِينَ له، وهي:

[رسالة السلطان سليمان إلى شاه العجم طهماسب][1]

«أنت الذي تكونُ قائدَ القزلباش، والزعيمُ الذي معاشُه النكبةُ، والذي يجمعُ كلَّ زمانٍ بعضَ الأتراكِ والأوباشِ مِن أذلِّ البلادِ، ويقومُ بتخريبِ

انظر تاج التواريخ ج2 ص617 وبجوي ج1 ص40 و180.

(1) هذا العنوان من وضع (المترجم).

البلادِ، ونشرِ الفسقِ والفسادِ، وإذا قدِمَ إلى أيِّ ديارٍ عامرةٍ يقومُ بتخريبِها وهدمِها، ويذلُّ الدولةَ، ويقهرُ الرعيَّةَ، وفي المقابلِ أقومُ أنا سُلْطانُ العالَمِ بتعميرِ البلادِ ونشرِ العدلِ والودادِ، وأنشرُ العمارةَ في البلادِ، والسرورَ لدى العبادِ، وقد سارَ جيشي الذي شِعارُه النصرُ إلى الصحراءِ، ولْيكُنْ عندك علمٌ وخبرٌ بهذا الأمرِ. فإذا أعلنتَ الطاعةَ والانقيادَ إليَّ؛ وندمتَ على ما دارَ في وساوسِك الشّيطانيةِ [1]، واتبعتَ مذهبَ الأئمةِ العظامِ، وتركتَ هذه البقاعَ والقلاعَ التي هي تحتَ أقدامِ جيشِنا، وسلَّمتَها إلينا، وضَمَمْتَها إلى المَمالكِ العثمانيةِ؛ فحينئذٍ يكونُ لك نصيبٌ مِن عنايتنا السّلْطانيةِ، وتجدُ سعادةَ الدنيا والآخرةِ، ولكنْ إذا أصررتَ على العنادِ واللججِ فسوفَ تشاهدُ بنفسِك وتذوقُ مِن الظلمِ الذي أذقتَه المسلمين- إنْ شاء اللهُ الرحمنُ-» [2].

وبعد ذلك، عبرَ السّلطان مِن فوقِ جسرِ «آلتون» وعزمَ على الذهابِ إلى «تبْريز» مِن داخلِ «كوردستان». وبينما كان الشّاه «طهماسب» ينتظرُ الفُرْصةَ جاءه الخبرُ أنْ: «ها هو قد جاءَ سُلْطانُ الإسلام بالجيشِ الذي شِعارُه النصرُ، وقطع منزلين ولحق بك». وكان ذلك الخبيثُ [الشّاه «طهماسب»]، قد حاصرَ بجنودِه قلعةَ «وان» و«اولامة بك» وبعضَ الأمراءِ لمُدّةِ أربعةِ شهورٍ، ولَم ينجحوا في فتحِها، وكان قد جاء إلى جانبِ «تبْريز» منذُ وقتٍ قريبٍ.

(1) في الروزنامه في 28 رمضان 1 نيسان يوم الخميس ذكر أنه تحرك من بغداد. ويؤيد ذلك بچوی، وفي الروزنامه 29 ذي الحجة 941 هـ يوم الأربعاء وصل تبْريز وتحرك من بغداد إلى تبْريز، ووصل في اليوم التسعين، وذكر أنه تمّ إقامة السراى للسُّلْطانِ، وذكر بچوی أنه يوم 4 محرم.

(2) جاءت في الأصل هكذا: «إنشاء الله الرحمن». (المترجم).

[رسولُ طهماسب إلى السّلطانِ سُليمانَ القانونيّ][1]

وفي ذلك الوقتِ أيضًا أرسلَ الشّاه «طهماسب» كلًّا مِن «شيخ بن أمير حسين» وحاجبه كـ رسولين إلى السّلطان «سُليمان»[2]، وظلَّ هو منتظرًا أيّامَ الفُرصةِ. وجاء الرّسلُ، ووصلوا إلى موضعٍ يسمّى «صارم»، والتقَوا هناك بـ «سُلْطانِ الروم»، وقالوا له: «إنّه معلومٌ ومبيّنٌ لدى صاحبِ العظمةِ أنّ: وجودَ الدنيا وما فيها مساوٍ للعدمِ، ولذلك فليس مِن اللائقِ الخلافُ والقتالُ والحربُ والجدالُ، والشيءُ الذي يستحقُّ هو أنّ الخلائقَ في أيّامِ دولتِكم يعيشون في أمنٍ وأمانٍ، ويحقّقون مُناهم ومُرادَهم في العيشِ والعِشرةِ بالليلِ والنهارِ، والذي لا يخفى عليكم أنه جاء هؤلاء الأذلّاء، ورأوا أنّ مِن المصْلحةِ أنْ يُقدِموا على مقامِ الطاعةِ والانقيادِ، وإذا خضعوا للطاعةِ وللمصلحةِ فيجبُ ألّا يستمعوا إلى كلامِ أربابِ الفسادِ ويعقدوا الصُّلحَ على أنْ يكونَ الشّاه «طهماسب» سُلْطانًا على «عراق العجم»، ويكونَ السّلطان «سُليمان» سُلْطانًا على «عراق العرب».

وكان الجوابُ عليه هو أنّ: «العدوَّ القديمَ لا يصبحُ صديقًا، وإعطاءُ المُهلةِ للعدوِّ والإشفاقُ على الظالمِ إنما هو باطلٌ. ويجبُ على شخصيتي القويةِ قلعُه وقمعُه، بل واجبٌ عليَّ فعلُ ذلك، وقد أجازَ النقلُ والعقلُ قتلَه. وليكُونوا جاهزين في الوقتِ المناسبِ». وأَذِنَ للرّسلِ، وأرسلَهم.

فخرجوا، وعندما وصلوا إلى الشّاه سيّئِ المعاشِ أخبروه بالحُكمِ والأمرِ واجبِ الاعتبارِ قائلين: «لقد هجمَ على مملكتِنا بأيِّ وجهٍ كان، وسيصلُ إليك، ويجبُ أنْ تُطيعَه، وإلّا سيأخذُ بلادَنا بالقهرِ، ويُغيرُ عليها. وإنْ لم

(1) هذا العنوان من وضع (المترجم).

(2) الشيك أغاسي: هو قبوجي باشي في تركستان أغا الباب، يعني الحاجب الذي يقوم بالتشريفات.

ترضَ بذلك فالأمرُ إليك». فغضبَ الشّاه «طهاسب» كثيرًا عند سماعِ ذلك، وسلكَ طريقةَ «سيكبارلق» [1] وذهبَ مِن «أصفهان» إلى هناك. وذهبَ السّلطان خلفَه، ووصلَ إلى «دركزين» في 17 محرم سنة 942هـ [2]. وعندما نزلَ إلى صحرائها [3]، تأمّلَ أحوالَ الشّاه ذي الآمالِ السيّئةِ، وسألَ عن كيفيةِ الحالِ هناك، فعرفَ أنه ليسَ مِن المحتملِ أنْ يُقدِمَ [الشّاه] على القتالِ، وكان وجودُه مِثلَ عدمِه على السواءِ.

فعاد السّلطان- ظِلُّ اللهِ في الأرضِ- واتّجهَ نحوَ «تِبْريز» [4]، ثمّ قطعَ المنازلَ حتى وصلَ إلى «أخلاط» [5] وعند وصولِه علمَ بذلك الشّاه السيّئُ فجاء إلى تِبْريز، وقامَ بأخذِ أموالِ التجّارِ ونهبِها، وعندما سمعَ الأميرُ «قلج» [6] مِن الأمراءِ الأكرادِ الموجودين في محافظةِ «وان» أنّ السّلطان قد وصلَ «أخلاط» مع الإنكشاريةِ؛ قامَ بحرقِ أطرافِ القلعةِ المذكورةِ، وعندما

(1) وتعني أخذ ما خفّ من الأشياء والذهاب بسرعة. انظر ش. سامي: قاموس تركي صـ709.

(2) الموافق 17 يوليو 1535م.

(3) وبالنظر إلى كتاب الروزنامه أنه تحرك من تِبْريز يوم الأربعاء 19 محرم 942هـ، ووصل دركزين 3 صفر يوم الثلاثاء.

(4) في الروزنامه: أقام ثلاثة أيام في دركزين، وتحرك من هناك يوم السبت 7 صفر 942هـ، وفي 20 منه الخميس وصل تِبْريز، وتحرك من تِبْريز يوم الجمعة 27 منه، وفي أثناء الطريق قامَ بزيارة تربة- حضرة مولانا وهو المولى الأعز الداعي إلى الخير خلاصة الأرواح سر المشكوه والزجاجة والمصباح شمس الحق والدين نور الله في الأولين والآخرين»- شمس التِبْريزي يوم الخميس 4 ربيع الأول 942هـ. وفي تبيان نافع: ككجيل: على وزن رحيل اسم مكان في مدينة تِبْريز، وهو أيضًا اسم مزار، وضريح وقبر حضرة شمس التِبْريزي موجود به.

(5) وصل أخلاط يوم السبت 20 منه، وفي ترجمة القاموس خلاط: على وزن كتاب، ويجوز قول أخلاط. وفي لهجة عثماني: ذكر أخلاط في العربية خلاط، انظر كلمة خلاط في (معجم البلدان).

(6) يوجد نقص هنا. شرف خان ذكر في شرفنامه المطبوع ج1 ص333: «أويس بيك المشهور بقليج بيك».

عقدَ العزمَ على الذّهابِ إلى سعادةِ الآستانة ذهبَ الأميرُ المذكورُ إلى القلعةِ المذكورةِ، وأرسلَ رسالةً إلى الشّاه الضالِّ يقولُ فيها: «الأيامُ فُرَصٌ، لتكُنْ خلفي في السيرِ». فتوجّهَ الشّاه سيِّئُ الطّباعِ إلى القلعةِ، وعندما وصلَ لحِقَ به أخوه «القاصه» ببضعةِ آلافٍ مِن الأوباشِ والتحقَ بهم العساكرُ التي شِعارُها النصرُ، وأسروا كثيرًا منهم، وأفسدوا الكثيرَ وتركوا رجالًا في قلعةِ «وان»، وعندما علمَ السّلطان بذهابِهم أمرَ أميرَ أمراءِ دِيار بَكْر «محمد باشا» بالذهابِ بجيشِ دِيار بَكْر مع ألفينِ وخمسِمائةٍ مِن الإنكشاريةِ إلى قلعةِ «وان».

فتوجّهَ هؤلاء إلى ذلك الجانبِ، وعندما وصلَ الشّاه «طهماسب» إلى «وان» وسمعَ بمجيءِ «محمد باشا» بهذا القدرِ من الجيشِ، هربَ في الحالِ بالعساكرِ الشياطينِ، ومكثَ بالقُرْبِ مِن قلعةٍ صعبةِ المرورِ تُسمَّى «دربند خيزان». وفي تلك الأثناءِ وبعدَ أنْ وقعتْ حربٌ ضروسٌ هناك فرَّ «محمد باشا» مع «اولامة بك». وخرجَ الشّاه الضالُّ خلفَهم وعندما ألحقَ بهم ضررًا ومُضايقةً غارَ حاكمُ سنجق «حميد ايلي» «پروانه بك» على دينِ الإسلام، وقاتلَ هذا العدوَّ الضالَّ قتالًا شديدًا قائلًا عن نفسِه: «يوجدُ پروانه فلْيضرِبْ بالنارِ»، وبعد حربٍ شديدةٍ أُسِر «پروانه بك» وأخذوه وتوجّهوا إلى قلعةِ «وان».

وعندما سمعَ سُلْطانُ الروم السّلطان «سُليمان» بخبرِ هزيمةِ هؤلاء خرجَ مسرعًا وسارَ صَوْبَ الشّاه الضّالِّ، ولكنْ جاءه الخبرُ أنه: عندما وصلَ الشّاه سيِّئُ المعاشِ إلى «وان» تركَ أميرًا هناك وخرجَ إلى «بندماهى»[1]، وعندما وصلَ هناكَ كان «پروانه بك» المحبوسُ هناك قد اسْتُشهِد. وكان مِن

(1) في أثناء الطريق، وبالنظر إلى كتاب الروزنامه وصل إلى هناك يوم الخميس 11 ربيع الأول 942هـ.

الصعبِ ذهابُ السّلطان- مَلْجأ العالَم- خلفَه لحُلولِ أيامِ الشتاءِ، ومكثَ في قلعةِ «عاد الجواز» [1] وفوّضَ مهمَّةَ حراسةِ تلك الديارِ وحمايتِها إلى «حاجي بك» الذي كان حاكمًا على غَزَّة.

بعد ذلك عبرَ سُلْطانُ الإسلامِ مِن دربِ قلعةِ «بتليس» إلى قلعةِ «آمد»، وعندما وصلَ هناك عقدَ الديوانَ العالي[2]، وبعدَ أنْ أرسلَ رسائلَ الفتح [فتحنامه لر] إلى أنحاءِ العالَمِ أهدى الوزراءَ والأمراءَ الخلعَ والعطايا، وسرّحَ جيشُ الروم ايلى والأناضولِ، وبعدَ أنْ استراحَ السّلطان- مَلْجأ العالَم- في القلعةِ واحدًا وعشرين يومًا توجَّهَ إلى «حلب»[3].

[مقتلُ الصّدرِ الأعظمِ إبراهيمَ باشا] [4]

وقضى الشّتاءَ في «حلب»، ثمّ خرجَ إلى «أضنة»، ومِن«أضنة» توجَّهَ إلى «قرمان»، ومِن «قرمان» خرجَ إلى «سيد غازي»، وفي الثالثَ عشرَ مِن شهرِ رجبٍ مِن السنةِ المذكورةِ [5] خرجَ مِن «سيد غازي» وتوجَّهَ إلى دارِ السّلْطَنةِ «إسلامبول» [6]. وقضى ذلك الشتاءَ في «إسلامبول»، وعندما وصلَ

(1) عادلجواز: بلدة في الأناضول، في ولاية ولواء وان، على بحيرة وان. موستراس، المعجم صـ 357.

(2) في الروزنامه: ذهب لرؤية المدينة مع إبراهيم باشا يوم الخميس غرة جُمادى الأولى سنة 942هـ. ويوم السبت 3 منه دخل داخل قلعة ديار بكر في وقت العصر، وفي صحائف الأخبار ذكر أن: تاريخ وصوله 3 ربيع الأول.

(3) في الروزنامه: تحرك من ديار بكر يوم الخميس 15 جُمادى الأولى، ووصل حلب يوم 28 منه يوم الأربعاء.

(4) هذا العنوان من وضع (المترجم).

(5) الموافق 6 يناير 1536م.

(6) في الروزنامه: تحرك من حلب يوم الخميس 7 جُمادى الأخرى ووصل آطنه يوم الثلاثاء 19 منه، وتحرّك من هناك يوم الخميس 21 منه ووصل سيد غازي يوم الثلاثاء 3 رجب ثمّ وصل استانبول

«إسلامبول» قتلَ وزيرَه «إبراهيم باشا» [1]. ومنحَ رُتبةَ الوزراةِ إلى «آياس باشا» في الثاني والعشرين مِن شهرِ رمضانَ مِن السنةِ المذكورةِ [2].

[نقدُ لُطفي باشا [مؤلفِ الكتابِ] للقُبطانِ خيرِ الدينِ بارباروس] [3]

وفي هذا العامِ جاء مِلكُ «إسبانية» صاحبُ الدينِ الخبيثِ بأسطوله الكبيرِ، وكان «خيرُ الدينِ باشا» قد وصلَ بأسطوله الهمايونيِّ هناك مِن قبلُ، واستولى به على مدينةِ «تُونُس» في «المغربِ» مِن يدِ العربِ، وأخرجَ سفنَه إلى البرِّ وجلسَ فارغًا. وعندما رأى أميرُ «تُونُس» القديمُ هذه الحالةَ وصلَ إلى مِلكِ «إسبانية»، وقال له: «المملكةُ لك وأنا سأذهبُ إلى الرومِ وأجعلُهم يأتون إليك، ويستولون بالحيلةِ على الدّولةِ ويأتون للحديثِ معكَ، واليومَ سيستولُون على بلادِنا، وغدًا على بلادِك». وعندما شكا إليه ذلك عادَ مِلكُ «إسبانية» ببضعةِ مئاتٍ مِن السفنِ، وركبَ السفينةَ بنفسِه وذهبَ إلى الميناءِ الذي يُطلَقُ عليه «حلق الواد» [4] بـ «تُونُس» وهجمَ عليه، واستولى عليه جبرًا وقهرًا. واستولى أيضًا على المدافعِ والسفنِ والمتاعِ الموجودِ بالميناءِ، وضبطَها.

وبينما كانَ هذا القدرُ مِن الظّلمِ وقتلِ نفوسِ المُسلمين كان «خيرُ الدينِ باشا» قد نصبَ نفسَه سُلْطانًا على «المغربِ»، واغترَّ كثيرًا بنفسِه،

يوم السبت 14 رجب و 7 كانون ثاني.

(1) تاريخ إعدامه ليلة 22 رمضان سنة 942هـ. وتوجد تفصيلات في تاريخ بجوي ج1 ص20 و188 و190 وصحائف الأخبار ج3 ص492.

(2) الموافق 14 مارس 1536م.

(3) هذا العنوان من وضع (المترجم).

(4) جاءت هذه الكلمة في الكتاب على هذا النحو: «حق الود»، والصحيح ما كتبناه. (المترجم).

وجاء هذا الغُرورُ مع هذا الظلم بلاءً على المسلمين، وبهذه الطريقةِ شعرَ المسلمون بالذلِّ والمهانةِ ممَّا لا يُشرَحُ بلسانٍ. وقد استولى الإسبان على قلعةِ «حلق الواد» وعلى سفنِها، ثمَّ ركِبوا خيولَهم وأخذوا كثيرًا مِن المُشاةِ أمامَهم، وساروا نحوَ «تُونُس». وعندما جاء «خيرُ الدينِ باشا» مِن قلعةِ «تُونُس» لمواجَهةِ الإسْبانِ، كان الكفارُ «الكوركجي» الموجودون في الحبسِ داخلَ «تُونُس» قد خرجوا بطريقةٍ ما، وقاموا بقتلِ المسلمين الموجودين في القلعةِ، واستولَوا على القلعةِ وضبطُوها. وأغلقوا بابَ القلعةِ في وجهِ «خيرِ الدينِ باشا»، ووضعوا المدافعَ والأسلحةَ في وجهِه، ولَم يعطُوه مجالًا لدخولِ القلعةِ. والوضعُ كان هكذا، وخرجتْ السّفنُ أيضًا مِن تحتِ يدِه وأعلنَ العربُ العصيانَ أيضًا. وهذا هو أصلُ الانكسارِ والهزيمةِ، وخرجَ «خيرُ الدينِ» مِن أحدِ جوانبِ المدينةِ مع الموجودين معه وذهبوا إلى البرِّ.

وعندما ظهرتْ طائفةُ «الوندات» (1)، كان وضعُ المسلمين ونسائهم

(1) إذا اعتبرنا أن: كلمة لوند فارسية فجاء معناها في فرهنك شعورى- لسان العجم- تبيان نافع وفرهنك ناصرى بمعنى: تنبل، كاهل، عياش، اهل طرب. وفي تبيان نافع: في الاصطلاح بمعنى مقدمة الجيش، قائد ومبارز وصاحب أدب وفن. وتعني أيضًا ليس عنده أثر الخوف والحياء من الله في عصره، وشخص غير طاهر وعفيف، ويتعدى بالظلم على الناس، ويبيح أخذ اموالهم، وليس عنده إنصاف أو مبالاة بالخلق. ولهذا اتُّفق على أنها مأخوذة من كلمة «له وان تينو» التي بمعنى الشرقي: وتعني الأشخاص الذين يستخدمون السلاح من البحرية الذين أخذتهم البندقية في ذلك الوقت من الممالك الشرقية، وإذا كانت الدولة العثمانية قد نظمت مؤخرًا صنفًا عسكريًّا بهذا الاسم- لَم يكن خاصًّا بالبحرية- وعندما بدأ هؤلاء بأعمال الشقاء بهدف الصيانة في الممالك العثمانية- نعيما ج3 ص134، وج4 ص375 و388، وج6 ص103 و375 – تمَّ

وأبنائهم في مدينةِ «وارقياس» و«تُونُس» على هذا النحوِ: انتصرَ ثمانيةٌ وسبعون ألفًا مِن الكفارِ عليهم، وأسروا كثيرًا مِن المسلمين والنساءِ والأطفالِ الموجودين في مدينةِ «تونس»، وقاموا بنهبِ المدينةِ، فهربتْ النساءُ والبناتُ والناسُ الموجودون في «تُونُس» إلى الصحراءِ والبرايا خوفًا مِن رؤيةِ الكفارِ، وهلكَ بعضُهم مِن الجُوعِ، وبعضُهم ماتَ مِن العطشِ، وبعضُهم الآخرُ قد لحِقَ بهم الكفارُ، وبعضُهم الآخرُ عادَ إلى العُصاةِ العربِ. والحاصلُ أنَّ ما حلَّ بأهلِ «تُونُس» لا يمكِنُ وصفُه وغيرُ قابلٍ للتعبيرِ عنه. ومنذُ ذلك الوقتِ وهُم يلعنون «خير الدين باشا»، وبعد ذلك، هربَ «خيرُ الدين باشا» وجاء إلى «بدر عنابه»، وكان قد تركَ مِن قبلُ فيها ستَّ عشرةَ سفينةً مِن نوعِ «قادرغة»، فأخذَها وأخرجَها إلى البحرِ، وفي الحالِ دخلَ السفنَ وهربَ بها إلى برِّ السلامةِ.

وعندما وصلَ «خير الدين باشا» إلى «تُونُس» كان يوجدُ بها عددُ مائةِ سفينةٍ مِن نوعِ قادرغة للسُّلطان- مَلْجأ العالَم-، وثمان عشرةَ سفينةً خاصّةً به، وما يقرُبُ مِن ثلاثين سفينةً خاصَّةً بـ«سنان رئيس»[1] وسائرِ اللوندات، وذلك غيرُ الثمان عشرة سفينةً الموجودةَ في «بدر عناب» قامَ الكفارُ بأخذِ هذه السفنِ جميعًا، وأحرقوا بعضَها هناك في الميناءِ، وأخذوا بعضَها الآخرَ

تفريقهم والقضاء عليهم سنة 1178 هـ. انظر بحث بعنوان «استئصال لوندات» في تاريخ واصف طبعة بولاق 1246 هـ ص 54 و75. وفي قاموس بحري: لوند: كلمة مأخوذة من البندقية الذين أطلقوها على لوندات البحرية، وتطلق على ربّان السفينة عند العثمانيين بعد طائفة العزب في العصور السابقة.

(1) لم توجد ترجمته في سجل عثماني.

وذهبوا. وجاء «خير الدين باشا» في السنة المذكورة إلى «إسلامبول»، وكان سُلْطانُ الإسلامِ في ذلك الصيفِ مستقرًا في «إسلامبول».

[رسولُ بهادر خان إلى السلطان سُليمان] (1)

وفي سنة 943هـ(2) أرسلَ بهادر خان حاكمُ مدينة «محمود آباد»(3) في ولاية «هندستان» رسولًا إلى السّلطان- مَلْجأ العالَم- يقولُ فيها: «لقد جاء المغولُ، وهجموا علينا مِن البرّ، وهجمَ علينا كفارُ «البرتغال» مِن البحرِ، واستولوا على المدينةِ؛ لذلك نطلُبُ مِن السّلطان أنْ يرسِلَ جنودًا إلينا وأسطولًا، وهكذا إذا كان يلزمُ خراجٌ للأسطولِ فقدْ أرسلَ مع رجالنا الأوفياءِ مائتين وخمسين صندوقًا مع اثنتي عشرة مرّة مائة ألف وسبعين ألفًا وستمائة مثقال ذهب [1.200.000] بطريقةِ الأمانةِ في مكّةَ المكرّمةِ. وإذا كان لازمًا فلتأخذْ المقدارَ الذي تريدُه مِن الذهبِ المذكورِ». وبناءً على ذلك أرسلَ السّلطان مَلْجأ العالَمِ أمرًا إلى «خسرو باشا» حاكمِ مِصْرَ أنْ: «ينقلَ الذهبَ المذكورَ بدونِ تقصيرٍ إلى مِصْرَ، ويقومُ رجُلٌ بوزنِه، وضبط هذا الأمر».

وفي هذا العام، أحضرَ سُلْطانُ الروم أميرَ أمراءِ الأناضولِ «خادم سُليمان باشا» وعيّنَه وزيرًا. بعد ذلك أرسلَه بصفتِه وزيرًا إلى مِصْرَ، وقامَ بعزلِ «خسرو باشا» مِن ولايةِ مِصْرَ، وأمرَ السّلطان «سُليمان باشا» قائلًا: «اذهبْ إلى مِصْرَ، وجهِّزْ السفنَ، واستعِدَّ بها على الوجهِ اللازم مِن أجْلِ مساعدةِ ومعاونةِ «بهادر خان»، ولْتعرِضْ كلَّ شيءٍ على بابي، ثمّ تنفِّذْ أمري بأيِّ

(1) هذا العنوان من وضع (المترجم).

(2) الموافق 1536م.

(3) محمود آباد: هي قصبة في ايالة وسنجق سيتان ور في منطقة اود في شمال هندستان.

أسلوب يكُونُ عليه، وتعملْ بأمري، وتزنِ الذَّهبَ القادمَ مِن «بهادر خان»، وترسِلْه مع رجالٍ أوفياءَ، وترسلْ رسولَ «بهادر خان» إلى عتبتي، وتخرِجْ الخراجَ اللازمَ للسفنِ مِن خزينةِ مِصْرَ، وتقيِّدْه في دفترٍ». فوصلَ «سُلْيمان باشا» إلى مِصْرَ، وقامَ بوزنِ الذَّهبِ المذكورِ، وأرسلَه بدفترِه وصناديقِه إلى السُّلْطانِ، وتمَّ تسليمُه إلى الخزينةِ.

[رسالةُ ملكِ فرنسة إلى السلطان سُليمانَ القانونيّ][1]

وفي اليومِ الثامنِ مِن شهرِ جُمادى الأولى مِن السنةِ المذكورةِ، خرجَ السّلطان مِن «إسلامبول» إلى «أدرنة» وقضى فصلَ الشتاءِ هناك في السيرِ والصيدِ، وفي الرابعِ والعشرين مِن شهرِ شوَّالٍ مِن السنةِ المذكورةِ عادَ السّلطان إلى «إسلامبول» واستقرَّ بها. وفي هذا العام أرسلَ «فرانجاشقو»[2] مِلكُ ولايةِ الفرنجِ رسولًا برسالةٍ إلى السّلْطانِ، وقال في رسالتِه[3]: «أرجو مِن سُلْطانِ الإسلامِ السّلطان «سُليمان» ما يلي: لقدْ قامَ حاكمُ «إسبانية»- صاحبُ الدينِ الملعونِ- بإفسادِ محبَّتِكم التي لا رياءَ فيها، وأغارَ على بلادِنا، وأرجو أنْ يرسلَ سُلْطانُ الإسلامِ أسطولًا همايونيًّا مِن البحرِ، ويأتيَ السّلطان بسعادةٍ مِن البرِّ مِن ميناءِ «اولونيه»، وقدْ تقرَّرَ مِن طرفِنا إرسالُ خمسٍ وأربعين سفينةً مِن نوعِ «قادرغة» إلى ولايةِ «بولية» مِن جانبِ البحرِ.

(1) هذا العنوان من وضع (المترجم).

(2) جاء في تاريخ دولت عثمانية أنه: فرانسوا الأول.

(3) توجد معلومات عن الحملة التي قامت بها الدولة بجانب فرانسوا الأول في تاريخ أبو الفاروق ج1 ص232.

[الغزوةُ التي قامَ بها لُطْفي باشا مؤلِّفُ الكتابِ وخيرِ الدين باشا] (1)

وهكذا أمرَ السّلطان في الحالِ بإعلانِ نيّةِ الغزوِ، وأنْ يستعدَّ الأسطولُ، ولا يتخلَّفَ أحدٌ في أيِّ وقتٍ. وقامَ الوزراءُ بتنفيذِ أمرِ السّلطان في الحالِ، وجمعوا كثيرًا مِن جُنْدِ «العزب» و«الكوركجيلر» والـ «آنجيلر» و«الإنكشارية»، وأربعةَ آلافٍ مِن الإنكشاريةِ مع قائدِهم، وستّمائةِ نفرٍ مِن طائفةِ الـ «طوبجيلر» مع قادتِهم وأمراءِ عشرةِ سناجقَ مِن ولايةِ الرومِ ايلي والأناضولِ مع السپاهية، وجميعِ جنودِ الـ «صوباشي لر»، وجاء جميعُ الجندِ وركبوا السفنَ. وجهّزَ القُبْطانُ «خيرَ الدينِ باشا» طائفةَ لوندات وكوكللو الموجودةَ تحتَ إمرتِه، وعُيِّنَ «لُطْفي باشا» (2) قائدًا ورئيسًا على هؤلاء جميعًا، وأُرسلَ لغزوةِ «آق دكيز» [البحر الأبيض المتوسِّط].

وفي تلك الأثناءِ خرجَ الأسطولُ الهمايونيُّ مِن «إسلامبول» إلى «كليبولي»، ومِن هناك عبرَ إلى «قزل حصار» في جزيرةِ «بوزجه»، ثمّ إلى «قرون»، ومِن «قرون» إلى «متون» ثمّ خرجَ إلى «بروزه»، ومِن هناك إلى «كورفوز»، ثمّ إلى «آولونيه»، وأرسلَ سُلْطانُ العالَم- ظِلُّ اللهِ تعالى في الأرضِ- أوامرَه الشريفةَ إلى جيشِ الرّوم ايلي والأناضولِ، وبعدَ أنْ استعدَّ الجميعُ فتحَ حضرةُ السّلطان صاحبُ السّلْطةِ العلمَ والإشارةَ، وخرجَ مِن «إسلامبول»، وقرّرَ الذهابَ إلى «آولونيه» في اليومِ السابعِ مِن شهرِ ذي الحجّةِ (3).

---

(1) هذا العنوان من وضع (المترجم).

(2) صاحب هذا الأثر، ونظرًا لصحائف الأخبار ج3 ص492- من بين وزراء القبة- لُطْفي باشا الوزير الثاني.

(3) وبالنظر إلى كتاب الروزنامه وبجوي وصحائف الأخبار أن: الشهزادة السلطان محمد والسلْطان سليم كانوا موجودين في هذه الحملة في الركاب الهمايوني.

وفي أواخرِ شهرِ محرَّمِ الحرامِ مِن سنةِ 944 هـ[1]، عندما وصلَ السّلطان إلى «آولونيه»[2]، أرسلَ «لُطْفي باشا» مع أميرِ أمراءِ الرومِ ايلي «محمد باشا» وأمراءِ الـ «صوباشية» و«السپاهية» إلى جانبِ «بولية» [3]، وعندما وصلوا هناك استولَوا على ديارٍ كثيرةٍ في مملكةِ «بولية» وقاموا بهدمِها وإحراقِها. والحاصلُ أنهم قاموا بإحراقِ جميعِ القِلاعِ والبلادِ [4] والقرى التي بين «اوترند» و«كليبولي»[5] واستولَوا على ثلاثينَ قلعةً وبلدةً صغيرةً مِن تلك القلاعِ المحروقةِ. وقاموا بنهبِ أموالِ الناسِ وأمتعتِهم، وعندما عبرَ «لُطْفي باشا» إلى «بولية» لَم يأتِ إليه «خير الدين باشا» واعتذرَ واحتجَّ بسببٍ ما، ورجعَ، يعني خرجَ إلى «بروزه» ثمّ إلى «متون»، والحاصلُ أنه ابتعدَ بمقدارِ أربعمائةِ ميلٍ عن القلاعِ الموجودةِ مِن ناحيةِ «إسلامبول». وكان أحدَ المحرومين مِن الغزوِ ومِن الغنيمةِ. واستولى «لُطْفي باشا» بالأسطولِ الهمايونيِّ الموجودِ معه على قلعةٍ في ناحيةِ «بوليه». وكان مُعظَمُ أهالي القلعةِ موجودين خارجَها، وذاتَ ليلةٍ زحفوا على الأسطولِ الهمايونيِّ بعددٍ مِن سفنِ «قادرغة» بطريقِ العصيانِ فجأةً، فخرجَ «لُطْفي باشا» بسفنِه وعساكرِه لمواجهةِ هؤلاء الملاعينِ، وكان ذلك الوقتُ وقتَ الصُبحِ الصادقِ، ولَم يكُنْ هناك مجالٌ لمقابلةِ هؤلاء الملاعينِ، وبدّلوا قرارَهم إلى الفرارِ خوفًا مِن مهابةِ

(1) الموافق 7 يوليو 1537م.

(2) في الروزنامه وصل يوم الجمعة 5 صفر و 13 تموز 944هـ.

(3) قديماً هي مملكة نابولي. في الروزنامه: عبر عساكر الروم ايلي إلى جزيرة بولية يوم الاثنين 15 صفر.

(4) اوترانته، في الإيطالية اوتران تو.غاليبولي: في منطقة اوترانته الإيطالية، لجه- اسمها القديم اليوم- هي قصبة مركزية في ساحل مضيق تارنته في ايالة لجه.

(5) قسطل: في الايطالية قاستللو. وفي التركية في صُورة كستل وبمعنى قلعة صغيرة.

الإسلامِ وعظمتِه، وأعادوا سفنَهم إلى البحرِ مرةً أخرى.

وفي تلك الأثناءِ تمّ الاستيلاءُ على أربعِ سفنِ «قدرغة» مِن أسطولِ الكفارِ، وهربَ الباقي وذهبُوا إلى «كورفوز» وغنِمَ «لُطْفي باشا» أيضًا مِن عِدّةِ حملاتٍ قامَ بها في «بوليه». واستراحَ لمُدّةِ شهرٍ، وعرضَ تلك الأحوالَ على السّلْطانِ، وأرسلَ له رسائلَ وبشارةَ الفتحِ والفتوحاتِ، وكان يريدُ بهذه البِشاراتِ كسبَ وُدِّ السّلطان وإسعادَه؛ فأمرَ السّلطان قائلًا: «لقد أعلنَ عُصاةُ «ونديكلو» [البندقية] العِصيانَ مِن ذلك الجانبِ ونقضوا عهدَهم، فلتَحضرِ الأسطولَ الهمايونيَّ». وبالرغمِ مِن أنّ «لُطْفي باشا» انتصرَ وهدمَ المملكةَ وهدمَ القلعةَ وأسَرَ أسطولَ الكفَرةِ وغنِمَ غنائمَ كثيرةً، إلّا أنه نفّذَ أمرَ السّلطان- مَلْجأ العالَم- وعبرَ بالأسطولِ مِن ناحيةِ «بوليةِ» إلى «آولونيه»[1]، وبينما كانت السّفنُ في ناحيةِ «بوليةِ» أمرَ السّلطان العساكرَ الموجودةَ معه وأوصاهم قائلًا: «لتأخُذوا حقّكم مِن الكفارِ المتمرِّدين في مملكةِ «اولونيه» على الوجهِ اللازمِ». وعندما سمعَ «آرنود» [العُصاة] بذلك خرجوا إلى جبالٍ وعِرةٍ، واختفَوا هناك.

ولذلك عندما كان الغُزاة المسلمون عند «آرنود» لم يخبروه بذلك وقاموا بحرقِ السفنِ التي وصلتْ إلى «بوليةِ»، واستولَوا على بعضِ السفنِ الأخرى ثمّ عادوا إلى جانبِ «اولونيه» مرةً أخرى. واجتمعتْ العساكرُ الموجودةُ بجانبِ حضرةِ السّلطان- مَلْجأ العالَمِ- وكوّنوا جيشًا ضدَّ «آرنود». وليس هناك أيُّ أثرٍ أو علامةٍ عن «خير الدينِ باشا». وبعد فترةٍ مِن الزمنِ جاء «خير

(1) في الروزنامه: عاد لُطْفي باشا بالأسطول من جزيرة بوليه إلى اولونيه يوم الاثنين 7 ربيع الأول 944هـ.

الدين باشا» بالسُّفنِ والتحقَ بالأسطولِ الهمايونيِّ والعساكرِ المنصورة[1].
وأخذ بعضُ متمرِّدي «آرنود» حقَّهم على الوجهِ اللازمِ، وفي هذا العام أيضًا أعلنَ كفارُ البندقيةِ العصيانَ والطغيانَ، ونقضوا عهدَهم وميثاقَهم مع حضرةِ السّلطان- مَلْجأ العالَم- واتحدوا مع كفارِ «إسبانية» وأفسدوا كثيرًا في البحرِ.

وبناءً عليه أمرَ السّلطان- مَلْجأ العالَم- «لُطْفي باشا» و«خير الدين باشا» قائلًا: «اذهبوا إلى القلعةِ التابعةِ للبندقيةِ والتي تُسمَّى «صانلو حصارى» [2] وحاصروها، واهدموا هذه المملكةَ وأحرقوها». فذهبَ الأمراءُ بالأسطولِ الهمايونيِّ إلى «كورفوز» وهدموا المملكةَ، وأحرقوها[3]، وقاموا بحصارِ قلعةِ «كورفوز» ونصبوا المدافعَ على الأرضِ، وبدأوا في ضربِ المدينةِ. بعد ذلك خرجَ سُلْطانُ الإسلامِ مِن «اولونا» إلى «دبه دل» ومِن هناك عبرَ إلى «آولونيه»[4] وبعد ذلك، وصلَ أمامَ قلعةِ «كورفوز».

وبعدَ أنْ ضربوا «كورفوز» لعِدَّةِ أيام حلَّ فصلُ الشتاءِ، فصرفوا نظرَهم عن القلعةِ.[5] ونقلوا المدافعَ إلى السفنِ وخرجَ «سُلْطانُ الروم» مِن

---

(1) في الروزنامه: وصل خير الدين باشا بالأسطول الموجود معه إلى اولونيه يوم الثلاثاء 16 ربيع الأول سنة 944 هـ.

(2) قورفو أو قورفوز: قورفه: بعدَ أنْ ظلت فترة من الزمن تحت حكم حكومة نابولى ثمّ تسليمها إلى حكومة ونديك سنة 1386هـ.

(3) في الروزنامه: خرجَ لُطْفي باشا بالأسطول الهمايوني من اولونيا يوم السبت19 ربيع الأول 944 هـ وتوجَّه إلى فتح كورفو.

(4) وبالنظر إلى ما جاء في كتاب الروزنامه وصل اولونيه يوم الجمعة 5 صفر 944 هـ وأقام 5 أيام وخرج يوم الخميس 11 صفر إلى يايلاق برزه، ثمّ عاد من المشتى المذكور يوم الخميس10 ربيع الأول و16 أغسطس مِن أجلِ الذهاب بأسطوله إلى قورفو.

(5) في الروزنامه: بعدَ أنْ صرف حضرة السّلطان نظر عن الذهاب إلى قلعة كورفوز يوم الخميس

«كورفوز» وذهبَ إلى «قونجيه» (1) ثمّ إلى «جايمه» (2)، ثمّ إلى «كورجيه» ثمّ ذهبَ إلى «صارى كوله». وقامَ الجنودُ الذاهبون مع السفنِ بقتلِ كلِّ مَن يقابلونه في جُزُرِ «ونديك»، وهلكَ كثيرٌ مِن الكفارِ، وأسروا أولادَهم وبناتِهم ونساءَهم. وبهذه الطريقةِ قاموا بتخريبِ كثيرٍ مِن الجُزُرِ، والتزَموا بتسليمِ الجُزُرِ الباقيةِ لهم. ثمّ خرجوا بهذه الغنائمِ إلى «إسلامبول» وأذِنَ السّلطانُ لجنودِ الـ «كوركجيه» و«عزب» والسباهيةِ بالتسريحِ (3).

عُدْنا، وفي ذلك الوقتِ الذي كان فيه سُلْطانُ الروم السّلطان «سُليمان» يجهِّزُ الأسطولَ للذهابِ إلى غزوةِ «فرنكستان»، وصَلَ الخبرُ إلى ملكِ «إسبانية» [قارلو] قارلو الخامس: شارل كان (4)، الذي قامَ هو أيضًا بإرسالِ رسالةٍ إلى «فرندنانوش [فرديناند] أخي ملكِ «بيج» قال فيها: «جاء سُلْطانُ الروم بالجيشِ الكثيرِ مِن البرِّ على» اولونيه» ومِن البحرِ بعددٍ مِن السفنِ، وقامَ بإحراقِ بلادِنا وقلاعِنا، فيجبُ أنْ تأتيَ لقمعِه وترسلَ أيضًا أمراءَ مع بضعةِ آلافٍ مِن الجنودِ الأقوياءِ مِن المُشاةِ والفُرْسانِ وعددٍ مِن المدافعِ الثقيلةِ والسلاحِ إلينا. وعندما يصلُ هؤلاء يقُومون بهدمِ القلاعِ والممالكِ التابعةِ لسُلْطانِ الرومِ، وإحراقِها بالقدْرِ الكافي، ويقتلون الجنودَ ويهلكونهم».

غرة ربيع الآخر، و16 أيلول 944 هـ قرّر الذهاب إلى استانبول، وأمر العساكر الموجودين في جزيرة كورفوز العبور إلى البر. ويوم الجمعة 9 منه توجّهت الخيمة الهمايونية إلى جانب استانبول.

(1) قونيجه: تدخل ضمن ولاية يانيه.

(2) هكذا في النسخة لَم يصادف هذا الاسم في الروزنامه.

(3) انظر: بجوى المطبوع ج1 ص196 بعنوان: «تفصيل غزوة لُطْفي باشا والقبودان خير الدين باشا» وتحفة الكبار طبعة المطبعة البحرية 1329 من ص48 إلى 50 بحث بعنوان: «حملة بوليه، ذهاب السّلطان سُليمان إلى حملة كورفز، ذكر خيانة ونديك ومحاصرة كورفز».

(4) قارلو الخامس: شارلكان.

[هزيمةُ الكافرِ قوجيان بالقُرْبِ مِن اوسك] (1)

وفي الحالِ، عندما سمعَ «فرندنانوش» الخبرَ مِن أخيه لَم يتأخَّرْ لحظةً، وبناءً على وصيةِ أخيه «قارلو» فقدْ جهَّزَ جيشًا قدرُه خمسةٌ وعشرون ألفًا مِن المُشاةِ وعشرون ألفًا مِن الفرسانِ، وعيَّنَ «قوجيان» (2) أميرًا وقائدًا عليهم. وجهَّزَ جميعَ الجيشِ بالمعدَّاتِ الحربيةِ، وأرسلَهم فورًا إليه؛ فأخذَ «قوجيان» الجيشَ والمدافعَ، وخرجَ صوبَ «اوسك» وعندما سمعَ أمراءُ «بوسنة» و«سمندرة» والغُزاة بهذا الخبرِ غامروا بأرواحِهم، وذهبُوا إلى «اوسك» قبلَ مجيءِ الكفارِ، وقاموا بحفظِها وحمايتِها.

وذاتَ يومٍ في الصّباحِ جاء «قوجيان» بهذا القدْرِ مِن الجيشِ، وبأسلحتِه ومعدَّاتِه الثقيلةِ إلى «اوسك». وعندما علمَ «محمد بك» أميرُ سمندرة و«خسرو بك» أميرُ «بوسنة» أنَّ جيشَ الكفارِ كثيرٌ، وليس لديهم قدرةٌ على مواجَهتِه، وأنَّ جيشَهما لَم يستطعْ بمفردِه مُواجَهةَ عساكرِ «قوجيان»، قاما بالاتفاقِ مع الكفارِ الأوفياءِ، والزعماءِ الموجودين مع جيشِه، وقالا لهم: «ليمتطِ المسلمون الخيولَ، ولا يبعدوا عن القلاعِ، وطالَما لَم تخرُجوا مِن القلعةِ فلا يستطيعُ أحدٌ الظفرَ بها».

والحاصلُ أنَّهم بقَوا على هذا النَّحوِ لمُدَّةِ أربعةِ أيامٍ أو خمسةٍ، وفكَّرَ الكفارُ في إيجادِ حيلةٍ، ولكنَّهم لَم يجِدوا؛ لأنَّ جيشَ «قوجيانَ» قد سارَ ناحيةَ جيشِ المسلمين؛ فقام المسلمون بالعبورِ إلى ذلك الجانبِ تحتَ مدافعِ القلعةِ، أمَّا الكفارُ فلَم يقترِبوا مِن جانبِ المسلمين خوفًا مِن المدافعِ. وفي النهايةِ ترك

(1) هذا العنوان من وضع (المترجم).

(2) ذكر بجوي في تاريخه المطبوع ج1 ص200 أنه قوجيان ايوان بان.

«قوجيان» قلعةَ «اوسك» ووصلَ مِن هناك إلى ناحيةِ قلعةِ «لوك» وقامَ بالاستيلاءِ على القِلاعِ الموجودةِ بين «لوك» و«اوسك»، وأحدثَ بالقلاع خسارةً كبيرةً، وبعد ذلك، عاد إلى جانبِ وادي «سرم». وكان يقصدُ الذّهابَ إلى بعضِ القِلاعِ الموجودةِ هناك.

وبينما كان يريدُ الذهابَ إلى «بلغراد» مِن هناك، نزلتْ عليه آفةٌ مِن السّماءِ، ونزلَ مطرٌ غزيرٌ لدرجةِ أنَّ الكفارَ الملاعين؛ لم يستطيعوا فتحَ أعيُنِهم لعِدَّةِ أيام، وتكدَّروا كثيرًا مِن ذلك. وهطلتِ الأمطارُ وتكوَّنَ الطينُ بإفراطٍ على الأرضِ مِن جانبٍ، ومِن جانبٍ آخرَ كان هناك قحطٌ وجُوعٌ لدرجةِ أنَّ الجيشَ والحيواناتِ لَم تجدْ زادًا وزوادًا. وقد كان يقصدُ الذهابَ إلى «بلغراد»، عبرَ مِن ذلك البحرِ، وأرادَ النّجاةَ، ثم قصدَ العودةَ مرةً أخرى ثمّ عادَ وذهبَ. نعم لَم يمُرَّ على «اوسك» مرةً أخرى، وبينما كان يريدُ العودةَ مِن طريقٍ آخرَ إلى وطنِه، وعندما ذهبَ عرفَ غُزاةُ «البوسنة» وقادةُ «سمندرة» بهزيمةِ جيشِ «قوجيان»، فاتفقَ الاثنانِ على أنْ يطوِّقَ كلُّ واحدٍ منهم جيشَ الكفارِ مِن ناحيةٍ، ويسُدُّوا عليهم الطريقَ، ولا يمكِّنوا أحدًا منهم مِن الهربِ.

وبهذه الطريقةِ، ولمُدَّةِ أربعةِ أيامٍ أو خمسةٍ لَم يكُنْ هناك سبيلٌ للكفارِ أمامَ المطرِ والطينِ والجوعِ والقحطِ إلاّ الهروبُ، وعندما رأوا جيشَ المسلمين شعروا بالهزيمةِ ولاذوا بالفرارِ. واتفقَ «قوجيان» مع فارسِه على الهربِ، ونبَّهَ على جيشِ المُشاةِ قائلًا: «ابقوا أنتم في أماكنِكم، ولا تبعدوا عن العرباتِ، وأنا سأذهبُ وأقومُ بهجومٍ وغارةٍ ليليةٍ على التّرك». وعندما حلَّ الظلامُ أمرَ «قوجيان» الفُرْسانَ الموجودين معه بالفرارِ؛ فهربوا. وفي اليومِ التالي جاء الخبرُ إلى جيشِ الإسلامِ أنَّ: «قوجيان قد هربَ مع فُرْسانِه، وتركَ جيشَ

المُشاةِ وعرباتِ المدافعِ».

فقامَ غُزاةُ «بوسنة» و«سمندرة»، وأيضًا كفارُ «سرم» بمساعدةِ الغُزاة، ووصلوا إلى عساكرِ المُشاةِ والمدافعِ الموجودةِ في مكانِ «قوجيان»، ووقعتْ حربٌ عظيمةٌ بينهم، وفي النهايةِ وبسببِ أنَّ الكفارَ كانوا بلا قائدٍ؛ فقدْ تركوا مدافعَهم وهربوا إلى الغاباتِ وتشتَّتوا، فأمسكَ بهم غُزاةُ «بوسنة» و«سمندرة» في الغاباتِ وقتلوهم وغنِمَ المسلمون كثيرًا مِن العرباتِ. وكان عساكرُ المُشاةِ الكفارِ يزيدون خمسةً وعشرين ألفًا، فأعملوا في أكثرِهم السّيفَ، وأسرَ الغُزاة الباقينَ مِنهم. وقامَ حاكمُ «البوسنة» وحاكمُ «سمندرة» بضبطِ تلك المدافعِ مِن أجْلِ الدولةِ، وأرسَلاها مع العرباتِ إلى «بلغراد»، وكانت المدافعُ كثيرةً جدًّا، وكأنّها مصنعٌ مِن المدافعِ لَم ترَ العينُ مثلَه مِن قبلُ. وأسرَ حاكمُ «بوسنة» وحاكمُ «سمندرة» كثيرًا مِن الكفارِ ذوي «الجبه لو» والـ «الجوشنلو» مع كثيرٍ مِن الملابسِ والبورنك، وقاموا بإرسالهم إلى سُلْطانِ الإسلام إلى جانبِ «اولونيه». وبعدَ أنْ خرجَ السّلطان صاحبُ الاقتدارِ مِن اولونيه إلى «صارى كول»، جاءه أسرى الكفارِ المسلَّحون ولابسو الدروعِ، وجاءته البِشارةُ بخبرِ الفتحِ والفتوحِ، وعُرِضوا على سُلْطانِ الروم [1].

وعندما سمعَ السّلطانُ «سُليمان» هذا الخبرَ فرحَ كثيرًا، وشعرَ بالصفاءِ والسعادةِ وحُسنِ الحظِّ، وأمرَ بضربِ أعناقِ الكفارِ أصحابِ الـ «جبه لو» والـ «جوشنلو» القادمين، وأرسلَ خلعًا فاخرةً وسيوفًا مرصَّعةً وجيادًا أصيلةً إلى أمراءِ «بوسنة» و«سمندرة»، وقامَ بترقيةِ المرافقينَ لهم في الحملةِ هناك إلى

(1) ذكر بجوى في تاريخه المطبوع ج1 ص203 أن: «عندما كان السّلطان صاحب السعادة في» أدرنة» تمَّ إحضارهم إلى الديوان الهمايوني».

أعلى المناصبِ، وأرضَى الذين شارَكوا في هذه الحملةِ [1]، ثمّ جاء سُلْطانُ الرومِ واستقرّ في «إسلامبول» [2] ولَم يذهبْ إلى أيِّ مكانٍ في هذا الشتاءِ.

[حَملةُ «قره بغدان»] [3]

وفي ربيعِ عام 945هـ أمرَ سُلْطانُ الربعِ المسكونِ بتجهيزِ الأسطولِ مرةً أخرى؛ لأنَّ «ونديك» [البندقية] عقدتْ معاهَدةً مع «إسبانية»، وقرَّروا أنه: «يجبُ بأيِّ طريقةٍ كانت أنْ نلحقَ الضَّررَ بسفنِ سُلْطانِ الرومِ وممالكِه». وعندما اكتملَ تجهيزُ الأسطولِ، وأمرَ سُلْطانُ البرَّينِ والبحرَينِ بأنْ: «يخرُجَ إلى البحرِ ويدفعَ الضَّررَ الذي سينتجُ مِن سفنِ هؤلاءِ الكفارِ». وأرسلَ سُلْطانُ الإسلامِ الأسْطولَ [4] وبقيَ هو بسعادةٍ في «الآستانة»، واستعدَّ الأمراءُ والقادةُ برغبةِ الجهادِ في سبيلِ الدينِ ورفعِ سُلْطانٍ وجهِ الأرضِ الأعلامَ ذاتِ الرؤوسِ الذهبيةِ، وخرجَ بسعادةٍ مِن «إسلامبول» [5] وقصدَ بالجيشِ

---

(1) في بجوى ج1 ص200: انظر: فصل بعنوان: «هزيمة قوجيان إيوان بان بالقُرْبِ مِن قلعة اوسك وغوريان».

(2) في الروزنامة: «وصل إلى» أدرنة «يوم الخميس 20 جُمادى الأولى 944 هـ. وبالنظر إلى كتاب بجوى أنه أقام فترة هناك، وخرج إلى الصيد والقنص. وبالنظر إلى كتاب الروزنامه أنه عاد إلى استانبول يوم الخميس 22 جُمادى الأخرى 18 تشرين ثاني.

(3) هذا العنوان من وضع (المترجم).

(4) ذكر بجوى ج1 ص213: «صدر الأمر إلى الأسطول الهمايوني مع ثلاثة آلاف من رماة الرصاص من الانكشارية وعلي بك أمير سنجق قوجه ايلي من الأمراء، وخرم بك أمير سنجق تكه، وعلي بك أمير سنجق صيدا، ومصطفى بك أمير سنجق علائية بعساكرهم مع قبودان البحار الغازي خير الدين باشا بثلاثمائة سفينة بالتحرك من استانبول يوم 9 صفر 945هـ. وفي صحائف الأخبار ذكر أنه 4 صفر.

(5) وبالنظر إلى كتاب بجوى وصحائف الأخبار: أنه تواجد مع السلطان في هذه الحملة ولداه الشهزادة سُلْطان «سليم» ومحمد. وجاء في الروزنامه التي حررت مِن أجْلِ هذه الحملة: أنه تمّ

الذي لا حصرَ له التوجُّهَ إلى حملةِ ولاية «قره بغدان» وعبرَ إلى «أدرنة»[1] وأرسلَ فرمانًا واجبَ الاتِّباعِ إلى صاحبِ «كراى خان» التتارِ، وأمرَه قائلًا: «لتأتِ أنتَ إلى ناحيةِ «البغدان» بقصدِ المكرِ والسلبِ والحربِ».

بعد ذلك عبرَ سُلْطانُ الإسلامِ مِن «أدرنة» إلى ناحيةِ «ينبولى» ثمّ عبرَ مِن هناك إلى جبلِ البلقانِ[2]، ووصلَ إلى ولاية «طوبروجه» وأمرَ ببناءِ جسرٍ على نهرِ «طونه» في موضعٍ يُسمَّى «اسحاقجه»[3]، ثمّ عبروا إلى ولايةِ «البغدان»[4]. ولَمْ يأتِ إليهم حاكمُ البغدانِ الذي لا دِينَ له[5]، ولَمْ تظهرْ أيُّ

التحرك من استانبول يوم الاثنين 11 صفر 945 هـ ويؤيد بجوى هذا الكلام. وذكر صحائف الأخبار أنه 15 صفر.

(1) في الروزنامه: أنه وصل «أدرنة» يوم الأربعاء 20 صفر.

(2) في الروزنامه: تحرك من «أدرنة» يوم الجمعة 29 صفر، ووصل إلى جبل البلقان يوم الأحد 8 ربيع الأول.

(3) في الروزنامه: اسحاقجي، وفي بجوى وصحائف الأخبار ايساقجي. وفي قاموس الأعلام ايساقجي أو ايساقجه: كان «داريوس» يعني «اسفنديار» من حكام «إيران» القدماء قد أسس كوبري على نهر «طونه» في هذا الموقع في حربه ضدّ «اسكيتلر» يعني التورانيين. وفي الروزنامه: تمّ بناء جسر على نهر «طونه» بالقُرْبِ مِن ميناء اسحاقجي يوم الأربعاء 25 ربيع الأول، وعبروا منه إلى البغدان. وفي بجوى 22 ربيع الأول، وصحائف الأخبار 20 ربيع الأول.

(4) ذكر بجوى في تاريخه ج1 ص207: «أرسل الجاوشية أي الرسل إلى أمراء «سلسترة» و«نيكبولي» و«ودين» حتى يقيموا جسرًا في المكان المعروف باسم «ايساقجي»... وكان أمير سنجق «سلسترة» قد أنهى أمر بناء الجِسْر، وقد تمّ بناؤه على أسُس محكمة جدًّا، حتى أنه كان لا يشبهه شيء من الجسور في ذلك الوقت.

(5) في الروزنامه: عقد الديوان يوم الأربعاء 11 ربيع الأول- استراح في موضع اب دونه- وجاء رسول حاكم «البغدان» بترى وقبّل يدَ السُّلْطان، وكان «سنان باشا» هو الدليل والرسول الذي نقل رسول البغدان إلى «الأستانة». وفي هذا اليوم تمّ إرساله مع الدليل. ويوم السبت 21 منه جاء «سنان جلبي» الذي أرسل مِن أجْلِ دعوة «قره بغدان» للمجيء من «قصبة باباه- صاروصالتق بابا المدفون هناك وبه استراحة- وورد الخبر بأنّ الكافر المذكور لَم يأتِ. وفي بجوى: «ذكر أنه

علامةٍ له ولا أثرٌ، وإذ لَم يجدوه وصلَ سُلْطانُ الإسلام السّلطان «سُليمان» إلى قلعةِ «سجو»، وأمرَ ألّا يتعرّضَ أحدٌ للقلعةِ أو للرّعايا والأهالي، وأعطى الأمانَ لهم، بل وعيّنَ حاكمًا عليهم[1]. ووجدَ خزينةً وافرةً في قلعةِ «سجو»؛ فأخذَها وضبطَها. وكان قد وصلَ إليه خان «التتار»، فقامَ بوافرِ الإنعامِ والإحسانِ إليه. وأذِنَ له في الذهابِ إلى مملكتِه[2].

منزل سُلْطان جايرى– في الروزنامه نزل السّلطان يوم الاثنين 9 ربيع الأول بالقُرْبِ مِن قرية تسمّى «سُلْطان لر» في «حاقة كول»– وعندما وصل– استصحب بعض الهدايا للمترجم الذي كان يسمَّى «قبوجه باشيسى لبتره ويووده». في تاريخ دولت عثمانية اسمه بتروورارش حاكم البغدان– وتمّ طلب استدعاء العفو من طرف المشار إليه، ورافقه «سنان چلبى» امين كفه مع مسئولين الإسعاف: «يجبُ تعيين رجُلٍ بصير بأمور وأحوال تلك الديار». والتقى «سنان چلبى» بالحاكم «بترى ويووده» في مدينة «ياش بازارى»، وبعد ذلك، ذكر أن «بترو» تحصن في «جنكلستان»– وهي قصبة تسمَّى «فوقشان» تعدّ نصفها في «الافلاق» ونصفها في «البغدان» وتجري في عمق نهر «ميلغور».

(1) في الروزنامه: «بعدَ أنْ ذكر سجاو تحت قره بغدان ذكر أن: تاريخ الوصول كان يوم الأحد 21 ربيع الآخر 15 أيلول 945 هـ. وفي بجوى ذكر: «سنجاو التي هي دار الملك للولاية المزبورة. وفي صحائف الأخبار: «تفضّل بالنزول إلى جانب مدينة بغدان التي هي بمثابة كرسي تلك الولاية يوم 27 ربيع الآخر. وذكر بجوى عن الشخص الذي عيّن إلى يووده– تاريخ تعيينه في الروزنامه 27 ربيع الآخر و21 أيلول 945هـ يوم السبت ولَم يذكر اسمه– ذكر بجوى أنه استفان ويووده اوغلى جتنه، ويؤيّد ذلك ما جاء في صحائف الأخبار. وفي تاريخ دولت عثمانية: «فرّ خوفًا من بترو، وتمّ تعيين أخيه استفان ويووده من طرف جناب السّلطان كملازمين إلى مسنده. وفي بجوى: «ولبس الوالي العمامة الحمراء والعمامة الذهبية والخلع الخسروانية على عادة العثمانيّين القديمة، ثم وصل الوالي إلى مدينة سنجاو التي كانت عاصمة بغدان، حيث استقبل بالطبل والنقارة والأعلام والسناجق على عادتهم القديمة، وقد دخلت في هذا اليوم ولاية بغدان تحت حكم الممالك العثمانية.

(2) في الروزنامه: وصل صاحب كراى إلى المعسكر الهمايوني يوم الاثنين 15 ربيع الآخر، وكان قد جاء هذا اليوم الاستقبال خان التتار في موضع ياش بازارى. وفي صحائف الأخبار: «أنه نزل بالقُرْبِ مِن موضع يسمَّى يوروده– ويوده– وقد لحق خان القرم صاحب كراى يقتص

وبعد ذلك، لَمْ يسترِحْ سُلْطانُ الإسلام، وعبرَ مِن «سجو»، وقطعَ المنازِلَ، وطوى المسافاتِ حتى جاء إلى «طونه» مرةً أخرى، وعبرَ مِن «طونه»، وأُقيمتْ الخيمةُ السُّلْطانيةُ والمقرُّ السُّلْطانيُّ له[1]، ودقَّتْ الطبولُ والمعازفُ مِن أجْلِ البشارةِ والفتحِ ظاهرِ الآثارِ، وكُتبتْ رسائلُ البشرى، وبعدَ أنْ تمَّ إرسالُها إلى أطرافِ العالَمِ[2]، ووُزِّعتْ الخلعُ والعطايا والخيولُ العربيةُ الأصيلةُ على الوزراءِ والأمراءِ، تمَّ تسريحُ عساكرِ الرومِ ايلي والأناضولِ.

وبعدَ ذلك، عبرَ سُلْطانُ الإسلامِ مِن هذا المكانِ، وعندما وصلَ إلى «دوبورجه» [3] جاءه الخبرُ مِن القُبْطانِ والرئيسِ الذي كان على الأسطولِ بأنه: «قد خرجَ الأسطولُ الهمايونيُّ بأمرِ السلطانِ- حامي العالَمِ- إلى البحرِ، ووصلَ إلى سواحلِ «آغربوز»، ثمّ إلى مورة، ثمّ إلى «اينه بختى»، ثمّ إلى «قارلى ايلى»، ومِن هناك عندما وصلَ إلى موضعٍ يُسمّى «بروزه» الذي كان متعلّقًا بسنجق «يانته». وبينما كان [الأسطولُ الهمايوني] يتجسَّسُ على أسطولِ الكفارِ مِن الجوانبِ الأربعةِ، ذاتَ يومٍ في الصباحِ وقبلَ غروبِ الشمسِ

العدو بخمسة آلاف من التتار. وبخصوص المرحلة المذكورة. وبالنظر إلى كتاب الروزنامه أنه وصل إليها يوم السبت 13 ربيع الآخر. وتوجد تفصيلات عن هذا الباب في تاريخ بجوى ج1 ص209. وبالنظر إلى كتاب الروزنامه أنه أقام 6 أيام في سجاو. وبالنظر إلى كتاب افادة بجوى وصحائف الأخبار أنه عاد في ظرف أيام هذه المدة. وله ترجمة في كلبن خانان المطبوع ص14.

(1) وبالنظر إلى كتاب الروزنامه أنه تحرك يوم الأحد 28 ربيع الآخر 945 هـ ويؤيد ذلك بجوى.

(2) في المتن ص236 جاءت الكلمة في صُورة بحرى. بهر: نظرًا لترجمة القاموس بمعنى واضح ولامع جدًا.

(3) عندما وصل إلى طوبوروجه- دوبريجه- جاء في بجوى: «جاء إلى الجسر الهمايوني الواقع بالقُرْب مِن ايساقجى، وترقبوا في ذلك المكان الرسل القادمة من الأسطول الهمايوني ومن سائر الممالك ومن السُّلْطان، وأخبروا بأخبار سارّة جدًا.

جاءت سفنٌ مِن البحرِ مِن جانبِ «كورفوز» مليئةٌ بالأشرعةِ، وتركوا سفنَهم أمامَنا في مكانٍ واسعٍ في البحرِ بالقُرْبِ مِن «بروزه». وبعد فترةٍ مِن الزمنِ هبّتْ ريحٌ معاكِسةٌ وأخذتْ سفنَهم، وحرّكتها إلى قلعةِ «آياموره» التابعةِ لسنجق «قارلى ايلى». ولَم يتمكّنوا مِن أخذِ المدافعِ التي كانت موجودةً معهم، فتركوها في أماكنِها. وقامَ هؤلاء الخدمُ بالذهابِ خلفَهم بأسطولِ السّلطان -حامي العالَم-، ولحِقوا بهم وواجهوهم في حربٍ ضروسٍ لفترةٍ طويلةٍ، واستولى الغُزاة على مُعظَمِ سفنِهم، وأغرَقوا بعضَها وغنِموا بعضَها الآخَرَ. وبعد مرورِ فترةٍ مِن الزّمنِ هبّتْ ريحٌ أخرى وحرّكتْ سفنَ الكفارِ، وذهبوا بها مع الجماعةِ والجمهورِ إلى جانبِ «كورفوز». ولكنْ بسببِ الهواءِ المعاكِسِ عادَ الأسطولُ الهمايونيُّ وجاء إلى ميناءِ «بروزه»، ووصلت سفنُ الكفارِ إلى «كورفوز»، وخرجوا بالسفنِ مِن «كورفوز»، ووصلوا إلى قلعةٍ تُسمَّى «نوه» في سنجق «هرسك»، واستولَوا عليها»[1].

فتكدَّرَ صفوُ السّلطانِ عند سماعِ تلك الأخبارِ، ولكنْ بسببِ عدمِ وجودِ الوقتِ المناسبِ قضى موسمَ الشتاءِ في «أدرنة» وأمرَ الأسطولَ قائلًا: «ليرجعَ إلى «إسلامبول» ولتُسرحْ كلُّ الجنودِ»، وفي هذا العام مُنحتْ إمارةُ أمراءِ مِصْرَ لـ «داود باشا»؛ وكان «سُليمان باشا» الموجودُ في مِصْرَ قد ذهبَ مِن قبلُ بالأسطولِ إلى حملةِ هندستان مِن أجْلِ مساعدةِ «بهادر خان»[2].

وفي هذا العامِ صدرَ الأمرُ بتوجُّهِ كثيرٍ مِن الجُندِ مع سبعين سفينةً مِن

---

(1) توجد تفصيلات عند بجوى ج1 ص213 عن هذا الباب، ولَم يذكر اسم لُطْفي باشا من بين هذه التفصيلات.

(2) انظر: المتن ص357.

«السُّوَيْس»[1] إلى «طُور»، ومِن «طُور» إلى «جدَّة»، ومِن «جدَّة» إلى «جيزان»، ومِن «جيزان» إلى ميناءِ «بيل»، ثمّ إلى مدينةِ «عَدَن»، ومِن مدينةِ «عَدَن» يتمُّ التحرُّكُ بالسفنِ إلى موضعٍ يُسمَّى «ديو». واستمرَّتْ السفنُ هكذا لمُدَّةِ ثمانيةَ عشرَ يومًا وثماني عشرةَ ليلةً لَمْ ترَ فيها البرَّ. وبعد ذلك، وصلوا إلى «ديو»[2]، وكانت توجدُ بالقُرْبِ مِن «ديو» قلعةٌ تحتَ حُكمِ الكفارِ وسيطرتِهم؛ فقاموا بالهجومِ والاستيلاءِ عليها. وبعد ذلك، أقاموا المدافعَ والمتاريسَ بالقُرْبِ مِن قلعةِ «ديو»، وبدأوا في ضربِ القلعةِ، وبسببِ وفاةِ «بهادر خان»[3] لَمْ يأتِ هنودُ ذلك المكانِ لمساعدتِهم، واستمرَّ الغُزاةُ فترةً في ضربِ القلعةِ، ولكنْ بدونِ جَدْوى، وبسببِ ضيقِ الوقتِ جاءوا إلى مدينةِ «عَدَن» وعبروا مِن هناك إلى ميناءِ «زيد»، وخرجَ «سُليمان باشا» إلى البرِّ، ووصلَ بالجنودِ والأسطولِ الهمايوني إلى السويس[4].

(1) في (معجم البلدان) جاءت في صُورة «سويس»، وتظرى إلى بجوى أن: الباشا تحرك بثمانين سفينة من السويس يوم 15 محرم 945هـ.

(2) ديو: هي جزيرة صغيرة في الطرف الشرقي من برون التي تقع أمام شبه جزيرة كيتوار المربوطة بخطة كجرات، وأطلق هذا الاسم على قصبة برسه التي أسست من طرف البرتغال عام 1555 م في غرب الساحل. وبالنظر إلى كتاب بجوى بعد أن: أقام 10 أيام في ميناء طور وأسبوع في جده وبضعة أيام في كمراه- قمران- وصل عدن في أواخر صفر، ونزل بالقُرْبِ مِن ميناء ديو في غرة ربيع الأول.

(3) توجد تفصيلات عن بهادر خان في كنه الأخبار المطبوع ركن 3 ج3 ص45، وفي الجزء غير المطبوع في الأثر الذي يسمّى حلّ وعقد في مبحث ملوك كجرات، وفي صحائف الأخبار ج3 ص133 و83.

(4) ذكر بجوى أن: وصل سُليمان باشا بالأسطول يوم 22 شوّال سنة 945 هـ إلى جده وعزم الذهاب إلى مكة المكرمة مِن أجْلِ تأدية فريضة الحج وأرسل الأسطول إلى السويس. وتوجد تفصيلات عن هذا الباب في بجوى ج1 ص219. وانظر تحفة الكبار في أسرار البحار طبعة المطبعة البحرية 1329 هـ ص57 في بحث بعنوان «حملة سُليمان باشا أمير أمراء مِصْرَ إلى جانب

[فتح قلعة «نوه»] [1]

وعندما حلَّ فصلُ الربيع أمرَ سُلْطانُ البرَّين والبحرَين أنْ ينضمَّ إلى الأسطولِ الهمايونيِّ أربعةُ آلافٍ مِن الإنكشاريةِ وأمراءُ «خمسة سناجق» مع سباهيتهم، بخلافِ جُنْدِ الـ «كوركجيلر» [البحارة] والـ «عزب»، وأمرَ أنْ يركبوا السفنَ، ويذهبوا إلى قلعةِ «نوه» [2]، وبخلافِ هؤلاء قامَ «اولامه بك» مع أميرِ «الخمسة سناجق» وجيشِه بالهجومِ على قلعةِ نوه مِن البرِّ، والسفنُ هاجمتْها مِن البحرِ.

وحاصرَ الغُزاةُ القلعةَ المذكورةَ في غرةِ ربيعِ الأولِ سنة 946هـ [3]، وتمَّ نقلُ المدافعِ مِن البرِّ والبحرِ إلى القلعةِ، وضُرِبتْ القلعةُ بالمدافعِ، حتى اليومِ الثاني والعشرين مِن الشهرِ المذكورِ، وبعدَ أنْ سقطتْ أسوارُ القلعةِ على الأرضِ ساروا على أقدامِهم، وفتحوا القلعةَ [4]، وقتلوا بضعةَ آلافٍ مِن الكفارِ بالسَّيفِ. وطُهِّرتْ قلعةُ «نوه» مِن هؤلاء الكفارِ الأنجاسِ، وبهذا

الهند، وفي أثر أسفار بحرية عثمانية المطبوع ج1 ص 416.

(1) هذا العنوان من وضع (المترجم).

(2) انظر: المتن ص 368.

(3) الموافق 16 يوليو 1539م.

(4) تشتمل قلعة قاستل نووا- التي تعني القلعة الجديدة- على عدد من القلاع الجسيمة والمحكمة، تحكم مدخل مضيق قتارو كورفز. وبالنظر إلى كتاب بچوى وتحفة الكبار أنَّ عزم خسرو باشا أمير أمراء الروم ايلي في صوفيه في فصل الربيع الذهاب برًا، وعزم القبودان خير الدين باشا الذهاب بحرًا بمائة وخمسون سفينة وحاصروا القلعة بـ 37 مدفعًا في 8 ربيع الآخر 946 هـ، وضربوا على القلعة ثمانية آلاف ومائتين دانة، وخربت أسوارها في اليوم الثاني والعشرين من الحصار، واستولوا على قلعة من القلعتين الكبار، وفرّ المحاصرون إلى القلعة الثانية، وطلبوا الأمان، وتمَّ فتح القلعة، وبعد تعميرها تمَّ وضع 26 مدفعًا بداخلها، ثمَّ عادوا من هناك. وتاريخ فتحها كان 9 ربيع الآخر 946 هـ. وتوجد تفصيلات ج1 ص217.

الأسلوبِ دخلَ المسلمون القلعةَ وأقاموا بها، وتمَّ ضبطُ القلعةِ.

وفي هذا العامِ، وفي وقتِ صلاةِ المغربِ في اليومِ السابعَ عشرَ مِن شهرِ صفرٍ[1] اندلعَ حريقٌ في بابِ ميناء «يمش اسكله سى» في «إسلامبول»، ثمّ انتقلَ الحريقُ إلى السجنِ، ومِن سجنٍ إلى سجنٍ، ثمّ أحرقَ كلَّ الموجودين بداخلِ السجنِ، ثمّ انتقلَ إلى أسفلِ القلعةِ، والحاصلُ أنه تسبّبَ في خسائرَ كثيرةٍ، وانتشرَ الطاعونُ أيضًا في «إسلامبول»، في التاريخِ المذكورِ، وأصابَ الطاعونُ «آياس باشا». وتُوفِّي المذكورُ مِن مرضِ الطاعونِ في 26 مِن الشهرِ المذكورِ، وأصبحَ هذا الفقيرُ [يقصدُ لُطفي باشا] وزيرًا أعظمَ مكانَه[2].

وفي اليومِ الخامسَ عشرَ مِن شهرِ جُمادى الأولى مِن السنةِ المذكورةِ[3] خرجَ سُلْطانُ العالَمِ للصَّيدِ والقنصِ في جبالِ «يلاق»،[4] ووصلَ إلى «حُسين يايلاغى» [يايلاق حُسين: مرعى حُسين] وعبرَ مِن هناك إلى «بروسه». وامتطى أهالي «بروسه» الخيولَ بكثرةٍ عندما خرجوا لاستقبالِ السُّلْطانِ، ولَم يُبدِ السّلطان إعجابَه بهذا الصنيعِ، وأمرَ قائلًا: «مِن الآنَ فصاعدًا لا يركبُ الخيلَ مِن أهالي المدينةِ سوى طائفةِ الـ «سباهيلر». وأقامَ ثمانيةَ أيامٍ في «بروسه»، ثمّ خرجَ مِن «بروسه» وسارَ مِن منزلٍ لآخَرَ، يقومُ بالصيدِ،

(1) الموافق 3 يوليو1539م.

(2) لَم يذكر بجوى ج1 ص20 تاريخ وفاة إياس باشا، ولَم يذكر أيضًا وقائع تبدل الصدارة. وأيضًا نفس ما جاء في صحائف الأخبار ج3 ص518 أنه تُوفِّي في ذي الحجة 944 هـ.

(3) الموافق 27 سبتمبر 1539م.

(4) في قاموس الأعلام: يايلاق: آباد: هو اسم قديم لحمامات يالوه ويالوه. وهو موجود في أسفل شمال جبل بوز برون. وفي لهجه عثماني: ياق لاوه، يالاق اباد: يالوه. وانظر تاريخ عاشق باشا زاده المطبوع ص38 و39 وسياحتنامه اوليا چلبى المطبوع ج2 ص66، وذكر اوليا چلبى أنها قره يالوا.

وقضى المشتى هناك، حتى وصلَ إلى «چارداق» أمامَ «كليبولي». وعندما خرجَ مِن «چارداق» ووصلَ عند قِلاعِ البوغاز «بوغاز حصارلر» ركبَ سفينةً، وبينما كان يسيرُ ويتجوَّلُ ويُلقي نظرةً على القِلاعِ وعلى مدافعِها قال: «ينبغي أنْ نبنيَ لهؤلاء قِلاعًا مِثلَ ما بناها الفرنجُ لذلك». ثمّ خرجَ مِن هناك إلى «كليبولي»، وخرجَ مِن «كليبولي» بالصيدِ والقنصِ إلى «إسلامبول». وفي أولِ رجب استقرَّ السّلطان بسعادةٍ وإقبالٍ في «إسلامبول». [1] وأقيمتُ الاحتفالاتُ العاليةُ لختانِ ابنَيه السّلطان «بايَزِيد» والسُّلْطانِ «جهانكير»[2].

[ظُلمُ {وطُغيانُ} ناقِلي الرسائلِ][3]

وفي هذا العامِ مِن عصرِ السّلطان «سُليمان» سُلْطانِ الإسلام- ظِلِّ اللهِ في الأرضِ- ظَهرَ منذ ذلك الوقتِ ما يُعرَفُ بـ «ظُلم {وطُغيان} ناقلي الرسائلِ»، الذي قد خرجَ مِن أثرِ ظلمِ التتارِ وقسوتِهم [أتباع جنكيز خان]، الذين تغلَّبوا على ولايةِ أهلِ الإسلام واستولَوا على بلادِ ما وراءَ النهرِ في البدايةِ، ثمّ «خُراسان» و«العِراقَين» و«آذربايجان» وولايةِ الروم. ومنذ ذلك الوقتِ بقِيَ أثرُ المَغُولِ على ظلمِ {وطُغْيان} ناقِلي الرسائلِ في ولايةِ الرومِ[4].

---

(1) لَم يذكر بجوى وصحائف الأخبار شيئًا عن هذه الرحلة الهمايونية.

(2) ذكر بجوى ج1 ص218 تفصيلات عن هذا الحفل، وقال إنّ تاريخ الاحتفال كان يوم 15 رجب سنة 946هـ وفي صحائف الأخبار قال: «في السنة المذكورة 946هـ تمّ ترتيب حفل الختان لمُدّة شهر، وتمّ ختان الشهزادة السّلطان بايزيد».

(3) هذا العنوان من وضع (المترجم).

(4) ذكر المؤلف في الكتاب لفظة: أثر قالميوب بمعنى لَم يبق أثرًا، ولكنّ الصحيح ما ذكرناه. (المترجم)

وجاء في تواريخ الطَّبَريِّ [1] أنه عندما جلسَ «عُمرُ بنُ الخطاب»- رضي الله عنه- على كرسيِّ الخلافةِ، وكثُرتْ الممالكُ، كان ينبغي إرسالُ الرسائلِ والأخبارِ إلى أطرافِ الممالكِ، وعندما كان ينبغي أنْ يرسلَ رسولًا إلى كلِّ إقليمٍ [كان الرسول] يأخذُ معه أشياءه ومتاعَه إلى المكانِ الذي سيذهبُ إليه، ومِن أجْلِ الذهابِ كانوا يعطُونه مِن بيتِ المالِ الجمالَ الأصيلةَ، ويكتبُ رسالة [2] إلى قائدِ جيشٍ ووالي [3] ذلك المكانِ يقولُ فيها: «سيصلُ هؤلاء الأشخاصُ [ناقلو الرسائلِ] إليكم، وعندما ينقلونَ لكم الأخبارَ، إنْ أرادوا الرجوعَ مرةً ثانيةً إلى هذا المكانِ أعطُوهم مِن جمالِ بيتِ المالِ الموجودةِ تحت أيديكم، وخُذوا الجمالَ الموجودةَ معهم، وضعوها في بيتِ المالِ، أمّا إذا أرادوا البقاءَ بعد إبلاغِكم الخبرَ، فليأخُذْ العاملون هذه الدوابَّ ويضعوها في بيتِ المالِ».

(1) ولد في مدينة آمل في طبرستان 224هـ وتُوفِّي في بغداد سنة 310هـ. وهو أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، وبدأ كتابه المسمّى بـ (تاريخ الأمم والملوك)- نظرًا لما ذكره كاتب چلبي- من بدء الخليقة وحتى عام 309هـ- نظرًا لإفادته- وهو مكوّن من 3000 ورقة، وبعد المقابلة وإضافة فهرس منتظم له، وطبع نسخ متعددة منه أطلق عليه اسم (تاريخ الرسل والملوك)، وطبع في ليدن. وله مختصر مشهور ومتداول. وقامَ منصور بن نوح الساماني- وهو منصور الأول بن نوح حكمه من 350 إلى 360هـ، ثمّ منصور الثاني بن نوح حكمه من 387 إلى 389- بترجمة الكتاب بشكل مختصر من طرف أبي علي محمد البلعمي من وزراء السامانية إلى الفارسية، وفي النهاية ترجم من طرف شخص آخر إلى التركية. وقامَ أبو الحسن محمد بن عبد الملك بن إبراهيم بن أحمد الهمداني المتوفى سنةِ 521 بعمل ذيل له مثلما يوجد ذيل له باسْم «صلة» لـ أبي محمد عبد الله بن محمد الفرغاني. وبناءً على أهميته تمَّ ترجمة المتن العربي إلى الفرنسيَّة من طرف شخص يسمَّى «دوبو» سنة 1252-1836م. انظر ترجمته التركية المطبعة العامرة 1307 ج3 ص142 و227.

(2) في لغة جغتاي وتركي عثماني: بيتيك: كتابة ومكتوب أو رقعة ورسالة. في قاموس تركي محررات ومكتوب ورسالة. في تبيان نافع: بتك: بكسر التاء بمعنى رسالة وخطاب، وهكذا معناها في التركية.

(3) في قاموس تركي: عامل: يعني مأمور في الادارة في زمن العرب، والي أو متصرف.

وأجرى العبّاسيّون أيضًا هذه القاعدةَ، وكانت عادتُهم أنَّ في كلِّ منزلٍ على الطريقِ يوجَدُ بغالُ البريدِ تُربَّى هناك، مثلًا عندما يأتي الأمراءُ بالرّسائلِ مِن «بغداد» إلى «خُراسان»، ومِن «بغداد» إلى «الشام» و«مصر» وما يشبهُ ذلك مِن الأماكنِ، فإنهم يركبون تلك البِغالَ، وعندما يصلون إلى مكانٍ ما يتركون هذه البِغالَ ويركبون بِغالًا أخرى. وكانوا على هذه الطريقةِ في كلِّ أعمالِهم إلى غيرِ نهايةٍ. ومِن أجْلِ ذلك كانت تُربَّى كثيرٌ مِن البِغالِ والجِمالِ في المنازلِ والمراحلِ ويعطون العلوفةَ لها والراتبَ للعاملين على ذلك مِن بيتِ المالِ.

وبعد العبّاسيّين، تمّ إلغاءُ البِغالِ، وكانوا يرسِلون السّعاةَ المُشاةَ (4). وعندما ظهرَ المَغُولُ كانوا يأخُذون خيولَ الأهالي بالضربِ والقهرِ، ويُطلقون على هذا اسمَ «اولاق»(5). واتّبعَ العثمانيون المَغُولَ في ظلمٍ {وطُغْيان} ناقلي

(4) وبالنظر إلى كتاب لهجه عثماني: بيك: ساعى أو شاطر أو قوشيجي. وفي قاموس تركي: من ينقل الأخبار والرسائل أو شاطر. وفي لهجه عثماني: الذي يجري بجانب الحصان. وقاموس تركي: هو الأغا الموظف في ذلك الوقت، والذي يذهب بجانب الحصان، وهو من الأشخاص الكبار. وفي نعيما: وزير شاطري أمثال اسقرلاط بوش: نابي: ذهب الرسول لفترة من الزمان وتأمل أن يحمل الخبر إن شاء الله. ثابت: لم يصل إلى المنزل الخيارة، ويركب الحصان الشاطر بقدمه. وفي فرهنك ناصري: بيك: تطلق على الرسول والسفير والساعي، ولا توجد هذه الكلمة في تبيان نافع.

(5) في لغة جغتاي وتركي عثماني: اولاغ واولاق: هو من ينقل الأخبار. يام: منزل باركيري. يامجى: تعني تاتار وقاصد وبوستجى وساعى ورسول ومخبر وحامل البشرى. وفي لهجه عثماني: اولاق: ساعى، بريد، رسول، بوستجى. يام: يامجى سائق الحصان أو البغال. في التركى: يام: منزل باركيرى. يامجيك: بوسته أو بريد. حصان البريد. في قاموس تركى: اولاق: ساعى وتاتار وبريد وبوستجى. يامجى: تعني في التركية القديمة منزل يام. سوريجى صاحب المنزل قائد الحصان. في تبيان نافع: يام: تطلق على الحصان، والذي يتمُّ تربيته في منزلخانه ويأتي بسرعة مِن أجْلِ أن يركبه السعاة. في لهجة اللغات: ذكر أن: اولاق يقابلها في الفارسية شا كرياه وياميك. في قاموس تركي: تاتار: هو الساعي سريع الحركة الذي ينقل الأخبار. وكان مشهورًا في ذلك الوقت بسرعة الحركة. وتمّ تخصيص هذا المعنى إلى أفراد التاتار. ساعى: في اللغة هو سايى. وتطلق على

الرّسائلِ، وقامَ العثمانيّون أيضًا بالمشاركةِ في هذا الظلم[1]، ولكنَّ هذا لَم يكُنْ مقبولًا. وكان ذهابُ أحدِ ناقلي الرسائلِ قبلَ ذلك له جزءٌ مِن السّلْطَنةِ في جانبِ العثمانيّين يعني إذا كانت هناك أيُّ أعمالٍ متعلّقةٍ بالسّلاطينِ كلّيةٍ أو جُزئيةٍ؛ وإذا كانت أيُّ مصلحةٍ واحدةٍ في اليومِ كانوا يُعطون الأحكامَ والأوامرَ بإرسالِها مع ناقلي الرسائلِ. وإذا ذهبَ هؤلاء السُّعاةُ بالأوامرِ، وظهرتْ مصلحةٌ جديدةٌ، فإنهم يعطُونها إلى ساعٍ آخَرَ. وإذا هناك أيُّ مصلحةٍ أخرى يصدِرون له أمرًا آخَرَ وساعيًا آخَرَ، وهكذا. والحاصلُ أنه إذا كانت هناك عِدّةُ أعمالٍ ومصالحُ في اليومِ الواحدِ كانوا يعطُون الأوامرَ ويرسِلون السّعاةَ مِن أجْلِ كلِّ مصلحةٍ. وفي كلِّ يومٍ كانوا يرسِلون كثيرًا مِن السّعاةِ بالأوامرِ، وكانوا يفعلون ذلك على الدوامِ.

[جهودُ لُطفي باشا للقضاءِ على ظلمِ ناقلي الرّسائلِ][2]

في بدايةِ ظهورِ العثمانيّين[3]، حتى عام 946 مِن هجرةِ النبيِّ- عليه الصّلاةُ والسلامُ- وقعَ طاعونٌ كبيرٌ في «إسلامبول»، وتُوفّي على إثرِه الوزيرُ الأعظمُ «آياس باشا». ووكلَ السّلطانُ-حامي العالَمِ- السّلطان سُليمان

الماشي أو اولاق الذي يحمل رسالة أو مكتوبًا من مكان وينقلها إلى مكان آخر. وذكر ناجي: الذي يثبت الصيام يخفي حجّته، ويفتح الرسالة السعاة في الطريق. وذكر زكائي: أطلق دشت وهامون في طريقهم الفراغ، وجاء السعاة ببشرة النصر. ومن الأمثال العثمانية: ذهب الساعي إلى بغداد، وإن كان لا بدّ من رسول لبغداد فأكون أنا.

(1) يوجد نقص في الكتاب هنا.

(2) هذا العنوان من وضع (المترجم).

(3) يوجد نقص في الكتاب هنا.

الوزارةَ العُظمى في هذا التاريخ إلى المؤلِّف [لُطْفي باشا] (1) ومؤلِّفُ الكتاب [لُطْفي باشا] قد قضى وقتًا طويلًا في الولاياتِ؛ يعني في السناجق، وفي إمارةِ الأمراءِ، واطَّلعَ بنفسِه على أنواعِ الظلمِ مِن قِبَلِ العثمانيّين، وأحوالِهم المختلفةِ. نعم كان ظلمُ {وطُغيان} ناقِلي الرسائلِ كبيرًا، وأكبرَ مِن أيِّ ظلمٍ آخَرَ، وبناءً عليه فقدْ أقدمَ هذا الحقيرُ «لُطْفي باشا» بناءً على أمرِ السّلطانِ إقدامًا كليًّا في تخليصِ المساكينِ والرعايا وسائرِ المسلمينَ مِن هذا الوبالِ ومِن هذا الظلمِ على وجهِ الأرضِ، وقد أمرَ سُلْطانُ الإسلام أكثرَ مِن مرةٍ بفعلِ ذلك، وكان هدفُه القضاءَ على ظلمِ {وطُغْيان} ناقِلي الرسائلِ. نعم، لَمْ يساعدْه الوزراءُ العِظامُ في هذا الأمرِ. وبعونِ الله تعالى وعنايتِه قد ذهبَ هذا الذّنبُ العظيمُ عن ذاتِ السّلْطانِ- حامي العالَمِ- الشريفةِ وعن نفسِه النفيسةِ، ويسعدُ أرواحَ أجدادِه وآبائه السعيدةَ، ويجعلُ اسمَه الشريفَ يُكتبُ بقلمٍ مِن فضةٍ على ورقٍ مِن ذهبٍ في سطحِ صحيفةِ العالَمِ، ويكونُ سببًا في ذِكرِه بالخيرِ إلى يومِ القيامةِ. وقد قال الشاعرُ في ذلك:

شِعْر

قــام بـعـمـلٍ أحـيـى بـه رُوحَـه
وأحـيـى بـه وجـعَ الـقـلـوبِ وألَمَـها

لـذلـك كُـتـب اسـمُـه بـقـلـمٍ مِـن فضةٍ
عـلى ورقٍ مِـن الـذهـبِ

وهـو أولُ سُـلْـطـانٍ يُـصـدِرُ حُـكـمًا
للقضاءِ على هـذا الظلمِ مِن الوجودِ

(1) راجع متن الكتاب ص370.

اللـهُـمَّ اجـعـلْ سُـلْـطـانَـنـا سُـلـيـمانَ خان
مِــــن أفـــضـــلِ الــــســـلاطـــيـنِ
قـــائـــدَ الــــــــدُوَلِ الـــسـبـعِ
الــوحـيــدَ بــنَ الـسـلـطـان سليم
ونتمنَّى عندما يجلسُ على عـرشِ الـعـالَمِ
يُـصـدِرُ السّلطان الأعـظـمُ الأوامـرَ
يـــسرَّ اللهُ مُـــــــرادَه دائـــمًا
ونـــصَرَه اللهُ عـــلى أعـــدائـــه أبــدًا
ولا يـذهـبُ ظِـلُّـه مِـن ظـهـرِ الأرضِ
ولا مـرتـبـتُـه الـعـالـيـةُ مِـن الأفـلاكِ

نثر: ولَم يستطِعْ والدُ السّلطان «سليم» ولا أجدادُه القضاءَ على ظلم {وطُغْيان} ناقِلي الرّسائلِ هذا، ورحلوا بحسرتِهم مِن الدنيا. وقال مؤلِّفُ هذا الكتاب: لقد سمعتُ أكثرَ من مرةٍ مِن السّلطان سليم- رحمه الله- بعدَ أنْ تأوَّهَ وتنهَّدَ يقولُ: «ظلمُ {وطُغْيان} ناقِلي الرّسائلِ هذا يزعِجُنا في الدنيا والآخرةِ، ولقد فرَّطْنا في حقِّ الله كثيرًا في هذا الخُصوصِ»، وبسببِ أنه لَمْ يجِدْ معاونًا له في هذا الأمرِ. ووصلَ السّلطان «سليم» إلى حاكمِ العجمِ ابنِ حيدر الشّاه «إسماعيل»، وسارَ على جيشِه المكوَّنِ مِن الآلافِ مِن الملاحدةِ، وهزَمَهم في «جلدران» [جالدران]، وأخذَ مالَه ومتاعَه، وضبطَ مُعظَمَ بلادِه ودولتِه، وبعد ذلك، هزمَ جيشَ سُلْطانِ مِصْرَ الكبيرَ أيضًا، والذي كان مُعظَمُ فُرْسانِه[1] مِن الجراكسةِ، ولدى كلِّ واحدٍ مِنهم طمعٌ ورغبةٌ في

(1) جنديين: نظرًا للقاموس التركي كانت تطلق في ذلك الوقت على الفُرْسان في مِصْرَ. وهُم الجند

السَّلطةِ والحُكم. فقتلَ مُعظَمَهم واستطاعَ أنْ يستوليَ على ولايةِ مِصْرَ والشامِ وحلبَ حتى وصلَ إلى أقصى الهندِ.

نعم، لَم يستطعْ- بالرغمِ مِن كلِّ ذلك- أنْ يقضيَ على ظلم {وطُغْيان} ناقِلي الرسائلِ هذا، وقال مؤلِّفُ هذه التواريخ [يقصدُ لُطْفي باشا]: «عندما قرَّرتُ القضاءَ على ظلم {وطُغْيان} ناقلي الرّسائل في ذلك الوقتِ، قمتُ بجمعِ بعضِ سُفراءِ الكفّارِ الموجودين في دارِ السَّلْطَنةِ القُسْطَنْطينيةِ، وكان أحدُهم مِن «فرنكستان»، والآخَرُ مِن «إسبانية» والآخَرُ سفيرَ «فرندنانوش ملك بج»، وأحدُهم سفيرَ «له»/ «لهستان»، والآخَرُ سفيرَ مسقو «موسقوو»، والآخَرُ كان سفيرَ «يانوش» ملك «بوديم»، وأحدُهم مِن «البغدان»، وعندما سألتُ كلَّ واحدٍ مِن هؤلاء جميعًا، وقلتُ لهم بهذه الطريقةِ: «هل يوجَدُ في ولاياتِكم ظلمُ {وطُغْيان} ناقِلي الرّسائلِ؟»».

فقال جميعُهم: «حاشا لله، عافى اللهُ سلاطينَنا وبلادَنا وولاياتِنا مِن هذا الظلمِ كُلِّه، فلا يوجد أصلًا هذا الظلم في بلادنا وولاياتنا». وهذا يعني أنهم راضُون بكفرِهم وغيرُ راضِين عن ظلم {وطُغْيان} ناقِلي الرّسائلِ. نعم، بالله العظيمِ الكفارُ راضُون عن كفرِهم وغيرُ راضِين عن ظلم {وطُغْيان} ناقِلي الرّسائلِ، وتجنَّبوا حتى قولَ ذلك عليهم. وكان الحقُّ معهم فعلًا. وهؤلاءِ الكفارُ لا يعرفون ما هو الحلالُ، وما هو الحرامُ، والمسلمون يعرفون الحلالَ والحرامَ، ومع ذلك يرتكبون هذا الظُّلمَ ويعرفون- أيضًا- أنَّ اللهَ تعالى قد حرَّمَ أرزاقَ بني آدمَ وأعراضَهم ودماءَهم، فيقومُ هؤلاء [ناقلو الرّسائل]، وبغيرِ حقٍّ بهتكِ عِرضِ ذلك الشخصِ وأخذِ مالِه.

الذين يعرفون فنون الفروسية جيدًا.

والعجيبُ ما قاله القدماءُ أنهم بهذا يُلْقُون بأنفسِهم إلى جهنَّم على بصيرةٍ. وعلى الخُصوصِ إذا كانت وظيفةُ ناقلي الرسائلِ غيرَ موجودةٍ، فإنَّ ذلك يؤثِّرُ على مصالحِ الدولةِ، وكانت كلَّما زادتْ ولاياتُ العثمانيّين زادَ ظلمُ {وطُغْيان} ناقلِي الرسائلِ؛ يعني في زمنِ السّلطان «بايزيد» لَمْ يكُنْ كبيرًا. نعم، في زمنِ السّلطان «سليم» بعدَ أنْ استولى على ولاياتِ [ذو الفقار] «ذو القادر» وولاياتِ «دِيار بَكْر» ازدادَ ظُلمُ {وطُغْيان} ناقلي الرّسائلِ على ذلك. وبعد ذلك، فُتحتْ «حَلَب» و«الشامُ» و«مِصْر» ولذلك ازدادَ ظلمُ {وطُغْيان} ناقلي الرسائلِ. وبعد ذلك، فُتحتْ «بلغراد» و«رودس» فازدادَ ظلمُ {وطُغْيان} ناقلي الرسائل، ثمّ بعد ذلك استولى السّلطان «سُليمان» على «أنكروس» وأسر كثيرًا من جنودها، ثمّ أخذ «بغداد» من القزلباش، وفتح جزيرة «وان»، وعندما فتح كثيرًا من ولاياتها ازداد ظلم {وطُغْيان} ناقلي الرّسائلِ ازدِيادًا قبيحًا؛ لدرجةِ أنه مِن كثرةِ الرُّسلِ أحيانًا كان لا يوجدُ في اليومِ حصانٌ واحدٌ في الولايةِ، وأكثرُ الخلقِ سواءً كان غنيًّا أو فقيرًا إذا احتاجَ إلى ركوبةٍ كان يركبُها. وكان سِعرُها غاليًا، وكانوا يزيدون في سِعْرِها خمسين في المائةِ. نعم، إذا كان سِعرُ الركوبةِ مائةً يجعلونه مائةً وثلاثين، والتي تساوي ثلاثمائةٍ كانوا يجعلونها ثلاثمائةٍ وخمسين. وقد قال شاعرٌ في ذلك الزمانِ شِعْرًا عن ذلك.

⏮ شِعْر

كانوا يذهبون إلى أيِّ مكانٍ بالحمارِ
والآنَ لا يذهبون إلا بالحصانِ
والذين كانوا يركبون الحمارَ
يجِدون الآنَ الهيبةَ في ركوبِ الحِصانِ

وفي ذلــك الــوقــتِ قــامــت الــدولــةُ

بـــربـــطِ الحـــصـــانِ مـــكـــانَ الحـــمـــارِ

نثر: وبخلافِ السّلاطينِ كان الوزراءُ والدفترداريون والأغواتُ، بخلافِ هؤلاء أيضًا كانوا يرسِلُون ناقلي الرّسائلِ بالأحكامِ مِن أجْلِ أيِّ مصلحةٍ بسيطةٍ، ويقعُ حُكمُ ناقلِ الرسالةِ في يدِ شخصٍ قاسٍ غيرِ رحيمٍ، وعندما يأخذُ هذا الخبيثُ حُكمَ ناقلِ الرسالةِ يقومُ بعرضِ حُكمِهِ على القاضيّ والصوباشي؛ فيقومُ القاضي والصوباشي بجمعِ خيولِ الأغنياءِ أو الفقراءِ ويحضرُهم إلى ذلك الخبيثِ؛ فيختارُ مِنهم ما يعجبُه، ويردُّ ما لا يعجبُه مِن الخيلِ، وأصابَ أهلَ الحالِ في ذلك الوقتِ هذا الظلمُ، وقد نُظمتْ حكايةٌ في ذلك الزمانِ عن هذا، ولكنْ كلُّها كانت عن الشكوى، وكُتبت بلغةٍ عميقةٍ.

شِعْر

لا توجدُ شفقةٌ ولا رحمةٌ عند الظالمِ ناقلِ الرسائلِ

وهـــو لا يـــعـــرفُ اللهَ، ومـــفـــســـدٌ وعـــاقٌّ

خـــرجَ ذاتَ يـــومٍ مِـــن اســـطَـــنْـــبُـــول

وعـــبرَ مِـــن البحرِ إلى مدينةِ اوســـكـــدار(1)

(1) في تبيان نافع: اسكدار: بضمّ الكاف الفارسية، تطلق على منزلخانه أو منزل الخيل، وتطلق أيضًا على الكيس أو الخريطة التي يوضع فيها السعاة رسائلهم، وأيضًا على المشاة الذين يوضعون ويعينون مِن أجْلِ إيصال المكاتيب والرسائل والأحكام السُّلطانية المطلوبة بسرعة الإيصال من يدٍ إلى يد في كلِّ منطقة. وفي اللغة التركية يعبّرون عنها بـ جوره زن. وفي فرهنك انجمن آراى ناصرى: اسك واسكدار: تطلق على الرسالة، ويكون الساعي أو الرسول مهيئًا في كلِّ منزل، وعندما يصل إلى مقصده ومكانه واسك: بمعنى الاغ، وهذه موجودة في لغة الشُعَراء... وهذه اللغة منتشرة في بلاد "اسلامبول" ومستخدمة ومعروفة هناك، وتوجد منطقة باسْم وطن الفقير. وفي الأصل التركي اسط بمعنى الاغ، اسكدار بمعنى الاغ بمعنى بيت الخيل أو البريد، وتمّ تبديل السين إلى شين. وفي الاصطلاح مثل الاغ دادن والاغ كرفتن. وانظر (الدرر المنتخبات المنثورة في إصلاح الغلطات المشهورة)، و(قاموس الأعلام) عن كلمة اسكدار.

والتحقَ أحدُهم بالرُّفقاءِ وناقِلي الرسائلِ
وظلموا الناسَ مِن أجْلِ أخذِ حصانِ
وأحضرَ الصوباشي الجنودَ للرجالِ
كثيرًا مِن خيولِه فلَم ينظُروا لكمِّيتِهم
واختاروا بعضًا مِنهم ووجدوا الآخَرَ
وكان صاحبُ الحصانِ بجوارِه واقفًا
وقال أنا عبدُ الباشا وخادمُه وخيرٌ
وذهبتُ في الطريقِ لخدمةِ الباشا
وأعطى له حصانَه وأمسكَ بآخَرَ
وقال صاحبُ الحصانِ هذا الكلامَ
أنا خادمُ بلال أغا وعبدُه (1)
ورفيقُه وخادمُه المقرَّبُ
ولقد أعطاني حصانَه وذهبَ
وأخذَ حصانًا آخَرَ وذهبَ بسُرعةٍ
وصاحبُ هذا الحصانِ كان رجلًا طيِّبًا
سليمًا وهو أيضًا مِن المسلمين
وعندما وصلَ والتحقَ بحصانِه سألَه
ناقلُ الرسائلِ قائلًا: قلْ لي مَن أنتَ؟

(1) جاء في سجل عثماني في ترجمته أنه بلال أغا، وبعد فترة طويلة من زمن المؤلف وصل إلى موقع الحكم في الدولة.

قال: أنا عبدٌ لله أيها الرجُلُ
ولا يوجدُ معي أحدٌ سوى هذا الحصانُ
فلَم يصبرْ عليه أو يرحْه [الساعي]
وأبعدَه عن حصانِه بالقوةِ والجبرِ
وذهبَ ناقلُ الرسائلِ وركِبَ حصانَه
ولَم يكُنْ عند ذلك الجاهلِ عقلٌ
ونظرَ إليه صاحبُ الحصانِ وهو حيرانُ
وقال آه يا سُبحانَ اللهِ العظيمِ
في هذه اللحظةِ ليس لي غيرُك يا اللهُ
لا أطلبُ مددًا مِن العبدِ، فالرحمةُ منك يا اللهُ
وفي اللحظةِ التي قال فيها هذا الكلامَ
وصل دعاؤه أسرعَ مِن الحَرْبةِ إلى السماءِ
وعندما دخلَ ناقلُ الرسائلِ إلى المدينةِ
نزلتْ عليه في تلك الساعةِ سَطوةُ الحقِّ
وسقطَ فجأةً تحتَ الحصانِ
وسقطتْ على الضالِّ صخرةٌ مِن فوقِ الجبلِ
وقطعتْ رأسَه وفصلتْ جسدَه
وكان قد نسيَ ظلمَه وكلَّ عملِه
وبقيتْ قدمُ الحصانِ السليمةِ عليه
وهلكَ ذلك الظالمُ في تلك الأثناءِ
ومَن يلجأ ويتضرَّعْ إلى اللهِ
ينلْ مُناه ويرَ فعلَ اللهِ في خلقِه

نثر: وفي ذلك الوقتِ الذي كان فيه القبودان يعطي حُكمَ ناقلِ الرسائلِ إلى بعضِ الأشخاصِ طلبَ مِنه أنْ يحضرَ حصانًا له وأربعةَ أو خمسةَ أحصنةٍ آخَرين مِن أجْلِ الخدمِ وحِصانًا آخَرَ للدليلِ. وفي ذلك الوقتِ كان يأخذُ حُكمَ ناقلِ الرسائلِ أربعةُ أو خمسةُ أشخاصٍ لتنفيذِ بعضِ الأشياءِ. ويأخذُ هؤلاء الأشخاصُ الخمسةُ أو الستةُ خيولَ الخلقِ، ويركَبونها، ويخرُجون إلى أيِّ جانبٍ، ويرحَلون.

⏮ شِعْر

كان يوجدُ قانونٌ عجيبٌ في تلك الدولةِ
لم يَقضِ على الظلمِ بل زادَ مِنه
وانتشرَ ظلمُ ناقلي الرسائلِ في كُلِّ الديارِ
وكلَّما زادَ العملُ زادَ الظلمُ
لَم يوجدْ مكانٌ تذهبُ إليه
إلا تسمعُ شكوى كلِّ المسلمينَ من الظلمِ
حتى الجبالُ العاليةُ التي كان لا يراها الإنسانُ
ولا يطيرُ إليها الطيرُ ولا تراها الحيواناتُ الأهليةُ
في تلك الأثناءِ ذهبَ إليها الناسُ
مضطرِّين مِن ظلمِ {وطُغيان} ناقلِي الرسائلِ
وكلُّ يومٍ كانوا يدخلون إلى مكانٍ
وكلُّ أسبوعٍ يذهبون إلى طريقٍ آخَرَ
وإذا ذهبوا مباشَرةً إلى الطريقِ
فإنهم يضرُّون بالرجُلِ الضالِّ

نثر: ولا يحتاجُ هؤلاء الجماعةُ [ناقلو الرسائلِ] إلى أخذ حُكمِ القبودانِ مِن أمراءِ الأمراءِ وأمراءِ السناجقِ والقضاةِ والصوباشيلر الموجودين في المناطقِ والولاياتِ، بل كان كلُّ واحدٍ منهم يأمُرُ ناقلَ الرسائلِ أنْ يذهبَ بخطاباته ذاتها؛ فيأخُذها هؤلاء- ناقلو الرسائلِ- ويتركُون الخيولَ المُنهكةَ مِن التعبِ والعاجزةَ في الأماكنِ التي ينزلون بها، ويأخُذون مِن ذلك المكانِ بالضربِ والقهرِ خيلَ شخصٍ آخرَ ويذهبون. ووصل ظُلمُ {وطُغيان} ناقلي الرسائلِ إلى أكثرِ طائفةِ أهلِ العلم، حيثُ يأخُذون خيولَهم في الطريقِ، ويدخُلون إلى اسطبلِ القضاةِ ويأخُذونَ الخيولَ مِنه ويركَبونها ثمّ يذهبون.

ويُروى أنه في ذلك الوقتِ الذي عبرَ فيه السّلطان «سُليمان» سُلْطانُ الرومِ مِن «بغداد» وعندما وصل إلى موضعٍ يُسمَّى «كوك دبه»، أعطى «إبراهيم باشا» حُكم الـ «اولاق» ناقلَ الرسائلِ إلى شخصٍ خبيثٍ بلا دِينٍ يُسمَّى «دلوبالى»، فقامَ «دلوبالى» هذا بأخذِ خيولٍ بقدرِ حاجتِه مِن أجلِ إرسالِ متاعِه وأشيائه بخلافِ الحصانِ الذي يركَبُه خادمُه، وحمَّلَ عليها أشياءه، وعندما وصلَ «إسلامبول» كان بعضُ ناقلي الرسائلِ قد تعبتْ خيولُهم، والبعضُ خيولُهم لا زالتْ قويةً، فيقومُ الذين تعبتْ خيولُهم بأخذِ خيولِ الأشخاصِ الذين يجدونَهم في طريقِهم سواءً مِن العلماءِ أو الجنودِ أو المدرِّسين أو القضاة؛ كلُّ مَن يجدونه أمامَهم يأخُذون منه الخيلَ، وإذا اعترضَ أحدٌ أو خالَفَهم في ذلك يضربونه بالعصا، ويُنزلونه مِن فوقِ الحصانِ، ويربطونه مِن ذراعِه لظهرِه ويطعنونه بالسّكّين، ثمّ يُلْقُون بجسدِه في الصحراء، ومَن يذهبُ إلى وظيفةِ ناقلي الرسائلِ هذه لا يقول جبل أو زقاق، يقومُ في الحالِ بإنزالِ الأشخاصِ الذين يجدونهم في طريقِهم مِن خيولِهم، ولَم يلتفتوا أصلًا

إلى ضياع أشيائهم أو إتلافِها، وكانوا يفعلون مثلَ هذه الأشياءِ بوحشيةٍ في بعضِ الأماكنِ، ويأخُذون خيولَ الخلقِ، ويتركونهم بعد إذلالِهم وتعذيبِهم. وهذا الفقيرُ الذي أخذوا منه حصانَه يعرفُ أشياءه ومتاعَه، ولكنّه لا يعرفُ أين تركوها، وكيف يطلبُها، ويظلُّ حيرانَ، ولا يعرفُ أحدٌ ما به.

شِعْر

في ذلك اليومِ تركوا الألمَ في قلبِ الضعيفِ
وبقيَ الألمُ وبداخلِه سلاحُ الخوفِ

ألمٌ مخيفٌ ووجعٌ للمخالفِ
ولا يوجدُ معه رفيقٌ، بل يقفُ بمفردِه

وماذا يفعلُ هذا الشخصُ وما وضعُه
ولماذا حلَّ به هذا الصنيعُ؟

والضروريُّ أنْ يكونَ له حلٌّ
إمّا أنْ يذهبَ الحصانُ أو يُعذَّبَ هو

والذي يزيدُ في الحِملِ والألمِ
هو أنَّ مَن يفعلُ هذا مِن المسلمين

نثر: ويروون أنه في ذلك الوقتِ الذي وصلَ فيه سُلْطانُ الرومِ السّلطان «سُليمان» إلى تبْريز سنة 941هـ[1] مِن هجرةِ النبيِّ – عليه الصلاةُ والسلامُ –، وخرجَ مِن هناك إلى «عِراقِ العجم»، ثمّ جاء إلى «عراقِ العربِ» وقضى موسمَ الشتاءِ في عراقِ العربِ في آباد (بهشت). وفي ذلك الشتاءِ قامَ بإرسالِ

---

(1) الموافق 1534م.

كثيرٍ مِن ناقلي الرسائلِ مِن «بغداد» إلى أطرافِ الممالكِ، وفقدَ ناقلو الرسائلِ مِقدارَ سبعمائةٍ مِن الخيلِ التي رَكِبوها مِن «بغداد» إلى «نصيبين»، ولَم تظهرْ لهم أيُّ علامةٍ أو أثرٍ أصلًا.

وعندما كان «إبراهيم باشا» وزيرًا أعظمَ قامَ بإرسالِ اثنين مِن الچاوشية[1] مع ناقلي الرّسائلِ إلى الروم ايلي مِن أجْلِ بعضِ الأشياء؛ فقام هؤلاء باصطحابِ خمسةٍ أو ستةٍ مِن الخدمِ معهم، وأخذوا الخيولَ مِن العساكرِ ومِن العلماءِ ومِن الفقراءِ وامتطوها جبرًا وقهرًا. وعندما وصلوا إلى قصبةٍ تُسمَّى «برغوز» في وسطِ «إسلامبول» وأدرنة قامَ هؤلاء الچاوشيةُ بطلبِ أخذِ خيولِ سباهية «بورغاز» بالقهرِ، ولكنّهم رفضوا إعطاءهم الخيولَ، وحدثتْ ضجّةٌ في «أدرنة». وفي نهايةِ الأمرِ عادَ الچاوشيةُ مِن الروم ايلي، وعندما وصلوا إلى «إسلامبول» قالوا لإبراهيم باشا: «إنَّ السّباهيةَ [الفُرْسان] الموجودين في محلِّ كذا رفضوا إعطاءَ الخيلِ لنا»، وحرّضوه ضِدَّهم، فأمرَ إبراهيمُ باشا بصلبِ اثنين مِن هؤلاء السباهيةِ.

وقال صاحبُ الكتابِ: «كنتُ أميرَ أمـراءَ في ولايةِ اليونانِ سنةَ 941هـ[2]. وجاءت محاسبةٌ بعضِ أهلِ المقاطعاتِ والمباشراتِ الموجودين في مِصْرَ المحروسةِ، ومِن أجْلِ إيصالها إلى إسلامبول وصلَ حُكمٌ سُلطانيٌّ ألّا يركبَ الأشخاصُ الذين عددُهم أربعون نفرًا الموجودون في مِصْرَ

---

(1) چاويش: Çavuş: هي في الأصل بمعنى الحاجب، وهو صاحب البريد، والدليل في الحروب، وجامع الأخبار، وهو رأس العشرة، وتعني العريف في المصطلح الحديث. انظر: د. سهيل صابان، المعجم، الرياض 1421هـ/ 2000م، ص 81.

(2) انظر: كلمة قونية في قاموس الأعلام.

المحروسةِ خيولَهم، وساروا في الحالِ بالـ «اولاق» [الرّسالة]، وأخذوا خيولَ الأشخاصِ الذين يجدونهم في طريقِهم مِن أهلِ السفرِ والحضرِ، وقاموا بإيذاءِ المسلمين والكفارِ في الطُرقاتِ والأماكنِ، وظلموهم أشدَّ الظلمِ، ونزلوا ذاتَ ليلةٍ في مدينةِ «قونية»، وفي اليومِ الثاني أخذوا ثمانين حصانًا مِن مدينةِ «قونية»، وركبوا البعضَ وحملوا على البعضِ الآخَرَ، والباقي أخذوه بجوارِهم ورحلوا.

وكان هناك شخصٌ ملعونٌ ملحِدٌ يسمّى «يزيد اوغلى حسين» أميرُ سنجق بخمسمائةِ آقجه لق مِن «الموصل» إلى «أربيل»، وفي زمنِ «آياس باشا» مِن أجْلِ مصلحةٍ بسيطةٍ له أرسلَ أربعين نفرًا ذاتَ يوم برسالةٍ، فركبوا خيولَهم وقاموا بأخذِ الخيولِ التي يجدونها في الطرقاتِ وفي القرى؛ مِن الغنيِّ والفقيرِ ومِن المظلومين جبرًا وقهرًا، وجاؤوا مِن هذه المسافةِ البعيدةِ إلى «إسلامبول» المحروسةِ، وانتهتْ مصلحتُهم في «إسلامبول»، وعندما أتمّوا عملَهم في «إسلامبول» خرجوا مِن «إسلامبول» على الوضعِ السابقِ غيرِ المعقولِ، وساروا بالرسالةِ [اولاق]، وقاموا بتجاوُزِ الظلمِ والتعدّي [على الناسِ] في الطرقاتِ، وأخذوا الخيولَ التي يجدونها في الطريقِ بدونِ شفقةٍ أو رحمةٍ، وعندما وصلوا إلى ولايتِهم ركِبوا خيولَهم ذاتَ يوم، وليس هناك حدٌّ لفسادِهم وظلمِهم [على الأهالي]. وفي النهايةِ نالَ ذلك الظّالمُ أثرَ ظلمِه الذي قامَ به في فترةِ وظيفتِه بوظيفةِ نقلِ الرّسائلِ، وبسببِ عملٍ آخَرَ نالَ جزاءه، وتمّ صلبُه في «قره آمد»(1).

---

(1) انظر: استطراد رقم 5 صفحة 241 من الكتاب.

وفي سنةِ 946هـ [1] وصلَ «خادم سنان باشا» بالأسطولِ الهمايونيِّ مِن موضعٍ يسمَّى «السويس» بالقُرْبِ مِن «مِصْر» إلى «الهندِ»، ثمَّ عادَ مِن «الهند» وذهبَ إلى «زَبيد»، وعندما خرجَ مِن السَّفينة [2] أخذَ مقْدارَ عشرين رجُلًا مِن «زَبيد» مع الكتخدا، وأركبَهم الخيولَ، ولَم يجدْ بعضُ ناقلي الرَّسائلِ في ذلك المكانِ خيولًا يركبونها، نعم، هؤلاء وجدوا حصانًا فركبوه، ووجدوا بغلًا رُوميًّا، ووجدوا أيضًا جملًا هجينًا فركبوه، وخرجوا إلى مكَّةَ المشرَّفة، ومِن هناك إلى «مِصْر»، ومِن «مِصْر» إلى «غَزَّة» و«الشام» ثمَّ إلى «حلب». وبهذا الأسلوبِ خرجوا مِن مدينةٍ لأخرى ومِن قصبةٍ لقصبةٍ؛ حتى وصلوا إسلامبول، ولا توجدُ نهايةٌ للظلم الذي قاموا به، وليس هناك غايةٌ للأفعالِ القبيحةِ والأوضاعِ الفاضحةِ التي عمَّتْ بظلم هؤلاء ناقلي الرسائلِ، وإذا أردتُ الكتابةَ فالكلامُ كثيرٌ، وهذا [الكتابُ] المختصَرُ لا يتَّسعُ لذلك.

وفي الوقتِ الذي كان مِن المقرَّرِ فيه القضاءُ على ظلم {وطُغيان} ناقلي الرسائلِ هذا مع سُلْطانِنا- ظلِّ اللهِ في الأرضِ-، جاء «قاضي خان»- والذي كانَ قد جاء مِن قبلُ مِن عندِ القزلباش سيِّئِ المعاشِ، وكان قد أعلنَ الطاعةَ للسُّلطَان- ظلِّ اللهِ في الأرضِ- مِن قبلُ. وقد أعطى له السُّلطان- حامي العالَمِ- إمارةَ أمراءِ «بورستان» [لورستان] [3] بمائةِ ألفِ آقجه؛ فجلسَ «قاضي خان»، واستحسنَ ذلك. وبينما كان جالسًا وسوسَ له الشيطانُ،

(1) الموافق عام 1539م.

(2) انظر: استطراد رقم 4 ص369 من الكتاب.

(3) لرستان أو لورستان. في تبيان نافع لور: هو اسم مدينة، وفي التقويم هو اسم عشيرة كبيرة من طائفة يازار وصحرانشين، توجد فيما بين تستر وأصفهان، ويقصد من التقويم هو الأثر المعروف بتقويم البلدان لأبي الفداء. انظر: كلمة لورستان في قاموس الأعلام.

فذهبَ مرةً أخرى إلى جانبِ القزلباش، وعندما وصلَ «قاضي خان» هناك؛ قامَ بتحريضِ الشّاه الضالِّ «طهماسب» وإغوائه، وقال له: «تعالَ وأُعطي لك بغدادَ وولايةَ «بغداد». وخرجَ مِن عندِه وذهبَ إلى قلعةِ «درتنك» ولَم يعبُرْ مِن قلعةِ «درتنك»، وخرجَ مِن هناك إلى مدينةِ «شهرزور»، ولَم يخرُجْ مِن هناك. ومِن هناك جاء إليه الأميرُ «حاجي شيخ كرد» حاكمُ «بابان»، وقامَ «حاجي شيخ» أيضًا بربطِ حدودِه مع القزلباش سيِّئِ المعاشِ، وقامَ بالحربِ على «دربند»، وفي النهايةِ استولى القزلباشُ على «دربند» مِن «حاجي شيخ»، وكان «حاجي شيخ» في مكانٍ صعبٍ جدًّا؛ فوصلَ إليه وركِب الأهوالَ والصّعابَ مع بضعةِ آلافٍ مِن رجالِه، فأرسلَ الشّاه الضّالُّ بخلافِ عساكرِه «قاضي خان» صاحب الدينِ الخبيثِ مع أربعةِ آلافٍ أو خمسةِ آلافٍ مِن العساكرِ، وأرسلَه إلى المكانِ الصعبِ الموجودِ فيه «حاجي شيخ»، فوصلَ «قاضي خان» إليه، وحاربَ «حاجي شيخ» لعدّةِ أيام، ولكنْ لَم يظفرْ القزلباش بـ «حاجي شيخ»، وفي النهايةِ نزلَ جميعُ القزلباشِ مِن خيولِهم، وعندما رأوه ساروا إليه، وعندما رأى «حاجي شيخ» أنَّ القزلباش قد نزلوا مِن على خيولِهم تركَ -في الحالِ- بضعَ مئاتٍ مِن الكُرْدِ التابعين له، وقامَ بإرسالِ بعضِ الأكرادِ إلى المكانِ الذي ترك فيه القزلباشُ خيولَهم، فوصلَ الأكرادُ مِن مكانٍ آخَرَ إلى خيولِ القزلباش، وفي الحالِ أعملوا السيفَ في القزلباش الموجودِين هناك، وقتلوا مِنهم خلقًا كثيرًا[1]، وأخذوا أيضًا كثيرًا مِن خيولِهم، وعندما علم «قاضي خان» والملاحدةُ الموجودون بجوارِه هذه الحالةَ، عادوا في الحالِ إلى مكانِهم، وقامَ «حاجي شيخ» والأكرادُ الموجودون

(1) يوجد نقص هنا.

معه بتتبُّعِ القزلباش، وقتلوا كثيرًا منهم، ممَّا لا يمكنُ شرحُه بلسانٍ.

وأخذوا أيضًا حصانَ حاكمِ القزلباش نفسِه، والحاصلُ أنهم قتلوا ما يقربُ مِن ثلاثةِ أو أربعةِ آلافٍ مِن القزلباش. وعلِم الشاه «طهماسب» الضالُّ عديمُ الدينِ ما حلَّ بجنودِه؛ فعادَ مِن حيثُ جاء. ولكنَّ سُلْطانَ الإسلامِ نهضَ بنفسِه ولَم يرسِلْ أحدًا مِن الجيشِ. وبسببِ أنَّ السُّلطان قد نوى القضاءَ على ظلمِ {وطُغيان} ناقلِ الرسائلِ - فبفضلِ الله تعالى وكرمِه ولطفِه - دفعَ شرَّ هذا الخبيثِ بطريقةٍ سهلةٍ عن بلادِه. فلَم يدخُلْ بلادَه أصلًا، ولَم يلحقْ ضررٌ بأيِّ مكانٍ في دولتِه، ولَم يُصَبْ أحدٌ مِن جيشِه بسُوءٍ.

وفي سنةِ 946هـ في زمنِ «رستم باشا»، كان سُلْطانُ الرومِ السُّلطان «سُليمان» قد تحدَّثَ معه عن ظلمِ {وطُغيان} ناقلِ الرسائلِ، وقد أعطى إمارةَ أمراءِ «لورستان»[1] بالقُرْبِ مِن «بغداد» إلى «عثمان باشا»، وأرسلَ أربعين شخصًا مِن الرومِ بالرسالةِ وقال لهم: «اذهبوا بسُرعةٍ إلى تلك الديارِ، وسيأتي القزلباشُ ليُلحِقوا الضررَ والخسارةَ بتلك المناطقِ». ولَم تظهرْ أيُّ فائدةٍ مِن إرسالِ «عثمان باشا» مع ناقلِ الرسائلِ بالرسائلِ إلى تلك المناطقِ، ولكنَّه أخذَ ناقلَ الرسائلِ بذلك الظلمِ، وأصاب صوتُ أنينِ المظلومين أصحابَ الخيولِ التي ركِبوها [أخذها منهم ناقلو الرسائلِ] السُّلطان - حامي العالَم -، فقدْ وُلِد ابنُه «جهانكير»، وكان السُّلطان «سُليمان» يحبُّ ابنَه «جهانكير»

---

(1) لورستان: هي بلد متّصلة بخوزستان جاء ذلك في صحائف الأخبار ج2 ص595. وهذا الشخص هو جُرْكَس عثمان باشا الذي قامَ بإغارة ليلية على جيش إيران في حملة نخجوان سنة 955 هـ. وجاء في سجل عثمانيان، تاريخ وفاته سنة 960هـ. ولَم يذكر بجوي ج1 ص34 شيئًا عنه وعن وفاته.

كثيراً، وعجزَ البشرُ عن وصفِ هذا الحبِّ وكتابتِه، وفجأةً ذاتَ يوم تُوفِّيَ ابنُه «جهانكير» في مدينةِ «حلب» وانتقلَ مِن دارِ الفناءِ، وبقِيَ السّلطانُ مِن بعدِه وحيدًا فريدًا[1].

و«رستم باشا» أيضًا كان يخافُ الموتَ أكثرَ مِن مرةٍ في اليوم في فترةِ وزارتِه، وكان الموتُ جائزًا في حقِّه، وعندما عُزِل مِن الوزارةِ لَم يتخيَّلْ أحدٌ ذلك، ولَم يتصوَّرْه قَطُّ، وأصابتْه أيضًا ثمرةٌ مِن ظلمِ {وطُغيان} ناقِلي الرسائلِ. فقدْ عُزِل فجأةً مِن الوزارةِ، ولَم يُعرفْ سببُ عزلِه، وظلَّ هو بنارِ الحيرةِ مِن ذلك[2]. ولحِقَ أيضًا «عثمان باشا» أثرٌ مِن هذا الظلمِ، عندما وصلَ مع ناقِلي الرسائلِ إلى « لورستان» تزوَّجَ امرأةً مِن العجمِ غنيَّةً، وعندما استولى على أموالِها ومتاعِها قامت بإطعامِه الزرنيخَ جزاءَ أخذِه المالَ، ومات. ويقولُ البعضُ إنّه بعدَ أنْ تزوَّجَ امرأةً مِن العجمِ ابتُلي بعد فترةٍ بمرضِ «ذاتِ الجَنْبِ»، ومات.

وفي سنةِ 947هـ كان كفارُ «ونديك» قد نقضوا عهدَهم الذي قطعوه مع السّلطان عام 944هـ، وطلبوا المساعدةَ مِن حاكمِ «فرانسة»؛ فقامَ ملِكُ «فرانسه» بإرسالِ رسولٍ إلى سُلْطانِ الرومِ السّلطانِ «سُليمان»[3]، فقبِلَ

(1) توجد تفصيلات في استطراد في وقائع سنة 960هـ.

(2) توجد تفصيلات في الأثر السابق في وقائع سنة 960هـ.

(3) جاء في تاريخ أبي الفاروق ج3 ص232: «جاء السفير دولافارد من طرف فرانسوا سنة 947هـ وقد جاء يشكو من قتل السفير القادم من طرف فرانسوا في شمال إيطاليا، يعني داخل مملكة شارل كن. وطلب إيضاحات عن ذلك من إمبراطورية الباب العالي، ولَم تكن الحكومة تعرف ذلك، وأعطته تفصيلات وتأمينات في معرفة حدود مادة القتل. ورأت أنه معذور، أي وعذرته».

السّلطان «سُليمان» طلبَه ورغبتَه على أنْ تدفعَ البندقيةُ مائتَي ألفِ قطعةٍ ذهبيةٍ وتتنازلَ له عن قلعتين؛ هُما «نابولى» و«مانواسيا» في نواحي المورة، وتُعطِي البندقيةُ أيضًا للسّلطَان مائتَي ألفِ قطعةٍ ذهبيةٍ، فسلَّموه القلعتين المذكورتين. بعد ذلك تقرَّرَ الصُّلحُ بينهما[1].

وفي ليلةِ السابعِ والعشرين مِنْ شهرِ رمضانَ الكريم مِن السنةِ المذكورةِ[2]، ليلةِ القدرِ، حدثَ حريقٌ في «اسكى سراى» التي بناها «أبو الفتحِ سُلْطانُ محمد» في «إسلامبول»، واحترقتْ كلُّها بالنار، وأُعيد بناؤها مِن جديدٍ. وفي هذا العامِ لَم يُوفَّقْ في فتحِ سبعِ قِلاعٍ، وأخذَ السّلطان ألفَ قطعةٍ ذهبيةٍ مِنَ الذهبِ القادمِ مِن «مصر». وفي هذا العامِ أيضًا اتحدَ ملِكُ «بج» مع «طهماسب» شاه العَجم وقال «طهماسب»: «هكذا سيأتي إليك سُلْطانُ الروم، فينبغي أنْ أسيرَ مِن هذا الجانبِ، ولْيأتِ إليَّ وأنت تخرُجُ عليه مِن الجانبِ الآخرِ». وكان هدفُ «طهماسب» مِن ذلك هو الاستيلاءَ على «شروان»، وهدفُ فرنك يانوش [فرندوش: فرديناند] أيضًا الاستيلاءُ على «بوديم» والقلاعِ المجاورةِ لها[3].

فقام سُلْطانُ الرومِ السّلطان «سُليمان» بإرسالِ مساعدةٍ/ مددٍ إلى «بوديم»

(1) جاء في تاريخ أبي الفاروق ج3 ص141: «مالوه زيا، ونابولى تقعان في المورة، ونادين واورانا دالماجيده، تمَّ فتحها من طرف خير الدين باشا، وكان قد كل الضمانات وثلاثة آلاف ذهبية أخرى من كارمز في اق دكز، وكلُّ الجزر الوجودة هناك. وامتدت المذاكرات، وتمَّ توقيع معاهدة الصلح، وذلك سنة 946هـ.

(2) الموافق 24 يناير عام 1541م.

(3) في تاريخ أبي الفاروق ج3 ص196: «أرسل الشّاه «طهماسب» سفراء إلى شارل كن وفرديناند، وطلب بعقد اتفاق معهم لتجاوز الهجوم على دولته.

مؤلَّفٍ مِن وزيرِه «محمد باشا»، وبلوك السلحدارلر، وسكبان باشي، وثلاثةِ آلافٍ مِن الإنكشاريةِ، وأميرِ أمراءِ الروم ايلي بجميعِ عساكرِه، وأرسلَ وزيرَه «سُليمان باشا» بألفينِ وخمسمائةٍ مِن الإنكشاريةِ وألفينِ مِن جُنْدِ «القبو خلقى» وأميرِ أمراءِ قرمان بجيشِه، وأميرِ أمراءِ سيواس بجيشِه، وأعطى لهم كثيرًا مِن السّلاحِ والمعدّاتِ الحربيةِ [جبه خانه] إلى طرفِ القزلباش. ووصلوا إلى «آرتق آباد» [1] في الأناضولِ، واستقرُّوا بها وجلسَ السّلطان «سُليمان» في «إسلامبول» مع سائرِ عساكرِه، وقد خرجَ الأعداءُ على الدولةِ مِن كلِّ مكانٍ، وإذا تحرَّكَ إلى أيِّ مكانٍ يخرجُ عليه العدوُّ. ولَم تظهرْ أيُّ حركةٍ مِن جانبِ «طهماسب»، ولكِنْ أرسلَ «فرندنانوش» كثيرًا مِن العساكرِ الشياطين مِن البرِّ إلى «بوديم» عند موضع يسمَّى «بويم بتره» [2]. وجاءت سفنُه أيضًا مِن «طونه» ونزلَ على القلعةِ وأحضرَ معه خمسين مدفعًا كبيرًا وبدأ في ضربِ نواحي «بوديم».

وبدأ جيشُه المكوَّنُ مِن أربعين ألفِ محاربٍ وعشرين ألفِ «تفنكجى» [مسلَّح] في ضربِ القلعةِ المذكورةِ. وهُزِم الجنودُ الموجودون داخلَ القلعةِ، وأوقعوا خسارةً في كثيرٍ مِن المناطقِ، وعندما ساروا على الأقدامِ رفضَ ابنُ شقيقِ «يانوش» الموجودُ في القلعةِ مع بعضِ القادةِ الشّجعانِ تسليمَ «بوديم» إليهم بالصُّلحِ والأمانِ، وحاربوا حربًا ضروسًا، وعندما سمعَ أنَّ سُلْطانَ الرومِ قدْ أرسلَ وزيرَه وأميرَ أمراءِ الرومِ ايلي بهذا العددِ مِن الجيشِ إلى «بويم

(1) ارتق آباد: اورتوق يانيق بمعنى علم، وهي قضاء واسع في ملحق توقات.

(2) صدرت رسالة إلى الصدر الأعظم سُليمان باشا، ومن الجاشنكيرلر؛ قدوة الأماجد والأكارم جامع المحامد والمكارم الفلك دام مجده، وأرسلت إليه في فتح استبور في سنة 948 هـ بجمادى الآخرة «كان بيرني بترى من أبناء حاكم أنكروس تابع له، فجاء واستولى على ولاية أنكروس».

بتره»، قامَ بحفرُ خندقًا في أطرافِ الجبلِ الموجودِ فوقَ جانبِ بوديم، وقامَ ببناءِ قلعةِ «إستبور»[1]. وقطعَ الأشجارَ ونصبَ أطرافَها للخارجِ، ونصبَ بابًا في مكانٍ أو اثنينِ، وكان قد وصلَ إليه عساكرُ الإسلام، وعند وصولِهم قامَ الإنكشاريةُ بإقامةِ المتاريسِ وبدأوا في مباشرةِ الحربِ[2].

وفي سنةِ 948هـ[3] في هذا العامِ قامَ السّلطان- حامي العالَم- بإعطاءِ خدمةِ الوزارةِ التي كانت في عُهدةِ مؤلِّفِ هذا التاريخِ إلى شخصٍ آخَرَ. وذهبَ [المؤلِّفُ] لحجِّ الحرمينِ الشريفينِ وقد ذُكر ذلك سابقًا[4].

تَوَجُّهُ السلطانِ سُليمانَ خان إلى غزوةِ اسطبور

وفي يومِ الخميسِ الخامسِ والعشرينَ مِن شهرِ صفرٍ مِن السنةِ المذكورةِ [948هـ]، أخذَ سُلْطانُ الرومِ ابنَيه الشهزادة محمدًا والسّلْطانَ سُليماً، ورفعَ

(1) استبور: بمعنى طابور، أو تابقور طابقور، دبقور: بمعنى مستحكمة أو قلعة تدخل في شكل القلعة ذات الأربعة أبواب، ومربوطة في بعضها بالسلاسل العربات. طابور- تخفيف طابقور-: بمعنى عسكر منظم، وهُم الجنود الذين يقفون في شكل مربع داخل القلعة والصف والمدفع الذي يحمي القلعة. وهُم العسكر أو المدافع التي تكون في شكل مربّع، وتتكوّن من أربعة جوانب، وتعطي شكلها خلف بعضها البعض. وكل هذا المجموع تشكّل استحكامًا أمام العدو من كلّ جانب. وفي صحائف الأخبار ج3 ص603: «قاموا بعمل طابور متين وتحصنوا في أطرافه بالخندق. ذكر بجوى وحسن بك زاده في تاريخهم في صُورة اسطبور.

(2) في فتحنامه: ربطوا اصطبور وسلاسل محكمة على جبل عسير المرور من نواحي بودين، وعندما وصلوا إليه قطعوا وقتًا طويلًا، وقطعوا الخنادق العميقة وبدأوا ينتظرون الحرب، وبنوا بعض القلاع في بعض الجزر في طونه، وبنوا قلاعًا صغيرة محكمة في كلّ جانب مِن أجْلِ الحفظ والحراسة، وعملوا حصنًا حصينًا».

(3) الموافق 1541م.

(4) انظر: المتن ص370.

العساكرُ الذين شِعارُهم النصرُ الراياتِ ودقُّوا على المعازفِ والطبولِ، وخرجوا بالدولةِ مِن «إسلامبول»، وعزموا بنيَّةِ الغزوِ الذهابَ إلى «بوديم». وفي ذلك الوقتِ نزلوا في موضعٍ يُسمَّى «حلقه لو»، وبالاتفاقِ أنه في تلك الليلةِ بعد وقتِ العشاءِ تغيَّرَ الجوُّ، ولمعَ الرعدُ والبرقُ، ونزلَ المطرُ، وجاء سيلٌ عظيمٌ، ونزلَ في وادي «حلقه لو» وانتشرَ في أطرافِه وأصبحَ مِثلَ البحرِ، وأخذَ السيلُ في طريقِه كلَّ ما يوجَدُ أمامَه مِن خيلٍ وجنودٍ وخيامٍ واوتاق [خيمة سُلْطانية] وغيرِها مِن الأشياءِ.

والحاصلُ أنَّ أكثرَ الأماكنِ التي مرَّ بها السيلُ قد خربتْ وأخذَ في طريقِه مُعظَمَ المتاعِ والأشياءِ، وهدمَ كثيرًا مِن الطُّرقاتِ، وهلكتْ بعضُ الخيولِ والجمالِ، ونجا البعضُ منها عُرْيانًا، وأُرسِل بعضُها الآخرُ إلى البحرِ مباشَرةً، وأقاموا خمسةَ أيامٍ في هذا المكانِ، ثمّ ذهبَ كلُّ شخصٍ إلى مهامِّه وسِلاحِه، وتمّ التوجُّهُ بعدَ ذلك إلى «أدرنة». ثمّ عبروا بعد ذلك مِن «أدرنة» وجاء جنودُ الأناضولِ، وتمّ جمعُ جميعِ الغُزاةِ المسلمين، وساروا مِن مكانٍ لآخرَ حتى وصلوا «بلغراد». وعندما وصلوا «بلغراد» أرسلَ إليهم الوزيرُ «محمد باشا» الذي ذهبَ قبلَهم إلى «بلغراد» رسالةً قال فيها: «جيشُ الكفارِ كثيرٌ»[1]. وعندما سمعَ سُلْطانُ الإسلامِ هذا الخبرَ عبرَ بسعادةٍ وعظمةٍ وشوكةٍ

---

(1) في تاريخ أبي الفاروق ج3 ص88: «عندما كان في بلغراد جاء خبر انتصار عساكرنا العظماء. وقامَ والي سمندرة بالي زاده محمد بك ووالي بوسنه اولامه باشا مع بعض أمراء الحدود وقادة المَجَر، وبالاتفاق معهم بالسير على عساكر النمسا وألمانية الذين كانوا يحاصرون قلعة بودين، وحقّقوا نصرًا مبهرًا عليهم. وندم الكفار ولاذوا بالفرار، ولَم يأخذوا مهمّاتهم ومدافعهم الكبيرة، وبقي أسطول الكفار الموجود على نهر طونه تحت سيطرة قاسم باشا، وقد أوقع به أسطولنا خسارة كبيرة. وتمّ احتلال بشته.

إلى وادي «سرم» ثمّ إلى «اوسك»، وعبرَ نهرَ «طراوه»، ووصلَ بالقُرْب مِن «بوديم»، وعندما سمعَ الكفارُ الذين يحاصرون «بوديم» بمجيءِ سُلْطانِ الروم السّلطان «سُليمان» أصابهم الذُعْرُ والخوفُ والهلعُ، وأُسقِط في أيديهم، وقالوا: نفسي نفسي، وهربوا ونجَوا بأرواحِهم، وذهبوا. بعد ذلك قامَ عساكرُ أهلِ الإسلامِ الذين جاؤوا بالسفنِ مِن البرِّ، ومِن البحرِ مِن نهرِ طونه بتتبُّع فلولِ الكفارِ الفارّين الذين كانوا في «بوديم»، وقتلوا بعضًا منهم، وأسَروا البعضَ الآخَرَ، واستولَوا على مدافِعِهم، وغنِموا أموالَهم ومتاعَهم[1]. وبعدَ أنْ أقامَ سُلْطانُ الإسلامِ ثلاثةَ أو أربعةَ أيامٍ هناك جاء، وفي اليوم الذي وصلَ فيه «محمد باشا» إلى «بودين» أرسلَ حوالَيْ ألفٍ وخمسمائةٍ مِن الكفارِ بسفنِهم وسناجقِهم إلى السُّلْطانِ، وتمّ عرضُهم على سُلْطانِ الإسلامِ، بعد ذلك ذهبَ السّلطان إلى قلعةِ الكفارِ «إسطبور»، وجعل يشاهدُ الكفارَ المهزومِين والمقتولِين، ويشاهدُ مدافعَهم الكبيرةَ والمهيبةَ.

وبعد ذلك، أقاموا له خيمةً سُلْطانيةً[2]. وأمرَ بضربِ أعناقِ جميع الكفار المحبوسِين هناك، وهلكَ الجميعُ. وأرسلتْ زوجةُ حاكم «أردل» الموجودةُ في «بوديم» ابنَها مع كثيرٍ مِن العطايا مع بعضِ الأمراءِ إلى حضرةِ السّلطان [الخونكار][3].

---

(1) ذكر بجوى: وبعد العشاء ليلة التاسع والعشرون من ربيع الأخر سنة 948 هـ فر الكفار، وجرح قائدهم في تلك الأثناء، وذكر أنه تُوفِّي بالقُرْبِ مِن قلعة قومران. وفي صحائف الأخبار ذكر أنه كان ليلة الخامس والعشرين.

(2) وبالنظر إلى كتاب بجوى وصحائف الأخبار تحرّك من استانبول 25 صفر سنة 948هـ ووصل بودين يوم 4 جُمادى الأولى.

(3) في تاريخ أبي الفاروق ج3 ص83 و89: «أنه سيكيزموند بن الملكة ايزابللا. وذكر بجوى:»

وقام سُلْطانُ الإسلامِ برعايتِه على الوجهِ اللائقِ، وأعطى ابنَها حزامًا مِن الجوهرِ وحصانًا عليه سرجٌ مرصَّعٌ بسلسلةٍ مِن الذهبِ، وكثيرًا مِن الهدايا التذكاريةِ، وأحسنَ أيضًا إلى أمِّه، ثمَّ أرسلَه إليها[1]. وقامَ أيضًا برعايةِ الأمراءِ الموجودِين داخلَ القلعةِ على الوجهِ اللائقِ، وأنعمَ عليهم بالخلعِ. بعد ذلك أرسلَ خطابًا إلى أمراءِ «يانوش» قال فيه: «لم يتمكَّنْ ملِكُ «بج» «فرنديانوش» مِن فتحِ «بودين» لكم، وبمجرَّدِ أنْ يحينَ له الوقتُ المناسبُ سيزعِجُكم، ومِن المناسِبِ أنه كان يعطي لكم مملكةَ «أردل» وتواحِيها، فلْتذهبوا هناك وتعبُروا منها». فقبِلَ الجميعُ ذلك مِن القلبِ والعقلِ، وذهبوا إلى تلك النواحي، واستولَوا على تلك الولايةِ واستقرُّوا بها[2]. وأعطى سُلْطانُ الإسلامِ إمارةَ

وهكذا تقدم جميع قادة بودين وأمرائها والأمراء الكفار الذين كانوا في مقام وكلاء ابن الملك تقدموا مع ابن الملكة، واتجهوا إلى الركاب الهمايوني، واستقبلهم من طرف السّلطان صاحب السعادة أغوات خدم الركاب الهمايوني مع جميع أفراد القپلق المعروف باسْم بلوك خلقى بأنواع الزينة. ولمّا وصلوا إلى الخيمة السُّلْطانية دخل ابن الملك مع مربيته وبعض معلميه المعروفين إلى الحرم الهمايوني».

(1) وأرسل الهدايا والهبات العظيمة إلى قارليجه والطفل الصغير الذي هو ابن الملك المتوفّى، وكانت الهدايا عبارة عن ثلاثة جياد كاملة العدة وذوات سلاسل ذهبية وسلاسل خلع مزركشة قيمة، وسيف ودبوس مرصع بالذهب، وأمتعة شاهانية كهذه بلا حصر، وخواتم قيمة للقرالیجه، وحلي ذهبية للنساء وخواتم قصيرة من اللؤلؤ، بالاضافة إلى ذلك كان الشهزادة السّلطان سليم والسُّلْطان بايزيد متواجدين في الركاب السُّلْطاني في الحملة، وأُرسلت من طرفهم هدايا مختلفة، ونقل جميع هذه الهدايا رئيس الجاوشية علي أغا.

(2) في فتحنامه سالفة الذكر: «أنعم السّلطان على ابن الملك يانوش الموجود في بودين بحكم ولاية اردل– ترانسيلوانيا– التي كان يحكمها جده. وأرسله إلى تلك الجانب بعد دفع مبلغ من المال إلى الخزينة العامرة. وتمّ منح أمراء أنكروس بعض السناجق بعد دفع الأموال. انظر: مبحث بعنوان حكاية في بچوى ج1 ص228.

أمراءِ «بودين» إلى أميرِ أمراءِ الأناضولِ «سُليمان باشا»[1]، وأعطى إمارةَ أمراءِ الأناضولِ إلى «يحيى باشا اوغلى محمد بك».

وبعدَ تعيينِ «محمد بك» بن «يحيى باشا» في إمارةِ أمراءِ الأناضولِ بفترةٍ قصيرةٍ، طلبَ التقاعُدَ مِن السُّلطانِ، فأعطاه مائةً وثلاثينَ ألفِ أقچة نظيرَ التقاعُدِ، وأحالَ أيضًا «قاسم باشا» أميرَ سنجق «المورة» للتقاعدِ، وأيضًا «بالي باشا» أميرَ أمراءِ «دِيار بَكْر». وأحكمَ السّلطان قبضتَه على «بودين»، وتركَ بها جنودًا مِن الإنكشاريةِ والـ«عزب» والـ«كوكللو» و«بشلو». والحاصلُ أنه عيَّنَ بها ما يقربُ مِن عشرين ألفًا، ووضعَ ذخيرةً كثيرةً في «بودين» وأسلحةً، وحوَّلَ كنائسَها إلى مساجدَ ونواقيسَها إلى مناراتٍ. واهتمَّ سُلْطانُ الإسلامِ- حامي العالَمِ- بجميعِ أحوالِ تلك الولاياتِ، ثمّ عقدَ العزمَ بيُمنٍ وإقبالٍ على الذهابِ إلى «بلغراد»، وأمرَ بإقامةِ جسرٍ على نهرِ «طراوه» بالقربِ مِن قلعةِ «اوسك»[2]، وبينما كان الجيشُ في صددِ العبورِ إليه جرى القضاءُ السماويُّ وهاجَ نهرُ «تراوه» وزادَ ماؤه ولَمْ يتمكّنوا مِن عبورِه، فأقاموا جِسرًا في مكانٍ آخَرَ يبعُدُ عنه ميلان. ولكنْ أيضًا كان مِن الصعبِ المرورُ على الجِسْرِ الجديدِ فركِبَ السّلطان- حامي

(1) وبالنظر إلى كتاب بچوى أنه سُليمان باشا الذي كان أمير أمراء بغداد سابقًا، ثمّ تولى الوزارة، وكان واليًا ومن العلماء خير الدين أفندي قاضي. وبالنظر إلى كتاب تاريخ أبي الفاروق ج3 ص90 كان من أركان رجال المَجَر، وجاء كسفير إلى استانبول، ثمّ نصب حاكمًا للنظر في شئون وأمور المَجَر من قبل «شان سليه وربوجي» الذي ذهب. وفي تاريخ دولت عثمانية الطبعة 2 ج1 استطراد ص274: أول والي لـبودين هو سُليمان باشا أمير أمراء بغداد سابقًا. والمشار إليه هو من أبناء الديوشيرمه من المجر. وفي سجل عثماني ج4 ص837: انظر: جدول ولاة بودين.

(2) ذكر بچوى ج1 ص228: «بعدَ أنْ ذكر أنه تمّ تنصيب أمير الأمراء السعيد بدار الملك بودين يعني أنكروس في 8 جُمادى الأولى سنة 948 هجرية. في صحيفة 232 ذكر أنه كان الرجوع الهمايوني يوم 4 من الشهر المذكور، وهذا إمّا سهو في الترتيب أو من أثر الذهول.

العالَمِ- سفينةً مع أبنائه، وعبروا إلى قلعةِ «اوسك». فرأى الجيشُ هذه الحالةَ، ولَمْ يَنظُروا إلى بعضِهم البعض، وبدأوا في العبورِ مِن الكباري والجسورِ المذكورةِ، ونزلوا الماءَ بخيولِهم ودوابِّ الحملِ، وتارةً يسيرون، وتارةً يخرُجون إلى الجسرِ، فغرِقَ البعضُ بحصانِه، والبعضُ هلكتْ دابَّته بمتاعِه ولوازمِه، وما حدثَ للجيشِ مِن خسائرَ لا يمكنُ شرحُها بلسانٍ. فقدْ هلكَ كثيرٌ مِن الدوابِّ والبغالِ والمتاعِ والسفنِ، ومِن الجيشِ وبعضِ العساكرِ تركَ أشياءه في السفنِ. وبعدَ عناءٍ ومشقَّةٍ كبيرةٍ عبروا إلى ناحيةِ «اوسك». والحاصلُ أنَّ الجيشَ قد عانى كثيرًا وقامت قيامتُه، وتكدَّرَ وعانى كلُّ شخصٍ مِنهم وبقِيَ كثيرٌ مِن الجنودِ يومينِ أو ثلاثةً داخلَ المياه، وذاقوا العذابَ الأليمَ.

وبعدَ أربعةِ أيامٍ أو خمسةٍ عبروا الجسرَ إلى طريقِ السلامةِ. وغضبَ السّلطان «سُليمان» كثيرًا على وزرائه [1] مِن أجْلِ هذا الصنيعِ. وعندما عبرَ جميعُ الجنودِ وقفَ سُلْطانُ الإسلام ثمّ عبرَ بعدَهم بسعادةٍ وسارَ مِن منزلٍ لآخرَ حتى وصلَ «بلغراد»، وأعطى جميعَ الأمراءِ الخلعَ والهدايا والعطايا، وخرجَ الأمراءُ السعداءُ أبناءه مع جُنْدِ القبو خلقى [خدم الباب] إلى الصيدِ والقنصِ، وجاؤوا بسلامةٍ وسعادةٍ، ودخلوا «إسلامبول» في أوائلِ شعبانَ مِن السنةِ المذكورةِ [2]. وجاء

(1) وبالنظر إلى كتاب بجوى أنه وصل يوم 8 شعبان سنة 948 هـ. ويوجد نقص في صحائف الأخبار ج3 ص497. وتوجد تفصيلات عن هذه الحملة في تاريخ بجوى ج1 ص225 و228. وذكر خليل أدهم بك في تاريخ عثماني انجمنى مجموعه سى- سنة 5 ج 26 ص118 في البحث بعنوان» بيليوغرافيا أن: «تمّ بناء، وتأسيس قلعة بودين من قبل العثمانيين ورؤية منظرها وخطتها. ويوجد أثر باسم «تاريخ بودين» لجلال زاده صالح أفندي المتوفي سنة 973هـ، وتوجد نسخة منه بخط اليد في مكتبة روان كوشكي في اندرون همايوني.

(2) انظر: المتن ص385 من الكتاب. والموافق 21 نوفمبر 1541م.

أيضًا «سُليمان باشا» مِن الأناضولِ، وأصبحَ في خدمةِ السُّلْطانِ.

[قضيةُ المسحِ على الخُفِّ][1]

وفي هذا العامِ قال المُفتي «چوى اوغلى»[2]: «لَم يوجَدْ نقلٌ صريحٌ مِن

(1) هذا العنوان من وضع (المترجم).

(2) جاء في حدائق الشقائق أنه: محيي الدين شيخ محمد أفندي بن الياس، ووالده- وبالنظر إلى كتاب دوحة المشايخ- من منتشه منتشه لى. وبسبب كثرة انشغاله بالكتب والمدرسين أخذ لقب جوى الياس أفندي، وتأريخ ولادته: خير الولد: 881هـ. وتعلم على يد تاجى زاده سعدى چلبى، وقنارى محيي الدين أفندي، ومحمد باشا، وقره بالى أفندي، وعين مدرسًا سنة 934هـ ثم قاضي مِصْرَ سنة 944هـ، ثمّ قاضي عسكر الأناضول سنة 944هـ وفي 2 شوّال سنة 945هـ عيّن شيخ الإسلام مكان سعدي سعد الدين أفندي. وعزل من وظيفته في رجب سنة 948هـ. وجاء في دوحة المشايخ عن سبب عزله: «يروى أنه عزل بسبب تطاوله وطعنه في أجلة المشايخ من السلف مِثلَ محيي الدين بن عربي، وجلال الدين الرومي قدس سرهما وغيرهما. وبعد الحج عين مدرسًا في المدارس الثمانية، وأصبحَ قاضي عسكر الروم ايلي سنة 952هـ وتُوفِّي ليلة الاثنين 4 شعبان سنة 945هـ. ودفن بجوار جامع أبي أيوب الأنصاري. وتوجد ترجمة مفصلة عنه في حدائق الشقائق المطبوع ص446، ودوحة المشايخ المطبوعة ص19. وجاء عنه في الأثرين: «هو من صناديد العلماء الذين يظهر عليهم الهداية الربانية، صاحب الجواب الصحيح، وقد حفظ نفسه ووقاها من الخطأ، وكان كاتب خلاصة الأقاويل ومنتقى المذاهب. وتاريخ ولادة خادمه محمد أفندي- خاورى نك- أنه خير الولد يعني 937هـ برويز أفندي. وبعد التعلم على يد طاشكبرى زاده وقره سيلى حسن أفندي عين مدرسًا ثم قاضي مِصْرَ وبروسه وأدرنة واستانبول. وبعدَ أنْ كان قاضي عسكر الأناضول والروم ايلي بالفعل أصبح شيخ الإسلام في 26 ذي الحجة 989هـ. وتاريخ وفاته يوم الأربعاء 28 جُمادى الأولى 995 هـ. ودفن بالقُرْبِ مِن والده. وعندما ذهب الصدر الأعظم شيخ الإسلام عثمان باشا لزيارته قال: «الأيام الضائعة من القضاء باعتبار ضعفه تحسب من حسناته». وتوجد ترجمة مفصلة له في حدائق الحقائق في تكملة الشقائق المطبوع ج1 ص292. ودوحة المشايخ ص31. وخادم هذا الشخص هو محمد أفندي من الصدور العظام، وترجمته في سجل عثماني ج4 ص164. وتاريخ نعيما ج5 طبعة 1283 ص77.

الأئمةِ الحنفيةِ في مسألةِ المسحِ»، وأضافَ قائلًا: لا جَرَمَ أنَّ هناك مِن الأئمةِ الشافعيةِ مَن قال بجوازِ المسحِ، ولكنَّ الأئمةَ الحنفيةَ قد سكتوا عن القولِ بذلك. وسكوتُ هؤلاء كان مِن أجْلِ إرضاءِ الدينِ، ولَم يكُنْ لدَيهم خبرٌ، وقد صرَّحوا بعدمِ علمِهم بهذا الشأنِ. وبذلك يكونُ «چوى اوغلى» قد أفتى فتوًى خالَفَ بها المُفتِينَ السابقِينَ [الذين صرَّحوا بعدم علمِهم بهذه المسألة].

وكان السُّلطان سُليمان - حامي العالَم - يعلمُ مسألةَ المسح جيِّدًا، وعندما وصلَ إلى سمعِه الشريفِ فتوى «چوى اوغلى»، عرفَ في الحالِ بُطْلانَها وأمرَ وزراءه قائلًا: «يتمُّ جمعُ العلماءِ وينظُروا في الفتوى التي أفتى بها «چوى اوغلى» في مسألةِ المسحِ، هل هو على طريقِ الحقِّ في ذلك أمْ على طريقِ الباطلِ». وتمَّ جمعُ علماءِ ذلك الزمان، وعندما نظروا في فتوى «چوى اوغلى» وجدوا أنَّ بُطلانَها ظاهرٌ أوضحُ مِن الشمسِ، وأجابَ الجميعُ قائلين: «هذه الفتوى (1) التي أفتى بها «چوى اوغلى» في مسألةِ المسح تخالفُ الكتبَ الشرعيةَ وفتاوى المُفتِين السابقِين». وعندما أجابوا بذلك، وعرفَ السُّلطان - حامي العالَم - جوابَهم، فأمرَ العلماءَ والأعيانَ قائلًا: «ليوقِّعْ العلماءُ أنَّ «چوى اوغلى» يظهرُ عليه الجهلُ والعِنادُ والكذبُ والبُطْلانُ في مسألةِ المسحِ». وبناءً على معرفةِ

(1) ذكر كاتب چلبي في كشف الظنون طبعة بولاق ج1 ص431: «رسالة في المسح على الخفين: للشيخ إبراهيم بن محمد الحلبي المتوفى سنة 956، كتبها ردًّا وجوابًا على رسالة جوى زاده، ذكر فيها أن مفتيًا أفتى بعدم جواز المسح على الخفِّ تحت خفٍّ آخر من جرح ونحوه، فسأل السُّلطان سُليمان العلماء، وفيه رسالة للمولى محيي الدين القنارى أولها (الحمد لله الذي خفَّف التكاليف الشاقة إلخ). ولمولانا ابن كمال باشا مختصر في ورقة أوله (الحمد لله الذي جعل المسح سنة في دين الإسلام)، ولمولانا قادرى أفندي أولها (الحمد لله الذي له الاطاعة إلخ). ولمولانا جوى زاده أولها (الحمد لله مشرع الشرائع إلخ)، ذكر فيها مقدمة وفصلين، وللمولى صاجلى أمير اولها (وبحمده نحمده على أن جعلنا إلخ).

علماءِ ذلك الزمانِ وبُلَغاءِ وفُضلاءِ ذلك الأوانِ أنَّ فتوى «چوى اوغلى» في هذه المسألةِ، تخالفُ فتوى العلماءِ المتقدِّمين والفضلاءِ المتأخِّرين قاموا بالتوقيعِ بإجراءِ الحُكمِ الشرعيِّ الصحيحِ، وقرّروا العملَ على الوضعِ السابقِ المُبينِ.

وفي هذا العامِ قامَ ملكُ إسبانية الملعونُ «شارل كن» (1) بجمعِ ثمانين سفينةً مِن نوعِ «قادرغة» ومائتَي سفينةٍ مِن نوعِ «بارچه» و«قروله» و«قلياته» و«قايق». والحاصلُ أنه جمعَ خمسمائةِ سفينةٍ وذهبَ بها إلى الجُزرِ الموجودةِ في أرضِ «المغربِ». واصطحبَ خمسةَ آلافِ فارسٍ داخلَ السفنِ، وعشرين ألفًا مِن رُماةِ المدافعِ [طوبچيلر] بجانبِ المدافعِ والمتاريسِ (2)، وجميعِ آلاتِ الحفرِ مِن الـ«قازمة» والـ«كورك»، وملأ هذه السفنَ بتلك المعدّاتِ الحربيةِ، وتوجَّهَ بهذه المهابةِ إلى تلك الجُزرِ (3).

وعندما اقتربَ مِن الجُزرِ أنزلَ أشرعةَ السفنِ، ونزلَ بها (4) ... (5) وقامَ بإرسالِ خطابٍ إلى «حُسينِ أغا» الذي كان أميرًا على تلك الجُزرِ بأمرٍ مِن «إسبانية» (6)، جاء فيه: «أنا أميرُ «إسبانية»، وليكُنْ معلومًا لَديك، ولَدَى كلِّ الطوائفِ الموجودين بداخلِ القلعةِ؛ أنّي قد وصلتُ إليكم بهذا القدْرِ مِن السّفنِ والعَتادِ والسّلاحِ، وأعطيكم مُهْلةً لمُدّةِ ثلاثةِ أيامٍ تخرُجون فيها بمُمتلكاتكم

(1) في تاريخ أبي الفاروق ج3 ص142 جاء في صُورة شارل كن.

(2) يوجد نقص هنا.

(3) في تاريخ أبي الفاروق ج3 ص142: خرجَ اندره دوريان لـ بـ 74 سفينة كبيرة ومائتين سفينة أخرى بالأسطول من إسبانية إلى الجزر.

(4) في تاريخ أبي الفاروق: نزل إلى البر في موضع متانوس الذي يبعد ثلاث ساعات عن المدينة.

(5) يوجد نقص هنا.

(6) في تاريخ أبي الفاروق ج3 ص142: لم يكن خير الدين باشا قد وصل إلى الجزر بعد، وأرسل ابنه حُسين بك بجزء من القوات إلى المدينة للمحافظة عليها.

خفيةً مِن القلعةِ، وتذهبون حتى لا يصيبُكم منّي ضررٌ، ومَن يخالفْ ذلك فإنّي أتيتُ إليكم لأستوليَ على القلعةِ جبرًا وقهرًا، وأقتلَكم جميعًا بالسيفِ».

وعند وصولِ الرسالةِ إلى «حسن أغا»[1] جمعَ الرومَ والعربَ الموجودين داخلَ القلعةِ، وقرأ عليهم تلك الرسالةَ. فقامَ أهلُ الإسلامِ جميعُهم على قلبِ رجُلٍ واحدٍ، وذلك غيرةً على دينِ الإسلامِ، وقالوا: «هل سنُسلِّمُ القلعةَ للكفارِ الذين لا اعتبارَ لهم»؛ وأجابوا بذلك الرسولَ القادمَ إليهم. فذهبَ الرسولُ وأعطى الجوابَ لملكِ إسبانية؛ فغضبَ ذلك الملعونُ، وأمرَ قائلًا: «لتخرجْ الفُرْسانُ والخيولُ والمدافعُ والمتاريسُ مِن السفنِ إلى البرِّ، ولْتُقَمْ في ذلك اليومِ الخيامُ والأوتادُ». وامتلأ الوادي بالجنودِ.

وعندما خرجَ الأسطولُ إلى البرِّ، وبتقديرٍ ربّانيٍّ، وأمرٍ سُبحانيٍّ؛ خرجتْ مِن جانبِ الشّمالِ عاصفةٌ وريحٌ مثلَ الطُّوفانِ، ونزلتْ الأمطارُ، واسودّتْ مياهُ البحارِ، وهبّتْ ريحٌ عصيبةٌ لدرجةِ أنه لَم يستطعْ أحدٌ فتحَ عينيه، ولا يوجدُ مجالٌ أيضًا لدفعِ ذلك أو الهروبِ منه، فأُسقِطَ في أيدي الكفارِ سواءً في البرِّ أو في البحرِ. ولَم يستطعْ الموجودون في البرِّ مساعَدةَ الموجودين في السفنِ، ولا الموجودون في السفنِ استطاعوا أنْ يساعِدوا الموجودين في البرِّ، وقامَ الملاعينُ الموجودون داخلَ السفنِ بقطعِ حبالِ السفنِ بالسكّينِ بهدفِ الهروبِ بها إلى البحرِ، وأخذ البحرُ سفنَهم إلى حجرِ المرسى.

والحاصلُ أنه في ذلك اليومِ صُدمتْ مائةٌ وخمسون سفينةً مخذولةً بالبرِّ وهلكتْ، ورأى عربُ تلك الولاياتِ هذا الوضعَ فهجموا على الكفارِ الموجودين في البرِّ، وقتلوا بعضَهم، وأسروا بعضَهم الآخَرَ، ونقلوهم إلى الجزائرِ، ووجدوا عددًا مِن

(1) جاءت في الكتاب بهذا الشكل. (المترجم).

المسلمين داخلَ السفنِ؛ فقاموا بتخليصِهم أيضًا. وكانت بعضُ السفنِ أيضًا قد انقسمتْ إلى أجزاءَ عند الحجرِ الحديديِّ، وبقِيَ ملِكُ «إسبانية» والكفارُ- الذين خرجوا معه إلى البرِّ- في مكانٍ مرتفعٍ عند «بجنه». ولَم يرَ وجهُ الكفارِ الملاعينَ النومَ لمُدَّةِ ثلاثةِ أيامٍ وثلاثِ ليالٍ، وأحاطَ بهم العربُ مِن كلِّ الجهاتِ، وكانوا قد غنِموا الكثيرَ منهم. وهدأتْ الريحُ في اليومِ الثالثِ، ونجا بعضُ الكفارِ الملحِدين الظاهرين مِن الإسبانِ، ودخلوا وركِبوا السفنَ. وقامَ العربُ والرومُ بالهجومِ على الباقي منهم وغنِموا كثيرًا، وذهبَ الكفارُ مع الملاعينِ إلى ولايةِ ملِكِ إسبانية[1]. وقد وقعَ ذلك في سنةِ 949هـ[2].

[حِصارُ قلعةِ «بشته» وقتلُ «قره هرسك» على يدِ العثمانيين][3]

وفي سنةِ 949هـ، جمعَ «فرندنانوش» مرةً أخرى جيشًا، وقصدَ الانتقامَ لجيشِه الذي هُزم في «بوديم»، وللمدافعِ التي سُلبتْ منه، فجمعَ جيشًا مِن «آلامان» و«جه» و«الروس» و«جاسار»/ قيصر و«إسبانية» و«فرنكستان». وكان الحاصلُ أنْ جمعَ جيشًا كبيرًا، وأحضرَ العُدَّةَ الوفيرةَ والعَتادَ، وحمَّلَ مائةَ سفينةٍ بالذخيرةِ والمعدَّاتِ والأسلحةِ، وجعلَ شخصاً قذرًا ملحدًا يُسمَّى «قره هرسك» قائدًا ورئيسًا عليهم، وأرسلَه بتلك السفنِ وهذا الجيشُ الذي لا نهايةَ له إلى «بوديم».

فجاء «قره هرسك» بهذا الجيشِ المبالَغ فيه، وفي ذلك الوقتِ كان الكفارُ قد جاؤوا يقصِدون محاصَرةَ قلعةِ «بشته». وخرجَ الغُزاةُ المسلمون بخيولِهم

(1) انظر: بقية الاستطراد الموجود ص 407.

(2) الموافق 1543م.

(3) هذا العنوان من وضع (المترجم).

خلفَهم، وواجَهوا الكفارَ، وكانت حربًا عظيمةً، وهلكَ كثيرٌ مِن الكفارِ، واستُشهِد أيضًا كثيرٌ مِن المسلمين، وجُرحَ البعضُ مِنهم، ثمّ رجعوا. وعندما دخلوا القلعةَ كان يوجدُ بها كلٌّ مِن «اولامه باشا»، و«سكبان باشى»، و«آرسلان بك». وتدفّقَ الكفارُ جماعاتٍ جماعاتٍ مِن ناحيةِ البرِّ إلى قلعةِ «بشته» ونزلوا بها، وفي الحالِ شرعوا في إعدادِ المدافعِ والمتاريسِ، وفي آنٍ واحدٍ بدءوا في ضربِ قلعةِ «بشته».

والحاصلُ أنّهم ضربوا القلعةَ لمُدّةِ يوم وليلةٍ، وهدموا القلعةَ، وسوّوها بالأرضِ. ثمّ خرجوا ونصبوا المدافعَ في أماكنَ كثيرةٍ مِن القلعةِ وأحدثوا ثغرةً. وعندما رأى المسلمون الموجودون داخلَ القلعةِ هذه الحالة، وثبوا بسرعةٍ، وحاولوا النجاةَ بأرواحِهم وقاموا بحفرِ خنادقَ عاليةٍ مِن ثلاثِ جهاتٍ مِن القلعةِ وأعدُّوا المتاريسَ، وعندما سارَ الكفارُ عليهم استندوا إلى الخندقِ، واستطاعَ المسلمون أيضًا أنْ يقتُلوا مُعظَمَ الكفارِ مِن تلك المتاريسِ، ولَم يظفرْ الملاعينُ بالقلعةِ، فعادوا، وبهذه الطريقةِ والأسلوبِ هجموا عِدّةَ مرّاتٍ المسلمون مِن الداخلِ، والكفارُ مِن الخارجِ، ووقعتْ حربٌ عظيمةٌ بينهم، وهلكتْ أرواحُ كثيرٍ مِنهم، وآخِرُ الأمرِ كانت عنايةُ الحقِّ جلّ وعلا وعونُه قرينةَ المسلمين، وقد جُرح «قره هرسك» قائدُ جيشِ الكفارِ ورئيسُه مِن ضربةِ مدفعِ «ضربزن» مِن طرفِ المسلمين، وذهبَتْ رُوحُه إلى جهنّمَ[1].

(١) جاء في بجوى: «بينما كان قره هرسك اوغلو الذي كان سردارًا للكفار الفجار يتقلد السيف في خيمته استعدادًا للهجوم ثانية أطلق مدفع من سراي بدون، فانقسم الملعون بأمر الحق إلى نصفين. وفي التواريخ التي كتبت في أوروبا في تلك العصور: «لقد جرح بمدفع في تلك الحرب الذي كان سردارًا على أمراء نمجه، وترك الهجوم على القلعة، ثمّ قطعوا رأسه ونقلوها إلى اولامه بك. ونحن خلصنا جسده ونقلناه معنا ودفناه في استرغون. هرسك: محرفة من كلمة هرزوغ،

وعندما رأى الكفارُ الباقون هذه الحالةَ؛ أُسقِطَ في يدِهم، ولكنَّهم لَم يهرَبوا وذهبَ جميعُ جمهورِ الجيشِ إلى ولاياتِهم. وبسببِ أنَّ سردار عساكرِ الرومِ ايلي وقائدَهم كانَ قليلَ الخبرةِ ومبتدئًا كان يخافُ مِن تتبُّعِ الكفارِ والذهابِ خلفَهم؛ فأقام يومين في ذلك المكانِ[1]، وعادَ بعدَ خمسةَ عشرَ يومًا، ولو هجمَ على الكفارِ لَما نجا إلا القليلُ مِن جيشِهم.

وقد وقعتْ هذه الحادثةُ في أواسطِ شهرِ شعبان مِن السنةِ المذكورةِ، وعندما سمعَ السّلطان حامي العالَم بهذه الأخبارِ فرحَ كثيرًا[2]. وفي هذا العامِ أخرجَ السّلطان «سُليمان» ابنَه السّلطان محمدًا وابنَه السّلطان «سليم» إلى السناجقِ، وقد أعطى سنجق «مغنسيا» إلى السّلطان محمدٍ وسنجق «قرمان» إلى السّلطان «سليم» وأرسلَهم إلى هناك. وقضى السّلطان فصلَ الشتاءِ في «أدرنة»[3]. وبعد ذلك، تمّ ضبطُ قلعةِ «بوديم» ونواحيها. وقامَ كفارُ «آلامان» و«إسبانية» و«نمجه» بالتدبيرِ والاتّفاقِ، وقالوا: «إذا لَم نُعْطِ أهميةً للتُّركِ، فإنهم لن يتركُونا، وبسرعةٍ يجبُ أنْ نجدَ حيلةً أنْ لا نجعلَ التُّرْكَ في راحةٍ». واتفقوا على ذلك.

[فتحُ قلعةِ «والبوه» و«شقلوش»][4]

وعندما سمعَ سُلْطانُ الإسلامِ بأصلِ تدبيرِ هؤلاءِ الكفارِ الأشرارِ عقدَ

وتعني دوقة أو دوق.

(1) يوجد نقص هنا.

(2) توجد تفصيلات عن هذه الحرب في تاريخ بجوى ج1 ص232.

(3) وبالنظر إلى كتاب بجوى أنه تحرّك من استانبول متوجهًا إلى أدرنة يوم 8 شعبان سنة 949هـ.

(4) هذا العنوان من وضع (المترجم).

نِيَّتَه على الغزوِ، وتهيّأ قادةُ الأناضولِ وعساكرُ الروم ايلي وفُرْسانُهم، وعزمَ السّلطان- الذي قدرته الفلك- على الذّهابِ مع ابنه «بايَزيد» في يوم 18 محرَّم سنةَ 950هـ [1] بعساكرِ «قبو خلقى» إلى «بلغراد» [2]، ثمّ خرجَ مِن «بلغراد إلى «أوسك»، وكانت توجدُ داخلَ البحرِ قلعةٌ منيعةٌ قويةٌ تُسمَّى «والبوه» على نهرِ «طراوه» بالقُرْبِ مِن «أوسك»، وكانت تابعةً إلى ملكِ «بيج»، وكان يأمرُ أهالي القلعةِ بإيذاءِ المسلمين الموجودين في قلعةِ «أوسك». فأعطى السّلطان «سُليمان» أميرَ أمراءِ الروم ايلي كثيرًا مِن المدافعِ وأمرَه قائلًا: «اذهبْ إلى تلك القلعةِ، واستولِ عليها بأيِّ طريقةٍ ممكنةٍ». فامتثلَ الأميرُ في الحالِ هذا الأمرَ، وأخذَ عساكرَ الروم ايلي وذهبَ إلى القلعةِ، وأعدَّ المدافعَ في مُواجَهةِ القلعةِ، وضربَ القلعةِ بالمدافعِ لفترةٍ طويلةٍ. وفي النهايةِ استولى على خارجِها بقوَّةِ السيفِ، وطلبَ مَن بالداخلِ الأمانَ، وخرج الكفارُ مِن القلعةِ، وتركَ رجالًا بداخلِها، وتمَّ ضبطُ القلعةِ [3].

وبعد الاستيلاءِ على «والبوه» عبروا نهرَ «طراوه» ووصلوا لقلعةِ «شقلوش» ونقلَ أيضًا سُلْطانُ الإسلام المدافعَ إليها وأمرَ بضربِها بالمدافعِ لفترةٍ مِن الزمنِ، وفي النهايةِ تمّ فتحُها، وبعدَ فتحِ هذه القِلاعِ تمّ فتحُ قلعةِ

(1) الموافق 22 أبريل 1543م.

(2) وبالنظر إلى كتاب بجوى: وصلوا بلغراد في غرة ربيع الأول.

(3) ذكر بجوى: كان أمير أمراء الروم ايلي أحمد باشا على طليعة الجيش. وكان قبلَ وصول أحمد باشا قد وصل إلى القلعة خضر بك أمير سنجق كوستنديل، ومسيح بك، ويحيى باشا زاده أمراء سنجق آولونيه، وأحمد بك أمير سنجق ابنه بختي قد وصلوا إلى القلعة، وحاصروها وأخرجوا المدافع من قلعة اوسك. وبعد وصول الجيش الهمايوني إلى هناك تمّ فتح القلعة في 19 ربيع الأول سنة 950هـ.

أو قلعتين أخريين وتمّ ضبطُها [1]. وعندما أخذوا «شقلوش» تمّ نصبُ راياتِ النصرِ والظفرِ الخسروانيةِ، ورُفع الأذانُ، وبُدِّلتْ قواعدُ كنائسِ كفارِ الضلالةِ إلى مساجدِ أربابِ الدِّينِ. وقد فُتحتْ وسُخرتْ في الثالثِ مِن شهرِ ربيعٍ الآخرِ مِن السنةِ المذكورةِ، وتمّ تعيينُ محافظين ورجالٍ أقوياءَ على القِلاعِ المفتوحةِ. وبموجِبِ الأمرِ العالي تمّ نقلُ المدافعِ مِن طرفِ أميرِ أمراءِ الرومِ ايلي ووضعُها في السفنِ.

[طائفةُ اللوند في الدولةِ العثمانيةِ] [2]

وقصدَ سُلْطانُ البرّينِ والبحرَينِ الذهابَ مع العساكرِ المنصورةِ إلى صحراءِ «بودين»، وعند وصولِه- وبمقتضى العاداتِ القديمةِ- تمّ إظهارُ الراياتِ والأعلامِ عن اليمينِ وعن اليسارِ، ثمّ ساروا، وجاءت أيضًا السُّفنُ والمدافعُ، وأُقيمتْ أنواعُ الاحتفالاتِ والأفراحِ. وبعدَ أنْ وصلَ «بودين» قد كانتْ «اوسترغون» تابعةً لـ «بوديم» كما في السابقِ إلّا أنّها انتقلتْ مِن «بودين» وأصبحتْ تابعةً إلى الملعونِ «فرندنانوش» ملِك «بج»، وأرسلَ أيضًا ملِكَ «بج» رجالًا كثيرين إلى تلك القلعةِ، وأمرَ بضبطِها. وكلُّ الكفارِ

---

(1) جاء في بجوى: وصلوا إلى والبوه في 26 ربيع الأول، وعبروا من على الجسر الموجود بالقُرْبِ مِن والبوه من على نهر دراوه، وفي اليوم الثاني وصلوا إلى صحراء شقلوش. وقاموا بحصار شقلوش، وفي غرة ربيع الآخر يوم الأربعاء تمّ فتح خارج القلعة، وفي اليوم الرابع عشر تمّ فتح القلعة بالأمان. انظر: قتيزه الطبعة الرابعة ص196. وفي بجوى: فونفكير حن، أنه بعد ذهاب مُراد بك أمير سنجق اوسك، وقاسم بك أمير سنجق مهاج تمّ فتح القلعة بطلب الأمان. وانظر قتيزه طبعة 4 ص189.

(2) هذا العنوان من وضع (المترجم).

مِن أبناءِ الحرامِ والـ «لوند» [1] الموجودين في ولاياتِ «بيج» وسائرِ الأماكنِ الأخرى ذهبوا إلى «أوسترغون» وأقاموا بها. وكانوا مِن فترةٍ لأخرى يهجمون على «بوديم»، ويقتلون كلَّ مَن يجدونَه مِن المسلمين الموجودين

(1) جاء في أسفار بحرية عثمانية ج1 ص151: «لوند: محرفة من كلمة لوانتي، وهي التي تطلق على رجال التفكجي الذين يتمُّ استخدامهم في السفن الهمايونية قديمًا، وقد أخذت الكلمة من اللغة الإيطالية، وشاع استعمالها بين شعوبنا. ولوانت: في اللغة الإيطالية تعني الشرقي، وقد أطلقها الـ ونديكل على أهالي الخروات والأرناؤوط الذين جاؤوا من الشرق وفتحوا سواحلهم، وقد أطلقوا أيضًا كلمة «لوانتي» على المحاربين الذين جاؤوا من بلاد الشرق، وحرّروا وأخذوا سفنهم، وهي تعني شرقي. (وفي الفترة الأخيرة اختلت أمور الأسطول الهمايوني في الدولة العلية، وبعدَ أنْ أصبح أكثر عساكر السناجق المستخدمين في الخدمة البحرية والذين يعرفون باسْم «مارالذ كرلوتده» عملهم غير مفيد، وانتشر الآخرون في ولايات الأناضول، وبدأوا في الجسارة على قلة الأدب وأوقعوا خسائر كبيرة في البلاد ثمَّ وضعهم في معسكر وجماعة منفصلة، وإذا كان قد تمَّ استخدامهم في بعض الخدمات العسكرية إلا أنهم لَم يدخلوا تحت رباط النظام وأوقعوا خسائر وضيقوا لفترة طويلة على الأهالي. وفي بعض نواحي آسيا كان اسم لونده يطلق على الشخص الظالم والغير شريف والباغي). وقد أخذ ذلك من تاريخ جودت في القسم الموجود داخل معترضه ج5 ص111 طبعة 1278 هـ. وفي تبيان نافع: لوند: تعني كاهل كسول، زاني، عياش. وتطلق على من يفعل الفاحشة. وتعني أيضًا نائبًا أو وكيلًا، وتطلق على الأشخاص الذين يعملوا في الخدم في السراى. وتطلق أيضًا على مفرح الحيرة والخرابات. وفي الاصطلاح تعني الشخص الذي لا يوجد في قلبه مثقال ذرة من الخوف من الله، والذي يكون غير شريف أو طاهر، ويَمُدّ يده بالتعدي على الناس ويبيح أخذ أموال الأهالي وليس عنده إنصاف أو مبالاة بأحد. في قاموس بحرى: لوند: كانت تطلق في العصور السابقة على العزب ثم على ريّان السفن العثمانيين، وهي مأخوذة من ونديكلر بمعنى «لونده» أو لوندات بحرية. وفي كتاب منتخبات مير نظيف نديم- قسم الغزليات- ص 63: «عشاق البحر الأبيض، اوفنع لوندى شوخ مكر اق دكزليدر. وفي موزه عسكري رهبرنده رقم 2 ص54: لوندلر: هم الأفراد الذين يتمُّ استخدامهم من طرف أمراء السناجق من قبل عساكر ولاية قبودان باشا الذين يتمُّ تشكلهم من بعض السناجق الموجودة في السواحل، ويستخدمون مِن أجلِ الضبط وتأمين الأماكن، وينضمون إلى العساكر المحاربة في السفن الحربية. ويطلق اسم لوند روس على المنسوبين إلى ملة الروم.

هناك، ويأخُذون متاعَهم وأشياءهم ثمّ يذهبون. واستمرُّوا على ذلك فترةً من الزمنِ. فجاء سُلْطانُ الإسلام بالجيشِ مِن البرِّ، والسفنُ والمدافعُ مِن بحرِ «طونه» وحاصَرَ قلعةَ «أوسترغون»[1]، وأقامَ المتاريسَ، ونصبَ المدافعَ، وأُطلقتْ نيرانُ المدفعيةِ على القلعةِ لعِدَّةِ أيام، وسار إليها مرتين، ولكنْ لَمْ يأخذْها، وفي النهايةِ تمّ فتحُ تلك القلعةِ[2]، وعندما استولَوا على مياهِ الكفارِ عجزَ الكفارُ عن المقاومةِ، وطلبوا الأمانَ بالضرورةِ مِن سُلْطانِ الإسلام، فأمَّنَهم السّلطان على أرواحِهم، وتمّ تسليمُ القلعةِ[3]. بعد ذلك رفعَ سُلْطانُ الإسلام الراياتِ والأعلامَ على القلعةِ المفتوحةِ وأقامَ الاحتفالاتِ، وأمرَ بتعميرِ الأماكنِ التي هُدمتْ مِن القلاعِ، وعيَّنَ رجالًا أقوياءَ عليها، ووضعَ بها الذخيرةَ والأسلحةَ، وأمرَ أميرَ أمراءِ الأناضولِ أنْ يأخذَ المدافعَ والسفنَ ويذهبَ إلى قلعةِ «إستوني بلغراد»[4] مِن جانبِ «يوديم».

[هدمُ قلعةِ «تاتا» وفتحُ قلعةِ «استوني بلغراد»][5]

وفي الرابعَ عشرَ مِن شهرِ جُمادى الأولِ مِن السنةِ المذكورةِ، قصدَ سُلْطانُ الإسلامِ الذّهابَ إلى قلعةِ «تاتا»، وعندما علِمَ كفارُ القلعةِ المذكورةِ بتوجُّهِ-

(1) ذكر بجوي: أنه وصل صحراء اوسترغون يوم 22 ربيع الآخر سنة 950هـ.

(2) ذكر بجوي: ج1 ص251 عرفها باسْم بو قله.

(3) في بجوي: فتحت القلعة بعد طلب أهلَها الأمان يوم الخميس 6 جُمادى الأولى. في اللغة المجرية أسترغوم. والألمانية غران وفي اللاتينية استريغونيوم. انظر قنيزه طبع 4 ص180.

(4) في اللغة المجرية تاتا، والألمانية توتيس. وبالنظر إلى كتاب بجوى أنه تحرك يوم 14 جُمادى الأولى من «استرغون»، وقبل أن يصل بجيشه إلى قلعة تاتا كان أهالي القلعة قد فرواء وأمر بهدم القلعة. في المجرية قوماروم. والألمانية قومورن. وهي على أحد نواحي طونه في شمال غرب بشته.

(5) هذا العنوان من وضع (المترجم).

صاحبِ العظمةِ- انقطعَ الأملُ مِن حياتِهم، وقاموا بإرسالِ مفاتيحِ القلعةِ إلى «أولامه بك» الذي وصلَ إلى القلعةِ قبلَ السّلطانِ، فقام هو أيضًا بإرسالِ المفاتيحِ مع أحدِ رجالِه إلى سُلْطانِ الإسلامِ. وبناءً عليه تمَّ إعطاءُ الكفارِ الأمانَ، وتمَّ إرسالُ رجُلٍ إلى القلعةِ، وخرجَ الكفارُ أيضًا مِن القلعةِ وتمَّ تسليمُها. وذهبَ الكفارُ إلى قلعةِ «قومران»، وأمرَ سُلْطانُ الإسلام بهدمِ قلعةِ «تاتا»، وكان يوجدُ بالقُرْبِ مِن ذلك المكانِ قلعةٌ تُسمَّى «استونى بلغراد»(1)، وعندما نزلَ بها فجأةً بلاءٌ تمّ تعميرُها في الحالِ، وكان يوجدُ بها ثلاثةُ منازلَ/ خارج مِن ثلاثِ نواحٍ، ويوجدُ على القلعةِ محافظٌ وحارسٌ مثلَ العفريتِ والثعبانِ ذي الرؤوسِ الثلاثِ. وفي كلِّ طرفٍ منه توجدُ خنادقُ مملوءةٌ بالآلاتِ الحربيةِ الكثيرةِ. ومنذُ هبوطِ سيِّدنا «آدم» النبيِّ، وبعدَ خمسةِ آلافٍ وثلاثمائةٍ وأربعٍ وسبعين سنةٍ قامَ سُلْطانٌ يسمَّى «استول يانو» [استفان] ببناءِ هذه القلعةِ، ومنذ ذلك الزمانِ تمّ دفنُ ملوكِ ولايةِ «أنكروس» هناك بعدَ وفاتِهم، وكان الملوكُ الذين تملَّكوا مكانَهم في البدايةِ يذهبون إلى هذا المكانِ ويلبسون التاجَ هناك [في قرون](2)، وكان بالقلعةِ وبالمنازلِ والأماكنِ التي خارجها كثيرٌ مِن الجيشِ الضالِّ، فلا يستطيعُ أحدٌ أنْ يطأ بقدمِه تلك الولايةَ.

وعلى الخُصوصِ توجّهَ السّلطانُ حامي العالَمِ في ذلك الوقتِ لفتحِ القلعةِ المذكورةِ وقَمْعِ أعداءِ الإسلامِ، وعند وصولِه هناك استعدَّ فُرْسانُ القلعةِ المذكورةِ ومُشاتُها، ووقفوا أمامَ المنازلِ الموجودةِ خارجَ القلعةِ بالحديدِ والفولاذِ، ومن الجانبِ الآخرِ لَم يستطعِ الغُزاةُ فتحَ أعيُنِهم، وفي الحالِ التقوا بالكفارِ والتحموا

---

(1) في الألمانية اشتول وايسبورغ. في اللاتينية آلبارجيا. انظر: فنيزه طبعة 4 ص181.

(2) توجد تفصيلات عن «قوروونا» في بجوى ج1 ص215.

بهم بالمدافع، ووقعتْ حربٌ ضروسٌ. وتمّ جلبُ وإحضارُ المدافعِ والآلاتِ الحربيةِ التي أُرسِلتْ مع أميرِ أمراءِ الرومِ الأناضولِ مِن موضعٍ يُسمَّى «مجال»، وأُقيمتْ المتاريسُ، وقاموا بحصارِ تلك القلعةِ المهيبةِ المليئةِ بكفارِ «انكروس» و«آلامان» و«جه» و«جار» و«إسبانية» و«برتقال» [البرتغال] مقدارَ ستةِ آلافِ محاربِ ورامي رصاصٍ [تفنك انداز] ومحاربِ [جنك ساز].

وفي الحالِ أقاموا المدافعَ، وبدءوا في ضربِ القلعةِ. ووقعتْ معركةٌ بين المسلمين مِن الخارجِ والكفارِ مِن الداخلِ لعدَّةِ أيامٍ، وفي النهايةِ أدركتْ عنايةُ الحقِّ- جلّ وعلا- الغُزاةَ، وفي اليومِ الثاني مِن شهرِ جُمادى الآخرة[1] أحاط الدخانُ هذه القلعةَ المتينةَ الحصينةَ، ومِن الجانبِ الآخرِ انتهزَ الغُزاةُ الفُرصةَ فساروا إليها في الحالِ، وفي لحظةٍ واحدةٍ دُهنتْ أجسادُهم باللونِ الأحمرِ داخلَ الحربِ والفرحِ، وأعملوا السيفَ في أكثرَ مِن ثلاثةِ آلافٍ مِن الكفارِ، وهربَ بعضُهم إلى داخلِ القلعةِ، وبعد ذلك، أُقيمتْ المدافعُ داخلَ القلعةِ، وبينما كانوا في صددِ إطلاقِ المدافعِ طلبَ الكفارُ الموجودون بالداخلِ الأمانَ؛ فأعطاهم السّلطان صاحبُ العرشِ والاقتدارِ الأمانَ، وخرجوا مِن القلعةِ وتمّ ضبطُها.

وفي يومِ الخميسِ الثالثِ مِن جُمادى الآخرةِ مِن السنةِ المذكورةِ، رُفعتْ راياتُ الإسلامِ على القلعةِ، وأُقيمتْ أنواعُ الاحتفالاتِ والأفراحِ، وكانت

(1) وبالنظر إلى كتاب بجوى تمّ فتح خارج القلعة بالسير في اليوم 2 جُمادى الآخرة يوم الأحد، وفي يوم الاثنين الثالث مِنه تمّ فتح داخل القلعة بطلب الأمان. وتوجد تفصيلات ج1 ص257.
وذكر صاحب التاريخ بجوى إبراهيم باشا: «عندما وصل هذا العبد الضعيف في 1042هـ إلى بشته وبمقتضى الوقت أصبحت واليًا هناك».

توجدُ كنيسةٌ مصنعةٌ وجيلةٌ [1] تمّ تحويلُها إلى جامع، وصلّى فيه سُلطانُ الأرضِ صلاةَ الجُمعةِ [2] ووضعَ أشخاصًا وأمراءَ أقوياءَ مِن أجْلِ حفظ القلعةِ وحِراستِها، ووصلَ «بوديم» بسعادةٍ في المنزلِ الرابع، وأُقيم الديوانُ العالي، وأعطى وزراءه وأمراءه وافرَ الخلعِ الفاخرة، وأُرسلَتْ رسائلُ الفتح [فتحنامه لر] إلى نواحي العالَم. وعبر مِن «بوديم» إلى «بشته»، وقصدَ مِن «بشته» الذهابَ إلى «واردين». وبعد ذلك، وبعدَ الصيدِ والقنصِ قصدَ مِن بلغراد الذهابَ إلى «إسلامبول»، وبينما كان كذلك وصلَ بالقُرْبِ مِن قصبةٍ تُسمَّى «چورلو» فجاءه خبرُ وفاةِ ابنِه السّلطان «محمد» الذي كان في «مغنسيا»؛ فحزِنَ كثيرًا لذلك. وذهبَ إلى «إسلامبول» وأقام المأتمَ والعزاءَ[3]. وقضى ذلك الشتاءَ في «إسلامبول»، واستقرَّ بها. وفي هذا العام جاء القائدُ الملعونُ الذي لا دِينَ له مِن البُرْتُغاليين الموجودين في ولايةِ «هندستان» ببضعةِ آلافٍ مِن السّفنِ، وأوقعَ خسارةً كبيرةً وضررًا بـ «جدّة» و«عَدَن» و«مِصْر» و«سواس» [السُّودان] وجوانب» سواكن»، وفي النهايةِ وصلَ أميرُ «عَدَن» إليهم، ووقعتْ معركةٌ عظيمةٌ، قتلَ فيها كثيرًا مِن الكفارِ، وأسروا قادتَهم، وأرسلوهم إلى الدولةِ.

[لُجوءُ حاكِمِ تُونُس «حسن جوان» إلى «إسبانية»] [4]

(1) جاء في بجوي ج1 ص260: «تمّ الإبقاء على الكنيسة الكبيرة التي يدفن بها الملوك في أيديهم».

(2) في يوم 7 جُمادى الآخرة.

(3) وبالنظر إلى كتاب بجوي أنه عبر من طونه يوم 27 جُمادى الآخر، ووصل إلى وارادين في 4 رجب، ووصل بلغراد في 10 منه. وبالنظر إلى كتاب بيان بجوي أنه وصل استانبول في 18 شعبان.

(4) هذا العنوان من وضع (المترجم).

وفي هذا العامِ وصلَ «حسن جوان» الذي كان أميرَ تُونُس إلى «إسبانية»، لأنه كان قبلَ ذلكَ أعلنَ السلامَ. وبسببِ «خيرِ الدينِ باشا» الذي كان في ذلك الوقتِ قد استولى على مدينةِ «تُونُس» من «حسن جوان»[1]... فوصلَ «حسن جوان» وذهبَ إلى «إسبانية» واشتكى لهم. وبعد ذلك، جاءت «إسبانية» [ذات الدّين اللّعين] بأسطولِها اللعينِ، وقتلتْ مُعظَمَ رجالِ «خيرِ الدينِ باشا»، واستولتْ على قدرٍ كبيرٍ مِن سفنِه، وأخرجتْه مِن تُونُس ضربًا وقهرًا، واستولتْ هي على تُونُس، وكان «حسن جوان» المذكورُ قد أعلنَ تبعيَّتَه إلى «إسبانية». وبناءً عليه أصبحتْ تُونُس وتوابعُها تُعطي الخراجَ إلى «حسن جوان». ومهما يكُنْ فقدْ مرَّ ذِكرُ ذلك في هذا الكتابِ مِن قبلُ[2]، ولَمْ يسلِّمْ قلعةَ «حق الود» [خلق الواد]، وكان قد فتحَها وضبطَها لنفسِه. ولهذا السببِ وقعَ الاتفاقُ بين «إسبانية» و«حسن جوان».

وفي هذا العامِ ذهبَ «حسن جوان» مرةً أخرى إلى جانبِ «إسبانية»، واستراحَ لفترةٍ طويلةٍ مِن الزمنِ؛ فقام أهالي الولايةِ بتعيينِ «أحمد» بنِ «حسن جوان» حاكمًا على تُونُس، وعندما سمعَ «حسن جوان» بذلك، ورأى هذا الوضعَ طلبَ المساعدةَ مِن «إسبانية»؛ فأرسلتْ له سبعَ سفنٍ وثلاثةَ آلافٍ مِن الكفرةِ الفجرةِ، ووصلتْ السفنُ المذكورةُ و«حسن جوان» المذكورُ إلى قلعةِ «حق الواد»، وساروا مِن هناك نحوَ «تُونُس». وقامَ ابنُه أحمدُ باستفتاءِ العلماءِ الموجودِين عندَه، وقال لهم: لقد اتحدَ والدي مع الكفارِ، وجاء إلينا بهذا العددِ مِن جُنْد الكفارِ فما أمرُ الشرعِ وحُكمُه في ذلك؟، فأصدرَ العلماءُ

---

(1) في تاريخ أبي الفاروق ج3 ص13: ذكر أن حكمدار تونس هو مولاي حسن.

(2) انظر: ذلك ص356 من الكتاب.

فتوى بكُفرِه وقتلِه، ولكنْ قامَ أحمدُ بمدارةِ والدِه، وأرسلَ بعضَ الأشخاصِ مِن مشايخ العربِ لاستقبالِ والدِه وذهبَ هو أيضًا بنفسِه مع بضعةِ آلافٍ مِن الأشخاصِ الأقوياءِ، وكأنّه يستقبلُ والدَه، وبينما كان العدوُّ الموجودُ بجوارِ والدِه يرقدُ في غفلتِه، قامَ بعملِ هجوم مفاجئٍ عليهم، وجعل أكثرَهم طعامًا للسيفِ الحادِّ، ونقلَ والدَه بِسُرعةٍ، ولَم ينتظرْ، وكان الوضعُ هكذا.

وعندما جاء عامُ 951هـ[1] وصلَ سُلْطانُ الإسلام مع ابنِه السّلطان بايَزيد إلى «بروسه»، وأحضرَ ابنَه السّلطان «سليم» مِن «قرمان»، وظلَّ يصطادُ في نواحي «[بيلجنه] بروسه» فترةً طويلةً، وعندما حلَّ فصلُ الخريفِ أرسلَ ابنَه السّلطان «سليم» إلى «مغنسيا». وجاء مع ابنِه السّلطان «بايزيد» إلى «إسلامبول» ثمّ عبروا مِن «إسلامبول» إلى «أدرنة»، واستقرُّوا في ذلك الشتاءِ في «أدرنة».

[عزلُ «سُليمان باشا» و«خسرو باشا» مِن الوزارة][2]

وفي تاريخ 952هـ[3] قامَ كلٌّ مِن «سُليمان باشا» و«خسرو باشا» بالتحدُّثِ بكلامٍ غيرِ معقولٍ وغيرِ لائقٍ في بعضِ الأشياءِ في حضورِ السّلطان- مَلْجأ العالَمِ-، وبسببِ تجاوُزِهم حدَّ الأدبِ غضبَ السّلطانُ كثيرًا، وقامَ بعزلِ الاثنينِ مِن الوزارةِ. وعندما عُزِلَ «خسرو باشا» مِن الوزارةِ غلبتْ عليه الوسوسةُ بدونِ فائدةٍ، وظلَّ في منزلِه لا يتحرَّكُ.

وذكروا أنَّ [خسرو باشا] ذاتَ يوم أرادَ أنْ يركبَ حِصانًا؛ فأحضرَ رجالُه الحِصانَ أمامَه، وعندما وضعَ قدمَه على ركابِ سرجِ [الحِصانِ] نظرَ

(1) الموافق 1544م.

(2) هذا العنوان من وضع (المترجم).

(3) الموافق 1545م.

إلى جوانبه الأربعة، وعندما كان في الوزارة كان كلُّ الناسِ والعالَمِ يُظهرُ له الحُرمةَ والتقديرَ، ويدأ يفكّرُ في الجلالِ والتعظيم عند ركوبه الحِصانَ، ومرَّ بخاطره ملابسُه الفاخرةُ والأسكوفُ الذهبيةُ وخدمُه وعبيدُه، ولكنْ الآنَ لَم يبقَ معه غيرُ قليلٍ مِن الأشخاصِ، ولَم يعُدْ يرى الحالَ الأولَ الذي كان فيه، فقال: أدعو الله أنْ لا يراني أحدٌ بهذه الحالةِ عند رُكوبي الحصانَ؛ فالموتُ أهونُ عليَّ مِن ذلك. وأنزلَ قدمَه مِن سرجِ الحِصانِ، وبعد ذلك، أصبحَ مُلازِمًا الفراشَ، وشعر بألمٍ ووجعٍ في رُوحه وقلبه بسببِ عزلِه مِن الوزارةِ، وأحضرَ كثيرًا مِن الأطباءِ مِن أجْلِ معالجته، وعندما تناولَ بعضَ الأشربةِ والعلاجِ قال: أنتم تقصِدون إيذائي، وتريدون أنْ تسقوني السمَّ، وغلبتْ عليه وعلى قلبه وسوسةُ الشيطانِ، ولَم يصدِّقْ أحدًا، أو يثِقْ في أحدٍ، وفي آخرِ الأمرِ ظلَّ لمُدَّةِ سبعةَ عشرَ يومًا لا يتناولُ الطعامَ، ولا يشربُ الماءَ، وبسببِ ذلك رحلَ عن الدنيا بالحسرةِ.

وفي هذا العامِ أعطى سُلْطانُ البرّينِ والبحرَينِ لملِكِ «فرانصه» [فرانسه] كثيرًا مِن سفنِ الأسطولِ والجنودِ [1]. وقضى في «أدرنة» فصلَ الشتاءِ [2] وكان سُلْطانُ السلاطينِ في ذلك الشتاءِ يقومُ بالصيدِ والقنصِ، ثمّ عاد إلى «أدرنة» مرةً أخرى واستقرَّ بها.

وعند مجيءِ فصلِ الصيفِ خرجَ مرةً أخرى إلى «إسلامبول» واستقرَّ بها، وقضى ذلك الصيفَ في «إسلامبول»، ثمّ عادَ مرةً أخرى إلى «أدرنة». وفي هذا العامِ أعطى تفويضًا لابنِه السّلطان بايَزيد- طالَ بقاؤه ونال مُناه-

(1) توجد تفصيلات عن ذلك في بجوى وتحفة الكبار.

(2) يعني في أدرنة.

بحُكم إمارةِ «قرمان». وقامَ السّلطان بايَزيدُ بمعاملةِ رعايا ذلك المكانِ جيّدًا، ودعَوا بخيرِ الدعاءِ للسّلطان- مَلْجأ العالَم-. وكان ذلك يومَ الاثنين غرةِ شعبانَ مِن السنةِ المذكورةِ[1]. وقضى ذلك الصيفَ في «إسلامبول»، ثمّ رجعَ إلى «أدرنة» مرةً أخرى، وقضى بها فصلَ الشتاءِ.

[لُجوءُ «القاص ميرزا» إلى إسلامبول][2]

ولمّا دخلتْ سنةُ 953هـ[3]، وبينما كان يجلسُ «القاص» أخو الشّاه «طهماسب» سردار العجمِ في «شيروان» خافَ مِن أخيه، وهربَ ووصلَ إلى «دمور قبوى»، ووصلَ مِن هناك إلى «أردرخانه»، ثمّ عبرَ مِن «أردرخانه» إلى «كفه»، ومِن «كفه» ركبَ سفينةً ورحل إلى «إسلامبول»، وبينما كان سُلْطانُ الزمانِ في الصيدِ والقنصِ في «أدرنة» جاءه خبرُ وصولِ القاص أخي الشّاه «طهماسب» إلى «إسلامبول»، وأنه يريدُ كسبَ مزيدٍ مِن الحظِّ والسرورِ مِن سُلْطانِ الرومِ السّلطان «سُليمان»؛ فأرسلَ السّلطان إلى نوّابه ووكلائه الموجودين في «إسلامبول» أنْ يعامِلوا القاص على الوجهِ اللازمِ.

وبعد ذلك، عبرَ سُلْطانُ الإسلامِ مِن «أدرنة» إلى «إسلامبول»، وقامَ برعايةِ القاص على الوجهِ اللائقِ الذي لَم يرَه القاص نفسُه في المقاماتِ العاليةِ في ولايةِ العجم، ولَم يرِدْ على في خاطرِه مِثلُ هذه المقاماتِ العاليةِ الشريفة. وفي ذلك الصيفِ أقامَ سُلْطانُ الإسلامِ السّلطان «سُليمان» في إسلامبول ولَم

---

(1) هذه العبارة عائدة إلى جملة «تفويض» السابقة، وكان قديمًا يأتي الظرف أحيانًا بعد الفعل.

(2) هذا العنوان من وضع (المترجم).

(3) الموافق 1546م.

يذهبْ إلى أيِّ مكانٍ[1].

وفي سنةِ 955هـ[2] قامَ الأوباشُ سيّئوا المعاشِ الموجودون عند القاص بتحريضِه وإثارتِه [ضدّ أخيه]، وقالوا له: في الحالِ سيقومُ أكثرُ أمراءِ وجنودِ العجمِ الموجودون على الحدودِ بأمرٍ مِن سُلْطانِ الرومِ بالقبضِ على «طهماسب» ويسلّمونه إلى السُّلْطانِ. وقال الأمراءُ هذا الكلامَ للقاص حسدًا مِن أجْلِ محبّةِ السّلطان للقاص، فقام سُلْطانُ الروم السّلطان «سُليمان»- مع أنه لَم يأتِ وقتُ الحربِ/ لَم يكُنْ ذلك الوقتُ وقتَ الحملةِ- بإرسالِ الرُّسلِ بالحُكمِ إلى أمراءِ الرومِ ايلي والأناضولِ وقادتِهم، وقال فيه: على وجهِ الشّرعةِ الحَقوا بي؛ فلديَّ حملةٌ مهمّةٌ، وخرجَ السّلطان بنفسِه قبلَ حُلولِ فصلِ الربيعِ مِن «إسلامبول» وعبرَ البحرَ، وقصدَ الذهابَ إلى تبْريز للّحاقِ بالقاصِ والملاحدةِ الموجودين معه في «بيله جه»، وسارَ مِن منزلٍ لمنزلٍ حتى وصلَ إلى أرضِ الرومِ. وعندما وصلَ أرضَ الروم توقّفَ هناك، حتى جاءتْ العساكرُ المنصورةُ الموجودةُ تحتَ حُكومتِه ولحِقتْ به.

وفي البدايةِ جاءَ أميرُ أمراءِ أرضِ الرومِ بجيشِه وقادتِه، ثمّ أميرُ أمراءِ «سيواس» مع أمرائه وجُندِه، وبعدَهم جاء أميرُ أمراء «قرمان» بأمرائه وجُندِه، ومِن بعدِهم جاء أميرُ أمراءِ «مَرْعَش» بأمرائه وجُندِه، ثمّ جيشُ «عربستان»؛ يعني «حلب» و«الشام»، ومِن بعدِهم جاء أميرُ

(1) فنده سين: تعني كلمة نرده سين مِثلَ جلة أين خصمه هل في الميدان أم لا. والحاصل أنه لَم يذهب إلى محاربة العدو، ولَم يذهب في ذلك الصيف إلى أي مكان مِن أجْلِ الحرب. أو تعني أنه لَم يذهب إلى أي مكان.

(2) الموافق 1548م.

أمراءِ الأناضولِ مع قادته وفُرْسانِه وأمرائه، وقامَ السّلطانُ بإرسالِ أميرِ أمراءِ ديارِ بَكْر بجنودِه وفُرْسانِه إلى «ارجيش» على الحدودِ. والحاصلُ أنَّ [السّلْطان] جمعَ جيشًا لَم يرَ مِثلَه أحدٌ في العالَمِ. وامتلأتْ صحاري أرضِ الرومِ بالخيامِ والاوتاقات.

شِعْر

نـصـبَ الخيـمـةَ والمـقـرَّ والمـظـلَّـةَ وكـانـت
الأعلامُ منقوشةً أحمرَ وأخضرَ وبَنَفْسَجي
وعُــطِّـر المـكــانُ بـروضـةِ الـبُـسْـتـانِ
وامـتـلأ المـكـانُ بـالـدروعِ الجميلةِ
وامتلأتْ الصحارى بالرماحِ وشقائقِ البُستانِ
وامـتـلأ المـكـانُ بـالـدروعِ الجميلةِ
ودقّـتْ الـطـبـولُ والمـزامـيرُ والأبـواقُ
وامتلأتْ الصحراءُ بأصواتِ البكاءِ والصفيرِ
وهــربَ مِـن عـلى قـدمِ الحِـصـانِ
وحـجـزَ المـكـانَ في وجـهِ الهـواءِ

نثر: وبعد ذلك، وصلَ سُلْطانُ الروم بهذه الجماعةِ مِن الجيشِ إلى منطقةِ «ارجيش» التي كانت الحدَّ الفاصلَ لولايةِ الرومِ. وكان هدفُهم أنْ يأتيَ أحدُ أمراءِ قادةِ العجم، ويُعلِنَ لهم الطاعةَ والانقيادَ.

ولكنْ لَم يحدُثْ ما تمنّوه، فعبروا مِن هناك ووصلوا إلى مكانٍ يُسمّى «بند ماهي»، ثمّ وصلوا مِن هناك إلى وادي «قره كولق»، وعندما خرجوا مِن هناك إلى قصبةِ «خويه خوي»؛ جاءهم خبرٌ أنَّ القزلباش قد تركوا بعضَ

سلاطينهم [أمرائهم] في موضع يُسمّى «مرند»، وظلّوا هُم في «تبْريز» ونبّهوا هؤلاء الأمراءِ قائلين: «إذا جاء جيشُ الرومِ ووصلَ إليكم وجهًا لوجهٍ، التحموا بهم، وحاربوهم، وإذا قتلوا كثيرًا منكم، فليهربْ بعضُكم ويترك عساكرَ الـ«قره قول» [عساكر حفظ المدينة] الموجودةِ معه ويأتِ إليّ مباشرةً».

وعندما سمعَ سُلْطانُ الروم أنَّ الجيشَ في «مردن» [مرند]، أرسلَ كثيرًا من الجيشِ أمامَه، وقال لهم: «اذهبوا هناك، ولا تُعْطوا لهم مجالًا للهربِ، وذهبَ السّلطان بنفسِه في عقبِهم، ولكنّهم عبروا أولَ الليلِ من هناك وتركوا «مرند»، وذهبوا.

وعندما حلَّ منتصَفُ الليلِ جاء بعضُ فُرسانِ جيشِ القزلباش ورجالِه، وهجموا على جناحِ جيشِ الرومِ، وهربَ القزلباش إلى جانبٍ، وهرب الرومُ إلى جانبٍ آخرَ، ثمّ جاء القزلباشُ، ويقالُ أنهم شتموا عساكرَ الرومِ، وقالوا أنَّ «ابن البابا» قد ضاعَ دونَ أنْ يسألوا أحدًا، وضاعَ أيضًا «قول افنديسي» و«افندى اوغلان»، وقد ضاعتْ أيضًا أموالُ بعضِ الأشخاصِ وأمتعتُهم هناك.

وفي النهايةِ عندما وصلوا بالقُربِ من «مرند»، وحلَّ الصباحُ كان جيشُ القزلباشِ قد وصلَ هناك، وسمعَ القزلباش أنَّ جيشَ الروم قد وصلَ إليهم، وتشاجرا مع بعضِهم البعض فترةً، ثمّ نقلوا أشياءهم الثقيلةَ وأمتعتَهم، وانسحبوا من أمامِ أعيُنِ هؤلاء، وذهبوا.

وبعد ذلك، وصلوا «تبْريز» في اليوم الرابع، فخرجَ «طهماسب» بعيدًا عن «تبْريز»، ووصلَ إلى جبلِ «قره جه»، ومكثَ سُلْطانُ الرومِ حوالَي ثلاثةِ أيام أو أربعةٍ في «تبْريز»، وحلّتْ آفةُ السماءِ بجيشِ الرومِ، وهلكتْ الجيادُ والخَيلُ، ولَم يبقَ لأحدٍ من العساكرِ خيلٌ صالحةٌ للركوبِ، وحلَّ أيضًا بهم القحطُ والجوعُ، ولَم يجدوا الزادَ والزوادَ؛ فخرجوا من تبْريز، ولَم يذهبوا من

الطريقِ التي جاؤوا مِنها ، فذهبوا إلى «مراغيه» ثمّ إلى «صلماس»، وبينما كانوا يعبُرون مِن «صلماس» مِن جبلٍ صعبٍ بجوارِ قلعةٍ تُسمّى «كوكر جنلك» واجهتْ جيشَ الرومِ عقباتٌ لا يمكنُ شرحُها بلسانٍ.

[فتحُ قلعةِ وان] (1)

وفي نهايةِ الأمرِ عبروا هذا الجبلَ الصعبَ والسيّئَ، ونزلوا إلى قلعةِ «وان» التي كانت على حدودِ مملكةِ «طهماسب»، فنصبوا المدافعَ على هذه القلعةِ، ونظموا صفوفَ الجيشِ جماعاتٍ، ونظموا المتاريس، وبدأ الجيشُ في ضربِ القلعةِ عِدّةَ أيام، وفي نهايةِ الأمرِ عجزَ القزلباشُ الموجودون داخلَ القلعةِ، وطلبوا الأمانَ؛ فأعطاهم سُلْطانُ الإسلامِ الأمانَ، وأخرجَهم مِن القلعةِ وترك رجُلًا مِن الرومِ داخلَ القلعةِ، وأمرَ بتعميرِ الأماكنِ الخربةِ على الوجهِ اللازمِ، ووضعَ لوازمَ الحربِ بداخلِها، وأمرَ بضبطِها.

ومِن الجانبِ الآخرَ عندما سمعَ «طهماسب» سردار العجم بخروجِ السّلطان «سُليمان» مِن «تبْريز» ذهبَ في الحالِ إلى «تبْريز»، ومِن هناكَ سارَ إلى ناحيةِ «خوى» وعبرَ إلى نهرِ «قره كولق»، وعندما كان الرومُ يضربون قلعةَ «وان» خرجَ «طهماسب» مِن جانبِ مكانٍ يبعدُ قليلًا عن مكانِ الضربِ، وعبرَ مِن هناك إلى «أرجيش» التي كانت على حدودِ الروم [روملو] ومِن هناك ذهبَ إلى «عاد الجوز» [عادلجواز]، وقامَ بهدمِ تلك البلادِ جميعِها، وقتلَ الأهالي الذين وجدَهم هناك، وأوقعَ خسارةً كبيرةً بتلك الديارِ.

وبعدَ أنْ فتحَ سُلْطانُ السلاطينِ قلعةَ «وان» جاء إليه رسولُ [مشتك]

---

(1) هذا العنوان من وضع (المترجم).

وقال: «لقد جاء القزلباشُ، وضربوا المملكةَ، وقتلوا كلَّ مَن وجدوه مِن الرجالِ بالسيفِ؛ فأمرَ السّلطان «سُليمان» بتعميرِ قلعةِ «وان» كما ينبغي، وعبرَ السّلطان مِن هناك. وفي اليوم الثالثِ وصلَ السّلطان إلى الدّيارِ التي هدمَها «طهماسب»، وعندما سمعَ «طهماسب» بقدوم السّلطان «سُليمان»؛ هربَ إلى موضعٍ يُسمّى «قره كوبرو»، وعبرَ مِن مكانٍ لآخرَ، وسارَ سُلْطانُ الرومِ خلفَه، وعندما وصلَ إلى «قره كوبرو» هربَ «طهماسب» مِن «قره كوبرو»، وذهبَ إلى موضعٍ يُسمّى «بيك كول» ثمّ وصلَ إلى مكانٍ يُسمّى «باسينه» الذي هو على حدودِ «روملو».

وعندما وصلَ سُلْطانُ الإسلامِ إلى «قره كوبرو» كان أكثرُ جيشِه مِن المُشاةِ فقدْ هلكتْ الخيولُ وقدْ هدمَ «طهماسب» كلَّ الأماكنِ التي بها زادٌ وزوادٌ، وضعُفَ الجيشُ، وتعِبَ مِن عدمِ وجودِ الزادِ والزوادِ، واضطرُّوا إلى الذهابِ إلى ناحيةِ «قره حميد» [قره آمد]، وذهبوا إلى موضعٍ يُسمّى «خوش اوه».

ومكثَ الجيشُ قليلًا في «خوش اوا»، ولكنّهم لَم يجدوا علاجًا للخيلِ. وبسببِ القحطِ والجُوعِ اضطرُّوا للذهابِ إلى «دِيار بَكْر» ثمّ إلى «قره حميد»[1] ثمّ بعدَ ذلك دخلَ الجيشُ إلى حارةِ ومكان «بتليس»، ووجدوا خيلًا هناك، وبعدَ عِدَّةِ أيامٍ وصلوا حميد وركِبَ الجيشُ الخيلَ وذهبوا.

نعم، عندما سمعَ القزلباش أنَّ سُلْطانُ الرومِ قد رجعَ بجيشِه مِن «قره كوبرو» وخرجَ مِن «درب بتليس» وذهبَ مِن هناكَ خرجوا إلى «قره كوبرو» وقاموا بتخريبِ «خوش اوا» وهدمِها، وذهبَ أيضًا إلى «بتليس» وقامَ بهدمِ

(1) قره آمد: في زمان المؤلف كانت تطلق تكميلًا للفظ دِيار بَكْر، وتعني في التعبير القديم على لفظ ايالت، أمّا لفظ قره آمد فإنه يستعمل اليوم ويطلق على مدينة دِيار بَكْر. انظر صفحة 242 من هذا الكتاب.

كثيرٍ مِن الأماكنِ في «بتليس»، ونزلَ مِن هناك إلى «ترجان»، ومِن «ترجان» إلى «أرزنجان»، واستقرَّ في «أرزنجان»، وأغارَ عليها ونهبَها، وارتكبَ الجرائمَ بأهلِها، وكان سُلْطانُ الرومِ قد وصلَ إلى «آمد»، وبينما كان البعضُ يمتطي حصانَه والبعضُ راكبٌ جاء الخبرُ أنَّ «طهماسب» نزلَ بجنودِه الشياطينِ إلى «ترجان» وخرجوا مِن هناك إلى «أرزنجان» وقاموا بشتَّى أنواعِ الظلمِ والتعدِّي على هذه الولاياتِ، وعندما سمعَ السّلطان «سُليمان» سُلْطانُ الإسلام بذلك؛ أعطى أموالًا كثيرةً «للقاص ميرزا»[1] وأمدَّه ببِضْعةِ آلافٍ مِن الجنودِ، وأرسلَه إلى مملكةِ «طهماسب» سيِّئِ المعاشِ وأمرَه قائلًا: «إذا قامَ «طهماسب» بإحراقِ أيِّ قريةٍ مِن القرى التابعةِ لدولتي وهدمَها- التي ضِمْنَ حَوْزتي- تذهبُ أنت وتحرقُ كلَّ القرى والمدنَ التابعةَ له وتهدِمُها جزاءَ ذلك.

فامتثلَ القاصُ لهذا الأمرِ؛ فامتطى حصانَه، وخرجَ إلى «همدان»، وعند وصولِه قامَ بنهبِ مدينةِ «همدان» وتخريبِها بأكملِها، وقامَ بنهبِ وسلبِ أموالٍ ومتاعٍ ومنازلِ رجالِ «طهماسب»، وبعضِ أمرائه، ثمّ ذهبَ القومُ إلى «كاشان»، وقاموا أيضًا بتخريبِ تلك الديارِ، ثمّ نزلوا إلى «أصفهان»، وقاموا بقتلِ القزلباش الذين وجدوهم في تلك الأماكنِ المذكورةِ، وأحدثوا تخريبًا لا يمكنُ شرحُه بلسانٍ. وخرجوا مِن هناك إلى «شيراز»، ثمّ إلى «خورستان» [خوزستان]، ومِن هناك ذهبوا إلى «ششتره»، ثمّ إلى «بغداد».

ولكنْ عندما أرسلَ سُلْطانُ الإسلام السّلطان «سُليمان» القاص؛ أرسلَ في عقِبِه وزيرَين مع بضعةِ آلافٍ مِن الجُندِ إلى قلعةِ «جاباقجور»، وكان السّلطان

---

(1) تكتب هذه الكلمة في شكل ميرزا ايميرزه، وتعادل لفظ شهزادة وبرنس، وفي التركية القديمة كانت تكسر التاء تكين.

في صددِ الذهابِ بنفسِه في عقبِهم، ولكنَّه عندما سمعَ أنَّ «طهماسب» في «أرزنجان» عادَ مسرعًا إليه، ورجعَ إلى «ترجان»، ومِن «ترجان» توجَّهَ إلى وادي «باسين» في جانبِ «أرزروم»، ومِن هناك خرجَ إلى جانبِ «تبريز».

ورجعَ السلطان «سليمان» سُلْطانُ الرومِ إلى «آمِد» مرةً أخرى، واستقرَّ بها فترةً طويلةً، وجعل المُشاةُ يركَبون الخيلَ.

وبعدَ فترةٍ مِن الزمنِ عبرَ مِن «آمِد»، وبعدَها عبرَ نهرَ الفُراتِ وبدأ يستعدُّ لقضاءِ الشتاءِ، وقضى الشتاءَ في «حَلَب». وفي ذلك الشتاءِ وصل إلى «حماة» و«حِمْص»، ومِن هناك وصل إلى «أنطاكية»، ثمَّ عادَ مرةً أخرى إلى «حَلَب» وفي أولِ صيفٍ عبرَ مِن حَلَب.

وفي عام 956هـ [1] أطعمَ السلطان خيلَه الجزرَ في موضعٍ يُسمَّى «برج طابق» [مرج دابق] بالقُرْبِ مِن تُربة سيِّدنا «داود» - عليه السلام - الشريفة[2]، وقامَ بتداركِ أحوالِ المملكةِ والرعايا والنظرِ فيها.

وفي هذا العام خرجَ القاصُّ مِن «أصفهان»، وقامَ بهدمِ قدرٍ كبيرٍ مِن البلادِ والممالكِ وتخريبِها، واستولى على الأموالِ والمتاعِ، ثمَّ خرجَ مِن هناك إلى «بغداد»، وعندما خرجَ سمعَ بذلك «طهماسب» فحلَّ به البلاءُ والمرضُ ووَعْكُ البطنِ ومرِضَ لعدَّةِ أيامٍ ولازمَ الفِراشَ فترةً طويلةً.

(1) الموافق 1549م.

(2) الصحيح هو مرج دابق، وهي قرية من الكنيسة، وجزء كبير منها أراضي مستوية بين حلب وكليس. وتربة سيدنا داود عليه السلام في جنوب الكنيسة في قرية طويبق في ناحية تركمان. ولم يكن هذا المكان الذي به الكنائس تربة، بل هو مقام. وإذا كانت كتابة كلمة طويبق رسماً هكذا فهي تتشكل من كلمة طوبمق مع بيقمق في أمر الحاضر.

ذلك لأنَّ «القاص» كان قد سلبَ كلَّ الأشياءِ القيِّمةِ والتذكاراتِ النفيسةِ التي كان قد وضعَها «طهماسب» في المدنِ التي دخلَها «القاص». فقدْ قامَ «القاص» بأخذِ جميعِ هذه الأشياءِ مِن الأماكنِ التي دخلَها، حتى أنهم يرْوون أنه قد أخذَ خيمةً كان الشّاه «إسماعيل» قد تداوى فيها في حياتِه، وقبلَ أنْ تكتمِلَ أخذها «القاص» وأرسلَها إلى سُلْطانِ الرومِ السّلطان «سُليمان». وكانت هذه الخيمةُ أكبرَ خسارةٍ لـ«طهماسب».

وعندما وصلَ «القاص» أيضًا إلى بغدادَ قامَ بسلبِ كلِّ التُّحَفِ والتذكاراتِ مِن البلادِ التي دخلَها مِن أجْلِ سُلْطانِ الإسلامِ السّلطان «سُليمان»، وقامَ بإرسالها إلى «حَلَب».

وتمَّ عرضُ هذه الهدايا والتُّحفِ على السُّلْطانِ، فنظرَ السّلطان «سُليمان» إلى هذه الهدايا، وعندما رآها اعتدلَ قائمًا، وقال: «كيف نصادفُ مِثلَ هذه التحفِ في تلك الأزمنةِ القريبةِ، وما العملُ بها». وقامَ بالإنعامِ والإحسانِ على «القاص»، وأرسلَ إليه جيادًا أصيلةً، وسيوفًا مرصّعةً لا حصرَ لها.

وفي هذا العامِ قصدَ سُلْطانُ الرومِ السّلطان «سُليمان» الذهاب مرةً أخرى إلى «قره آمد»، وسارَ مِن منزِلٍ لآخَرَ حتى وصلَ إلى «بره جوك»، وسارَ مِن «بره جوك» مِن مكانٍ لمكانٍ حتى وصلَ إلى مرعى يُسمَّى «المالو»، واستقرَّ هناك.

ولكنَّ بعضَ الوشاةِ قد حقدوا على كتخدا «القاص»، وأسندوا إليه بعضَ الأعمالِ غيرِ المعقولةِ، وحرَّضوا عليه السّلطان «سُليمان»، وضربوه في مَقْتَلٍ [أوغروا صدرَ السّلطان ضدَّه]، وصلبوه كالحيوانِ. فعندما سمعَ

«القاص» بذلك بدأ يتداركُ نفسَه، وقد كان في صددِ الذهابِ إلى «الآستانه» إلى سُلْطانِ الروم السّلطان «سُليمان»، ولكنَّه وقعَ في حيرةٍ مِن أمرِه ولَم يبقَ في مكانٍ، ولَم يعرفْ إلى أيِّ مكانٍ يرحلُ.

وفي النهايةِ لجأ إلى أميرِ «شهرزور» الذي يُدعى «يكى»، واختبأ عنده في ركنٍ مِن دولتِه.

وهناك الكثيرُ مِن القصصِ عن ذلك، لا يحتملُها هذا الكتابُ المختصَرُ، ولو كتبْنا عنه لَطالَ الكلامُ.

وفي هذا العامِ أرسلَ سُلْطانُ الإسلامِ السّلطان «سُليمان» وزيرَه «أحمد باشا» بالجيشِ إلى «كورجستان»، وقال له: «اذهبْ إلى هذا المكانِ، وافتحْ القلاعَ والبلادَ في تلك الولاياتِ، واغزُ هذه البلادَ؛ فخرجَ «أحمد باشا» بالجيشِ وفتح كثيرًا مِن القلاعِ والبلادِ والدولِ، وغنِمَ غنائمَ كثيرةً؛ ثمّ قفلَ راجعًا مِن هناك.

وعندما حلَّ فصلُ الخريفِ توجَّهَ السّلطان «سُليمان» سُلْطانُ الرومِ ناحيةَ «حَلَب»، ولكنَّه لَم يأمُرْ بتسريحِ الجيشِ، وبقِيَ عساكرُ الأناضولِ والرومِ ايلي البعضُ مِنهم في «تروح» والبعضُ الآخَرُ في «مردن» [ماردين، مردين]. والحاصلُ أنَّ عساكرَ الروم ايلي والأناضول قدْ قضَوا الشتاءَ في المكانِ الذي شتوا فيه العامَ الماضي. ولكنْ أذِنَ السّلطان لسائرِ أمراءِ الأمراءِ مِثلَ أمراءِ «قرمان» و«ذو القادر» و«سيواس»، فذهبَ كلٌّ واحدٍ منهم بجيشِه إلى دولتِه.

وبينما كان السّلطان «سُليمان» سُلْطانُ الإسلامِ يقضي موسمَ الشتاءِ في «حَلَب»، لَم يرضَ مُعظَمُ الناسِ، وسخِطوا مِن الحالِ، وذهبوا لبلاطِ السّلْطانِ، وعندما تلفَّظوا ببعضِ الكلماتِ، وسمعَ سُلْطانُ الرومِ كثيرًا مِن

هذه الكلماتِ، لَمْ يخالِفْهم في ذلك أو يعترضْ على الكلامِ، بل قصدَ الذّهابَ إلى «إسلامبول» في ظلِّ برودةِ الجوِّ. وعانَوا كثيرًا في الطريقِ، وفي النهايةِ وصلوا «إسلامبول».

وفي هذا الشتاءِ خرجَ السّلطان مِن «إسلامبول» للصيدِ والقنصِ في نواحي «جورلو»، وأخذَ معه ابنَه السّلطان «سليم» الذي كان قد عيَّنَه في «أدرنة» مِن أجْلِ رِعايةِ الرومِ ايلي وحمايتِهم؛ فعندما ذهبَ سابقًا إلى القزلباش، وظلَّ معه عِدَّةَ أيام في العيشِ والسعادةِ والصيدِ والقنصِ، في النهايةِ أنعمَ عليه بالهدايا والإحسانِ ثمّ أرسلَه إلى «مغنسيا».

[أحوالُ التّتارِ مع سعادت كراي خان] [1]

وفي هذا العامِ أخذَ كفارُ «مسقو» أميرَ ولايةِ «قزان»، فأصبحتْ الولايةُ بدونِ حاكمٍ، وقد كان ينبغي تعيينُ حاكم عليها، فأمرَ خانُ التتارِ الموجودُ في «كفه» بتعيينِ وتنصيبِ خان على ذلك المكانِ. وصارتْ ولايةُ «قزان» بلا حاكمٍ؛ فأرسلَ خان «كفه» «سعادت كراي خان» خبرًا إلى سُلْطانِ الإسلامِ السّلطان «سُليمان»، وقال له: «أرسِلْ إلينا «دولت كراي سُلْطان» ابنَ أخي، ونحنُ نرسِلُه إلى ولايةِ «قزان» ونعيِّنُه حاكمًا عليها. ولكنْ «لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ» [2] إذْ كان غرضُ حاكمِ «كفه» وهدفُه هو أنْ يطلُبَ «دولت كراي سُلْطان» مِن السّلطان «سُليمان»، وعندما يرسِلُه له السّلطان «سُليمان» يقومُ بقتلِه، ليكونَ الحُكمُ والسّلْطَنةُ مِن بعدِه لأبنائه فقط.

---

(1) هذا العنوان من وضع (المترجم).

(2) ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾: النمل آية 65.

فقامَ السّلطان- مَلْجأ العالَم- بإرسالِ «دولت كراي سُلْطان» بعِدَّةِ آلافٍ مِن الجُندِ، وعندما وصلَ المذكورُ إلى «كفه»، وكان مَقَرُّ حُكم «سعادت كراي خان» في «اور اغزنه» (1)؛ فلَم يذهبْ المذكورُ مِن البرِّ، بل ركِبَ سفينةً في البحرِ، وذهبَ ناحيةَ «كفه» ، واستراحَ فترةً في «كفه».

وعندما مكثَ فترةً في «كفه» قامَ أكثرُ أمراءِ التتارِ وقادتِهم بالخروجِ عن طاعةِ «سعادت كراي خان»، وذهبوا إلى «دولت كراي سُلْطان»، ودَعَوه إلى السّلْطَنةِ والحُكم.

ولكنَّه لَم يقبَلْ ذلك وقال: «أنا لَم آتِ إلى هنا مِن أجْلِ السّلْطَنةِ والحُكم، إنما أتيتُ بأمرِ سُلْطانِ الربعِ المسكونِ في أمرٍ آخَرَ». ولكنْ اعترضَ الأمراءُ على كلامه، وقالوا له: «ابنَ الخانِ لا بُدَّ أنْ يحكُمَ مكانَه، ويجبُ أنْ تكونَ أنت حاكمًا علينا، وإلّا سنقتلُك». ولأنَّ الخان [سعادت كراي] كثيرُ الطمعِ والمكرِ والغدرِ، فلَم يترُكْ لأحدٍ مِنّا مالًا ولا عرضًا، إنما أخذ كلَّ شيءٍ بالظلمِ، ووصفوا له كلَّ شيءٍ.

رأى «دولت كراي خان» أنَّ طائفةَ التتارِ تمثِّلُ غلبةً وقوةً وطُغيانًا، ولا سبيلَ للنجاةِ مِن هؤلاء؛ فقال لهم مِن أجْلِ عقدِ المجلسِ، ومِن أجْلِ قبولِ دَعْواكم، ومعرفةِ إخلاصِكم لي، فأنتم تريدون أنْ أحاربَ وأعاديَ الخانَ [سعادت كراي]، وبعد ذلك، تخرجونني مِن هناك، وتقبضون عليّ. ولكنْ إنْ كنتم صادقين في كلامِكم فاذهَبوا، واهجُموا على الخانِ، واقتلوه، وانهبوا أموالَه ومتاعَه، أو اقطعوا رأسَ ابنِه، وأحضروه لي، عندها أثِقُ بكم، وأصدِّقُكم، وأكونُ حاكمًا عليكم.

---

(1) اور آغزي: هي قلعة اور التي بنيت بين بحرين من أجْلِ محافظة القريم.

وفي وقتٍ قصيرٍ ذهبوا إلى هناك، وقطعوا رأسَ ابنِ [سعادت كراي]، وأحضَروه له. وعندما رأى «دولت كراي خان» هذا الحالَ صدَّقَ كلامَهم، وقبِلَ السَّلْطَنَةَ وأصبحَ حاكمًا عليهم.

بعد ذلك ذهبوا، وقتلوا الخانَ أيضًا، وقتلوا اثنين مِن أبنائه أو ثلاثةً، واستولَوا على جميعِ أموالِهم ومتاعِهم وضبطوها.

وكان الحالُ على هذا النحوِ، وقامَ «دولت كراي خان» بعرضِ هذا الوضعِ، وكلُّ ما وقعَ على سُلْطانِ الأقاليمِ السبعةِ، وأخبرَه بما حدثَ. فحزنَ السّلطان «سُليمان» كثيرًا لوفاة «سعادت كراي» وغضبَ، ولكنْ ما الفائدةُ؟. في النهايةِ قرَّرَ تعيينَ السّلطان والخانِ الجديدِ، وأرسلَ إليه وافرَ الإنعامِ والإحسانِ. وفي هذا العامِ مرضَ السّلطان «سُليمان»، وعندما شفاه الحقُّ- سُبحانه وتعالى- خرجَ مِن «أدرنة» إلى «إسلامبول».

ولَمَّا دخلتْ سنةُ 958هـ[1] وصلَ أميرُ أمراءِ الروم ايلي بعساكرِ الروم ايلي، وعبرَ مِن «بلغراد»، ووصلَ إلى «وارادين»، ومِن «وارادين» أقامَ جسرًا، وعبرَ مِن وادي التُّرْكِ، واستولى على قلعةِ «بچوى» مِن يدِ الكفارِ على نهرِ «تصا»، وتركَ جنودًا بها، ثمّ خرجَ أميرُ أمراءِ الروم ايلي ووصلَ إلى «ديمشوار» [طمشوار]، وحاصَرَها لعِدَّةِ أيام، ولكنْ تركَ الحصارَ بسببِ ضِيقِ الوقتِ، وخرجَ مِن هناك، وعندما وصَلَ إلى قلعةِ «بچوى» جاء رسولٌ مِن «لبوه» وأخبرَه أنَّ كثيرًا مِن عساكرِ الكفارِ جاؤوا إلى «لبوه» وحاصَروها. عندما سمعَ أميرُ الأمراءِ هذا الخبرَ أرسلَ كثيرًا مِن الجنودِ لمساعدتِهم، ولكنَّ الجيشَ الذي ذهبَ بوصفِه مددًا لَم يقتربْ مِن

(1) الموافق 1551م.

قلعةِ «صربلغن» [صارب] ولا مِن جيشٍ وأماكنِ الكفارِ، وعندما وصلَ الكفارُ إلى «لبوه» ضربوا خارجَ القلعةِ بالمدافعِ يومين أو ثلاثةً، استولَوا على خارجِ القلعةِ مِن يدِ المسلمين.

وعندما استولى الكفارُ على خارجِ قلعةِ «لبوه» دخلَ المسلمون داخلَ القلعةِ، وقتلَ الكفارُ بعضَ المسلمين الموجودين في خارجِ القلعةِ، والبعضُ هربَ مِن الكفارِ، وخرجوا إلى ناحيةِ السلامةِ.

وفي هذا العامِ أمرَ سُلطانُ البرِّ والبحرِ بصناعةِ أسطولٍ رفيعٍ وأرسلَه إلى «آق دكز» [البحر الأبيض].

ووصلَ الأسطولُ إلى قلعةِ «طرابولس» [طرابُلُس غَرب] ناحيةَ «المغرب»؛ التي كانت في يدِ الكفارِ؛ فوصلَ هناك، واستولى عليها. ومِن هناك ذهبوا إلى «مالتيه» [مالطه]. وعندما هجموا على قلعة «مالته» وبسببِ أنها في حَوْزةِ بلادِ الصِرْبِ لَم ينجحوا في فتحِها، ووقعتْ خسارةٌ كبيرةٌ بين المسلمين.

وفي هذا العامِ عندما استولى الكفارُ على قلعةِ «لبوه»، بعدها طمِعوا في قلعةِ «سكدين» التي كانت تحتَ يدِ المسلمين، وقاموا بجمعٍ كثيرٍ مِن الكفارِ، وذهبوا إلى «سكدين»، واتحدَ الكفارُ الموجودون خارجَ القلعةِ مع الكفارِ القادمين ونقلوهم سِرًّا إلى الخارجِ، وبخلافِ هؤلاء استعدَّ عِدَّةُ آلافٍ مِن فُرْسانِ الكفارِ، وظلّوا مستعدِّين في «لبوه». وذاتَ يوم ساروا فجأةً، واستولَوا على خارجِ قلعةِ «سكدين»، وهربَ المسلمون الموجودون بها إلى داخلِ القلعةِ، وأرسلوا رسولًا برسالةٍ إلى أميرِ أمراءِ «بوديم»، قالوا فيها: «هجمَ علينا عِدَّةُ آلافٍ مِن الكفارِ، واجتمعَ الكفارُ خارجَ قلعةِ

«سكدين» مع الكفارِ، ويجبُ أنْ تلحقوا بنا، فقدْ استولَوا على القلعةِ».

عندما استلمَ أميرُ أمراءِ بوديم هذا الخبرَ؛ خرجَ بالجيشِ الموجودِ في «بوديم» في الحالِ، وذهبَ ناحيةَ «سكدين»، وعندما سمعَ الكفارُ بمجيءِ جيشِ المسلمينَ خرجَ المُشاةُ والخيَّالةُ مِن جيشِ الكفارِ لمواجهةِ المسلمينَ، ووقعتْ حربٌ عظيمةٌ لا يمكنُ وصفُها(1).

وفي النهايةِ أدركتْ عِنايةُ اللهِ وعونُه جيشَ المسلمينَ، وأعزَّ اللهُ دِينَ الإسلامِ، وهزمَ الغُزاةُ الكفارَ، ودحروهم بما لا يمكنُ وصفُه. وبعد ذلك، ذهبوا إلى «سكه دين»، وقتلوا أيضًا الكفارَ الموجودين في سكدين وغنموا غنائمَ كثيرةً(2)، ثمّ قفلوا راجعينَ إلى «بوديم» مرةً أخرى.

وعندما جاء فصلُ الخريفِ خرجَ سُلْطانُ الرومِ السّلطان «سُليمان» مِن «إسلامبول» إلى «أدرنة»، وقضى ذلك الشتاءَ في «أدرنة». وخرجَ للصيدِ في نواحي» ابصاله» [ايصاله] و«اينوز»، وتمتَّعَ بالصيدِ مع حضورِ القلبِ واطمئنانِ النفسِ لعِدَّةِ أيامٍ، ثمّ عادَ مرةً أخرى إلى «أدرنة».

وفي أولِ صيفِ عامِ 959هـ(3) جاء وقتُ الحملةِ؛ فقامَ السّلطانُ- مَلْجأ وحامي الإسلامِ- بإرسالِ وزيرِه «أحمد باشا» بعِدَّةِ آلافٍ مِن جُندِ «قبو خلقى»، وأرسلَ معه أميرَ أمراءِ الرومِ ايلى بعساكرِه، وخرجَ هؤلاء،

(1) طبقًا للإملاء في ذلك الوقت (ديه جك لين)، والأصح أيضًا هكذا (دينه جك لين)، وليس معنا مثل كلمة دينيله جك. وتلحق بها أداة التشبيه لين في آخرها مثل بتجلاين وسنجلاين. وكانت تستعمل كثيرًا قديمًا.

(2) طوبوم لق أساسًا معناها غنيمة الإنسان، وبعد ذلك، أطلقت مجازًا على الغنيمة، وتطلق أيضًا عليها كلمة داديم لق، وليست كلمة طوبوملق بنفس المعنى، وإنما هي كلمة مشهورة عند الأتراك.

(3) الموافق عام 1552م.

وعبروا بعدَّة آلافٍ من الجيشِ من «قويلوج» [قويلوبيج ، قوملوج] على نهر «طونه» بالقُرْبِ مِن «سمندرة»، وأخذوا المدافعَ التي يضربون بها القلعةَ مِن «سمندرة»، وخرجوا إلى «طمشوار، ونقلوا المدافعَ، وذهبَ هذا القدْرُ الكبيرُ، والآلافُ مِن الغُزاةِ إلى «ديمشوار»، وأقاموا المتاريسَ على الأرضِ، ونصبوا المدافعَ، وبدءوا في ضربِ القلعةِ فترةً مِن الزمنِ، وهجموا عليها عِدَّةَ مرّاتٍ، وهلكَ كثيرٌ من الجيشِ وقُتلوا.

وفي النهايةِ طلبَ الكفارُ الأمانَ، وفُتحتْ القلعةُ بالاستسلام، فقامَ المسلمون بضبطِ القلعةِ، ووضعوا بداخِلِها أسلحةً وذخيرةً وجنودًا، ثمَّ خرجَ [الغُزاة] مِن هناك إلى «البوه»، ولكنَّ كفارَ «البوه» عندما سمعوا بقدوم المسلمين خرجوا مِنها، وتركوها خاليةً. فقامَ المسلمون بتركِ جنودٍ وأسلحةٍ في «البوه» وضبطوها.

وبعد ذلك، عبروا مِن نهرٍ يُسمّى « تيصا»، ووصلوا إلى قلعةِ « تاتار» التي كانت مكانَ قلعةٍ منذُ القِدَمِ، ولأنَّ بها ميناء فقدْ قامَ الكفارُ ببناءِ قلعةٍ بها وسمُّوها «باراقان»، وعندما وصلَ [المسلمون] لهذه القلعةِ نصبوا المدافعَ، وضربوها فترةً طويلةً مِن الزمنِ، وفُتحتْ القلعةُ بالاستسلامِ بعدَ طلبِ أهلِها الأمانَ، وترك المسلمون حاكمًا على قلعةِ «بارقانه»، وضُبطَتْ القلعةُ.

وبعد ذلك، خرجَ [المسلمون] إلى قلعةِ «أكرى» التي كانت قديمًا قلعةً حصينةً لولاية «أونكروس»، وحاصَروها فترةً طويلةً، وضربوها بالمدافعِ، ولكنْ بسببِ شِدَّةِ برودةِ الشتاءِ، وضيقِ الوقتِ لَم يفلِحوا في فتحِها؛ فعبروا مِن هناك، وسُرِحَ الجيشُ.

وفي هذا العامِ أرسلَ مِلكُ «بج» كثيرًا مِن الكفارِ مِن «الأمان» و«چه»

و«فرنك» إلى ناحيةِ «بوديم»، وقاموا بهدمِ بعضِ الأماكنِ وتخريبها، ولكنْ كان أميرُ أمراءِ «بوديم» على عِلمٍ بذلك، فخرجَ في الحالِ بعساكره لمواجهتهم، والحاصلُ أنهم التقَوا، ووقعتْ حربٌ ضروسٌ لا يُرى مِثلُها. ومنحَ اللهُ تعالى الفُرصةَ والنُّصرةَ للمسلمين، وهزموا الكفارَ، وقتلوا مُعظمَهم، وغنِمَ الغُزاةُ غنائمَ كثيرةً.

وفي هذا العامِ جمعَ أمراءُ «كورجستان» خراجًا لا نهايةَ له إلى سردار العجمِ الشّاه «طهماسب»، وجاء أيضًا أربعةُ سلاطين أو خمسةٌ مِن القزلباش، وقاموا بجمعِ جيشٍ كبيرٍ مِن «الكورج» مع أمراءِ «آزناور»، وأخذوا الأموالَ والمتاعَ الذي جُمِع مِن الخراجِ، وبينما كانوا يريدون الذهابَ به كان أميرُ أمراءِ «ارزروم» مُطّلِعًا على هذا الأمرِ؛ فوصلَ إليهم بعِدّةِ آلافٍ مِن الروم ايلي، وأخذَ ذلك الخراجَ مِن أيديهم بضربِ اليدِ، وقُتِل خلقٌ كثيرٌ مِن القزلباش والكورج. وقبضوا على بعضِ الأمراءِ مِنهم، وقاموا بإرسالِ ذلك الخراجِ المأخوذِ والأمراءِ إلى السّلطان سُليمان(1).

وعندما سمعَ الشّاه «طهماسب» سيّئُ المعاشِ أنهم أخذوا الخراجَ القادمَ مِن «الكورج»، وأسروا الأمراءَ خرجَ بعِدّةِ آلافٍ مِن الجيشِ مِن «تبريز»، ووصلَ إلى «أرجيش» التي كانت على حدودِ مملكةِ السّلطان «سُليمان» سُلْطانِ الرومِ وخرجَ مِن هناك إلى «رهاة الجوز» [عادلجواز]، ثمّ خرجَ منها ونزلَ إلى قلعةِ «أخلاط» ونصبَ الألغامَ بها والمنجنيقَ، وحاصَرَها فترةً طويلةً، واستسلمَ الموجودون داخلَ القلعةِ؛ لعدمِ وجودِ ذخيرةٍ بها، وسلّموا القلعةَ صُلْحًا. وقامَ «طهماسب» أيضًا بهدمِ قلعةِ «أخلاط» ثمّ عبرَ مِن هناك إلى «أرجيش»، وقامَ بحصارِها، واستقرَّ بها.

(1) جاءت في الأصل (إلى السّلطان سليم)، والصحيح ما كتبناه. (المترجم).

وأرسلَ أميرُ أمراءِ ارزروم ابنَه مع بعضِ السلاطينِ وعِدّةِ آلافٍ مِن العساكرِ إلى «طهماسب»؛ فخرجَ هؤلاء في الحالِ، ووصلوا هناك، ودخلوا كمينًا بالقُرْبِ من» أرزروم»، وفصلَ عِدّةَ أشخاصٍ مِن الجيشِ، وأرسلَهم أمامَه في صُورةِ «سكردجى» [فدائيين]، وقد أخبروا أميرَ أمراءِ ارزروم أنَّ جنودَ [نهّاب ولصوص] القزلباش، قد جاؤوا إلى قرى أهلِ الإسلامِ الموجودةِ بالقُرْبِ مِن ارزروم، ونحن لا نعرفُ ما هو أصلُ ذلك.

وكان أميرُ أمراءِ ارزروم موجودًا في ذلك الوقتِ، وقال للجيشِ: استعِدُّوا [اركبوا خيولكم]، وأخذ معه حتى المُشاةَ الموجودين في القلعةِ، وقصدوا الذهابَ إلى الناحيةِ التي يأتي مِنها هؤلاء اللّصوصُ، وعندما وصل إليهم وجهًا لوجهٍ أرسلَ إليهم عِدّةَ أشخاصٍ، وعندما رأى جيشُ القزلباش هؤلاء الأشخاصَ اجتمعوا في مكانٍ وقرَّروا الهروبَ. وخرجَ عليهم الجنودُ الموجودون في الكَمينِ وقاموا معهم بحربٍ شرسةٍ [كوبك صواشى].

فذهبَ أميرُ أمراءِ ارزروم عقِبَ هؤلاء حتى وصلَ إلى الكمينِ، وخرجَ جنودُ القزلباش على هؤلاء مِن الجوانبِ الأربعةِ مِن الكَمينِ، وعلِمَ أميرُ أمراءِ ارزروم أنه قد حُوصِرَ مِن أربعةِ جوانبَ، فاستبسلَ في القتالِ، وحاربَ بشجاعةٍ، وفي النهايةِ كانت الغلبةُ للقزلباشِ، وانهزمَ جيشُ ارزروم، وقُتلَ خلقٌ كثيرٌ مِن العساكرِ والأمراءِ، وجُرح أميرُ أمراءِ ارزروم وذهبَ إلى ارزروم. وفي هذا العامِ أمرَ سُلْطانُ الإسلام بصُنعِ أسطولٍ عالٍ، وأرسلَه إلى البحرِ.

وفي هذا العام سمعَ سُلْطانُ الإسلام بالتطاوُلِ والتعدّي غيرِ المعقولِ الذي قامَ به القزلباش سيّئُ المعاشِ في ولايةِ ارزروم، فعهِدَ إلى الوزيرِ الأعظمِ «رستم باشا» وعمومِ أغواتِ الانكشاريةِ مع أغواتِ «سپاهى اوغلانلرى»

وأمراءِ أمراءِ آناضول وقرمان وذو القادر وسيواس وجيشِهم وصوباشيتهم أنْ يستعِدُّوا ويتهيَّئوا في ناحيةِ سيواس مِن أجْلِ دفعِ هذا التعدِّي؛ فخرجَ «رستم باشا» بجُندِ الـ «قبو خلقي» إلى «أنقرة»، ومكثَ عِدَّةَ أيامٍ هناك، ثمَّ عبرَ مِنها، وبينما هو بصَدَدِ الذهابِ إلى قيصرى، رجعَ مِن طريقِ «قيصرى» إلى «آق سراى»، وعندما وصلَ «آق سراى» نزلَ الثلجُ والمطرُ الغزيرُ، وتكدَّرَ صفوُ الجُندِ، وعانَوا كثيرًا أمامَ هذا الأمرِ. وخرجَ مِن «آق سراى» إلى «اره كلو»، والحاصلُ أنه عادَ مِن أجْلِ العوائقِ والموانعِ في طريقِه، ودخلَ قلعةَ «قونيه»، واستقرَّ بها.

وازدادَ الشتاءُ، ولَم تكُنْ هناك قدرةٌ أو مجالٌ لتحرُّكِ العساكرِ، وبخلافِ ذلك كانت هناك بعضُ الموانعِ لَم تمكِّنْهم مِن الذهابِ إلى «قيصريه» و«ديار بَكْر» وعرضوا ذلك على سُلْطانِ الإسلام؛ فأمرَ السلطانُ– ظِلُّ اللهِ– قائلًا: «لتسرحوا جيشي بدونِ وقتٍ وتأتي أنتَ [رستم باشا] إليَّ؛ فأعطى «رستم باشا» الإذنَ للجيشِ، وتوجَّه بناءً على أمرِ السلطانِ إلى عرشِ بلاطِ السلطانِ الأعلى، وظلَّ في خدمةِ السلطانِ كما كان.

وعندما جاء عامُ 960هـ [(1)] أرسلَ سردار العجم الشاه «طهماسب» رسولًا مع بعضِ الأجوبةِ غيرِ اللائقةِ إلى السلطانِ– حامي العالَمِ–، فغضبَ سُلْطانُ البرَّينِ والبحرَين كثيرًا، واستاءَ مِن جوابه، وفي الحالِ أمرَ قائلًا: «اجمعوا عساكرَ الروم ايلي والأناضولِ في الحالِ». وأرسلتْ الأحكامُ الشريفةُ المؤكَّدةُ بواسطةِ الرُّسلِ، وصارتْ العساكرُ المنصورةُ في وضعِ الاستعدادِ، وأرسلَ أيضًا إلى ابنِه السلطان «مصطفى» والسُّلْطانِ «سليم» قائلًا: «أنتم

---

(1) الموافق 1553م.

أيضًا استعِدُّوا بكلِّ شيءٍ، لكي تأتوا معي إلى العجم».

وفي اليومِ السابعَ عشرَ مِن شهرِ رمضانَ المباركِ مِن السنةِ المذكورةِ عبرَ [السُلْطان مصطفى والسُلْطان سليم] بمهابةٍ وعَظَمةٍ، وبأسلحةِ الحربِ مع جُنْدِ الـ «قبو خلقى» و«اليكيجرى»، وبِضْعِ مئاتٍ مِن عرباتِ المدافعِ والـ «جبه خانه» والسلاحِ مِن بحرِ «اسكندر» [اسكدار]، وخرجوا مِن هناك إلى «يكى شهرى»، والتقى بابنِه السّلطان «بايزيد»، بعد ذلك أرسلَه إلى «أدرنة» المحروسةِ مِن أجْلِ رعايةِ الروم ايلى. وخرجَ سُلْطانُ الإسلامِ صوبَ «اسكى شهر»، ومِن «اسكى شهر» خرجَ إلى «سيد غازي»، ثمّ مِن هناك عبرَ إلى «بولاوادين»، وهناك جاء ابنُه السّلطان «سليم»، والتقى بوالدِه. وبعد عِدّةِ أيامٍ خرجَ السّلطان مِن هناك، ولحِقَ به ابنُه السّلطان «سليم»(١).

وسارَ السّلطان- حامي العالَمِ- بعظَمةٍ إلى الأمامِ، وعندما وصلَ إلى مدينةِ «قونيه» قامَ بعزلِ الوزيرِ الأعظمِ «رستم باشا» و«حيدر باشا» مِن الوزارةِ، وعيَّنَ «أحمد باشا» وزيرًا أعظمَ، وعيَّنَ «علي باشا» الموجودَ في مِصْرَ وزيرًا ثالثًا، وعيَّنَ أميرَ أمراءِ حَلَب «دوقه كين اوغلى» أميرَ أمراءَ على مِصْرَ، وخرجَ [السّلْطان] ناحيةَ «قيصريه»، وبعدَ أنْ وصلَ «حَلَب»، وفي اليومِ العاشرِ مِن شهرِ ذي القعدةِ أُصيبَ ابنُه جهانكير بمرضِ ذاتِ الجَنْبِ، وتُوفِّيَ هناك، ونقلوا نعشَه، ودُفن في «إسلامبول» بجوارِ أخيه السّلطان «محمد».

وفى تاريخ 961هـ قضى سُلْطانُ الإسلامِ الشتاءَ في مدينةِ «حَلَب»، وبينما كان يعدلُ ويهتمُّ بالرعايا والبرايا جاء إلى خاطرِه الشريفِ أنْ يذهبَ إلى زيارةِ

(١) لم يذكر لُطفي باشا في وقائع هذا العام شيئًا عن مَقْتَلِ الأمير مصطفى، فقد وقع ذلك قبلَ عزلِ الوزيرِ الأعظم رستم باشا. (المترجم).

القُدسِ الشريفِ، ويرى أيضًا ولايةَ الشام. وبناءً على هذه الخاطرةِ والرغبةِ أصدرَ حُكمَه وأمرَ قائلًا: «أنا أريدُ زيارةَ القُدسِ الشريفِ، وأريدُ أيضًا أنْ أرى مدينةَ دِمَشْق وولاياتِ الشام، فلْتَسْعَوا في ذلك.

فامتثلَ الوزراءُ في الحالِ الأمرَ، وبينما كانوا يقومون بتنظيفِ طُرقِ القُدسِ الشريفِ والشامِ الشريفِ وإصلاحِها، وفي تلك الأثناءِ جاء الجواسيسُ والرُسلُ مِن إمارةِ أمراءِ «وان»، وعندما سُئل هؤلاء عن الأخبارِ أجابوا أنَّ: الشاه «طهماسب» في وضعِ استعدادٍ لحربٍ، ويريدُ الهجومَ إلى جانبٍ مِن مملكتِكم.

عُـــرِضَ هــذا الخــبرُ عــلى الــسّـلْـطـانِ
وأمـرَ بالاستعدادِ لهذا الأمـرِ في الحالِ

فــسـجـدوا للهِ عــلى الأرضِ وقــالــوا:
رزقكَ اللهُ النصرَ دائمًا وحفِظكَ وأعانك

وكـــلُّ مَـــن دُونَـــك لـيـكُـنْ في الأسـفـلِ
ويحضر لك خسرو وخاقان هذا الشخص

أيُّـها الـنـورُ الطاهرُ كـلُّ مَـن يفكِّر يضرُّك
لـيـسـقُـطْ تحـتَ سيـفِـك ويهـلَـك

لأنــه مـعـلـومٌ لــدى ذكـر الأســدِ أنَّ
الخُـفَّـاشَ سيقومُ بـغـارةٍ ليليةٍ على الصقرِ

نثر: بعد ذلك عندما عرفَ سُلْطانُ الأرضِ هذه الأخبارَ مِن المُخبرين والجواسيسِ، صرفَ نظرَه عن الذهابِ لزيارةِ القُدسِ الشريفِ، وعن رؤيةِ مدينةِ دِمَشْق وولاياتِ الشامِ، وظلَّ منتظرًا مجيءَ وقتِ الحربِ.

وفي هذا العام أرسلَ السّلطان– حامي الدينِ– الوزيرَ الأعظمَ «إبراهيم

باشا» مِن «حَلَب» إلى حكومةِ «إسلامبول»، وفي هذا العام أيضًا عبرَ سُلْطانُ أهلِ الإسلام مِن «حَلَب» وعبرَ ماءَ الفُراتِ إلى قلعةِ «ويره جك» [بيره جك]، ومِن هناك ذهبَ إلى قلعةِ «روهاي» [رهاي]، ثمّ وصلَ «قره آمد» واستراحَ عِدّةَ أيام هناك، ثمّ خرجَ مِنها وذهبَ إلى دَرْبِ «جاباقشور»، وعندما عبرَ العسكرُ هذا المَضيقَ عانَوا كثيرًا.

وفي النهايةِ عبروا مِن هذا المكانِ، ووصلوا «صو شهرى»، ومكثَ [السّلْطان] ينتظرُ ابنَه السّلطان «سليم».

وقضى ابنُه السّلطان «سليم» الشتاءَ في مَرْعَش، وعندما جاء فصلُ الربيع خرجَ بأمرِ السّلطان– حامي العالَم– مِن «مَرْعَش» إلى «سيواس»، ثمّ إلى «أرزنجان»، ومِن هناك توجّهَ إلى «مرجان» [ترجان]، ومِن هناك خرجَ إلى «صو شهرى» والتقى بوالدِه هناك. وعندما وصلَ الجمهورُ والجماعةُ إلى موضعٍ يُسمّى «بيك كول»، أحضرَ الجواسيسُ أخبارًا عن القزلباشِ الأشرارِ أنه قد جاء مددٌ مِن عِدّةِ أماكنَ إلى سردار العجم «طهماسب»، وهو في كاملِ استعدادِه ويقصدُ حربَ سُلْطانِ أهلِ الإسلام، وعندما أخبروا السّلطانَ بذلك؛ ذهبَ في الحالِ إلى «باسين»، وجهّزَ جميعَ جنودِه في «باسين»، وفي اليومِ السابعِ والعشرين مِن شهرِ رجبِ المرجب عبرَ مِن «باسين»، وذهبَ إلى موضعٍ يُسمّى «قرص» [قارص]. وعندما وصلَ إلى «قرص» كان القزلباشُ الكفارُ قد دخلوا ولايات «فاش»، وفي الحالِ قامَ [الغُزاةُ]، بنهبِها والإغارةِ عليها جميعًا، وهدموا هذه الديارَ جميعًا، وعندما وصلوا إلى «روان» أحرقوها بالنارِ، وقاموا بقتلِ بعضِ الرعايا الموجودين هناك وأسَروا آخَرين، وعندما وصلوا إلى «روان» قاموا بهدمِها وتخريبِها وتركوها مأوى للغربانِ والبُوم.

أمّا القزلباش فلَم تظهرْ أيُّ علامةٍ أو دليلٍ عليهم.

وكان فُرسانُ الرومِ ايلي قد أسروا كثيرًا مِن المخبرين والجواسيسِ مِن القزلباش ونقلوهم معهم. وهذه المرةَ أيضًا أخذوا جاسوسًا بالقُرْبِ مِن «روان»، وحملوه إلى سُلْطانِ الأرضِ، وعندما سألَه عن الأخبارِ أجابَ قائلًا: «لقدْ استعدَّ «طهماسب» بالعساكرِ الشياطينِ في» برهماس» [برهراس] «نخجوان» ومكثَ منتظِرًا سُلْطانَ الرومِ السّلطان «سُليمان». وعندما تلقّى السّلطان الخبرَ عزمَ على الذهابِ إلى «نخجوان» في الحالِ، وسارَ مِن موضعٍ لآخَرَ حتى وصلَ «نخجوان»، ولكنْ لا يوجَدُ أثرٌ للقزلباش أصلًا.

وفي الحالِ قامَ بإحراقِ تلك الديارِ و«نخجوان» وقصورِ الشّاه «طهماسب» الموجودةِ داخلَ المدينةِ، وأمرَ الجيشَ قائلًا: «خرِّبوا الأماكنَ المتّصلةَ ببعضِها بآلاتِ الحفرِ والمَعاولِ، واقطعوا الأشجارَ الموجودةَ في الحدائقِ، واهدِموا ما حولَها واجعلوها مأوى للغِربانِ. بعد ذلك عبروا نهرَ «ارس» [آراس] [1] وساروا إلى جبلِ «اغر» [اغرى].

وفي اليومِ الخامسَ عشرَ مِن شهرِ رمضانَ المباركِ مِن السنةِ المذكورةِ [961هـ] عبرَ السّلطان بعظمةٍ وإقبالٍ مِن ناحيةِ «علشكرد» [الشكرد]، إلى جسرِ «چوبان» واستقرَّ به.

تمّت [2] [صفحاتُ] الكتابِ بعونِ اللهِ الملِكِ الوهّابِ

---

(1) إذا كانت هذه الكلمة تستعمل عندنا بالمد (آراس) إلّا أنها عند الإيرانيين وفي اللغة الفارسية تستعمل بالهمزة وفتح السين، وهي بمعنى درع: (اى صبا كريكلرى بر ساحل رود ارس)، أحيانًا كان يكتبها حافظ شيرازي في بعض كتبه على هذا النحو (أراز).

(2) جاء في الأصل كلمة (تمت)، وعلى اعتبار أن المؤلف يقصد صحف الكتاب فهي جائزة.

فهرس الموضوعات

المَبْحَثُ الثاني

الجزء الثاني